صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (٧)

سيرة الزعيمين

محمد إدريس السنوسي
وعمر المختار

تأليف

د.علي محمد محمد الصلّابي

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *}

مُقَدِّمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

[ال عمران: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *} [آل عِمرَان: ١٠٢]

[النساء: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا *} [النِّسَاء: ١]

[الأحزاب: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا *} [الأحزَاب: ٧٠-٧١] . ٧١].

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد (ص) ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا.

فهذا الكتاب السابع في سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي) يتحدث عن سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي ، وعمر المختار.

فالسيد محمد إدريس السنوسي تولى زعامة الحركة السنوسية في ظروف دولية وإقليمية ومحلية شديدة الصعوبة ، واستطاع أن يقود قبائل برقة بحكمة وسياسة وحزم ، ودخل في مفاوضات مع بريطانية وإيطالية لكي يحقق بعض المصالح لشعبه وبلاده ، فيتحدث هذا الكتاب عن تلك المفاوضات بشيء من التفصيل ، وعن الأسباب التي جعلته يضطر للمباحثات مع الدولتين البريطانية والإيطالية ، وعن

حكومة برقة التي تزعمها الأمير إدريس ، وعاصمتها ، ومجالسها ، والأعمال التي حققتها ، ويتطرق الكتاب للأسباب التي جعلت السنوسيين يصطدمون بالأتراك ، ويشير الكتاب إلى الأسباب التي جعلت ليبية في الحرب العالمية الأولى تنقسم إلى شطرين: شرقي وغربي ، ولماذا تحالف الطرابلسيون مع تركية وألمانية ضد الحلفاء؟ ولماذا تحالف البرقاويون مع بريطانية ضد المحور؟ وما أثر ذلك الانقسام الخطير على ليبية؟ وما موقف الطرابلسيين من الأحداث بعد هزيمة تركية وألمانية في الحرب العالمية الأولى؟ وكيف ظهرت الجمهورية الطرابلسية إلى حيز الوجود؟ ومن أصحاب هذه الفكرة؟ وما العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ وما حقيقة مجالسها الشورية ، والشرعية والرئاسية والاستشارية؟ وهل استجابت الدول الكبرى لبلاغاتها؟ وما هو القانون الأساسي الذي اتفق عليه الإيطاليون والطرابلسيون؟ وما أول حزب سياسي أقامه الطرابلسيون؟ وما أول جريدة في طرابلس تؤيد الجمهورية الطرابلسية؟ وما قرارات مؤتمر غريان؟ ولماذا كان اجتماع سرت بين زعماء طرابلس وبرقة؟ وما القرارات التي توصل إليها المجتمعون؟ ولماذا بايع أهل طرابلس الأمير إدريس السنوسي؟ وهل وافق الأمير على تلك البيعة؟ ما الأسباب التي دفعت الأمير محمد إدريس لمغادرة البلاد إلى مصر؟ ولماذا عاد القتال بين إيطالية والليبيين؟ وما العوامل التي ساعدت إيطالية على إخماد حركة الجهاد في غرب ليبية؟

ويتحدث الكتاب عن المقاومة التي قادها أحمد السويحلي وسعدون وصفي الدين السنوسي ، وبشير السعداوي في غرب ليبية حتى سكنت حركة الجهاد في غربها ، واستمرت جذوتها في برقة ، وكيف قاد كتائب المجاهدين الشيخ الجليل عمر المختار؟

فيترجم الكتاب سيرة الشيخ عمر المختار منذ مولده حتى استشهاده ، وعبادته ، وتلاوته للقران الكريم ، وشجاعته ، وكرمه ، ودعوته ، وجهاده قبل الاحتلال الإيطالي ومعاركه الأولى ضدها ، وسفره إلى مصر للتنسيق مع الأمير إدريس في أمور البلاد والقبائل ، واستمرارية الجهاد ، ويعيش القارأى الكريم مع عمر المختار في معاركه التي خاضها ؛ كمعركة بئر الغبي ، وعقيرة الدم ، وعن وسائله في تموين المجاهدين ، وعن تشكيلاته وخططه وقيادته لحرب العصابات التي أصبحت مَعْلَماً لمن جاء بعده من قيادات حركة التحرير.

ويتحدث الكتاب عن فقد عمر المختار لكبار المجاهدين ، واثار ذلك على مشاعره وأحاسيسه ، وموقفه من تلك الصدمات المتكررة ، كاستشهاد أخيه في الدين حسين الجويفي البرعصي ، وابن أخيه

المختار بن محمد ، وعن حرصه للشهادة وإخلاصه لقضية الجهاد ، وعزيمته النافذة ، وصبره العظيم ، وحكمته في القيادة ، وفهمه للأمور ببصيرته النافذة ونظره البعيد.

ويوضِّح الكتاب حرص إيطالية على دخول المفاوضات مع عمر المختار لكسب الوقت ، وتفريق المجاهدين ، وكيف كان عمر المختار منتبهاً لأغراضهم الخبيثة؟ فكان في تلك المفاوضات واسع الأفق بعيد النظر ، فاتخذ مواقف صحيحة وقوية فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه.

ويبين الكتاب حقيقة الجنرال غراسياني الذي كان عند قومه معظَّماً ومقدَّماً ، والذي أسندت إليه الحكومة الإيطالية بزعامة الدوتشي (موسليني) مهمة القضاء المبرم على حركة الجهاد مهما كلَّف ذلك ، بكل الطرق وكافة الوسائل ، ولذلك أنشأ المحكمة الطائرة التي كانت تحكم على الأهالي بالموت ، وتصادر الأملاك لأقل شبهة وتمنحها للمرتزقة الفاشيست ، فكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة ، وتصدر أحكامها وتنفذ في دقائق بحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه ، لتنعقد في نفس اليوم بموقع اخر ، وفتحت أبواب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة ، ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة ، وإجدابية ، وبنغازي ، وسلوق ، والمرج ، وشحات ، ودرنة ، وعين الغزالة ، وطبرق ، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الإعدام وينفذ شنقاً أو رمياً بالرصاص ، وقام الجنرال غراسياني بعزل الأهالي الخاضعين لهم عن
المجاهدين ، وأدخلهم المعتقلات الرهيبة ، فيجد القارأى في هذا الكتاب حقيقة تلك المعتقلات.

وتحدث الكتاب عن عمر المختار كقائد عسكري له القدرة على تغيير خططه ، وتطوير أساليبه القتالية مع ما يتمشى مع المراحل التي يخوضها ، حتى إن عدوه غراسياني اعترف بذلك فقال: ((بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ، ويلاحق قواتنا في كل مكان)).

وقال أيضاً: ((عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبداً؛ لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الاخرين ؛ فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل ؛ بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده... عمر المختار يكافح إلى أبعد حد لدرجة العجز ، ثم يغير خطته ويسعى دائماً للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً ؛ بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية مادياً ومعنوياً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وهنا يسلم أمره لله كمسلم مخلص لدينه)).

ويتعرض الكتاب للأسلاك الشائكة التي مدها الإيطاليون على طول الحدود الليبية المصرية ما يزيد عن ٣٠٠ كم؛ من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ، بغية القضاء على حركة الجهاد التي كان يقودها المختار ، ويجد القارأى الكريم في هذا الكتاب تفصيلاً دقيقاً موثقاً عن الأعمال الشنيعة القبيحة والمزرية والحاقدة التي قام بها الإيطاليون ضد الليبيين عندما احتلوا العاصمة السنوسية الشهيرة ، وكيف اهتزَّ العالم الإسلامي لتلك الأحداث؟ وكيف كان دور الصحافة الإسلامية؟ ويبين للقارأى الكريم وثائق تاريخية مهمة بقلم شكيب أرسلان ، وجمعية الشبان المسلمين بمصر ، وقد وقع عليها محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) الإسلامية ، وتقي الدين الهلالي ، الأستاذ الأول للاداب العربية بندوة العلماء بالهند ، وغيرهم.

ويمضي الكتاب مع عمر المختار حتى الأيام الأخيرة من حياته ، فيصف اللقاء الشهير الذي تم بين محمد أسد وعمر المختار ، وكيف وقع المختار في الأسر؟ ويتحدث عن مواقفه في داخل السجن التي تدل على سلامة العقيدة ، ورسوخ مفهوم القضاء والقدر في نفس ذلك الشيخ الجليل، وعن عزة الإيمان التي كان يتحدث بها في لقائه مع الجنرال غراسياني ، وأثناء المحكمة ، وكيف كان يقاد إلى المشنقة وهو يتلو

قول الله تعالى: [الفجر: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي *} [الفَجر: ٢٧–٣٠] . ٣٠].

إن هذا الكتاب يثبت بالحقائق التاريخية أن حياة عمر المختار مدرسة تستحق الدراسة والبحث ؛ في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والجهادية وصفاته الخلقية الرفيعة.

ويوضح الكتاب أحوال ليبية بعد استشهاد عمر المختار ، وعن مصير حركة الجهاد التي قادها يوسف بورحيل والمجاهدون ، وعن اضطهاد واستعباد الإيطاليين لمسلمي ليبية بعد القضاء على الحركة.

ويصف الكتاب أحوال المهاجرين الليبيين في مصر والشام وتونس ، ويدوِّن للأجيال بعض القصائد الرائعة التي نظمها الأجداد شوقاً وحباً لديارهم ، كالتي قالها الأستاذ بشير السعداوي رحمه الله:

قالوا تحن إلى البلاد وأهلها ... فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها ... ولا منيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها ... ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه ... إن زرت يوماً منزلاً لسعادي

ابسط لها شوقي وَفَرْطَ صبابتي		واهدِ تحياتي لها ووداي
واخفض جناح الذل عني وقل لها		أسرفت في هجري وفي إبعادي
حَرُّ النوى أوهى فؤادي وإنني		متهتِّك متمزِّق الأكباد
مذ غردت بالبين أغربة النوى		من بيننا ما ذقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما		والبدر جسم لا يجيب مناد
فلطالما ناديت في غسق الدجى		حِبي فتذهب صيحتي في واد
لهفي على تلك الديار وأهلها		قوم لهم في المكرمات أياد
لا زلت أصبو بحبهم ووداهم		رغماً على أنف الزمان العادي

ويبين الكتاب جهود المهاجرين في ديار المهجر حتى ضاقت بهم إيطالية ، ويجد القارأى وثيقة تاريخية مهمة قامت بإعدادها الجمعية الطرابلسية البرقاوية ، وقدمتها كورقة عمل للمؤتمر الإسلامي في القدس عام (١٩٣١ م).

ويقف الباحث عند الحرب العالمية الثانية ، ويتحدَّث عن كونها اية من ايات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ، ومن السنن التي وقف عندها الكاتب: أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ، ويصيبها البطر والكبرياء يهيِّأى الله لها أسباب الانهيار والزوال ، كما يكون الزوال والانهيار بفشو الظلم ، وعدم إقامة العدل.

ويتحدث الكتاب عن الأمير إدريس في مصر وعن دوره في جمع زعماء ليبية والتشاور معهم ، ودراسة احتمالات الموقف ، ووضع الخطط التي يجب أن يسيروا عليها ، وعن جهوده العظيمة في تكوين الجيش السنوسي الذي كان له أثر فعال في الحرب العالمية الثانية في شرق ليبية ، وكيف ساهم ذلك الجيش في إخراج الطليان من بلادنا؟.

ويتكلم الكاتب عن اعتراض الليبيين عن موقف الدول الكبرى وخصوصاً بريطانية من قضيتهم العادلة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويأتي بوثيقة تاريخية كتبها عمر فائق شنيب عام (١٩٤٥ م) ، وكان عنوان المقالة (ليبية مهد البطولة) ، وجاء فيها:... ((وبصفتي أحد قادة الحركة الوطنية وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانية يوم ٩ أغسطس (١٩٤٠ م) ، أصرّح بأن الوضع الحالي في ليبية شاذ لا يتناسب في شيء مع العدل والإنصاف ، ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان ، بل إن ما يعانيه الشعب الليبي اليوم لا يختلف عن الاستعمار البغيض ، وأن الشعب الليبي يتطلب إقامة حكومة وطنية

شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع ما يمكن ؛ ليحقق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط معها. أقول هذا لدول الحلفاء عامة ، ولدولة بريطانية العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس ، وتتبدل وجهات النظر من الإخلاص والمحبة والتعاون النزيه ، إلى المقت والبغض والمشاكسة ، ويطغى اليأس؛ فتنعكس الاية ولا ينفع الندم ، وإن ليبية رغم قلة عددها ، وفقدان عدادها ، ومعرفتها بأنها لا تقوى على مقاومة الدول العظمى مع أنها جربت في حرب إيطالية ، تفضل أن تضرب يوماً بألف ، بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطالي ، أو أن تمس كرامتها ، أو ينتقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة ، أو يقرر مصيرها الغير بدون إرادتها ، وهي علَّمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال ، من سنة (١٩١١ م) إلى يومنا هذا ، والتاريخ شاهد عدل..)).

ويتحدث الكتاب عن الجمعيات التي أسست خارج ليبية ، وعن حل الأحزاب وإنشاء المؤتمر الوطني في برقة ، واضطراب الأحزاب في طرابلس ، ويأتي بنص قرار الأمم المتحدة بشأن ليبية ، وبأسماء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية ، وبأسماء الجمعية الوطنية التأسيسية والتي عرفت بلجنة الستين ، ويجد القارأى نصَّ مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير إدريس السنوسي ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة عام (١٩٥٠ م) ، ونص الخطاب التاريخي الذي ألقاه الملك بمناسبة إعلان استقلال ليبية يوم ٢٤ ديسمبر (١٩٥١ م) ، وقصيدة الاستقلال للشاعر أحمد رفيق المهدوي.

وتعرض الكاتب في هذا الكتاب لاهتمامات الملك ، فتحدث عن اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق ، وحبه للشعب وحب الشعب له ، ونصحه لزعماء العرب ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وعن أدب العبارة في خطاباته وسمو معانيها وتواضعها الجم ، والدعوة إلى الخير والتقوى ، واهتمامه بالثورة الجزائرية ، وحديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب ، وعن مفهوم الأخوة الإسلامية والعروبة عند الملك ، وعن نظرته للعمل الإصلاحي ، وعن الزعيم الأساسي الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان ، وعن مكانة الصحافة في زمن الملك ، وحرية الكلمة في مجلس النواب ، وعن استقالته الأولى عام (١٩٦٥ م) ، ونقل الكاتب استقالته الثانية قبل انقلاب عام (١٩٦٩ م) التي جاء فيها: ... والذي أختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن ، وإنكم جميعاً في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى ، فاحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى: [النحل: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً

كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *} [النّحل: ١١٢]

فالله الله مما يغضب الله ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، ولا تفرقوا ، قال (ص): « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

وتحدث الباحث عن نزاهة ملك ليبية وعفته ، وكيف كان حاله في تركية عند حدوث الانقلاب ، وكيف اعتذر للمسؤول المالي المرافق له عن أخذ ما تبقى من

المال وقال له: ((يا بني أنا بالأمس كنت ملك ليبية ، ولكني لم أعد كذلك اليوم ، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي ، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب)).

ويتحدث الكتاب عن أقوال المؤرخين في الملك السابق ، وعن وفاته بمصر ، ودفنه بالبقيع بالمدينة المنورة في مايو عام (١٩٨٣ م).

هذا وقد تركت ما يتعلق بالمملكة الليبية بسبب قلة المصادر وندرة الوثائق التي بحوزتي ، واقتصرت الحديث على الملك إدريس كزعيم وقائد ، وإني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الأحداث؛ لأن قضايا ذلك العهد على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها واثارها الممتدة إلى زمننا الحاضر ، وخصوصاً وإني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثاً دقيقاً ، وطلبت من رجال عاشوا تلك المرحلة المساهمة في دراسة وتتبع الأسباب التي أدَّت إلى سقوط المملكة الليبية ، ولكن التفاعل كان ضعيفاً ، واعتذر البعض لأسباب أمنية ، وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة في تلك المرحلة ، وينتظرون الوقت المناسب لنشرها؛ لذلك رأيت من الحكمة والتعقُّل التريث حتى يأذن الله في نشرها ؛ لأنها سوف تساهم بإذن الله تعالى في توفير معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق ، والوصول إلى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية ، فإن كان للعمر بقية وأذن الله في مواصلة هذه الرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الإسلامي إلى هذا الكتاب ؛ فإنني بإذن الله تعالى سوف أواصل المسيرة ، وإلا فأقلام الليبيين لم تجف ولن تجف بإذن الله تعالى في تدوين تاريخها ؛ لأن شعبنا ليس بعقيم بل يملك الطاقات الكامنة في كافة مجالات الحياة السياسية ، والتاريخية ، والأدبية ، والتربوية ، والاقتصادية ، وكم أتمنى أن يهيّأى الله الأسباب لجمع المادة

عن المملكة لأحد من أبناء بلادي ، فيواصل المسيرة المهمة في بناء الشعوب ، فيكون البناء تراكمياً ، ونكون تابعين لمن سبقنا في الكتابة عن تاريخ بلادنا الحبيبة.

إن فترة المملكة الليبية من عام (١٩٥١ م إلى ١٩٦٩ م) غنية بالأحداث على المستوى المحلي والإقليمي والدولي ، وتحتاج إلى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والإنصاف ، ويشمر عن سواعد الجد والاجتهاد ، ويعتمد على القويِّ العزيز الوهاب ، ثم على الوثائق والحجج والبراهين.

هذا وإني أشيد بالمجهودات القيمة التي قام بها كل من الوزيرين السابقين؛ مصطفى بن حليم ومحمد بن عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الأجيال منها ، إن الجهود التي قام بها الوزيران السابقان تستحق الثناء ، والتقدير؛ لأنها أصبحت مرجعاً مهماً من مراجع تلك المرحلة ، وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة ؛ لأن أصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعة بعضها ، كما أنهم حطموا جدار الصمت ، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته أصبح ملكاً للأجيال الصاعدة ، بغضِّ النظر عن اختلاف الاراء حول تلك المذكرات.

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة ، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها ، حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم اخر.

إن دراسة التاريخ بوجه عام ، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي في دراسته تحقيق الرغبات والحاجات الدونية ، بل من أجل الوصول إلى القمة العليا ؛ ألا وهي إحياء الأمة بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب ، واجتناب سنن السقوط والهبوط.

قال تعالى: [غافر: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ} [غَافر: ٨٢]

هذا وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول وخلاصة ؛ وهي كالاتي:

المقدمة.

* الفصل الأول: محمد إدريس ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته وشيوخه وحجه.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من المعاهدات مع العدو.
المبحث الثالث: الجمهورية الطرابلسية.

* الفصل الثاني: عمر المختار ـ رحمه الله ـ نشأته وأعماله واستشهاده ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: نشأته وأعماله.
المبحث الثاني: استمرار العمليات والدخول في المفاوضة.
المبحث الثالث: الأيام الأخيرة من حياته ووقوعه في الأسر ، ثم إعدامه.
* الفصل الثالث: الليبيون بين المهجر والاستقلال ، ويشتمل على خمسة مباحث:
المبحث الأول: الليبيون في المهجر.
المبحث الثاني: الحرب العالمية الثانية.
المبحث الثالث: قرار الأمم المتحدة بشأن ليبية.
المبحث الرابع: الملك إدريس ـ رحمه الله ـ وشيء من سيرته.
المبحث الخامس: نظرة في كتاب الملك إدريس في اتحاد العرب ، وائتلاف الموحدين ، وبعض المقابلات الصحفية.
هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء ١ ربيع الأول (١٤٢٠ هـ) ، الموافق ١٥ يونيو (١٩٩٩ م) ، والفضل لله من قبل ومن بعد ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً ، وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
قال تعالى: [فاطر: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *} [فَاطِر: ٢]
وبهذا الكتاب أضع سلسلة: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي بين يدي قارئها ، ولا أدعي الكمال فيها ، قال الناظم:

وما بها من خطأ ومن خلل   أذنت في إصلاحه لمن فعل
لكن بشرط العلم والإنصاف   فذا وذا من أجمل الأوصاف
والله يهدي سبل السلام   سبحانه بحبله اعتصامي

فللّه الحمد على ما منّ به عليّ أولاً واخراً ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى

وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة ، ولعباده نافعة ، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من القارأى الكريم أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من صالح دعائه.

[الصافات: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ *وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ *وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *}
[الصَّافات: ١٨٠-١٨٢] . ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

علي محمد محمد الصلابي

الفصل الأول
الأمير محمد إدريس السنوسي

المبحث الأول
اسمه ونسبه ، وولادته ، وشيوخه ، ورحلته إلى الحجاز

أولاً: اسمه ، ونسبه ، وولادته:

هو محمد إدريس بن محمد المهدي بن علي السنوسي ، ولد يوم الجمعة في العشرين من شهر رجب (١٣٠٧ هـ) الموافق ١٢ مارس (١٨٩٠ م) بزاوية الجغبوب[(١)] ، وتوفي بمدينة القاهرة عام (١٩٨٣ م) ؛ تزوج والده محمد المهدي وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره من والدته فاطمة بنة عمران بن بركة ، وذلك سنة (١٢٧٥ هـ) ، الموافق (١٨٥٨ م) ، وقد أنجبت له عدة أولاد في حياته ، وتوفيت سنة (١٨٩١ م)[(٢)].

كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية ، وخصوصاً أهالي الجغبوب ، فعطل معهد الجغبوب ، والكتاتيب القرانية ، ودور الأعمال ، ونحرت الجزر ، ومدت الموائد ، وقدمت الصدقات شكراً لله تعالى ، وكانت زوايا الحركة

تحتفل بقدوم هذا المولود بمجرد وصول الخبر إليها ، وجادت قرائح شعراء الحركة بالقصائد الشعرية التي أهديت إلى محمد المهدي بمناسبة مولد ابنه[(٣)]:

قال العلامة فالح الظاهري:

لاح في أفق الزهر		كوكب الأفراح والبشرى
وأتى المقدور من غرض		بالذي أملته جهرا
إن للدهر لدي يداً		ليس إقراري بها سرا

إلى أن قال:

يهنأى المخدوم ما خوله		الله من البشرى
بغلام اليمن كان له		منكم طول البقا ذخرا
وبلغتم فيه بغيتكم		في ظلاله عيشة خضرا
ودواعي البشر لا برحت		تنتحي ناديكم الدهرا[(٤)]

وقال أبو سيف مقرب بهذه المناسبة:

هنئت بالكوكب الدري إذ سطعا		وأرَّج الأفقَ والأرجاءَ وارتفعا
وغصت للدرِّ بحراً لجة عظماً		وصغت للفظ نظماً حسنه جمعا
شنفت أسماعنا يا خير مبتكر		للشعر بلغك الله المنى جمعا
فانشر شمائلهم واذكر محاسنهم		واهزج بها دائماً لا زالت مخترعا
هم ال مجد لهم ظل يظللهم		قد اب بالذل من في شأوهم طمعا

لهم مفاخر والمهدي أعظمها طوبى لمن طاف في ذاك الحمى وسعى
موفق ماجد للحق متبع ثبت الجنان لأمر الله قد صدعا
وفرع دوحة مجد قد زكت ونمت أغصانها حيث بدر الحسنِ قد طلعا
لا زال تشرق في الافاق بهجته مخولاً ببقا الأصلين مرتضعا[(٥)]

ثانياً: شيوخه وطلبه للعلم وبعض صفاته:

نشأ محمد إدريس في رعاية أبويه ، وبعد وفاة أمه احتضنته جدته لوالدته ، واهتم والده بتربيته تربية صالحة ، وبدأ بتحفيظه للقران الكريم بنفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره ، وظل محمد إدريس يحفظ القران الكريم على أبيه ، وبعد فترة من الزمن أرسله والده لتلقي العلم على يدي شيخ عرف بالصلاح والتقوى ، وبصحبته أخوه محمد الرضا ، وأبناء عمه محمد الشريف ، وبعد وفاة والده كفله ابن عمه أحمد الشريف ، وتفرغ محمد إدريس لطلب العلم بعدما حفظ القران الكريم ، وتتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء ؛ اشتهر من بينهم: العلامة العربي الفاسي ، وأحمد أبو سيف ، والعربي الغماري ، وحسين السنوسي ، وأحمد الريفي ، وأحمد الشريف السنوسي[(٦)] ، فأتقن القراءات ، وعلوم الحديث ، كما أتقن البخاري ، ومسلم ، ومسند أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وموطأ مالك ، ومسند أبي حنيفة ، ومسند الإمام أحمد ، وكتاب الأم للشافعي ، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة ، وعلوم التاريخ ، وتقويم البلدان ، وتحصَّل على إجازات عدة[(٧)].

ولما تقدم في السن أصبح من أعضاء مجلس شورى الحركة السنوسية ، ونظم لنفسه حياة خاصة ، ورسم خطة سار عليها في حياته؛ فشيد منزلاً بزاوية التاج في (الكفرة) مؤثثاً بأبدع الأثاث والفرش ، وعكف على الدراسة بهمة ونشاط ، واهتم بتكوين مكتبة خاصة أصبحت في طليعة المكتبات العربية ، واتخذ حاشية مؤلفة من خيار الإخوان وكبارهم ، وأقام منازل جميلة في مزارع السنوسية التي تقع في ضواحي التاج بواحة الكفرة ؛ أعدها بجميع ما تحتاجه من الضروريات ، والكماليات ، فإذا اشتاقت نفسه للتريض والنزهة والترفيه خرج بحاشيته يقضي بعض الأيام في تلك البساتين.

وكان مجلسه عامراً بالعلماء والأدباء ، وكان يحب العلماء ، ويجلُّهم ويكبر ما في نفوسهم من العلم ، وينزلهم منه منزلة خاصة ، ويحيطهم بعطفه، وكانت أحب العلوم إليه الحديث الشريف، وعلم التاريخ،

والأدب، والسياسية، ولا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص، ثم يأتي بالحجج الدامغة، والبراهين

القاطعة ، تارة من كتاب الله ، ومرّة من الحديث الشريف ، وحيناً من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين ، وكان قوي الذاكرة ، سريع الخاطر ، متين الحجة ، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين ، وكان جميل المعشر ، رحيماً بأتباعه وخدمه ، فيعود مرضاهم بنفس متواضعة ، ويصفح عن المذنبين منهم ما لم يكن الذنب مغضباً لله ولرسوله ، وكان يميل إلى اقتناء جياد الخيل ، وله شغف بجمع أنواع الأسلحة ، وبجمع الكتب خصوصاً ما كانت حديثة.

وكان كثير المطالعة ، وله قلم سيال إذا كتب ، كما كان خطيباً بارعاً يرتجل الخطبة ، ويسترسل في المواضيع يتدفق كالسيل الجارف ، فلا يتلعثم ، ولا يتردد حتى ينتهي من موضوعه مع قوة في اللهجة ، وحدة في المنطق وقد تغير صوته القوي إلى هدوء بعد المرض الذي أصابه عام (١٩٢٣ م)[(٨)].

وكان حريصاً غاية الحرص على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الإسلام ، فعندما كان أحمد الشريف يقود كتائب الجهاد ضد فرنسة في السودان الغربي لم يشأ أن يطلب منه أن يتخلى عن الزعامة لصاحبها الشرعي في نظره ؛ وفاءً منه للسيد أحمد الشريف الذي كفله بعد وفاة أبيه ، ويتجلى حرص محمد إدريس على جمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم ، وعدم التفرقة عندما اشتدت المحنة وقت أن بدأ الطليان هجومهم الغادر على الأراضي الليبية ، ورأى بعض الإخوان أن يسندوا الزعامة إلى إدريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف ، فرفض إدريس السنوسي ذلك العرض ، وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف[(٩)].

لقد رأى محمد إدريس ببعد نظره ، وثاقب فكره أن تغيير القيادة في أثناء المعركة ليس من مصلحة حركة الجهاد ، ودفع ابن عمه لمواصلة قيادة كتائب الحركة نحو الواجب المقدس.

ثالثاً: رحلة الحج:

وقد ذكر محمد إدريس قصة رحلته إلى الحج بنفسه ، فقال: ((في عام (١٣٣٠ هـ/١٩١٢ م) بلغتُ سن الرشد في (الكفرة) ، فطلب مني بعض الإخوان

السنوسيين بالأصالة عن أنفسهم ونيابة عن غيرهم أن أتسلم مسؤوليات المرحوم والدي من السيد أحمد الشريف ؛ الذي كان يومها يتأهّب للرحيل إلى الجغبوب بناء على طلب أنور باشا ، حتى يكون على مقربة من المجاهدين ، وكان ردي على طلب الإخوان هو أن السيد أحمد مشغول بالاستعداد للسفر ،

وأننا على حافة الحرب مع إيطالية ، فلا أرى من المناسب أن أتسلم منه في وقت كهذا ، ثم إنني أقدر خبرته الطويلة المجربة في إدارة شؤون الطريقة ، ولكن متى استقرت الأحوال فسوف نلبي رغبتهم ، ولا شك أن السيد أحمد سوف يوافق على ذلك.

وسافر السيد أحمد إلى الجغبوب ، بينما بقيت أنا في (الكفرة) عاماً كاملاً ؛ تدربت خلاله على تسيير الأمور المتعلقة بمسؤولياتي المقبلة ، وفي تلك الأثناء تخلت تركية عن البلاد لإيطالية ، وبينما كان السيد أحمد يحارب الإيطاليين ، قررت أن أذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج ثم أعود لمساعدته ، وبتاريخ الرابع من شوال (١٣٣١ هـ) ، الموافق أغسطس (١٩١٣ م) غادرت (الكفرة) برفقة ثلاثة من الإخوان ؛ هم (الحاج محمد التواتي ، والحاج فرج ، والحاج علي العابدية[(١٠)])، وكان معنا أيضاً شيخ إحدى الزوايا ، وثلاثة من الخدم ، منهم واحد سوداني ، بالإضافة إلى حداة الإبل ، وكنت أركب فرسي ، وتحمل أمتعتنا الجمال ، وسرنا بطريق القوافل الرئيسي الذي يمر بمناطق طلاب وربيانة وبوزيمة وزيغن ، وأبو عكشة ، وبوطفل مؤدياً إلى جالو ، فاستغرقت الرحلة إلى هنا واحداً وعشرين يوماً ؛ منها ستة عشر يوماً من السفر الفعلي ، إذ كنا نسير ليلاً ونستريح نهاراً كالمعتاد أثناء الصيف. وقضينا تسعة أيام في جالو التي كانت مركزاً تجارياً هاماً ، ثم أخذت مكانتها في التدهور على إثر إغلاق طريق القوافل من الساحل إلى واداي ، وبعدئذ واصلنا السير نحو الجغبوب مروراً بخربة ، وقطمر ، وترفاوي ، وعبد السلام ، واستمرت الرحلة كلها ستة عشر يوماً منها ثلاثة عشر يوماً في المسير.

ومكثت بالجغبوب سبعة أشهر في بيت أبي ، وكان المعهد الذي أسسه جدي هناك لا يزال مزدهراً. وفي شهر جمادى الثاني (١٣٣٢ هـ) ، الموافق لإبريل (١٩١٤ م) غادرت الجغبوب متجهاً إلى مصر مع نفس الجماعة ، وكذلك الحاج يونس العابدية

الذي انضم إلينا في الجغبوب ، وبعد مسيرة سبعة أيام وصلنا إلى الساحل عند مكان يسمى بقبق (بالقرب من السلوم) ؛ حيث شاهدت البحر للمرة الأولى في حياتي.

ثم سافرنا إلى الضبعة (التي كانت في ذلك الوقت اخر محطة للسكة الحديدية المصرية من ناحية الغرب) ، ومررنا في طريقنا بمرسى مطروح ؛ حيث رحبت بي السلطات المصرية ، كما زرنا الزوايا السنوسية في كل من سيدي البراني شماس ونجيلة وأم الرخم وأبو هارون ، ولدى وصولنا إلى الضبعة استقبلنا صالح حرب ، وهو ضابط مصري جاء مندوباً عن الخديوي عباس الثاني ، ثم سافرنا إلى الإسكندرية بقطار خصوصي ، ونزلت ضيفاً على الخديوي في قصر رأس التين ، ولقيت ترحيباً حاراً من المصريين ، فهم

على الرغم من حيادهم رسمياً في الحرب مع إيطالية كانوا يؤيدون إخوانهم المسلمين ، ويبذلون كل ما في وسعهم لمساعدة السنوسيين بإمدادات السلاح والمعدات الطبية ، وفي ذلك الوقت كان اللورد كتشنر يشغل منصب المندوب البريطاني في مصر.

وبقينا في الإسكندرية تسعة أيام بانتظار باخرة بريد الخديوي إلى حيفا ، ثم سمعنا أنها سوف تعرج على ميناء بور سعيد ، فاستقلينا قطاراً خاصاً تفضل به الخديوي أيضاً لنقلنا إلى هناك ؛ حيث ركبنا الباخرة ، وأبحرت بنا عند الظهر في نفس اليوم ، وكانت الرحلة مريحة وصلت بعدها إلى حيفا يوم (٢٤) رجب ، فاستقبلني الوالي التركي استقبالاً رسمياً ، وبعدها مباشرة سافرنا بقطار سكة الحجاز ، وقد وضعت تحت تصرفي المقصورة الملكية الخاصة ، وكان القطار إلى المدينة يقوم بثلاث رحلات أسبوعياً ، تستغرق رحلته ثلاثة أيام ؛ يمر فيها بعدة محطات رئيسية ، وهي درعا وعمان وتبوك ومدائن صالح؛ وهو كان مريحاً رغم بطئه ، ويضم ثلاث عربات للنوم وواحدة للأكل ، كما وجدت به زريبة لفرسي ، وبقيت في المدينة خمسة عشر يوماً ؛ كان الجو أثناءها قائظ الحر ، فداهمتني الحمى ، ولذا نصحت بالانتقال إلى مكة لأن جوها ألطف قليلاً. ومع أن موسم الحج لم يكن قد حل بعد ، إلا أنني امتطيت فرسي وانطلقت في رحلة المئتي ميل من المدينة إلى مكة ، فقطعتها خلال أحد عشر يوماً من السفر الوئيد أثناء الليل ، والراحة في ظل خيمة بالنهار. وبعد إقامة ثلاثة أيام بمكة نصحني البعض بالذهاب إلى مدينة الطائف الواقعة وسط التلال في جنوبي مكة ، وكان الشريف حسين يمضي بها فصل الصيف مع ولديه: عبد الله ، وفيصل.

وقضيت في الطائف (٧٥) يوماً ، بما فيها رمضان وشوال ، وكان جوها لطيفاً بالفعل ، فاستعدت صحتي تماماً. وفي تلك الأثناء حدث اغتيال أرشيدوق النمسة في سارييفو ، واندلعت الحرب العالمية الأولى. وبعدئذ توجهنا إلى مكة لأداء مناسك الحج في أكتوبر (١٩١٤ م) ، ونزلت بالزاوية السنوسية في أبو قبيس. ثم انتقلنا إلى المدينة ، فاضطررنا إلى البقاء فيها مدة شهرين لانقطاع المواصلات بسبب الحرب. وكان قد انضم إلينا في مكة اثنان من عرب برقة المعروفين ، وهما رشيد الكخيا وعلي العبيدي.

وفيما كنا ننتظر بالمدينة أثناء شهر نوفمبر ؛ قامت الحرب بين بريطانية وتركية ، فحاول الأتراك المسيطرون على الحجاز أن يحملوا العرب على الوقوف في صفهم ، كما أخذ البريطانيون في التقرب إلى العرب على نحو مماثل ، غير أن الشريف حسين التزم موقف الحياد ، متجنباً إعطاء أي رد مباشر على الدعوة التركية إلى إعلان الجهاد.

وفي ديسمبر عندما استأنفت القطارات رحلاتها العادية ، سافرنا إلى حيفا ، واستضافنا الوالي التركي أبو شاهين ، وهناك اكتشفنا أن الاتصالات مع مصر شبه مقطوعة تماماً؛ لأن البريطانيين والأتراك كانوا يتقاتلون قرب قناة السويس ، وكان البريطانيون قد أعلنوا الحماية على مصر بعد خلع الخديوي عباس الثاني واستبداله بعمه حسين كامل الذي منح لقب السلطان ، ولما كانت هناك باخرة إيطالية تقوم برحلات منتظمة بين حيفا ونابولي عبر ميناء بور سعيد ، فقد أرسلنا واحداً من جماعتنا لاستطلاع إمكانية السفر بهذا الطريق ، وجاءنا رده مشجعاً ، فحجزنا أماكن على الباخرة ، غير أن القبطان قال: إنه لا يضمن السماح لنا بالنزول في بور سعيد ، نظراً لأن السنوسيين كانوا حلفاء للأتراك ، وبالتالي فإننا نعد نظرياً من رعايا دولة معادية. ولكن العلاقات في ذلك الوقت كانت قد تحسنت نوعاً بين السنوسيين والإيطاليين الذين أخذوا يسعون إلى التفاهم مع السيد أحمد الشريف ، فاتفقنا على دفع عربون لقبطان الباخرة بحيث يحملنا إلى نابولي في حالة ما إذا رفض البريطانيون أن يسمحوا لنا بالنزول في بور سعيد ، ومن نابولي يدبر الإيطاليون أمر ترحيلنا إلى برقة متى حانت الفرصة.

وهكذا غادرنا حيفا في فبراير (١٩١٥ م) ، وقد اضطررت للأسف إلى ترك فرسي هناك؛ لأن القبطان لم يجد لها مكاناً على الباخرة. وهي كانت من سلالة برقاوية تربت في أرياف الجبل الأخضر ، وكان أهداها إليّ خليل البناني ، وقد حملتني طول الطريق من (الكفرة) إلى مكة ، ثم في طريق العودة كذلك ، فتأسفت كثيراً لتركها في حيفا ؛ حيث ماتت بعدها بمدة قصيرة.

ولدى وصولنا إلى بور سعيد طلبنا من رفيقنا علي العبيدي أن يسبقنا في النزول إلى البر ، حتى رأيناه مَرَّ بسلام ، فتبعناه كلنا في زحمة الحجاج متظاهرين بأننا مصريون ، وفور وصولنا إلى الشاطئ بعثنا برقيات إلى كل من السلطان حسين والجنرال ماكماهون الذي خلف اللورد كتشنر في منصب المندوب السامي البريطاني بمصر ، وتلقينا منهما استجابة ودية ، فتوجهنا إلى القاهرة في ضيافة السلطان حسين ، وفي أثناء ذلك قمنا بزيارة لكل من الجنرال ماكسويل ، قائد القوات البريطانية في مصر ، والكولونيل كلينتون ، مندوب حكومة السودان المقيم بالقاهرة ، وأعرب الاثنان عن رغبتهما الأكيدة في أن نقطع علاقتنا مع الأتراك ، ونؤيد البريطانيين في الحرب ، أو نبقى محايدين على الأقل. وكان ذلك أول لقاء بيني وبين البريطانيين ، وخرجت منه بانطباع جيد عن سلوكهم الودي وقوتهم العسكرية ، ولم يكن بوسعي أن ألتزم بأي تعهد نيابة عن السنوسيين قبل استشارة السيد أحمد الشريف أولاً. ولكنني وافقت على متابعة

الاتصال من خلال علاقتنا بعائلة الإدريسي في مصر ، ووافقوا من جانبهم على تسهيل عودتي إلى برقة.

وبعد فترة إقامة قصيرة في القاهرة ، ركبنا قطار الصباح إلى الإسكندرية ، وفي نفس اليوم استقللنا باخرة لخفر السواحل وضعها البريطانيون تحت تصرفنا ، حتى أنزلتنا في السلوم ، ومن ثم توجهنا إلى أمساعد للالتحاق بمعسكر السيد أحمد الشريف ، وكانت غيبتي عن برقة استغرقت عاماً كاملاً تقريباً))[(١١)].

إن رحلة محمد إدريس إلى الأراضي المقدسة كان لها أثر عميق في تفكيره ؛ حيث احتك بالحكومة المصرية ، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين ، وقادة الإنكليز في مصر ، ولا شك أنه ناقش وحاور واستمع إلى الأطراف المذكورة ،

وتبلورت لديه قناعات مهمة فيما يتعلق بمجريات السياسة الدولية ، وبطبيعة الصراع بين الأتراك والإنكليز ، ورسم لنفسه تصوراً واضحاً يخدم به شعبه ووطنه ومصالح بلاده ، ولذلك رأى أنه ليس من مصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الإنكليز ، وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الأتراك ضد الإنكليز ، وأعلن رأيه ذلك بصراحة.

رابعاً: محمد إدريس السنوسي في برقة:

بعدما قرر أحمد الشريف الاشتراك مع الأتراك والألمان ضد بريطانية على الحدود المصرية الغربية ؛ رأى أن يرتب شؤون الإدارة في برقة حتى يتفرغ هو للجهاد ، فقسم القطر البرقاوي إلى مناطق ، وجعل إدريس على منطقة برقة ومركزه في إجدابية ، على أن يكون تحت إشرافه وفي دفنا محمد هلال ، وفي الجبل الأخضر محمد الرضا ، وأرسل محمداً صفي الدين لمنطقة طرابلس ، وأما أحمد الشريف فقد ذكرت ما قام به في الحدود المصرية في الجزء الثاني من كتابي عن الحركة السنوسية.

انتقل محمد إدريس من السلوم شرقاً حتى إجدابية غرباً في أواخر سنة (١٩١٥م) وكان معه حوالي سبعين مجاهداً ؛ من بينهم: جمعة أبو شناك ، وسعيد الشامي ، والشارف الغرياني ، وإبراهيم الشلحي ، ومحمد أحمد أبو بكر[(١٢)].

وأخذ يتنقل بين القبائل وكتائب الجهاد ، فمر بكتائب البراعصة ، والعبيدات وغيرهم ، وشرع في إدارة دفة الحكم في برقة بكل حزم ومهارة ، فأظهر مواهبه كرجل إدارة محنك ، وحاكم حازم ، وكانت برقة تشكو في هذه الفترة المضطربة اختلال الأمن ، وتعرض الأهالي لشرور المفسدين ، فضرب محمد إدريس على أيدي المفسدين ، واستصدر من علماء البلاد (فتوى) لإعدام بعض السودانيين الذين وجدهم

يعيثون في الأرض فساداً ؛ ينهبون الأموال ، ويفتكون بالأرواح[(١٣)] ، فقام بشنق هؤلاء ، وكانوا سبعة رجال[(١٤)].

وقام محمد إدريس بتنظيم شؤون البلاد ، وتوطيد الأمن ، وضرب على أيدي العابثين ، وقطع دابر المفسدين[(١٥)] ، كانت مهمة إدريس في برقة شاقة وعسيرة ، وبخاصة بعد الفشل الذي أصاب المجاهدين بزعامة أحمد الشريف على أيدي الإنكليز ، فإن برقة كانت تعاني الأمرَّين في الحقيقة من جراء انتشار المجاعة بها وقتذاك (١٩١٥ م) بسبب احتباس الأمطار ، وفضلاً عن ذلك فقد غزت حملات الجراد البلاد في العام التالي ، فأتت على الزرع ، وتفشَّى فيها مرض الطاعون ، خصوصاً عام (١٩١٧ م) ، وظل المطر محتبساً طول هذه المدة تقريباً ، فكان أعظم بلاء شهدته برقة في تلك الفترة هو بلاء المجاعة[(١٦)].

وأمام هذه الظروف السيئة ((اجتمع بعض أعيان أهل برقة وتدارسوا وتشاوروا في تلك الحالة المخيفة التي حلَّت بالوطن وأهله ، وأرسلوا وفودهم وكتبهم إلى إدريس بمقره في إجدابية ، وبصفته صاحب الحق الشرعي في إمارة السنوسيين ليتدارك ما وقع فيه ابن عمه أحمد الشريف الوصي على الإمارة بمحاربته الإنكليز جرياً وراء الأتراك ، خصوصاً وأنهم لم يوفوا بوعودهم التي قطعوها له ، فلم يرسلوا إليه بما يسد حاجة جيشه وبلاده كما وعدوه ، بل ورطوا البلاد في نكبة الحرب ضد بريطانية ، وتركوا شعبها المخلص لهم يموت جوعاً))[(١٧)].

ويلخص عبد الرحمن عزام حالة الانتظار تلك في قوله: ((... كنا نترقب السواحل باستمرار ، مؤملين أن ترى الغواصات الألمانية إشاراتنا بالرايات في النهار ، أو نيراننا التي كنا نشعلها في الليل ، وتركزت امالنا في أن تمدنا الغواصات بشيء من السلاح والمال والمؤونة ، وقد بقينا نحو أربعة شهور وصلنا فيها إلى حالة مروِّعة من الفقر...))[(١٨)].

كان السيد محمد إدريس متأدباً مع ابن عمه أحمد الشريف غاية التأدب ، ولذلك لم يتخذ أي قرار لمعالجة الموقف الحرج الذي تمر به البلاد ، إلا بعد ما كتب إلى
أحمد الشريف وشرح له ما كان يجري في برقة ، فردّ عليه الأخير برسالة في أواخر عام (١٩١٦ م) ، جاء فيها: ((... اعمل ما تراه مناسباً ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن ؛ حيث إن لهم حقاً في ذلك..))[(١٩)].

كان ظهور محمد إدريس على مسرح العمل السياسي الليبي في تلك الفترة الحرجة مهماً للغاية ؛ لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة البلاد ، والت الأمور إلى أن بايعه أهل برقة بالإمارة ، ثم أهل طرابلس بعد فشل الجمهورية الطرابلسية ، وهذا ما سوف نراه بإذن الله تعالى في هذا الكتاب.

كان من رأي إدريس أن يدخل في مفاوضات مع الإنكليز ، والوصول على الأقل إلى اتفاق مؤقت من أجل فتح الطرق مع مصر ، حتى يتمكن من القضاء على خطر المجاعة ، ولم يكن زعماء برقة يمانعون من دخول محمد إدريس في التفاوض مع إيطالية أو إنكلترة ما دامت تلك المفاوضات تساعدهم في القضاء على شبح المجاعة الذي هدد البلاد ، ولم تكن هناك عوائق أمام تحقيق تلك المطالب ، وخصوصاً أن محمد إدريس تعرّف أثناء زيارته للحج على الكثير من رجالات العرب ، مثل: شريف مكة حسين ، ودرس معه القضية العربية التي كانت انذاك في دور اليقظة[(٢٠)] ، كما أنه أصبح بعد تلك الزيارة رجلاً مهماً بالنسبة لبريطانية وحلفائها.

وشرع محمد إدريس بدفع البلاد نحو دهاليز السياسة ، فأرسل رسالة إلى ممثل الملك جورج الخامس في مصر ، وهو الجنرال ماكماهون في ذلك الوقت ؛ مقترحاً عقد مفاوضات للصلح ، فأجاب بالموافقة على فكرة إجراء المفاوضات من حيث المبدأ ، بشرط أن يشارك فيها الإيطاليون أيضاً ، ولم يجد محمد إدريس مفراً من قبول ذلك الشرط ، وخصوصاً أن موقفه كان صعباً ؛ حيث إن هزيمة جيش السيد أحمد الشريف في مصر جردت السنوسيين من عنصر القوة العسكرية ، فأصبح محمد إدريس مضطراً إلى التفاوض من موقع ضعف عسكري ، بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة ، وحرص الإنكليز على كسبه لصفهم وإضعاف الزعامة السنوسية الموالية للأتراك ، كما أن من العوامل التي ساعدت في دفع محمد إدريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية ثورة الأتراك ضد السنوسية.

خامساً: ثورة الأتراك ضد السنوسية:

بدأت تلك الثورة في أواخر سنة (١٩١٦ م) ، وانتشرت في جهات عديدة حتى تُوِّجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر سنة (١٩١٧ م) ، وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ إلى (الكفرة) وترك واحة واو ، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[(٢١)].

وفي إجدابية بدأ تحرك الضباط الأتراك منتهزين فرصة انشغال محمد إدريس بالمفاوضات بعكرمة ، فبدؤوا بتأليب المجاهدين ضد السنوسيين هناك ، فلما علم إدريس بذلك جاء بقوات كبيرة يقودها كل من عمر

المختار ، والذي كان سنداً قوياً لمحمد إدريس ، ويقودها قجة عبد الله ، وعسكر إدريس بقواته خارج مدينة إجدابية ، وضرب حول معسكر الأتراك بالمدينة حصاراً ، وخيَّرهم بين أمرين: التسليم ؛ أو مغادرة إجدابية إلى أراضي طرابلس ، وقبلوا الأمر الثاني ، فغادر الكثير منهم برقة إلى طرابلس ، واعتقل جماعة منهم ، وأرسل بعضهم إلى الجغبوب والبعض الاخر إلى (الكفرة)[(٢٢)]. وبعد إخماد تلك الحركة عاد مسرعاً إلى عكرمة لإكمال مفاوضاته[(٢٣)].

واستمر الأتراك في مضايقة محمد إدريس وتضييق الحصار عليه ، وعملوا على الإطاحة به ، وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة إلى (الكفرة) لضرب النفوذ السنوسي هناك ، إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة ، وأودعهم السجن[(٢٤)] ، أما بالنسبة لفزان فقد استطاع نوري أن يشعل الثورة هناك ضد السنوسية ، وسيطر الأتراك عليهما كما ذكرنا ، وقد ودع نوري باشا أحد زعماء الحملة واسمه الملازم محمد الأرناؤوطي ، فقال له: ((اذهب وافعل ما تستطيع عمله ، واكتب لي بما تحقق من نجاح في (مصراتة) ، إنني أثق في شخصك ، ولا أستطيع أن أعطيك مالاً أكثر مما

أعطيتك لأنني لا أملكه ، إنك ستجد في فزان ذهباً وسلاحاً بكميات كثيرة؛ لأن الإيطاليين قد تركوا منها الكثير هناك ، ولا تنس أنك محارب ، وأنك ذاهب إلى حرب مقدسة للجهاد في سبيل الله))[(٢٥)].

وقام الأتراك بمهاجمة الجفرة التي كان بها عبد الجليل سيف النصر ، وكان يتولى قيادة هذه الحملة الضابط التركي برتو توفيق ، وعبد النبي بالخير ، وتكونت الحملة من قسم كبير من مسلحي مصراتة وزليطن برئاسة شرف الدين العمامي الزليطني ، والحاج محمد الروياتي المصراتي ؛ كان غرض القيادة التركية توسيع نفوذها في تلك الجهات ، والقضاء على شوكة السنوسية ، وتأمين المواصلات بين طرابلس وفزان ، ووصلت الحملة إلى الجفرة ، وتمكنت من طرد الأهالي (أولاد سليمان ، وقذاذفة ، وبعض المغاربة)[(٢٦)] ، واضطر السنوسيون لجمع قوة مسلحة كبيرة من أنصارهم في النوفلية ، وذلك في منتصف شهر نوفمبر من سنة (١٩١٧ م) ، وشنوا هجوماً معاكساً ضد الأتراك ، وأعوانهم في سوكنة ، واستطاعوا تحقيق نصر كبير عليهم ، وطردوا القوات التركية الطرابلسية في الجفرة بعد أن خسرت الكثير ، وأسرت القوات السنوسية القائم مقام التركي برتو توفيق ، وقامت بشنقه[(٢٧)].

لقد كانت مواقف الأتراك من الحركة السنوسية مشجعة لمحمد إدريس على ضرورة المفاوضة مع الإنكليز ؛ لا لتدارك المجاعة المهلكة فحسب ، بل للقضاء على الأتراك الذين سعوا للقضاء على نفوذ السنوسية وإقصائهم من ليبية وتمكين القيادات الطرابلسية الموالية لهم في البلاد.

إن محمد إدريس فَقَدَ الثقة في الأتراك ، وعمل على إفشال أهدافهم ، وأرسل إلى ابن عمه أحمد الشريف رسالة بيَّن له غدر الأتراك به على حد زعمه ، كانت الرسالة بتاريخ ٢٦ ربيع أول عام (١٣٣٥ هـ) ، ٢ يناير (١٩١٧ م) ، تساءل فيها إدريس عن ثمرة وعود الأتراك المتكررة عندما أرسل هؤلاء (الباروني) ممثلاً لجلالة السلطان في طرابلس ، وأعطوه أسلحة وذخيرة ، وزودوه بمنشورات كثيرة مقدار ما يملأ الدنيا

منها ، بينما أنتم ـ مخاطباً السيد أحمد ـ تجاهدون من أجلهم ، وهم لا يكتفون بعدم الاهتمام بكم ، بل يغدرونكم بإرسال خائن إلى بلادكم ، ويبذلون له كل مساعدة في الوقت الذي يتحدَّث فيه ـ فقط وقبل كل شيء ـ عن طرابلس ، ولا يذكر السنوسية بكلمة واحدة ، وفضلاً عن ذلك فإن السيد أحمد ـ على حد ما جاء في هذه الرسالة ـ كان يقول دائماً: إن أنور (أخبره) بأن السلطان أصدر فرماناً بتعيينه نائباً عن الخليفة في إفريقية ، ولكن ما قيمة هذا الكلام إذا كانت الأقوال تختلف عن الأفعال؟ فإلى متى يجب علينا نحن وأتباعنا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الوعود الباطلة الكثيرة التي سوف تنتهي من غير شك بنتيجة واحدة ؛ هي القضاء علينا وعلى أوطاننا؟! ويا لها من كوارث عظيمة تلك التي نزلت بأهل هذا الوطن[(٢٨)].

ومن الأسباب التي جعلت محمد إدريس يتقارب مع الإنكليز: قناعته بأن نهوضه ببرقة لا بد له من دعم خارجي؛ مادي ومعنوي ، ورأى ـ ببعد نظره السياسي ـ أن الحرب العالمية سينتصر فيها الحلفاء ، ولذلك حرص على التقارب من بريطانية ، صاحبة التفوق في منطقة الشرق ، ولذلك سعى إليها لتقليل الخسائر ، والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركية على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة.

لقد حرص محمد إدريس على التقليل من الخسائر إلى أقصى حد ، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحرب ضد إيطالية وبريطانية ، ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك.

* * *

المبحث الثاني

موقف الإسلام من المعاهدات مع العدو

قال الإمام الشافعي ، في هذا الصدد ما يلي: ((إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين ، أو طائفة منهم لبعد دارهم ، أو كثرة عَدَدِهم ، أو خلة بالمسلمين ، أو بمن يليهم منهم ؛ جاز لهم الكف عنهم ، ومهادنتهم على غير شيء يأخذونه من المشركين... . ثم يقول . فأحب الإمام ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة . وأرجو أن لا ينزلها الله عز وجل بهم ، إن شاء الله تعالى . مهادنة يكون النظر لهم فيها. ولا يهادن إلا إلى مدة ، ولا يجاوز بالمدة مدة أهل الحديبية ، كانت النازلة ما كانت ، فإن كانت بالمسلمين قوة قاتلوا المشركين بعد انقضاء المدة ؛ فإن لم يقوَ الإمام فلا بأس أن يُجدد مدة مثلها أو دونها...))[(٢٩)].

وقال في (المهذب) . بصدد ما نحن فيه .: ((لا يجوز عقد الهدنة لإقليم ، أو صقع عظيم إلا للإمام ، أو لمن فوض إليه الإمام ؛ فإن كان الإمام مستظهراً[(٣٠)] نظرت: فإن لم يكن في الهدنة مصلحة لم يجز عقدها ؛ لقوله عز وجل: [محمد: {فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} [مُحَمَّد: ٣٥] ، وإن كان فيها مصلحة بأن يرجو إسلامهم ، أو بذل الجزية ، أو معاونتهم على قتال غيرهم جاز أن يهادن... ثم يقول: وإن كان الإمام غير مستظهر بأن كان في المسلمين ضعف وقلة ، وفي المشركين قوة وكثرة ، أو كان الإمام مستظهراً لكن العدو على بعد ويحتاج في قصدهم إلى مؤونة مجحفة . جاز عقد الهدنة إلى مدة تدعو إليها الحاجة؛ وأكثرها عشر سنوات؛ لأن رسول الله (ص) هادن قريشاً في الحديبية عشر سنين....))[(٣١)].

يفهم مما تقدم أن مصلحة الإسلام والمسلمين هي المحور الذي ينبغي أن يدور عليه عقد المعاهدات مع العدو ، وهذه المصلحة يرجع تقديرها إلى خليفة المسلمين ، أو من يفوض في هذه المسألة.

ففي عصرنا اليوم ، وقد تخلف المسلمون عن غيرهم من الشعوب والدول المتقدمة في مجالات العلم ، والصناعات ، والأجهزة ، والمعدات العسكرية... وما إلى ذلك ، قد يكون من المصلحة عقد المعاهدات مع بعض تلك الدول ، بحيث تؤدي إلى نقل ما تمتلكه في هذه المجالات ، إلى بلاد المسلمين ، مما تتحقق معه المنفعة التي تربو على ما يمكن أن ينشأ عن تلك المعاهدات من بعض المفاسد.

كما أننا في هذا العصر ، حين نجد الدول الاستعمارية ، وهي تبحث عن أيِّ ذريعة تُسوِّغُ لها ـ في نظر العالم ـ أعمالها العدوانية ضد المسلمين ، وتتحين أيَّ فرصة مناسبة للسيطرة على ثرواتهم ، وتمزيق شملهم ، وتدمير منشاتهم الحيوية... حين نجد الدول الاستعمارية على هذه الحال ، فإن مصلحة الإسلام والمسلمين تحتِّم على المسؤولين أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يجعل تلك الدول الظالمة تكشف لهم عن مخالبها ، أو تكشر عن أنيابها ، وعليهم في مثل هذه الأحوال أن يعقدوا مع العدو من المعاهدات المشروعة ما يكون نفعه أكبر من ضرره بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين ، من أجل قطع الطريق على مخاطر أكبر ومفاسد أعظم. هذا ، مع وجوب السعي ، في الوقت نفسه ، إلى المعالجة الجادة لواقع الوهن ، والهوان والخزي الذي يعيشه المسلمون ، بسبب ما هم عليه من عداوات، وتمزق، وتجزئة ، وتخلف[(٣٢)].

إن هذا المدخل يساعدنا على الإنصاف ، والحكم بالعدل عندما ندخل في دراسة المفاوضات التي مارسها محمد إدريس مع بريطانية وإيطالية ، أو التي قام بها زعماء طرابلس بعد إعلان الجمهورية الطرابلسية مع إيطالية ، وتعطي الأجيال نوعاً من الفقه المتعلق بالعلاقات الدولية في الإسلام ، وتجعلها تهتم بقضية المعادلة الدولية ، وعدم إغفالها أثناء سعيها الدؤوب لتحكيم الإسلام في دنيا الناس ، وواقع الحياة.

أولاً: الدخول في المفاوضات بين محمد إدريس وبريطانية وإيطالية:

كانت السياسة الإنكليزية في مصر ترى محمد إدريس أقرب إليها من أحمد الشريف، ووصف الوفد الإدريسي الذي بعث به الإنكليز إلى برقة قبيل نشوب الحرب الليبية الإنكليزية على حدود مصر الغربية محمد إدريس: ((بأنه أكثر اعتدالاً ، وأشد حزماً ، وأنه من أشد المعارضين لغزو حدود مصر الغربية والاشتباك في حرب مع الإنكليز ، لما تنطوي عليه من أخطار ، وأنه غادر المسيعيد إلى جهة الجبل الأخضر احتجاجاً على سياسة السيد أحمد الشريف المائلة إلى الترك والألمان والتساهل معهم...)).

وعلى ضوء تلك المعلومات أذن الحكام في مصر للوفد بأن يكاتب إدريس بغية الوصول إلى اتفاق معه[(٣٣)] ، والاستفادة من العلاقات القائمة التي كانت تربط الأسرة الإدريسية بمصر بالبيت السنوسي ؛ لكونها من أبناء وأحفاد أحمد بن إدريس الذي كان شيخاً ومعلماً للسيد السنوسي الكبير في مكة[(٣٤)].

واستمرت المراسلات بين أبناء البيت الإدريسي ومحمد إدريس السنوسي ، وانتهت إلى الوصول لاتفاق يقضي بسفر وفد إنكليزي وإيطالي إلى إجدابية لعقد صلح بين الأطراف الثلاثة ينهي الخلافات بينهم[(٣٥)].

وقد أبلغ الإنكليز إدريس بصفة رسمية أنهم لن يشرعوا في دخول مفاوضات معه لأجل الصلح إلا شريطة قبوله فتح باب المفاوضة مع حليفتها إيطالية ، وقد وصل في أواخر سنة (١٩١٦ م) إلى الزويتينة وفد من الإنكليز والإيطاليين ، ومعهم من المصريين أحمد محمد حسنين أفندي ، ومحمد الشريف الإدريسي ، وابنه محمد المرغني ، وكانوا جميعاً ضمن الوفد الإنكليزي ، إضافة إلى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشؤون الشمال الإفريقي ، والضابط اللفتنت هسلم.

كان الوفد الإنكليزي قد جاء بطريق البحر من القاهرة إلى بنغازي للاجتماع بالوفد الإيطالي الذي كان مكوناً من الكولونيل بيلا، والكومانداتور بياجنتيني، ومترجمهم ، ولم يطل الوفد الإقامة في بنغازي ، بل سافر إلى الزويتينة بيخت خاص ، فوافاهم

إليها إدريس من إجدابية ، وكان من بين من معه: علي باشا العابدية[(٣٦)].

بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس وسبتمبر سنة (١٩١٦ م)[(٣٧)] ، وكان الوفاق والتفاهم ظاهراً فيما بين الجانبين الإنكليزي والسنوسي ، أما العلاقات الإيطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً.

وكان أول طلب للإيطاليين هو موضوع الأسرى الإيطاليين ، يقول برتشارد: ((... لكن إدريس لم يكن ينوي تسليمهم بدون واحدة بواحدة ، فاتبع تكتيكه المعتاد في المماطلة ، لقد توصل بأن عليه أن ينال موافقة أحمد الشريف أولاً؛ لأن الأخير هو الذي أسرهم ، أما من جهته فليس بوسعه أن يصدر أوامره فيما يصدر ابن عمه أوامر مناقضة لها...))[(٣٨)].

وقد أجّل بحث هذه النقطة إلى فترة أخرى قريبة ، ثم قدّم الوفد الإيطالي بقية شروطه للوصول للصلح مع السنوسيين ، وقد تمثلت الشروط في الاتي:

١ . أن يعترف إدريس بالسيادة الإيطالية على كل برقة من (منطقة بنغازي إلى الكفرة).

٢ . أن يسلم المجاهدون أسلحتهم ، فلا يبقى لديهم سوى ما يكفي للمحافظة على أنفسهم.

٣ . إحلال السلام مع وقف العمليات الحربية بين الجانبين.

٤ . اعتراف إيطالية بالسنوسية زعامة وطريقة.

٥ . منح (الكفرة) . مقر السنوسيين . استقلالاً إدارياً.

٦ . تتعهد إيطالية بقيام المحاكم الإسلامية الشرعية.

٧ . تتعهد إيطالية بالعمل على تحسين الأحوال الصحية في البلاد ، وإنشاء المستشفيات والمدارس.

إن شرط الإيطاليين الخاص بمسألة اعتراف السنوسيين بالسيادة الإيطالية في برقة كان مهدداً بفشل المفاوضات بصفة عامة ، لذا فقد تأجَّل النظر في هذه المسألة من الجانب السنوسي ، إلا أن الإيطاليين قد تمسكوا بهذا البند كثيراً ، وكأن المفاوضات كانت من أجله فقط.

وتقدم محمد إدريس بوجهة نظره في هذه المفاوضات ، وتتلخص أهم شروطه في الاتي:

١ . وجوب الاعتراف من قبل إيطالية باستقلال السنوسيين.

٢ . الاعتراف بشخص إدريس السنوسي أميراً على برقة.

٣ . وضع حدود بين الأراضي الخاضعة لكل من الطرفين (السنوسي والإيطالي) ، فكل طرف يحتفظ بما تحت يديه من أراضٍ تحدد بخرائط واضحة ، مع عدم التعدي على أراضي الطرف الاخر.

٤ . الإسراع بفتح الطرق التجارية وضمان سلامتها.

لقد كان محمد إدريس يدرك جيداً بأن الاتفاق مع إيطالية كان بالنسبة له ضرورة ملحة لا مفر منها ، لكنه اتضح دون شك بأن الاتفاق في صالح الإيطاليين أكثر مما هو في صالحه[(٣٩)].

يقول الكاتب الإيطالي فبرينثربوسيرا:

((... لقد ساد جوّ المفاوضات بعضٌ من التذمر نتيجة لأسباب نشأت بالمناسبة أثارت اشمئزاز إدريس ونفوره ، خاصة وأن الظروف التي نشأت كانت تتعارض مع الأهداف التي كان إدريس يسعى إلى تحقيقها... ويضيف قائلاً: إن المفاوضين الإيطاليين رأوا أنه ليس هناك لزوم لاتباع محادثات الخطوة خطوة ، وذلك بالنظر إلى عدم التأكد من إحراز أيَّ نتيجة تذكر ، كما أن طريقة التصرف في الأمور وما لازمها من حنق وغيظ ، إلى جانب مجاراة الزمن دون فائدة ، كل ذلك كان له أثره الفعال لدرجة انعدمت معه تلك الامال في الوصول إلى النتيجة التي كان يحبذها ، ويرغبها إدريس...))[(٤٠)].

واستمرت هذه المفاوضات قرابة شهرين أو يزيد ، وانتهت بالاتفاق على بعض الأمور بين الطرفين تقوم على الأسس الاتية:

١ . تنتهي حالة الحرب بين السنوسيين والإيطاليين وينادى بالسلام.

٢ . يعترف الإيطاليون باستقلال السنوسيين داخل برقة.

٣ . يبقى الإيطاليون في الساحل ويحتفظون بما في حوزتهم من الأراضي الساحلية.

٤ . تحديد مناطق النفوذ بين أراضي الطرفين.

٥ . تفتح الطرق التجارية وتعود البلاد إلى حالة السلم ، ويكون الدخول والخروج بتصاريح.

٦ . يعترف الإيطاليون بإدريس زعيماً للطريقة السنوسية في برقة.

وقبل أن تتفرق الوفود جرى تحديد أراضي الفريقين على الورق (خريطة) ، واحتفظ كل وفد بخريطة للاعتماد عليها عند الحاجة[(٤١)].

إلا أن الحكومة في روما نقضت هذا الاتفاق ، واعتبرت شروطه مذلة ، فنقضتها على أساس أن مفاوضيها لم يكونوا يملكون الصلاحيات لتوقيعها[(٤٢)].

وأصدر والي برقة (جيوفاني أميليد)[(٤٣)] أمراً بقطع المفاوضات ، وتم له ما أراد ، وأخفقت مفاوضات الزويتينة.

أما الوفد الإنكليزي فقد كانت مهمته يسيرة ، فلم تكن هناك أي صعوبة في الوصول إلى اتفاق مع السنوسيين ، ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي إدريس من الاتفاق مع الإيطاليين ، ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق[(٤٤)].

ويذكر عزام: ((... أن الوفد الإنكليزي كان قد طلب إلى إدريس السنوسي

المبادرة بالقبض على المتطوعين المصريين ، والعمل على تسليمهم إلى السلطات الإنكليزية في السلوم ، ولكن إدريس رفض ذلك..))[(٤٥)].

كانت هناك عدة عوامل ساعدت محمد إدريس وقوّت موقفه في المفاوضات ؛ فمن أهمها:

١ . عدم وجود منافس قوي له في برقة ، فالغالبية تنضوي تحت زعامته ، وخاصة بعد فشل حملة أحمد الشريف ضد الإنكليز في مصر ، بما في ذلك قادة المجاهدين ، وضباطهم ، وشيوخ القبائل ، ورؤساء الزوايا الدينية ، مثل: إبراهيم المصراتي ، خالد الحمري ، عمر المختار ، موسى بولامين الحمري ، الفالح محمد الدرسي ، الشارف الغرياني ، محمد بومليحة العبيدي ، السنوسي الغزالي ، محمد أبو الشويخ ، عياد بالقاسم البرعصي ، شعيب الخدة ، حمد أبو جالي العبيدي ، عمر منصور الكخيا ، وغيرهم كثيرون.

٢ ـ استمرار الحرب العالمية الأولى ، وانشغال الجميع بها ، ورغبة الجميع في عدم فتح جبهات قتالية جديدة تكلفهم المزيد ، أفاد إدريس وعزَّزَ مركزه في المساومة.

٣ ـ وجود ضباط أتراك وألمان في برقة يدعم موقف إدريس ، وهذا ما يخيف بريطانية وإيطالية ، ويجعلهما تعملان على إنجاح التفاوض وإنهاء المشكلة بسرعة خوفاً من تغير موقفه.

٤ ـ شجعت سياسة بريطانية في الشرق ـ المتمثلة في تشجيع العرب وحصولهم على استقلالهم وتكوين دول وإمارات مستقلة ـ محمد إدريس على المطالبة بتكوين إمارة مستقلة في برقة لا تخضع للإيطاليين ، وهو بهذا يكون مطالباً بحقوق إمارة له مثلما حدث في الحجاز (ثورة الشريف حسين) ، وفي عسير (إمارة الأدارسة) ، وخصوصاً أن بريطانية كانت قد شجعت كل المناهضين والثائرين ضد الحكم العثماني ؛ واعدة إياهم بالحصول على استقلالهم وسيادتهم.

وفي أوائل سنة (١٩١٧ م) تمَّتْ اتصالات جديدة بين الإنكليز والإيطاليين والسنوسيين ، وقد لعب محمد الشريف الإدريسي وابنه المرغني دوراً هاماً في إنجاح هذه الاتصالات وموافقة جميع الأطراف على تجديد المفاوضات.

وتألف الوفد الإنكليزي هذه المرة من: الكولونيل تالبوت رئيساً ، والضابط رود ابن السفير الإنكليزي بروما[(٤٦)] ، وأحمد محمد حسنين؛ أما الوفد الإيطالي فكان مكوناً من الكولونيل أرتوري برنتو رئيساً للوفد[(٤٧)] ، والكولونيل دي فيا ومترجميهما ، وكان الوفدان الإنكليزي والإيطالي يقيمان في مدينة طبرق ، أما إدريس ومستشاروه[(٤٨)] وأعوانه فقد أقاموا في منطقة عكرمة ، وبدأت المفاوضات مع بداية العام الجديد ، ورغم أنها اتسمت بطابع الحذر والحيطة ، إلا أن جهوداً ومساعي قد بذلت فيما يبدو لإنجاحها والوصول إلى حلول يقبلها الجميع ، وتقدم الوفد الإيطالي بمذكرة رقم (١) توضح وجهة نظره ، متمثلة في النقاط التالية:

١ ـ حل المعسكرات السنوسية وتسريح حامياتها.

٢ ـ يتم نزع السلاح من رجال القبائل بصورة تدريجية في فترة زمنية قدرت بسنة واحدة.

٣ ـ للحكومة الإيطالية تعيين شيوخ الزوايا الدينية التي تقع في مناطقها ، وذلك بمشورة إدريس.

إلا أن الوفد السنوسي لم يقبل كل ما جاء في المذكرة الإيطالية ، وتقدم باقتراحاته في المذكرة رقم (٢) ؛ وقد جاء فيها ما يلي:

١ . يقوم الإيطاليون بتنفيذ جميع طلبات الوفد السنوسي التي قدمها أثناء مفاوضات الزويتينة العام الماضي (١٩١٦ م).

٢ . يرجأ البحث في نقاط المذكرة الإيطالية رقم (٢) إلى مباحثات تتم في المستقبل[(٤٩)].

إلا أن الإيطاليين تقدموا بحلول جديدة قدموها في مذكرة جديدة رقم (٣) ،

وتنازل الوفد الإيطالي فيها عن بعض شروطه ، وتساهل في قبول بعض شروط إدريس ؛ حتى إن ريتشارد يقول: ((...إن الحل رقم (٣) أعطى إدريس جميع مطالبه تقريباً))[(٥٠)] ، وتقدم إدريس بمذكرة جديدة رقم (٤).

لقد طالت مدة المفاوضات ، فاستغرقت الفترة ما بين شهر يناير إلى منتصف أبريل تقريباً ، والجلسات معقودة والحوار مستمر ، وكان لضغوط الإنكليز أثر على الطرفين الإيطالي والسنوسي ، حتى تم التوصل إلى اتفاق ارتضاه الجميع ، وكانت بنوده تتمثل في الاتي:

١ . إيقاف العمليات الحربية بين الطرفين ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة.

٢ . يقف الإيطاليون عند النقط التي كانوا يحتلونها في شهر أبريل سنة (١٩١٧ م)، ويتعهدون بأن لا يعملوا على إقامة وتجديد مراكز عسكرية مستقبلاً ، على أن يكون هذا الشرط مقيداً للسنوسيين أيضاً[(٥١)].

٣ . لا يحق لأي من الطرفين نهب أو اغتصاب أو أخذ ممتلكات الطرف الاخر.

٤ . يعتبر كل من الطرفين مسؤولاً عن الأمن والسلام في المنطقة التي تخضع لنفوذه.

٥ . يسمح لكافة التجار والعاملين بالتجارة بحرية الارتحال والمتاجرة مع الدواخل ؛ وهي (طبرق . درنة . بنغازي) على أن تشمل حرية التجارة بقية الموانأى مستقبلاً.

٦ . بقاء جميع الزوايا السنوسية التي سيطر عليها الإيطاليون سابقاً تحت النفوذ السنوسي.

٧ . تعفى جميع الزوايا السنوسية وممتلكاتها من الرسوم والضرائب.

٨ . تدفع الحكومة الإيطالية مرتبات لمشايخ الزوايا الواقعة ضمن مناطق نفوذها على أن يقوم هؤلاء بدور الوسيط بين السلطات الإيطالية وأهل البلاد حين الحاجة[(٥٢)].

٩ . يطبق على السكان الليبيين القاطنين في مناطق النفوذ الإيطالي قانون الأحوال الشخصية الإسلامي[(٥٣)].

١٠ . تدريس القران الكريم وأصول الدين في المدارس والمساجد الليبية الواقعة ضمن مناطق النفوذ السنوسي.

١١ . تعفى البضائع المستوردة للسنوسيين وطلابهم من الجمارك ، عدا تجارة السلاح.

١٢ . تقدم إيطالية المعونة المالية ، وتسمح بتوصيل الأدوار بأقرب المراكز الإيطالية بالهاتف لتسهيل الاتصال وتبادل الرأي[(٥٤)].

١٣ . يقوم محمد إدريس بإبعاد كل من يكدر العلاقات بينه وبين الإيطاليين.

١٤ . يؤجل النظر في مرتبات العائلة السنوسية.

١٥ . يلزم الاتفاق استعجالاً ، ويتفق الجميع على الإصلاح وإطفاء الفتن[(٥٥)].

وإضافة إلى هذه البنود فقد تم مسبقاً الاتفاق على نقطتين ؛ هما: تبادل الأسرى ، وإعادة فتح الأسواق.

أما الاتفاق السنوسي ـ الإنكليزي فقد تم التوصل فيه إلى النقاط الاتية:

١ . فتح طرق التجارة عند السلوم ، واتخاذ ميناء السلوم مركزاً للتبادل التجاري. على أن يكون طريق (الإسكندرية ـ السلوم) الطريق الوحيد الذي تمر منه السلع إلى برقة.

٢ . تسليم الضباط الأتراك وغيرهم من أعداء بريطانية إذا وقعوا تحت قبضة إدريس مستقبلاً إلى الإنكليز.

٣ . خروج جميع المسلحين التابعين للسنوسية وأعوانها من كل الأراضي المصرية.

٤ . عدم قيام أي تجمعات عسكرية أو مدنية مسلحة قرب الحدود المصرية الليبية.

٥ . صيانة أموال السنوسية في مصر.

٦ . تسمح السلطات البريطانية في مصر بجمع المعلومات المادية من أنصار الطريقة السنوسية ومؤيديها.

٧ . تخضع واحة الجغبوب إلى إدارة وإشراف السنوسيين.

٨ . يكفّ السنوسيون عن إنشاء زوايا دينية لهم داخل الأراضي المصرية.

٩ . إبعاد المفسدين والعابثين بالأمن ومحدثي الشغب والقلاقل من مناطق الحدود بين البلدين.

١٠ . إطلاق سراح المعتقلين في مصر من أتباع السيد أحمد الشريف[(٥٦)].

١١ . تسليم جميع الرعايا البريطانيين والمصريين التابعين لدول الحلفاء إلى الحكومة البريطانية في مصر.

وقبل أن تنتهي المفاوضات بين الأطراف المذكورة في عكرمة طلب اللواء تالبوت رئيس الوفد الإنكليزي ، ومحافظ الصحراء الغربية إلى إدريس السنوسي أن لا يبقي رجالاً مسلحين في واحة الجغبوب ، وقد ردَّ محمد إدريس على هذا الطلب رداً سياسياً دبلوماسياً بكتاب مؤرخ في يوم ١٠ أبريل (١٩١٧ م) ؛ جاء فيه ما يلي:

((... إن الجغبوب واقعة في مكان سحيق في الصحراء ، وهي موصلة لعدة طرق مع مصر ومع الجبهات الغربية ، والان بما أن مهمتي حفظ النظام ومنع الدسائس في مصر وقطع دابر السرقات والتهريب ، فلا بد أن يكون لدي لهذا الغرض قوة يخشى الناس بأسها..))[(٥٧)].

واستطرد إدريس واصفاً حالة العرب في الصحراء ووجوب المحافظة على الأمن فيها ، إلى أن قال: ((... هذه هي الأسباب التي تضطرني لطلب السماح لوجود رجال مسلحين في الجغبوب))[(٥٨)].

يرى بعض المؤرخين[(٥٩)] أن معاهدة عكرمة في طبرق كانت خير وسيلة لتحقيق السلم ، وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة ، كما أنه أتيحت فرصة لمحمد إدريس لتنظيم القبائل تنظيماً من شأنه أن يجمع الكلمة ، ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب ، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد إدريس ؛ حتى بدأ الأهالي من ذلك الحين يلقبون محمد إدريس (بالمنقذ) ، وكان من أهداف الطليان من إبرام اتفاق عكرمة تمكينهم من أن يتصلوا مباشرة بالأهلين ، وأن يمدوا نفوذهم في داخل البلاد عن طريق هذا الاتصال المباشر؛ وهذا ما كان السيد إدريس يدركه حق الإدراك ويعمل من جانبه على تعطيله ومقاومته ، وتركزت جهود محمد إدريس في أمرين هامين بعد تلك المعاهدة:

أولاً: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد ، وتتولى زعامة القبائل في برقة ، وتطالب بكل حقوقهم.

ثانياً: مقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد[(٦٠)].

واستطاع محمد إدريس أن يقيم حكومة وطنية فعلية عاصمتها إجدابية عام (١٩١٧ م).

ثانياً: إجدابية عاصمة الحكومة الوطنية:

اتخذ محمد إدريس إجدابية مركزاً لقيادته ، وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي:

١ ـ تتمتع إجدابية بموقع استراتيجي هام؛ لأنها تملك حماية محدودة من البحر وابتعادها عنه نسبياً ، ثم إن لها ميناءً صغيراً تصلها به عن طريق (الزويتينة) كل الاحتياجات ، كما أنها كانت قريبة من مرسى

البريقة البحري؛ الذي كانت تصل إليه بعض الأحيان الغواصات الألمانية قادمة من تركية باحتياجات المجاهدين.

٢ . وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في (الكفرة) وقاعدته النوفلية والجبل
الأخضر ، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا ، وأوجلة ، وجخرة ، و(الكفرة) ، وهذا يعطيها بعداً استراتيجياً هاماً.

٣ .كونها من أهم المناطق في تجارة القوافل ؛ سواء بين طرابلس وبرقة ، أو بين الواحات الجنوبية والساحل ، أو بين تشاد وبرقة ، وغير ذلك من الخطوط التجارية.

٤ . قربها من طرابلس زاد من أهميتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، فكان لها دورها الهام في مختلف الأنشطة التجارية والحربية.

٥ .كانت موطناً لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية.

٦ .كان الترتيب الإداري الذي وضعه أحمد الشريف أثناء غيابه عن برقة خلال الهجوم على مصر ، يقضي بأن يكون إدريس مسؤولاً في برقة البيضاء ، ويكون مركزه في إجدابية.

لهذه الأسباب وغيرها اتخذها محمد إدريس عاصمة لإمارته الجديدة ، ومقر رئاسة حكومته ، ونظم بها دواوين الحكومة السنوسية ، وقسم الإدارات ، ونظم ورتب الجيش ، وشمل نفوذ هذه الحكومة جميع أراضي برقة من الحدود المصرية الليبية شرقاً إلى قصر سرت غرباً ما عدا المنطقة الساحلية التي كانت خاضعة للسيادة الإيطالية[(٦١)].

إن الاتفاق الذي أجراه السيد محمد إدريس سواء مع الطليان أو الإنكليز لا يحمل بأي شكل من الأشكال استسلاماً أو قبولاً للواقع ، وإنما هي مرحلة مؤقتة هدفها إنقاذ البلاد وتوحيد الصفوف وتقويتها ، فأثبت بعمله ذلك حرص الحركة السنوسية على صيانة البلاد وحمايتها ، وما اتفاق عكرمة بطبرق الذي عقد في السادس من نيسان سنة (١٩١٧ م) إلا حل قُصد منه تهدئة خواطر الأهالي ، وتبعه اتفاق الرجمة والتي اعترفت فيه إيطالية بإمارة محمد إدريس ، وقد قصدت إيطالية من ذلك تجزئة البلاد ، إلا أن زعماء ليبية في غربها بددوا امالها وأفشلوا مساعيها حينما عقدوا مؤتمر غريان في تشرين الثاني (١٩٢١ م) ، وأقروا تعيين محمد إدريس أميراً على
البلاد ، فأرسلوا البيعة له في أيلول سنة (١٩٢٢ م) ، فحققوا بذلك الوحدة الوطنية للبلاد ، ووضعوا محمد إدريس أمام مسؤولية عظيمة تتطلب منه تولي زمام الأمور ، والسير بالبلاد إلى حريتها واستقلالها.

لقد أصبحت مسؤولية محمد إدريس بعد تلك البيعة التاريخية ليست برقة فقط ، كما أرادت إيطالية ، وإنما ليبية بقطريها الطرابلسي ، والبرقاوي ، وإن إمارته ليست منحة إيطالية ، وإنما هي رغبة شعبية ، وإرادة جماهيرية ، وضرورة شرعية ، وقد جاء في رده على كتاب البيعة ما يلي: ((وبعد ، فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان ، وجاهدتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس والثمرات ؛ في شخصي ، فأخذتها داعياً الله أن يحقق امال هذه الأمة ، ويكلل مساعيها كلها بنجاح ، ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها ، فعلي إذاً أن أعمل بجد معكم ، ولكن لا تنسوا أنني بغير إقدامكم لا قدرة لي على شيء ، إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد ، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع ، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة.

إن من حق كل شعب أن يسيطر على شؤونه ، والناس . منذ نشؤوا . أحرار ، وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية ، فدفع مهوراً غالية ، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشؤونه ، لقد اشترطتم عليّ الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها...))[(٦٢)].

لقد تأثرت البلاد في بداية الحرب العالمية الأولى وانقسمت إلى معسكرين: زعماء الغرب (سلمان الباروني ، رمضان السويحلي ، و..) ، وكذلك أحمد الشريف السنوسي وقفوا مع تركية وألمانية ، وأما محمد إدريس فهادن الإنكليز ، وبعد هزيمة تركية وألمانية تغيرت موازين القوى ، وال أمر طرابلس الغرب إلى فكرة الجمهورية الطرابلسية ، ثم انتهى بها المطاف إلى مبايعة محمد إدريس ، وهذا ما سوف نتعرف عليه عندما نشرع في دراسة الجمهورية الطرابلسية بإذن الله تعالى.

قام محمد إدريس بوضع نواة لجيش نظامي ، واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل ، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل من أفراد العصابات الذين أطلقوا على أنفسهم حكومة الصلب، وكانت تتواجد بين الأبيار وتاكنس، وذلك باتباع سياسة حازمة ورادعة ، وقام ببعض التنقلات ، والإجراءات الإدارية ، ففرّغ ابن عمه صفي الدين بعد رجوعه من الجهات الغربية (سرت) لفض النزاعات القبلية في برقة ، وكلف وكيله الشارف الغرياني لاستلام الأسلحة والذخائر من الإيطاليين، وذلك لإنشاء مراكز أمنية في الحدود مع سلامة تأمين هذه المراكز[(٦٣)].

وقام بتقسيم برقة إلى منطقتين مقاطعتين ، فكانت المنطقة الغربية يرأس إدارتها نائب مقر إجدابية ، ويقال عنه: (نائب المنطقة الغربية) ، وكانت المنطقة الشرقية يرأسها اخر بنفس اللقب ومقره (الأبيار) ، وقد تولَّى منصب هاتين المنطقتين خيرة رجال السنوسية[(٦٤)].

وقام محمد إدريس بتشكيل مجلسين: أحدهما يضم كبار العلماء والإخوان ، ويقال عنه: المجلس الخاص ، وله السلطة التشريعية والتنفيذية ، وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ، ويقال له: مجلس الأعيان ، والمجلسان بمثابة البرلمان في بادأى الأمر ، وقبل أن يكون مجلس النواب في بنغازي وبجدابية ، كان قسم من الجيش النظامي يقال عنه: جيش المعية ، وهذا مهمته حراسة القصر الأميري ، ومنه قسم لا يفارق الأمير محمد إدريس في تجولاته الداخلية ، وقد أصبحت منطقة العقيلة والبريقة للمعسكرات الاحتياطية وللتدريب ، وتضم هذه المعسكرات الكثير من خيرة الضباط ، وكان من تولى رئاسة هذه المعسكرات الشارف باشا الغرياني ، ثم أسندت إلى حسين الجويفي ، وكان عدد المعسكرات السنوسية كما يلي:

١ ـ معسكرات التدريب والاحتياطي بمنطقتي العقيلة ، والبريقة ، ويقال عنهما (خط النار).

٢ ـ المعية بجدابية.

٣ ـ يضم قدماء المحاربين بجدابية.

٤ ـ بالزويتينة.

٥ ـ بالابار.

٦ ـ بجردس.

٧ ـ مراوة.

٨ ـ معسكر خولان.

٩ ـ عكرمة.

وفي إجدابية معسكر منفصل عن المعسكرات المذكورة ، ولكنه مرتبط بالقيادة ؛ وهو مؤلف من الذين يحسنون القراءة والكتابة ، ويقال عنه: (طابور الطلبة).

وأقام مراكز حكومية تابعة للمنطقتين المذكورتين ، وجعل لكل مركز قائم مقام أو مأموراً ، أو وكيلاً ، وفي كل مركز قاضياً ، أو نائب قاضٍ للنظر فيما يتعلق بالأحكام الشرعية ، ومجلساً من المشايخ يرجع

إليه حاكم المركز في كثير من الشؤون حسب التعليمات الحكومية ، وفي كل مركز قسماً من البوليس للنظام ، والأمن ، وسلامة الناس[(٦٥)].

أما التعليم:

فكانت بعاصمة الحكومة الوطنية (إجدابية) مدرسة قرانية كبرى ، نهجت منهج معهد الجغبوب ، وكان شيخها الأكبر الحاج طاهر المراكشي ، ومعه سعد المنفي ، وأحمد بن موسى السيوي ، وشرع الأمير محمد إدريس في بناء مدرسة على الطراز الحديث أرادها أن تكون كلية ، ووضع الحجر الأساسي لها في حفل كبير ضم الكثير من رجال السلطة والأعيان والوجهاء ، وألقيت يومذاك الخطب والقصائد ، وتم بناؤها وتنسيقها ، وجلبت الأدوات المدرسية وما يلزم من الكتب ، وبدأ تسجيل

أسماء التلاميذ الذين ينتسبون إليها ، وجلُّهم من تلاميذ المدرسة القرانية ، إلا أن الإيطاليين بعد احتلالهم إجدابية عام (١٩٢٣ م) اتخذوها مركزاً لضباط الطيران، وفي عام (١٩٢٧ م) اتخذت نادياً للضباط ، وفي سنة (١٩٣٠ م) جعلت مستوصفاً مدنياً ، وبقيت هكذا إلى عام (١٩٤٢ م) ؛ حيث نسفها الألمان ولم يبق منها إلا الأثر[(٦٦)].

وكان مسجد إجدابية الكبير يجلس به فطاحل العلماء الذين تخرجوا من معهد الجغبوب لتدريس الفقه ، واللغة ، والتفسير ، والحديث ، والرياضيات ، وعلم الفلك ، وكان من هؤلاء الشيوخ: أحمد بن إدريس ، سليمان الحوتي ، المختار الغدامسي ، حامد بركان الشريف ، عبد العزيز الهوني ، عبد العزيز

العيساوي ، علي المحجوب ، محفوظ الورفلي ، وكان الأخير قاضياً بمعسكرات الجبل ، وقتل شهيداً في ساحات الفداء ، وكان الناس مقبلين على حلقات العلم ، فتبدأ حلقات العلم بعد الساعة التاسعة صباحاً ، وبعد صلاة العصر ، وكان الطلبة يلتفُّون حول الشيوخ ، وخلف هؤلاء طبقات الأعيان والوجهاء ، والكثير من ضباط الجيش يستمعون إلى الوعظ ، والإرشاد ، والعلم ، وانتشرت مدارس قرانية أخرى بدواخل البلاد ، وبجميع المراكز عدا مدارس الزوايا المعروفة[(٦٧)].

وتقدمت الحياة الاقتصادية ، وشرع التجار في مزاولة أعمالهم ، واستتب الأمن في جميع أنحاء برقة. لقد استطاع إدريس أن يبحر بالسفينة بمهارة ، ويصل بشعبه إلى شط الأمان ، بعد أن أمضَّه الجوع ، حتى اضطر بعض الناس إلى أكل لحوم الخيل والبغال والحمير.

وكان يعمل مع إخوانه في حكومته بكل جد ونشاط لتطوير الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

لقد أوجد الأمير محمد إدريس حكومة في برقة أحبتها القبائل وهابتها، عملت على نشر العدل، وأزالت الظلم، ووحَّدت الصف، ونبذت الخلاف، وأقرت السلام.

كان الأمير محمد إدريس يدير دفة العلاقات مع إيطالية بمنتهى الحذر واللباقة ، والكياسة ، والدبلوماسية ، والسياسة ، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي

الإيطالي الكونت جاكومودي مارتينو ، وعين عمر باشا منصور الكخيا ممثلاً له في بنغازي ، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة ، حيث كان نائباً في مجلس المبعوثان العثماني في إستانبول[(٦٨)].

ثالثاً: اتفاق الرجمة:

كان الإيطاليون غير راضين على الاتفاقات السابقة؛ لأنهم كانوا يطالبون بالسيادة التامة على ليبية ، وإنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتاً ، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان ، أملاً في أن ينتهي الأمر إلى القبول بالسيادة الإيطالية ، ولعل هذا ما حدا بإيطالية أن تمنح برقة (دستوراً أساسياً) ، وقد تم ذلك في أكتوبر (١٩١٩ م) ، وينص الدستور على أن يعين ملك إيطالية والياً يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية لبرقة ، ويكون لبرقة مجلس نواب محلي يتألف من نواب عن القبائل والحضر ، بحيث يضاف إليهم عدد من الأعضاء المعينين ؛ يجلسون فيه بحق وظائفهم ، أما إدارة البلاد فتتم على أساس تنظيم إدارات مدنية وعسكرية ؛ يعيَّن رؤساؤها بأمر ملكي[(٦٩)].

وكفل القانون الأساسي حرية العبادة والدين ، وحق الملكية الفردية ، وحرية النشر ، وإنشاء المدارس ، واحترام لغة البلاد. هذا إلى تفصيل أمور كثيرة.

وقد أدرك مشايخ القبائل ما تنطوي عليه هذه المبادرة من خطر ، فعقد نحو مئة من كبارهم اجتماعاً في إجدابية ؛ قرروا فيه: ((أنهم لا يقبلون بالإيطاليين إلا في المدن الساحلية ، على أن يقتصر عملهم هناك على التجارة))[(٧٠)].

واتضح من إعلان الدستور من جهة ، وقرار المشايخ من جهة أخرى ، أنه من الضرورة المبادرة إلى مفاوضات جديدة ، لعلها تؤدي إلى وضع الأمور في نصابها وبدأت المفاوضات فعلاً ، وفي ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٢٠ م) وقع الاتفاق المعروف باتفاق الرجمة.

وبموجب اتفاق الرجمة تقسمت برقة إلى قسمين: الشمالي: وفيه السواحل

وبعض الجبل الأخضر يخضع للسيادة الإيطالية ، والجنوبي: وهو داخل ، ويشمل الجغبوب ، وأوجله ، وجالو ، و(الكفرة) ، يكوّن إدارة مستقلة هي الإمارة السنوسية ، ويتمتع السيد محمد إدريس بلقب

(أمير) ، على أن يكون اللقب وراثياً ، ومع أن عاصمة الإمارة هي إجدابية ، فقد اشترط في الاتفاق على أن للأمير أن يتجول ويقيم في جميع أنحاء برقة ، ويتدخل في إدارة المنطقة الإيطالية متى شعر أن مصلحة العرب تتطلب ذلك. والحد الفاصل بين المنطقتين هو خط يمتد جنوبي خميس والسلوق والرجمة ، إلى شمال الأبيار ، ثم يمر بغوط ساس ، وشمالي القصور وجنوبي سيدي رافع (الزاوية البيضاء) الصفصاف ، ومرتوبة ، وتميمي إلى طبرق.

وأدخل القانون الأساسي في صلب اتفاق الرجمة. وأعلنت إيطالية أنها لا تنوي بحال من الأحوال نزع الأرض من أصحابها ؛ سواء في ذلك الأراضي التي يملكها الأفراد ، أو أراضي الزوايا.

وتعهد سمو الأمير من جانبه في أن تحل الأدوار العسكرية ، وتسرح الوحدات العسكرية (في مدة ثمانية أشهر) ، على أن يحتفظ بألف جندي فقط يستخدمهم في شؤون الإدارة وحفظ النظام ، ورضيت إيطالية بأن تقدم مساعدات مالية للإمارة السنوسية تمكِّنها من تنظيم أعمالها ، على أن يشجع الأمير التجارة ويضمن المواصلات والأمن.

وقد تمَّ في الواقع انتخاب مجلس نيابي في عام (١٩٢١ م) (نيسان ، أبريل) ، واختير رئيساً له السيد صفي الدين.

لقد كان ذلك المجلس الأول من نوعه في دنيا العرب ، وقد عقد المجلس خمس جلسات (إلى مارس ١٩٢٣ م)[(٧١)].

لقد كان اتفاق الرجمة يتكون من مقدمة وعشرين مادة ، إلى جانب ملحقين ، فمن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع (السنوسية دين ودولة)[(٧٢)].

مرت المدة المتفق عليها مع الأمير محمد إدريس لحل الأدوار ، وهي ثمانية

شهور ، ولم تحل هذه الأدوار التي كانت تعمرها فلول من أفراد المقاومة السنوسية منذ سنة (١٩١٧ م) ، وهذه الأدوار (في إجدابية والشليظيمة ، ومروة ، وخولان ، والأبيار ، وتكنيس ، وعكرمة)[(٧٣)].

كان يشرف على كل منها قائم مقام ، وقائد جند ، وقاضٍ ، وجامع ضرائب يجمع حاجاتها من العرب ، ومن هنا كان كل دور وحدة عسكرية إدارية قضائية ، لا لنفسه فحسب ولكن للمنطقة المحيطة به ، وكانت الأدوار واسطة لنشر النفوذ السنوسي ، ومن هنا كان اهتمام إيطالية بحلِّها ، وتعلل الأمير بأن حل هذه الأدوار قد يثير العرب على غير فائدة ، ولذلك بدأ أمر بحثها من جديد ، وانتهى البحث بالأمير والإيطاليين إلى اتفاق جديد بشأنها يعرف باسم (اتفاق بو مريم) الذي تم في (١١ تشرين الثاني

نوفمبر ١٩٢١ م) ، ومع أن الفريقين جددا الاتفاق الماضي بشأن حلها ؛ فقد رئي أن يؤجل ذلك ليتسنى للإدارة الإيطالية توطيد أركانها في منطقتها ، وإلى أن يتم ذلك رئي من المناسب إنشاء (الأدوار المختلطة) على أن يكون ثمة أربعة منها في عكرمة وسلطنة والأبيار وتكنس ، فيكون الجنود فيها إيطاليين وسنوسيين ، بنسبة خمسة إلى أربعة ، ويقوم ضباط إيطاليون بالإشراف على الإيطاليين ، وضباط سنوسيون بقيادة الجند السنوسي.

والذي يبدو من هذا كله بحسب رأي الإيطاليين أنفسهم ، هو أن النفوذ الإيطالي كان في سبيل التقدم من الناحية السياسية.

لكن هذا كان في الظاهر فقط ، فهؤلاء الإيطاليون يعترفون بأن إدارة برقة باستثناء المدن ، كانت في الواقع في أيدي السنوسيين ، إما مباشرة أو بالوساطة ، وهذه حالة ما كان ليرضى عنها الإيطاليون أبداً ، وإن كانوا قد قبلوا بها مؤقتاً ، وكان من الطبيعي أن يعود القتال إلى البلاد يوماً ما[(٧٤)].

* * *

المبحث الثالث

الجمهورية الطرابلسية

إن تاريخ الجهاد الليبي مليء بالمحطات المهمة التي ينبغي الوقوف عندها درساً للوقائع ، واستجلاء للحقائق ، واستفادة من العبر ، قال تعالى: [ق: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ *} [ق: ٣٧]

لقد كان إعلان الجمهورية الطرابلسية محاولة مبكرة لإقامة دولة مستقلة بها دستورها ، ومؤسساتها ، وهياكلها ، وبذلك أصبحت هذه الحادثة سبقاً تاريخياً في عالمنا الإسلامي والعربي ، ولذلك لابد من تسليط الأضواء عليها والتعريف بها ، ونستطيع القول: إن بداية الفكرة ظهرت مع ظهور ورجوع سليمان الباروني من ساحة الجهاد الليبي مرسلاً من قبل الخلافة العثمانية التي خولته الولاية على طرابلس والقيادة ، ونقصد بظهوره بعد غيابه المفاجأى من ساحة الجهاد وذهابه إلى الآستانة عاصمة دار الخلافة ، حيث نزل عن طريق غواصة ألمانية بقصر (حمد) بمصراتة في (١٦ أبريل ١٩١٦ م)[(٧٥)].

كان رجوع سليمان الباروني بعد أن مهَّد الأتراك لهذا الإلحاق ، فاستصدروا (فرماناً) مرسوماً سلطانياً من جلالة السلطان بإلحاق طرابلس بتركية.
وقد جاء هذا القرار في وقت كان الطرابلسيون محتاجين فيه إلى المساعدة ، ففرحوا به ، وكانت سياسة الترك والألمان تستهدف إذكاء نار الثورة في طرابلس واستئنافها في برقة إن أمكن من طريق وجودهم في طرابلس من شغل أكبر عدد ممكن من الجيوش الإنكليزية والإيطالية[(٧٦)].

وقام الشيخ سليمان الباروني بمجموعة من الإجراءات الإدارية والمالية للإشراف على قيادة وتنظيم المجاهدين لمواجهة تحركات الجيوش الإيطالية ، وفي إطار التنظيمات الإدارية للولاية قام بتشكيل المجلس العرفي الشرعي . وكان يتكون من مجموعة من العلماء ليتمكَّنوا من حل القضايا الجنائية والشرعية المعلقة بسبب الحرب . وقد ضم ذلك المجلس كلاًّ من:
١ ـ الشيخ عمر المنصوري مفتياً للولاية.
٢ ـ الشيخ علي الهمالي قاضياً لمصراتة.
٣ ـ الشيخ محمد سعيد المسعودي قاضياً للجبل.
٤ ـ الشيخ الزروق أبو رخيص قاضياً للمنطقة الغربية.
٥ ـ الشيخ الشكشوكي قاضياً للنواحي الأربعة.
٦ ـ الشيخ عبد الرحمن زبيدة قاضياً لورفلة[(٧٧)].
وفي تلك المرحلة كانت الأوضاع العسكرية تميل إلى صالح المجاهدين ، فقد تصاعدت حركة الجهاد ضد إيطالية ، وقام سليمان الباروني بالاتصال بقادة البلاد وزعمائها ، وعمل على نبذ الخلاف وتوحيد الصف ، ويحفظ لنا التاريخ بعض الرسائل التي أرسلها سليمان الباروني من مصراتة إلى الأعيان والمشايخ يخبرهم فيها بقدومه ؛ ومن هؤلاء المشايخ: الشيخ سوف رئيس المجاهدين في العزيزية: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *} [النَّمل: ٣٠]
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: عدنا ولله الحمد . والعود أحمد . إلى وطننا العزيز من دار الخلافة العظمى ، تحملنا عفاريت البحر السابحة فوق جبال الأمواج تارة ، وتحت عمق خمسين ذراعاً في لجج اليم أحياناً... إلى أن قال: عدنا ولله الحمد ، ومعنا كل ما يلزم ، واستقبلنا أهل مصراتة الكرام بكل سرور وابتهاج ، هذا وقد تفضل أمير المؤمنين . أيده الله . فأمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب بلادنا بالولايات العثمانية ، واقتضت إرادته السنية إرسالي لأجل إجراء الترتيبات اللازمة

ملكية وعسكرية ، وتعهد أن يوالي المدد إلى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن. وسنعرفكم من مركز مسلاتة بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الأبطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومي إن شاء الله ، فانتظروا جوابنا ، والسلام الأسنى على العلماء الأفاضل والمشايخ ورجالكم الكرام))[(٧٨)].

١٩ ذي الحجة سنة (١٣٣٤ هـ)

من أخيكم سليمان الباروني

وقبل سفره إلى مسلاتة أرسل كتاباً إلى محمد إدريس السنوسي يطلب منه الانسحاب من سرت قطعاً للفتنة والنزاع. وهذا نصه بعد الديباجة:

هذا وقد وصلت مصراتة مرسلاً من لدن حكومتنا السنية بطلب من الأهالي بعنوان والي قومندان طرابلس ، ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت قيادة القائم مقام موسى بك، واحتلت قصر سرت بعد أن بارحتها قوة الزاندرمة التي هناك من طرف رمضان بك السويحلي باسم الدولة العثمانية ، فبادرت بإرسال جواب إلى موسى بك والشيخ صالح الأطيوش؛ لأنه بلغني أنه مع القوة المذكورة ، فجاء الجواب من الشيخ صالح مبيناً فيه أنه ما قدم إلا بأمر من سيادتكم ، ومن نوري باشا بعنوان (متصرف سرف) ، فتأسفت لأنه كان أول أمر أصدرته متعلقاً بتجهيز قوة لمقابلة تلك القوة المنسوبة إليكم ، إلا أنني أمرت قومندان القوة أن يتحاشى . ما أمكن . الدخول فيما يكدر الخواطر بين بني وطن واحد ودين واحد ، رجاء أن تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد أن يبلغها المنشور السلطاني الذي أرسلناه إليكم.

بناء عليه أرجو المبادرة إلى تسوية هذه المسألة إن كان أمر حركتها صادراً منكم[(٧٩)].

٢٧ . ٢٨ ذي الحجة سنة (١٣٣٤ هـ)

فرد عليه السيد محمد إدريس برسالة قال فيها:

((... وذكرتم نزول عساكرنا بسرت ؛ فصحيح ذلك قبل قدومكم ، إذ كانت الفتن مشتعلة بين السويحلي وترهونة ، فأجبرنا الحال على أن نطفئها بأيٍّ كان ، قال تعالى: {...} وذكر {وَإِنْ

طَائِفَتَانِ} [الحُجرَات: ٩] ، فأرسلنا الجيش ونزل بسرت من دون إذن أحد... وها نحن أمرناهم بأن يقفوا بالقصر.

ونحن لا غرض لنا إلا اتحاد الإسلام وتخليص رقاب المسلمين فقط ، كما أننا نأمل من جانبكم معاونتنا على إطفاء الفتن... ونحن وأنتم لا فرق بيننا ، لكنا قصدنا شريف ومحارب تحت الراية الإسلامية العثمانية[(٨٠)].

٨ محرم سنة (١٣٣٥ هـ)

محمد إدريس بن السيد المهدي

كانت تركية حريصة على دعم ثورة ليبية في تلك الأيام ، ولذلك أرسلت الأمير عثمان فؤاد قائداً عاماً بدل الباروني في مارس (١٩١٨ م) ، وكان في صحبته البارون فريد فون توندروف الألماني الذي جاء معه فريق فني لتسيير التلغراف اللاسلكي ، وكان الأمير عثمان يحمل لقب (القائد الأعلى للقوات الإفريقية)[(٨١)].

جاء الأمير عثمان فؤاد إلى مصراتة في مارس سنة (١٩١٨ م) ، لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الترك والألمان لتغذية الثورة في طرابلس ضد الطليان ، حتى إذا ما وافقوا حاولوا أن تمتد الثورة إلى برقة للإغارة على الإنكليز في مصر مرة ثانية.

وكان مما تنطوي عليه هذه السياسة إحياء فكرة جمهورية شمال إفريقية التي قامت من أجلها ثورة الحامة بتونس عام (١٩١٥ م) ، وقد وجدوا من نشاط الطرابلسيين ما شجعهم على المضيِّ في العمل من أجلها.

كان الاستعمار الفرنساوي في شمال إفريقية مضرب المثل في الاستبداد بالمسلمين والإساءة إليهم ، وكان الأحرار من التونسيين ، والجزائريين ، والمراكشيين يفكرون دائماً في التخلص من هذا الكابوس الذي جثم على صدورهم ،

وسلب حقوقهم ، وقد انتهزوا فرصة نشوب الحرب في عام (١٩١٤ م) ، فألف جماعة منهم في الآستانة وفداً أخذ يعمل لإنشاء (جمهورية شمال إفريقية) ينضوي تحت لوائها من حدود مصر إلى حدود بحر الظلمات ، وكان في مقدمة هؤلاء السادة المجاهدين السيد علي باشا حنبه ، والشيخ صالح الشريف ، والشيخ إسماعيل الصفايجي ، وهؤلاء الثلاثة من تونس ، ومعهم جماعة من الجزائريين

والمراكشيين ، وزار الوفد ناظر الخارجية العثمانية ، وأبلغه رغبة سكان شمال إفريقية في الاستقلال ، وإنشاء جمهورية إفريقية متحدة ، وطلبوا منه إبلاغ ذلك إلى ألمانية والنمسة رسمياً ، وأن يسمح لهم بالسفر إلى برلين وفيينا لبسط مطالبهم والحصول على الوعود والمساعدات اللازمة.

وعرض اقتراح الوفد على سفير ألمانية في تركية ، فأبلغه بأن حكومته لا تتعهد لأبناء شمال إفريقية بالاستقلال إلا إذا ثاروا على الفرنساويين الذين يحتلون بلادهم ، وغادر الوفد الآستانة عقب ذلك إلى برلين وزار وزارة الخارجية الألمانية ، وقدم طلباته ، فقبلتها وسجلتها رسمياً ، كما اعترفت بها النمسة وتركية أيضاً ، فكان ذلك أول اعتراف دولي بالجمهورية الإفريقية المتحدة في شمال إفريقية. وقصد الوفد بعد ذلك إلى لاهاي (مقر المحكمة الدولية) ، فسجل هذا الاعتراف في سجلاتها؛ لأن عصبة الأمم لم تكن أنشئت إذ ذاك.

وتنفيذاً لرغبة الألمان في الثورة على الفرنساويين ، ورجاء الوفاء بما وعدوا به الوفد من المساعدة ، وإمداد الثورة بما يلزمها من المال والات الحرب وإنشاء جمهورية شمال إفريقية ؛ قامت ثورة الحامة سنة (١٩١٥ م) ، فاضطرت فرنسة إلى أن ترسل من جيشها ثلاثين ألفاً لإخماد الثورة ، وقد اختيرت الحامة مكاناً للثورة لقربها من الحدود الطرابلسية ، وليسهل الاتصال بها والاستناد إليها ، وكانت إذ ذاك على أشدها ، وقد قام بهذه الثورة الشيخ سعيد دبان من أعيان جنوب تونس ، وممثله في الجمعية الشورية ، فأغار على مراكز الفرنساويين في الحامة ، وقد تداركها الفرنساويون بجيوشهم ، فأخمدوها في مدة خمسة أيام ، وأسفرت عن قتل الشيخ سعيد وابنه وخادمه ، وجماعة من رجاله ، وعن نحو مئة قتيل من الفرنساويين.

وانتقم الفرنساويون ممن وقعوا في أيديهم من أنصار الشيخ سعيد بالقتل والشنق والسجن. والتجأ كثير منهم إلى الحدود الطرابلسية ، وجاهدوا مع الطرابلسيين ،

وكانوا يسمونهم المهاجرين ، وكان كبيرهم الشيخ الوحيشي رحمه الله[(٨٢)].

إن هذه الثورة ، وهذه الدعوة لقيام جمهورية شمال إفريقية تحتاج إلى دراسة واعية ، متأنية ، عميقة ، لعل الأجيال تستلهم دروساً من الماضي وتجعلها نبراساً لها في المستقبل.

كانت الحرب إذ ذاك قائمة في جزيرة العرب بين الإنكليز والعرب من ناحية ، وبين الترك من ناحية أخرى ، ولم يطل الأمر حتى رجحت كفة الإنكليز على الترك ، ثم اشتد الضغط عليهم من الجيوش العربية والإنكليزية في الشام ، وتلاحقت عليهم الهزائم ، وتحطمت جيوشهم ، وضعفت عزائمهم ، واضطروا للاستسلام ، وعقد الترك والحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في (٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨ م) ؛

تعهدت فيها بسحب جيوشها من جميع البلاد ، ومما جاء في هذه المعاهدة مما يتعلق بطرابلس في المادة ١٧ : ((يجب على جميع الضباط الترك في طرابلس الغرب أن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز إيطالي ، ويجب على تركية أن تقطع الأرزاق والمساعدات وكل صلة مع هؤلاء إذا لم يذعنوا ويسلموا)).

وجاء في المادة ١٩ : ((تسلم جميع الموانأى في طرابلس ومصراتة إلى أقرب قائد لجيوش الحلفاء)).

وكانت هذه المعاهدة اخر سلاح استعمله الحلفاء لقطع صلة الترك بالعرب ، كما كانت اخر عهد العرب بدولة ال عثمان التي تفككت أوصالها ، وتراخت بها الحياة ، وزال ظلها بعد أن حكمتها (٤١٦) سنة ، من عام (٩٢٢ هـ إلى ١٣٣٨ هـ) لم تنقطع صلتها بها ، حتى وصلت في اخر عهدها إلى أحط الدركات ، وطوى التاريخ صفحاته على مالها وما عليها[(٨٣)] ، ولقد تعرضت للدولة العثمانية في كتابي السادس (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط).

إن لله سبحانه وتعالى سنناً ثابتة في حركة الإنسان في هذا الكون ، وهذه السنن ـ كما عرّفنا عليها القران الكريم ـ ذات ارتباط وثيق بقضية الإيمان والكفر ، والعدل والظلم ، وقضايا السلوك الاجتماعي والأخلاقي للمجتمعات البشرية ، والذي يحدد

لنا اتجاهات السنن الربانية هو القران الكريم ؛ فهو الذي عرفنا بالخير والشر وبالحق والباطل ، والعدل والظلم[(٨٤)] ، وقد بين لنا القران الكريم أن الحياة الهادئة المباركة الامنة لا تكون إلا في ظل الإيمان والتقوى والاستقامة على منهج الله تعالى.

قال تعالى: [الأعراف: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *} [الأعرَاف: ٩٦]

وإن الإعراض عن منهج الله وترك العمل بشريعته يؤدي بالأمة إلى مدارك الهلاك ، وضنك الحياة المادية منها والنفسية ، ويرفع التمكين والنصر ، وتنزل الهزيمة والخذلان بسبب المعاصي ، والذنوب ، والكبائر ، والابتعاد عن صراط الله المستقيم وحبله المتين.

لقد كان لسقوط تركية في الحرب العالمية الأولى أثر سيِّأى على حركة الجهاد بطرابلس ، وساهم خبر سقوطها في إخماد جذوة الحماس ، وبث في قلوب الطرابلسيين الوهن ، وأفزعهم كثيراً على مصيرهم المظلم.

وسرعان ما انتشر خبر هزيمة تركية في مصراتة ، وامتد منها إلى غيرها ، فاضطربت أحوال الناس ، وهاجت نفوسهم ، وتشوشت أفكارهم.

كان لسقوط تركية سبب رئيسي في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية ، وطرحت على بساط البحث ، واشترك فيها رمضان بك ، وعزام بك ، والباروني باشا ، والأمير عثمان ، ومختار بك كعبار ، وانتهت نتائج المباحثات بالموافقة على فكرة تأسيس الجمهورية ، وأرسلت الدعوة إلى رؤساء القبائل وزعمائها وشيوخها باسم الأمير عثمان لعقد اجتماع عام في مسلاتة لإعلان الجمهورية ، وفي يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة (١٣٣٧ هـ) ، الموافق (١٦) من نوفمبر سنة (١٩١٨ م) اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاتة ، وهو أكبر جامع فيها ، وحضر الأمير عثمان فؤاد ، وأخبر المؤتمرين أن الأستاذ عبد الرحمن عزام بك سيخطب فيهم بالنيابة عنه ، وأنه سيتحدث نيابة عنه ، وطلب منهم الموافقة على ما سيطلبه منهم.

وخطب الأستاذ عزام خطبة مؤثرة حثَّ فيها الناس على وحدة الصف ، ونبذ الخلاف ، وعلى العمل الجاد للوصول إلى استقلال البلاد ، وطرد الغزاة ، ثم طرح عليهم فكرة إنشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة ، وتتولى أمور البلاد ، وتنظر في شؤون الأمة ، فلقيت الفكرة استجابة من الجميع ، وإجماعاً بدون خلاف ، وسميت الجمهورية الطرابلسية[(٨٥)] ، وأجريت الانتخابات في الحال لاختيار أعضاء الجمهورية ، فأسفرت الانتخابات عن الاتي:

أولاً: تشكيل مجلس إدارة الجمهورية:

وكان أعضاء هذا المجلس أربعة من أقوى الزعماء نفوذاً على سكان منطقتهم وهم: سليمان الباروني ، أحمد بك المريض ، ورمضان بك السويحلي ، عبد النبي بك بالخير ، وكانت جميع القرارات والأوامر الصادرة من هذا المجلس ، تمضى بأسماء الأعضاء الأربعة ، إظهاراً لاتحاد أصحابها وتقوية لاعتمادها بين الناس ، وانتخب إلى جانب الأربعة مراقب ومدير مالي لمالية الجمهورية ، هو زعيم غريان مختار بك كعبار ، وكان ذا ثقافة عصرية عالية درسها بالمعاهد التركية ، وكان أحد نواب طرابلس في البرلمان العثماني بإستانبول ، وجعل الأستاذ عبد الرحمن عزام مستشاراً لشؤون الجمهورية ، وارتبط بمجلس الإدارة جميع الموظفين ، وشؤون الجهاد ، والأمور الاجتماعية.

ثانياً: مجلس شورى الجمهورية:

وشكلت الهيئة الثانية ؛ وهي مجلس شورى الجمهورية ، والغاية من إيجاده هو ليساند مجلس الإدارة الحكومية ، في قيامها بأعمال وواجبات تشبه ـ إلى حد ما ـ وظائف مجلس النواب ، والشيوخ في البلدان

الأخرى ، ذات الأنظمة الدستورية ، وقد تألف هذا المجلس من أربعة وعشرين (٢٤) عضواً ، ضم كافة أعيان الجهات من فزان جنوباً إلى العجيلات شمالاً ، ومن سرت شرقاً إلى نالوت وغدامس غرباً.

واختاروا المجاهد الكبير ، الشيخ محمد بك سُوف زعيم قبيلة المحاميد وحفيد غومة المحمودي صاحب الثورة الكبيرة ضد الترك ؛ رئيساً لمجلس الشورى ، ونائبه
يحيى بك الباروني ، شقيق سليمان الباروني[(٨٦)].

وأما باقي الأعضاء فهم:

١ . الشيخ عبد الصمد النعاس عضواً ترهونة
٢ . الشيخ مفتاح التريكي عضواً مسلاتة
٣ . الشيخ علي بن رحاب عضواً قماطة
٤ . الحاج محمد بن خليفة عضواً الساحل
٥ . عبد السلام الجدايمي عضواً زليتن
٦ . الحاج علي المنقوش عضواً مصراتة
٧ . محمد المنتصر عضواً سرت
٨ . مفتاح التايب عضواً أرفلة
٩ . السيد محمد بن بشير عضواً أولاد أبي سيف
١٠ . عبد الرحمن بن بركان عضواً من مرزق . فزان
١١ . محمد بن أحمد الفايدي عضواً الشاطأى
١٢ . الشيخ الحبيب عز الدين عضواً غدامس
١٣ . إبراهيم أبو الأحباس عضواً الجبل
١٤ . الحاج محمد فكيني عضواً الرجبان
١٥ . الشيخ أحمد البدوي عضواً الزنتان
١٦ . سالم البرشوشي عضواً الجبل . يفرن
١٧ . علي بن عبد الرحيم عضواً ككّلة
١٨ . الشيخ شطيبة عضواً غريان
١٩ . علي بن تنتوش عضواً ورشفانة

٢٠ . عبد الرحمن شلابي عضواً الزاوية

٢١ . علي شلابي عضواً النواحي الأربع

٢٢ . عبيدة المحجوبي[(٨٧)] عضواً عن صرمان والعجيلات

ثالثاً: مجلس الجمهورية الشرعي:

وعُرفت الهيئة الثالثة باسم (مجلس الجمهورية الشرعي) ، وكانت أعماله وأحكامه القضائية وفقاً لأحكام الفقه الإسلامي ، على مذهب الإمام مالك وعُرْف تقاليد البلاد ، وأسندت عضويته إلى أربعة من كبار العلماء ؛ وهم:

الشيخ الزروق بوخريص (من غريان) ، الشيخ محمد الإمام (من الزنتان) ، الشيخ عمر المساوي (من الزاوية) ، الشيخ مختار الشكشوكي (من مدينة طرابلس)[(٨٨)].

مؤشرات ودلائل:

كان لاختيار اسم الجمهورية دلالة واضحة على اطلاع الليبيين في ذلك الوقت على أنواع الأنظمة السائدة في العالم ؛ ومنها: النظام الجمهوري ، ولإطلاق لفظ الشورى دلالته الخاصة التي توحي بالتأصيل والتمسك بالمصطلح ، وما يضيفه ذلك المصطلح من أبعاد إسلامية وتاريخية ، كما تدلنا على معرفة الأجداد لأهمية الشورى ، وأنها من قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم.

قال تعالى: [الشورى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *} [الشّورى: ٣٨]

لقد قرنت الاية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة ، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة واجبة شرعاً ، فكذلك الشورى واجبة شرعاً[(٨٩)].

إن هذه الاية قد نزلت في سورة سُمِّيت سورة الشورى ، وهي مكية ، ولقد جاءت مؤكدة أن تكون الشورى صفة ملازمة للجماعة الإسلامية ، وسلوكاً اجتماعياً لا يغادرهم قبل قيام الدولة الإسلامية وبعد قيامها ، فإن كلمة من ألفاظ

العموم تشمل جميع شؤونهم في الحياة العامة ، والمشتركة[(٩٠)].

كما أن اعتماد طريقة الترشيح والانتخاب كوسيلة مثلى لتولي المسؤولية والوصول إلى المناصب السياسية الهامة في الدولة إشارة ودلالة على اهتمام الأجداد بهذا المبدأ ؛ رغم أن الفترة كانت فترة جهاد وحرب واستنفار.

كما أن اختيار المسجد (جامع المجابرة) للاجتماع وإجراءات الترشيح والانتخابات ، والاتفاق على إقامة الجمهورية ، والتعهد بإقامة العدل ، يؤكد على أن نظرة المجاهدين للجامع لا تقتصر على اعتباره مكاناً للعبادة فقط ، وإنما هو محلٌّ للعمل السياسي ، والنشاط الاجتماعي ، والحكم القضائي ، كانت مساجد بلادنا عامرة بالنشاطات الشاملة ، ونرجو من الله تعالى أن يوفق المسلمين للعمل الدؤوب حتى ترجع المساجد شعلة نور ، ومحضن تربية ، ومنبراً للدعوة إلى الله.

إن المساجد في بلادنا أصبحت في أحسن أحوالها مقتصرة على أداء الصلوات فيها ، وجردت من مهامها الأخرى.

إن ما قام به الأجداد من التقاء واجتماع في مسجد المجابرة في مسلاتة دليلٌ على معرفتهم لوظائف المسجد في الأمة.

لقد كان المسجد في عهد رسول الله (ص) مكان الاجتماع العام الذي كانت جلسات الشورى تعقد فيه ، وكان يتم توزيع العطايا ، كما كانت التبرعات تجمع للمحتاجين.. إلى اخره.

ومن الأدلة على ذلك:

استشارة النبي (ص) أصحابه رضي الله عنهم في غزوة أحد ، فقد استشارهم في المسجد بعد صلاة الجمعة ، وكان رأيه (ص) أن يبقى المسلمون متحصِّنين داخل المدينة ، لكن الأغلبية من الشباب كانت تفضل ملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لا يفوتهم أجر الشهادة في سبيل الله الذي فاتهم يوم بدر ، وقد فضل النبي (ص) النزول عند رغبتهم أخيراً ، فخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة[(٩١)].

إن الأدلة في هذا المعنى كثيرة ، ومن أراد التوسع فعليه مراجعة كتاب الدكتور محمد أحمد (كيف نعيد للمسجد مكانته؟).

كما إن تشكيل المجلس الشرعي للنظر في قضايا الجمهورية الوليدة ، والمخالفات والجنايات بين المواطنين ، وتحديد العلماء الذين يشرفون على هذه المهمة ؛ لدلالة قاطعة على احترام الأجداد للعلماء والفقهاء ، وعلى حرصهم على جعل الشريعة الإسلامية هي الدستور للجمهورية مما يؤكد اجتهاد الليبيين الأصيل ، وعدم نجاح الغزو الفكري في ذلك الوقت في التأثير على اختيارات المواطنين النابعة من عقيدتهم ودينهم وتراثهم الإسلامي العظيم.

إن من أخطر عوائق النهوض بالأمم: غياب القيادة الربانية ، وذلك أن قادة الأمة عصب حياتها ، وبمنزلة الرأس من جسدها ، فإذا صلح القادة صلحت الأمة ، وإذا فسد القادة صار هذا الفساد إلى

الأمة ، ولقد فطن أعداء الإسلام لأهمية القيادة في حياة الأمة الإسلامية ، ولذلك حرصوا كل الحرص على ألا يمكنوا القيادات الربانية من امتلاك نواصي الأمور ، وأزمَّة الحكم في الأمة الإسلامية ؛ ففي خطة لويس التاسع أوصى بـ (عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم بها حاكم صالح) ، كما أوصى بـ (العمل على إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة ، والفساد ، والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة)[(٩٢)].

إن العمل السياسي عندما يكون خالياً من العلماء الربانيين لا تتحقق ثماره المرجوة. إن العلماء الربانيين هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ، والعلماء وهم: أئمة الدين ، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد ، والصبر ، واليقين [السجدة: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ *} [السَّجدَة: ٢٤]

إن العمل السياسي في بلادنا خالٍ من العلماء الربانيين ، وكأن العالم الرباني والعمل السياسي طرفي نقيض ؛ وهذا فهم خاطأى ، بل تاريخ الأمة في صراعها بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والنور والظلام ، لخير دليل على دور العلماء الربانيين في حركة النهوض.

ولابد من التفريق بين العلماء ، والمفكرين ، والمثقفين. إن مفكري الأمة لهم مكانتهم ، وقد نفع الله بهم نفعاً كبيراً ، ولكنهم مع ذلك لن يغنوا عن العلماء شيئاً إلا في حدود علمهم وقدراتهم ، كما إن المثقفين . وهم فئة من الأخيار الصالحين . ذوو تخصصات علمية برزوا فيها ، سواء في العلوم التجريبية ؛ مثل: الطب والهندسة والكيمياء ، أو في العلوم المسماة بـ (العلوم الإنسانية) ؛ مثل: علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع ، فهؤلاء وإن حُمِدَ لهم تخصصهم في مثل هذه العلوم فصاروا مرجعاً فيها ، فإنهم غير مختصين في العلوم الشرعية ، وهم في الاصطلاح العلمي الشرعي جمهور المسلمين وعوامهم الذين يجب عليهم أن يكونوا وراء العلماء ، ويجب عليهم أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة ، ويكونوا عوناً لهم في شرح واقع تخصصاتهم ، فالطبيب يشرح الأمور الطبية ، والاقتصادي يشرح الجوانب الاقتصادية العصرية ، وهكذا ليفهم العلماء والفقهاء الأمور على حقيقتها ، ويستخرجوا الحكم الشرعي وفق دراسة واعية ومتفتحة ، إن كلام المفكرين والمثقفين يجب أن يكون محكوماً بالشرع ، وأما إذا بنى هؤلاء المثقفون والمفكرون كلامهم في أمور الشريعة وأحوال الأمة العامة على أساس من العقول والأهواء ، وإطلاق القول بالمصالح دون نظر في كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأقوال العلماء الراسخين ؛ فإنهم بذلك يكونون أشبه بأهل الكلام[(٩٣)].

ولابد من التفريق بين القارأى للعلوم الشرعية والفقيه فيها؛ إن القارأى لديه نتف وجزئيات أمسك بها من خلال قراءاته لبعض الكتب ، واطلاعه على أقوال أهل العلم فهو لم يعانِ العلم ، ولم يشافه العلماء ، ولم يزاحمهم بالركب في الحلق.

أما العالم الفقيه فليس كأولئك ؛ بل هو ذو فهم شمولي عام للإسلام ، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فهو لم يقرأ نتفاً، بل درس العلوم الشرعية دراسة شاملة عامة.

فمر على مسائل العلم ، واستطاع تخريجها على أصولها ، وأصبحت لديه ملكة فهم النصوص ، وعرف مقاصد الشريعة ، وأهدافها العامة.

إن علمه لم يأتِهِ من قراءة ليلة ، بل من سهر الليالي ومعاناة الأيام ، فشأن العلماء

أنهم لا يقفون عند حد في التعليم ، بل هم دائمو الطلب ، دائبو التعلم[(٩٤)].

ولابد من التفريق بين العلماء والخطباء والوعاظ ؛ إن العالم قد يكون بطبعه قليل الكلام غير قادر على الخطابة ، وقد يكون من العوام من هو بليغ اللسان يقلب الألفاظ كيف يشاء.

هذا التفريق مهم جداً فيما بين العلماء الراسخين وممن يشتبه بهم ، ولذلك لابد أن يقود العمل الإسلامي القادة الربانيون ؛ وعلى رأسهم العلماء الراسخون.

إن الشريعة الإسلامية أعطت اعتباراً للعلماء ، وبنته على أمرين مهمين:

١ ـ أنَّ طاعتهم طاعة لله ـ عز وجل ـ ولرسوله (ص) ، فالتزام أمرهم واجب.

٢ ـ أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها ، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله (ص).

والأدلة على هذه المنزلة ، وهذا الاعتبار للعلماء في الشريعة غير منحصرة ، فمنها: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النِّسَاء: ٥٩]

[النساء: ٥٩].

وقد اختلف المفسرون في أولي الأمر منهم على أقوال:

فقيل: هم السلاطين وذوو القدرة.

وقيل: هم أهل العلم.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: ((والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم ، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول (ص) ؛ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء ، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي

العلماء والأمراء ، وكان الناس لهم تبعاً ، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين ، وفساده بفسادهما))[(٩٥)].

إن وضع الثقة في العلماء الربانيين لخطوة مباركة في ترشيد الأمة التي تسعى نحو تحكيم شرع الله والتمكين لدينه.

إن القيادة الربانية ، والتي على رأسها العلماء الذين وصلوا إلى درجة النظر في فقه الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، هم الذين يجب أن يقودوا الأمة نحو مرضاةِ الله.

إن أعداءنا من اليهود ، والنصارى ، والملاحدة ، والعلمانيين ، أيقنوا أن من أسباب قوة المسلمين التفافهم حول علمائهم وقادتهم ، ولذلك شنوا هجوماً عنيفاً من أجل زعزعة ثقة الأمة في علمائها وقادتها ، واستعملوا أساليب متنوعة للتشويه والطعن فيهم؛ لأن العلماء هم الوصلة الحقيقية بين الأمة وقرانها وسنة نبيها (ص).

وقد لاحظ الاستعمار الأوروبي الحديث ذلك ، وما الثورات التي فُجرت في وجه الاستعمار إلا بقيادة العلماء ، والقادة الربانيين ، من المغرب إلى المشرق ، وفي كل ديار المسلمين ؛ ولذلك قام اليهود ، والنصارى ، والملاحدة بتشويه صورة القادة والعلماء بوساطة المسرح ، والتلفاز ، والمجلة ، والجريدة ، والنوادي ، والغناء ، وكل وسائل الإعلام ، وإذا أردت أن تعرف هجومهم الإعلامي ابتداء من العقود الماضية ، فلتراجع كتاب (المشايخ والاستعمار) للأستاذ حسني عثمان ، فإنه أجاد.

إن القيادة الحكيمة وهي تسعى لتحكيم شرع الله تعالى ، وإقامة دولة الإسلام توقن إيقاناً جازماً أن المجتمع لن يكون إسلامياً بجَرَّةِ قلم ، أو بقرار يصدر من ملك ، أو رئيس ، أو مجلس قيادة ، أو برلمان ، إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج ، والإعداد ، والتهيئة الفكرية ، والنفسية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، وإقامة البدائل الإسلامية للأوضاع الجاهلية التي تأسست عليها مؤسسات عدة لأزمنة مديدة.

فهي تعين الهدف ، وتضع الخطة ، وتحدد المراحل بوعي وصدق ، بحيث تنتقل من مرحلة إلى مرحلة بتخطيط ، وتنظيم ، وإرادة قوية ، معتمدة على الله تعالى ؛ حتى تصل المسيرة إلى مرحلة النهوض الشامل لدولة الإسلام المنشودة.

إن القيادة الربانية الحكيمة ، والتي تسعى لتحكيم شرع الله تعطي للعلوم بأنواعها أهمية ، وخصوصاً في علوم الشرع ، وتركِّز على علم المقاصد ، وفقه الموازنات ، وفقه الخلاف ، وفقه الأولويات ، وفقه السنن الربانية ، لأهميتها في زماننا هذا؛ بل

هي من أفضل العدة بعد تقوى الله تعالى للعاملين من أجل تحكيم شرع الله[(٩٦)].

إن القيادة الربانية الحكيمة هي التي تفجر طاقات الأمة ، وهي التي تحتضن الإسلام وتنتهجه قلباً وقالباً، وعقيدة وشريعة، وديناً ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهمُّها عقيدتها وأمتها ، وهي التي تسعى بكل ما تملك لحل المشاكل التي تواجهها ، وتعمل بكل جهد وإخلاص للقضاء على عوائق النهوض الداخلية والخارجية.

إن العمل لبناء الأمة وإحياء الشعوب يحتاج لمعرفة بالسياسة الشرعية ، وأمور الجهاد ، والهدنة ، والمصالح والمفاسد ، وغير ذلك من الأحكام التي تتناول مظاهر الحياة ، وهذه العلوم من لها إن لم يكن العلماء الربانيون لها؟!

رابعاً: قسم الجمهورية والبلاغات:

لم يستطع بعض أعضاء مجلس الشورى الاجتماع ، بل كان بعضهم غائباً ، وإنما انتخب توزيعاً للمسؤولية وتحقيقاً للمساواة والوحدة بين جميع القبائل.

وقبل الانصراف من المسجد أقسم الحاضرون جميعاً يمين الولاء والإخلاص للجمهورية ، وتوكيداً لليمين أحضروا مصحفاً ، وكل من أراد اليمين وضع يده عليه ؛ وهذا نص اليمين:

((أقسم بالله العظيم قابضاً بيدي على هذا القران الكريم: أن أجعل نفسي ومالي فداء لوطني ، وحكومتي الجمهورية الطرابلسية ، وأن أكون لعدوها عدواً ولصديقها صديقاً ، ولقانونها الشرعي مطيعاً))[(٩٧)].

ثم وزع الأمير عثمان بعض النياشين والرتب على أعضاء الجمهورية وكثير من الأعيان والوجهاء. ومن هذا التاريخ أصبحت الحكومة الجمهورية الطرابلسية قائمة ، وأصبح لها عهد في عنق كل طرابلسي يحميها مما يحمي منه نفسه وماله ، وأصبح واجباً عليه الالتزامُ بما أقسم عليه من الولاء والإخلاص[(٩٨)].

أ - بلاغات الجمهورية:

وكان أول ما قام به مجلس الإدارة من الأعمال أنه أذاع بلاغه الأول ، على أبناء الشعب الطرابلسي ، عن قيام الجمهورية الطرابلسية ، وذيّل بتوقيعات الأعضاء الأربعة بمجلس الإدارة ، وكان هذا نصه:

((بسم الله الرحمن الرحيم.

في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك ، الثالث عشر من شهر رمضان سنة (١٣٣٧ هـ) ، قررت الأمة تتويج استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية باتفاق اراء علمائها الأجلاء ، وأشرافها ، وأعيانها ، ورؤوساء المجاهدين المحترمين ، الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد ، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية ، وإن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها ، الذي اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها ، منذ سبع سنين ، وسعيدة بالوصول إلى هذه الغاية التي هي أشرف ما تصل إليه الأمم ، وتهنأى أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم ، على الثبات في الدفاع عن وطنهم وحكومة الجمهورية الجديدة ، والتوفيق من الله تعالى وحده)).

١٣ صفر سنة (١٣٣٧ هـ)

سليمان الباروني ، أحمد المريض ، رمضان الشتيوي ، عبد النبي بالخير[(٩٩)].

وفي أثناء إعلانات البلاغات السياسية عن الجمهورية، كانوا قد اختاروا المتصرفين والقائم مقامين ، ونقل بعضهم ، وعُيِّن موظفو المناطق، وعين الموظفون للعمل بمجالس الجمهورية ، كما عين لقيادة الجيش الجمهوري اللواء الفخري عبد القادر الغناي وهو من بنغازي ، ولكنه لم يكن من المقدرة القتالية المطلوبة ، وبلغ من ضعفه أنه سلم الزاوية الغربية للطليان في أول يناير (١٩١٩ م)[(١٠٠)].

ب ـ البلاغ الثاني:

كان البلاغ الثاني إلى الضباط الوطنيين:

((إلى حضرة.... الوطني.

بما أن جنابك وطني صادق ، ومجاهد في سبيل الدين والوطن منذ ابتداء الحرب الطرابلسية ؛ فإننا ندعوك إلى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة ، والقيام بما نقلدك إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن حتى تنال منها شرف الاحترام والترفيع ، وتبرهن للعالم أنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ لهم التاريخ ذكرهم المجيد))[(١٠١)].

ج ـ البلاغ الثالث إلى رئيس الحكومة الإيطالية:

((تفتخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري ، وانتخاب نواب عنها من كافة أنحاء القطر لمجلسي الحكومة والشورى ، ولا هدف لها إلا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة ، ولا تقصد إلا أن يعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الأمم التي لا تحاول غصب

حقوقها ؛ لذلك فالحكومة الجمهورية الطرابلسية تدعو الحكومة الإيطالية إلى الاعتراف بها ، وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية إلى مداومة الحرب إلى أن تحقق أملها المشروع))(١).

١٣ صفر سنة (١٣٣٧ هـ)

ملحق:

إذا قبلت المواد الاتية ووضعت موضع الإجراء ؛ فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الإيطالية في عقد صلح طبقاً للقواعد الاتية:

١ . في حالة دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة.

٢ . لا تقرب السفن الحربية السواحل غير المحتلة بالعساكر الإيطالية.

٣ . لا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات.

٤ . لا تقع مخابرة خصوصية مع أي أحد كان ؛ لا من جهة المناطق الحربية ، ولا من غيرها.

٥ . يقطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالأهالي من طرف الحكومة الإيطالية ؛ كأخذ وإعطاء البضاعة ، وتوزيع الإعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت.

٦ . المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون إلا من الموقع الذي يصير تعيينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية.

٧ . الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شؤونها وحركاتها تمام الاستقلال ، وغير مقيدة بأي شرط أو قيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به لحكومة إيطالية في طرابلس.

٨ . ضباط الترك والألمان الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية ، ولا تسمح بسفرهم إلا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية.

٩ . بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار حقوقها للعالم الإنساني ؛ وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس ؛ مثل: إنكلترة ، وفرنسة ، وأمريكة ؛ فعلى الحكومة الإيطالية قبول وتوصيل ما يرسل من الحكومة الطرابلسية إليها دون اطلاع عليه ، وأخذ سندات من القناصل المذكورين ، وإرسالها إلى الحكومة الطرابلسية حتى لا تضطر إلى اتخاذ طريقة أخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة.

١٠ . المخابرة مع الحكومة الإيطالية لا تجوز إلا تحريراً، ولا يعتبر أي كلام شفهي[(١٠٢)].

١٣ صفر سنة (١٣٣٧ هـ)

الإمضاءات

د ـ البلاغ الرابع: إلى الرئيس ولسن:

((نتشرف بأن نعرض على فخامتكم أن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها حكومة وجمهورية ، وفي (١٦ نوفمبر ١٩١٨ م) تم انتخاب مجلس شوراها ، ومجلس جمهوريتها.

إن قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقدرات جميع الأمم ؛ سواء كانت في أوروبة أو خارجها قد شجعتنا كثيراً على أن نضع امالنا في مقاصدكم العظيمة ، ونواياكم العالمية الإنسانية.

إنه ليس هناك حد للحقوق والواجبات البشرية ؛ لذلك فإننا متأكدون من أنه لا يمكنكم أن تنظروا بعدم الاكتراث إلى استعباد أمة صغيرة بقوة السلاح مثل أمة طرابلس ، وهي تقاتل لثامن سنة ضد الغاصب المعتدي بكل متانة ، وهي متأكدة من أن بسالة أبنائها قادرة على أن ترد قوات المعتدين عليها في كل زمان.

وإننا نؤمل أن عواطفكم السامية نحو الحكومات والأمم الصغيرة الحية ستحثكم على أن تمنعوا تكرار سفك الدماء بيننا وبين الطليان ؛ بتكليفهم بالاعتراف بحكومتنا.

وفي الختام نرجو قبول احترامنا ، ووضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومي)).

هـ البلاغ الخامس: إلى رئيس الوزراء الإنكليزي:

((نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكومة الجمهورية. وفي (١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ م) أعلنت نتيجة انتخابات مجلسي شوراها ومجلس جمهوريتها.

ليس بين الأمم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التي تقاتل إلى الان ثماني سنوات ضد غاصب أرضها وحريتها ، وإننا لا شك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة ، كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة. وإننا نؤكد لكم أيضاً أن قومنا وضعوا جلَّ امالهم في إنكلترة حامية حقوق الأمم الصغيرة ، فرجاؤنا أن تتفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا ما يضمن لها مستقبلها. والمرجو قبول عظيم احترامنا))[(١٠٣)].

و ـ البلاغ السادس: إلى رئيس الجمهورية الفرنسية:

((نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري. وفي (١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ م) أعلنت نتيجة انتخاب مجلسي الجمهورية والشورى.

إن ما قامت به فرنسة الحرة من نشر إعلان الحرية في العالم ، وتكبدها كل الصعوبات في سبيل حمايتها لا يجهله أحد ، وإنه لمكتوب على صفحات القلوب بمداد الحياة ، تتغذى به أرواح الأحرار في كل الأقطار ، لا ينسخه توالي الدهور ولا تمحوه زلازل الحروب.

إن من قام في هذا العصر بطلب حريته سواء كان بسيفه أو قلمه فإنما هو مستمد من منبع الحرية الزلال ، ومقتبس من سناها الساطع ، ومغترف من بحرها الطافي ، ومستخرج من معدنها الصافي (قاعدة فرنسة الحرة) ، فلا عجب إذا قامت الان فرنسة لحماية الأمم الصغيرة ، كأمة طرابلس الغرب التي ما برحت تريق دماء أبنائها منذ سبع سنين وزيادة في سبيل نيل حريتها واستقلالها ، ورد جيوش إيطالية الغاصبة لأرضها المعتدية على شرفها.

إن الأمة الطرابلسية التي لا تجهل تاريخ فخرها القديم لم ترضَ أن تساق الان بعصا الذل والهوان ، وأن تستعبد في زمن مادت فيه الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بالحروب الهائلة لأجل تحرير بني الإنسان.

إن كل من يتتبع التاريخ بإنصاف يجد أن الأمة الطرابلسية لم تملكها دولة من الدول ، كما تملك البلاد ملكاً مطلقاً ، بل لم تزل منذ خلقت أو عرفت بين الأمم في مناضلة كل من يقصد استعبادها ؛ سواء كان من الدول الإسلامية أو المسيحية ، وكانت ولا تزال تفضل الجلاء وسكنى القفار على تحمُّل الضيم والاحتقار.

وها هي أطلال بلادهم الخالية بادية ، وأنسابها المنتشرة شرقاً وغرباً شاهدة؛ فعسى أن تعلم الأمة الإيطالية أن وراء استعبادها الان ضرب من طلب المستحيل ، ولو راجعت تاريخ أجدادها المحدثين وأجدادها القدماء لرأت فيه ما يصدها الان عن سفك الدماء.

لذلك تؤمل حكومة طرابلس الجديدة من جارتها الجمهورية الفرنسية أن تنظر إلى المسألة الطرابلسية بنظرة الاهتمام والاعتبار ، وأن تعنى بوضعها على بساط مذكرات الصلح العمومي ، وأن تقنع حليفة ألمانية القديمة وحليفتها هي الان حكومة إيطالية بالاعتراف بحقنا المشروع ؛ حتى يقف تيار إراقة الدماء بين الأمتين ، وتستريح البلاد

واجبات ثقيلة ، في مقابل ممارسة الحرية بمفهومها الحديث))[(١٠٤)].

خامساً: القواعد الأساسية للقانون:

والقانون الأساسي أو الدستور ؛ اشتمل على أربعين فصلاً ، ولكن قواعده الأساسية ارتكزت في ١٦ مادة منه ، ونصها حرفياً كما يأتي:

١ . تسمى الحكومة (حكومة طرابلس الغرب).

٢ . يدير أمور قطر طرابلس مجلس حكومة ، مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين أعضائه ، ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام.

٣ . يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطات الملكية والعسكرية ، معين من جانب ملك إيطالية (لم يحدد القانون جنسية الحاكم ؛ فقد يكون عربياً وقد يكون إيطالية).

٤ . يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي ، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق ، وتكون مدته أربع سنوات ، كلما جدد انتخابه ، جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه.

٥ . لا تنفق ضرائب البلاد إلا فيها ، حسبما يقرره مجلس نوابها في وصفها وتوزيعها وجبايتها.

٦ . لا يطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي. ويوافق عليه لمصلحة البلاد.

٧ . ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع ، حسبما تقتضيه الحاجة ؛ وقائده هو الحاكم العام.

٨ . للوطنيين حق التوظف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها ؛ بالامتحان.

٩ . التعليم الأهلي حر تحت إشراف الحكومة.

١٠ . اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية.

١١ . ينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات.

١٢ . يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية ، وهو يعين القضاة.

١٣ . للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية ، الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب والمحاماة وغيرها في إيطالية ، كما هو في طرابلس.

١٤ . الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق.

١٥ . الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية.

١٦ . تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق.

وختمت مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفاً وأربعين فصلاً بتوقيعات الاتي أسماؤهم:

عن الطرابلسيين: سليمان الباروني ، أحمد المريض ، رمضان الشتيوي ، أحمد الصويعي نيابة عن عبد النبي بالخير.

وعن الطليان: الجنرال ماجور تارديتي ، رئيس الدائرة السياسية ، الجنرال باسكانو رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي[(١٠٥)].

كانت إيطالية تريد تخدير الرأي العام في إيطالية الذي سئم من الحروب وويلاتها ، وأصبح الشعب بعد خروجه من الحرب العالمية الأولى محطم القوى ، مهيض الجناح ، لما تكبده من خسائر فادحة في إمكاناته الحربية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، مما جعل الرأي العام ينادي بنبذ الحروب ، والاستعمار ، وتزعم الحزب الاشتراكي الإيطالي هذه الدعوة ، وعارض الحكومة في البرلمان.

وكانت الحكومة الإيطالية موطدة العزم سراً على نقض العمل بالقانون الأساسي ، ببثِّ الدسائس والفتن بين الزعماء في الظروف المناسبة لذلك ، ثم إخضاع البلاد لحكمها والقضاء على الجمهورية[(١٠٦)].

كان مما جاء في القانون الأساسي: الاعتراف بحكومة وطنية مقرها مدينة طرابلس ، وقد شكلت من ثمانية أعضاء ، وصدر أمر من الوالي الإيطالي بتعيينهم ، وهذا نصه:

((إن والي طرابلس بعد اطلاعه على فصل ٢٣ ، ٢٤ من قانون أساسي القطر الطرابلسي الصادر بتاريخ أول جونيو سنة (١٩١٩ م) عدد ٩٣١ ، وبما أنه في التحرير المؤرخ ٣ سبتمبر الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء في مجلس الحكومة. وأن هؤلاء الثمانية قد صار تقديمهم علناً بمراسم احتفالية إلى الوالي من طرف رمضان بك شتيوي ؛ الذي كان برفقته جمع كثير من رؤساء وأعيان القطر الطرابلسي ، وحيث إنه من التحرير والمبحوث ومن الاحتفال الواقع تحقق أن العرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة ؛ يأمر بما يأتي:

إن الذوات الاتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي.

عمر بك أبو دبوس.   أحمد بك شتيوي.

علي بك الشنطة.   أحمد بك الفسّاطوي.

محمد الصويعي بك.   الحاج محمد فكيني بك.

محمد بك ابن الفقيه حسن.

وسيصير تعيين مخصصاتهم بأمر اخر))[(١٠٧)].

حرر بطرابلس في ٤ ديسمبر سنة (١٩١٩)م.

صورة مطابقة للأصل الوالي

صار الاطلاع عليه كاتب الوالي الولي

الوالي طابع الحكومة الإمضاء: متير نيجر

طابع الحكومة

واجتمع مجلس الحكومة في مدينة طرابلس ، وصارت مراكز القطر كلها مربوطة به ، وحاولت هيئة الحكومة أن تباشر أعمالها في دائرة سلطاتها ، ولكن الطليان سرعان ما شرعوا في الدسائس ، وظهرت بوادر تشير إلى عزمهم على عدم الوفاء للطرابلسيين بالحقوق التي اعترفت لهم بها في القانون الأساسي ، ودليل ذلك:

١ ـ أنه على الرغم من مطالبة الزعماء لهم بأن يخصصوا مكاناً للمجلس النيابي ، واخر لمحل الحكومة الوطنية ، فإنهم صاروا يسوفون لاستجابته بأقوال وأعذار كاذبة.

٢ ـ بينما أصرَّ الأعضاء العرب في مقابلة الوالي ، بأن تكون أصوات نوابهم في المجلس النيابي قرارية ؛ حسب المادة (١٥) من القانون الأساسي ، إذ الوالي يرفض التسليم لهم بهذا الرأي ، ويعتبر أصواتهم فيه استشارية ، ومعنى هذا أنه غير ملزم بتنفيذها ، ولما استقال أربعة أعضاء من الحكومة الوطنية ؛ وهم: (مختار كعبار ، أحمد الشتيوي ، عمر أبو دبوس ، محمد الفقيه حسن) ، احتجاجاً على اعتبار أصوات النواب استشارية لا قرارية ، وجد الطليان استقالتهم فرصة ذهبية لإلغاء عضوية الأربعة الاخرين ؛ رغم رضا هؤلاء بأن تكون أصواتهم استشارية.

٣ ـ لما رأوا الجيش الوطني قد تمركز مع رمضان في سواني المشاشطة ، لكي يتخلصوا من مقاومته لهم في المستقبل ، بذلوا كل مساعيهم وجهودهم بواسطة عملائهم ، لإغرائه بالانضمام إلى الجيش الإيطالي ، ونزوله معه بثكناته في المدينة ، بزعم أن القانون الأساسي وحَّد بين الطرفين: العربي والإيطالي في كل الأمور[(١٠٨)].

سادساً: حزب الإصلاح وجريدة اللواء:

في ٣٠ سبتمبر سنة (١٩١٩ م) أعلن الطرابلسيون رسمياً عن تأسيس حزب الإصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد ، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي ، وأسندوا رياسته إلى أحمد بك المريض ، ورياسة

شرفه إلى رمضان بك ، وكان من أعضاء هذا الحزب النشيطين عبد الرحمن عزام ، وخالد القرقني ، وعثمان الغرياني

مدير جريدة (اللواء الطرابلسي) ، وكانت أهم مبادأى الحزب:

١ . المحافظة على حقوق الطرابلسيين الواردة في القانون الأساسي كاملة.

٢ . التعجيل بتنفيذ القانون الأساسي ، خصوصاً ما يتعلق بالإصلاح ، وما ينص على تدريب الطرابلسيين على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريتهم في أقرب وقت.

٣ . تحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح.

٤ . نشر التعليم بكل الوسائل ، مع المحافظة على العادات الإسلامية ، لتدعيم الأخلاق العربية.

٥ . بذل العناية لإصلاح الحالة الاقتصادية ، وتوزيع الثروة الوطنية على أساس عادل.

وأنشؤوا جريدة اللواء الطرابلسي لتكون لسان حاله ، وكان الحزب يستمد قوته من الشعب ، واستندت الحكومة الوطنية على الحزب في تأييدها وإقناع الطليان بمطالبها ، وأبدى الطليان مراوغة في انتخاب مجلس النواب الذي ينص عليه القانون الأساسي ، فكان حزب الإصلاح الوطني يطالب بتنفيذه ، وكانت جريدة اللواء الطرابلسي تشير إلى هذا المعنى في جرأة وشجاعة فائقة ، فكانت الحكومة الوطنية ، والحزب الوطني والجيش الوطني يؤيد بعضها بعضاً في المطالبة بحقوق الأمة ، وإلزام الطليان بتنفيذ القانون الأساسي ، ورأى الطليان خطورة الموقف ، فعملوا على إفساد هذا الصلح[(١٠٩)] ، وشرع الوالي الإيطالي وأعوانه يبذرون بذور الشقاق بين الزعماء ، ويديرون حملة عدائية ضد القادة ، ويحركون كوامن الحقد والعداء[(١١٠)].

يقول الأستاذ التليسي عن تلك الفترة: ((ففي مجال العمل السياسي: عملت إيطالية على إثارة الفتنة والانشقاق والانقسام بين صفوف الزعماء ، وسعت إلى استمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الأخرى ، وكان أهم ما توخته في هذه الفترة العمل على إحداث انقسام بين مصراتة وورفلة ، وبين ترهونة ومصراتة ، ثم

بين زعماء الجبل الغربي ، ولا مناص من الاعتراف بأن السياسة الإيطالية التي فشلت عسكرياً في هذه المرحلة التي أعقبت القرضابية قد نجحت نجاحاً كبيراً في إحداث الصدع بين الصفوف ، بحيث لم تستأنف العمليات في عهد (فولبي) إلا بعد أن أوجدت من ذلك الانقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها))[(١١١)].

لقد انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة، وبين البدو والحضر من جهة أخرى ، وبين سكان البلدان المجاورة أيضاً ، واشتغل بعض الزعماء المخلصين بإخماد نار الفتن ، ومحاولة رتق الفتوق في كل جهة ، ولكن الخروق اتسعت على الراقع ، وكلما حاول دعاة الإصلاح إطفاء نار الفتنة من جهة أوقد الإيطاليون ناراً أخرى من جهة أخرى، ونفخوا في جمرها من جديد[(١١٢)].

وكانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر ؛ فقدت بها طرابلس من أبنائها ما لا يعلم عددهُ إلا الله ، ووقعت الحرب الأولى بينهم (١٩١٦ م) ، وخلفت من الضغائن بين الفريقين ما كان سبباً من أكبر الأسباب في الحرب الثانية التي دارت رحاها في سنتي (١٩٢٠ م ، ١٩٢١ م)[(١١٣)].

استغلَّ الإيطاليون ذلك الصراع ، وتلك الفتن ، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين ، فاحتلوا يفرن في ٣١ أكتوبر سنة (١٩٢٢ م) ، وكان معهم من الليبيين العملاء الذين انضموا إلى الجيش الإيطالي عدد كبير ، وفي ١٧ نوفمبر (١٩٢٢ م) احتلت غريان ؛ وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية ، وانتهى الصراع بين مصراتة وورفلة بمقتل رمضان السويحلي في عام (١٩٢٠م) ؛ لقد كانت فترة ما بعد صلح بنيادم (١٩١٩ م) من أتعس الفترات التي مر بها التاريخ الليبي المعاصر ، فترة سواد يتحاشى المؤرخ الحديث عنها.

لم تستطع الحكومة الوطنية التي تكونت بعد الصلح ، أن تصنع شيئاً ، وكل ما تقرره لا ينفذ؛ لأن الزعامات كانت تتناحر داخلها ، وذلك لا يستغرب من حكومة في جمهورية لها أربعة رؤساء.

وهكذا ولدت الجمهورية وفي جسمها جراثيم هلاكها ، إذ إن جمهورية يحكمها أربعة ، لابد أن تغرق سفينتها بمجرد إقلاعها من الشاطأى ، فتعدد الربابنة مدعاة لإغراق السفينة[(١١٤)].

وقد صور الأستاذ خليفة التليسي تلك الفترة المظلمة فقال: ((يلاحظ أن هيئة الإصلاح المركزية لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة ، وأن كثيراً من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفوذها ، كما أن بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفها الفردي ، وكانت تستقل في كثير من الحالات بتقدير الوضع السياسي على أساس جهوي ، وبما تقتضيه مصلحة منطقتها ، أو مقاطعتها ، وأحياناً قبيلتها وعشيرتها ، مما انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية الملزمة بالموقف الموحد ، خاصة في هذا الظرف العسير ، بحيث يعد الخروج عليه أو التخاذل عنه خيانة تحسب على الخارج أو المتخاذل ، وكانت هذه هي

الثغرات التي نفذ منها الإيطاليون واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال ، وقد فطن الوطنيون إلى الخطرالكامن وراء انعدام توحد القيادة ، ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان ، وقد نتج عن ذلك تعدد في المواقف ، واختلاف في وجهات النظر ، وترك الأمر للاجتهاد الخاص ، يحدد الموقف ويرسم الطريق ، فرأينا بعض الزعماء يعارضون . عن اجتهاد خاص . المقاومة المسلحة لإيطالية عقب نزولها بقصر أحمد ، ورأينا اخرين يقفون على الحياد ، كأن الأمر لا يتصل بهم من قريب أو بعيد ، ورأينا بعضهم يتشبث بأن يكون صاحب الكلمة النهائية في إبرام الهدنة ، نظراً لأن الاعتداء واقع على أرضه (بالمعنى الجهوي) ، وهكذا تحددت مواقف الزعماء في تاريخنا في كثير من الحالات على أساس جهوي ، وكان لكل جهة صاحبٌ يتولى أمرها ، ويقرر مصيرها ، ويحدد موقفها ، وانعدام القاعدة السياسية قد عرض مواقف الزعماء وشخصياتهم لكثير من الخلخلة والاهتزازات))[(١١٥)].

سابعاً: مؤتمر غريان:

بعد التطورات الخطيرة ، والانشقاقات العظيمة ، التي وقعت بين الزعماء ، رأى

عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر عام ليتدارسوا الأوضاع الراهنة ، ويتخذوا حيالها موقفاً مشتركاً.

اجتمع المؤتمر في شهر ربيع الأول (١٣٣٩ هـ) ، نوفمبر سنة (١٩٢٠ م) بعد أن اختار كل بلد من يمثله ، ما عدا بلاد البربر ، وأسفرت النتيجة عن انتخاب:

أحمد بك المريضرئيساً

الأستاذ عبد الرحمن بك عزاممستشاراً

محمد بك فرحانعضواً

الصادق بك الحاجعضواً

عمر أبو دبوسعضواً

صالح بن سلطانعضواً

التهامي قليصةعضواً

الشيخ أحمد الرحيبيعضواً

العيساوي بوخنجرعضواً

محمد التايبعضواً

عثمان القيزانيعضواً

علي بن تنتوش عضواً

مختار كعبارعضواً

عبد الرحمن زبيدةعضواً

الحاج محمد بن عمرعضواً

عبد السلام الجدايميعضواً

نوري السعداويعضواً

بشير السعداويعضواً

حسين بن جابرعضواً

سالم البحباحعضواً

الصويعي الخيتونيعضواً

وقد اختار المؤتمرون أحمد بك رئيساً للمؤتمر ، وكانت الظروف إذ ذاك تتطلب ذلك ، فرمضان السويحلي قتل ، وسليمان الباروني امتنع عن الحضور؛ لأنه كان

متأثِّراً بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر ، وأرسل إليه أحمد بك المريض بعد انتخابه رئيساً للمؤتمر بأنه مستعد للتنازل له عن الرياسة ، فأبى ، وحاول المؤتمر إقناعه فامتنع ، واستمر المؤتمر في أعماله الوطنية ، وامتنع عبد النبي بالخير عن الحضور بسبب مقتله لرمضان السويحلي ، ومثل أرفلة عبد الرحمن زبيدة ومحمد العيساوي[(١١٦)] ، وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته قراراً هذا نصه: ((إن الحالة التي الت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحقق الشرع الإسلامي ، بزعامة مسلم ينتخب من الأمة ، ولا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب ، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها ، بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها ، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة))[(١١٧)].

وانفضَّ المؤتمر ، وأبلغ قراراته إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس ، وقرر إرسال وفد إلى روما ليطالب بتنفيذ قراراته.

وكان الوفد يتكون من: محمد بك فرحات الزاوي رئيساً ، ومحمد نوري السعداوي ، والصادق بن الحاج ، وخالد القرقني ، وعبد السلام البوصيري.

واستطاع هذا الوفد أن يتصل برؤساء الأحزاب في إيطالية ومحرري الجرائد ، وتمكن من إعلان قضيته في بعض الجرائد ، وامتنعت الحكومة ، وأصحاب القرار عن الاجتماع بهم ، وقام والي طرابلس بإرسال وفد ليبي مناهض لوفد غريان ، وأسفرت نتيجة الوفد الوطني عن الرجوع بخفي حنين ، وتأزم الموقف بعد رجوع الوفد ، وقام الطليان بنشاط عسكري ، لمقاومة الروح الوطنية ، واعتقلوا أناساً من حزب الإصلاح الوطني[(١١٨)].

كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ،

وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين استمر لمدة خمس سنوات ، وترتب على ذلك تعدٍّ على الأموال والأشخاص[(١١٩)].

وكان عقلاء طرابلس وبرقة لا ترضيهم تلك الحالة المزرية التي لا يرضى عنها عقل ، ولا شرع ، ولا عرف ، وبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد إدريس السنوسي ، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية ، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد إدريس، وترتب بعد ذلك اجتماع سرت العظيم[(١٢٠)].

ثامناً: اجتماع سرت:

اجتمع الوفدان الطرابلسي والبرقاوي في سرت ، وكان يمثل الوفد الطرابلسي كل من أحمد بك السويحلي ، وعبد الرحمن بك عزام ، وعمر أبو دبوس ، ومحمد نوري السعداوي ، والشتيوي بن سالم ، والصويعي الخيتوني ، والحاج صالح بن سلطان ، ويمثل برقة كل من: الشيخ صالح الأطيوش ، والشيخ نصر الأعمى ، والشيخ خالد القيصة ، والشيخ صالح السنوسي بن عبد الهادي البرّاني ، وشرع المجتمعون في استعراض الحال التي وصلت إليها البلاد ، ومعالجة أسباب الخلاف وخرجوا بهذه القرارات التي اتفق عليها ممثلو طرابلس وبرقة.

((الحمد لله المبدأى المعيد ، الفعال لما يريد ، ألف بين قلوب المسلمين ، وجعلهم خير أمة للعالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء ، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء ، وبعد: فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة ، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الاتية المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء:

١ . يجب أن نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين.

٢ . يجب أن يكون عدونا واحداً وصديقنا واحداً.

٣ . إن كافة ما وقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به أحدٌ الاخر إلى أن تستقر الحالة في الوطن ، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المسامحة بين العربان ، ومن يتعدى بعد الان فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق.

٤ .كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الأجنبية ، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية.

٥ . يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضي توحيد الزعامة على البلاد ، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.

٦ . يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة ، وأن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة.

٧ . متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين لوضع القانون الأساسي والنظم اللازمة لإدارة البلاد ، وقبل ذلك ، وتمهيداً لهذه الأعمال ، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوباً للبلدين لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن.

٨ . يتعهد الطرفان بألا يعترفوا للعدو بسلطة ، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتحصِّن بها الان ، وفي حالة وقوع حرب يتضافر الفريقان على حرب العدو ، وألا يُعقد صلحٌ أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.

٩ . إذا خرج العدو من حصونه مهاجماً جهة من الجهات ، وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجَم بالمهمات الحربية والمال والرجال ، وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز ، وإذا لم يكفَّ تهاجمه هي بدورها.

١٠ . تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة في شهر المحرم ورجب للنظر في مصالح البلاد.

١١ . يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.

١٢ . مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين ، وتأييد هذه الاتفاقية[(١٢١)].

قصر سرت في يوم السبت ٢٢ جماد الأولى سنة (١٣٤٠ هـ) ، ٢١ يناير سنة (١٩٢٢ م))).

كانت الحكومة الإيطالية تتابع الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس ، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة ما لا تحمد عقباه ، فقرر وولبي احتلال مصراتة قبل أن يصل الليبيون إلى نتيجة في مؤتمر سرت ، واستطاع الطليان أن يحتلوا قصر حمد ، وبدأ الجهاد من جديد ، وأراد الطليان أن يخدعوا المجاهدين ودعوا إلى عقد المفاوضات في فندق الشريف لكسب الوقت وإعداد العدة ، وانتظار المدد من إيطالية ، واستمرت المفاوضات ، واتضح للمجاهدين أن الطليان عازمون على الحرب ، وانقطعت المفاوضات في يوم ١٠ أبريل سنة (١٩٢٢ م) ، واستعد كل من الطرفين لما تتمخض عنه الأيام المقبلة.

وكان من أقوى العوامل التي جعلت والي طرابلس وولبي يتشدد مع المجاهدين ويرفض مطالبهم ظهور الفاشستية في إيطالية ، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطالية[(١٢٢)].

وكان من مبادئهم المنحرفة الوصول إلى أغراضهم بكل وسيلة ، ولا يجدون في نفوسهم غضاضة إذا كانت أعمالهم مخالفة للإنسانية أو للحقوق العامة متى كان فيها مصلحة لهم أو لبلادهم ، ولا يستحيون من أن يعلنوا صراحة بأنهم لا يعرفون الحرية ، ولا يقدسون الحقوق العامة ، ولا يحترمون العهود متى كان ذلك ضرورياً لمصلحة إيطالية[(١٢٣)].

يقول شكيب أرسلان: ((لموسوليني خطب كثيرة وكتابات بتوقيعه ؛ تؤخذ منها هذه المقاصد بدون إشكال ، فلهذا لم تبق في إيطالية لا حرية قول ، ولا حرية
كتابة ، وكل شيء يصادم إرادة الفاشست فهو ممنوع))[(١٢٤)].

بعد انقطاع مفاوضات فندق الشريف في ١٠ أبريل سنة (١٩٢٢ م) استؤنفت الحرب من جديد ، وأصبح الطليان يتوغَّلون في طرابلس ، والمجاهدون يتراجعون أمام هجماتهم الشرسة.

فرأى الطرابلسيون إرسال وفد إلى الأمير محمد إدريس ليبايعوه بالإمارة تنفيذاً لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في فندق الشريف ، وكان ذلك الوفد يتألف من الشيخ محمد بن حسن ، والشيخ محمود المسلاتي ، والشيخ طاهر الزاوي ، ووصل الوفد إجدابية في شوال عام (١٣٤٠ هـ) ، وقابل الأمير محمد إدريس ، وأبلغه الوفد هدفه الذي جاء من أجله ، فاعتذر عن الذهاب إلى طرابلس لشدة الحر ، وانحراف صحته ، ووعد بالسفر عندما تتحسن صحته[(١٢٥)].

وحرصت إيطالية أن تستشف ما وصل إليه زعماء برقة وطرابلس ، فأرسلت أمندولا وزير المستعمرات الإيطالية للدخول في مباحثات مع الأمير إدريس ، واشترط الإيطاليون قبل الدخول في المباحثات أن

يغادر بشير السعداوي ممثل الحكومة الوطنية الطرابلسية إجدابية ، وكان الأمير إدريس يأمل أن يصل إلى إيقاف الحرب بين إيطالية والطرابلسيين ، ولذلك طلب من بشير السعداوي وزملائه أن يخرجوا إلى الطبيل[(١٢٦)].

وبعد ذلك حضر وزير المستعمرات الإيطالي إلى غوط الساس بالقرب من المرج ، والتقى بالأمير محمد إدريس في ٢٢ يونيه (١٩٢٢ م) ، وعمل على إقناع أمندولا بضرورة تهدئة الأحوال في طرابلس ، وبعد انتهاء المباحثات أرسل الأمير إدريس إلى بشير السعداوي وزملائه كلاً من صالح الأطيوش ، والفضيل المهشهش ، وأحد أبناء الكزة ، وسلم هؤلاء كتاباً لبشير السعداوي من سمو الأمير ؛ أخبره فيه بمقابلته مع وزير المستعمرات في غوط الساس ، وبحث القضية الطرابلسية معه؛ وبأن المباحثات قد أسفرت عن إظهار إيطالية استعدادها للصلح معها ، وفضلاً عن

ذلك فقد جاء الجماعة بكتاب اخر من الأمير موجهاً إلى رئيس هيئة الإصلاح المركزية بهذا المعنى، فبادر بشير السعداوي بأنه يعتزم العودة فوراً إلى طرابلس لإتمام البيعة ، ووعد بالعودة سريعاً إلى إجدابية يحمل معه البيعة[(١٢٧)].

وغادر بشير السعداوي برقة إلى طرابلس ، وبمجرد وصوله إلى مصراتة اجتمع بالزعماء الطرابلسيين ، ونادى بالبيعة لسمو الأمير محمد إدريس ، مستنداً في ذلك إلى أنه لا سبيل إلى الخلاص البتة إلا بالاتفاق والتعاون ضد العدو الإيطالي ، وكتب بشير السعداوي نص البيعة بنفسه ، ثم ذهب بها من مصراتة إلى مسلاتة ثم إلى غريان ، وهناك كانت هيئة الإصلاح المركزية مجتمعة برئاسة أحمد المريض ، فقرأ عليهم البيعة ، ووافق هؤلاء عليها بالإجماع ودون مناقشة[(١٢٨)].

وما أن علم الطليان بتلك التطورات ومجيء الوفد الطرابلسي إلى إجدابية حتى ثارت ثائرتهم ، وأعلمت الحكومة الإيطالية الأمير محمد إدريس بأنها لن تتوانى عن مهاجمة إجدابية ذاتها ، ولما أدرك الأمير إدريس خطورة الموقف بدأ يبذل قصارى جهده لإقناع الحكومة الإيطالية ، بأن الطرابلسيين ما قصدوا بما فعلوه سوى حقن الدماء وفض خلافهم مع إخوانهم أهل برقة ، وأن واجب الحكومة الإيطالية يحتم عليها أن توقف اعتداءاتها على الطرابلسيين ، فضلاً عن أنه كان للأمير ـ على حسب اتفاق الرجمة ـ الحق في أن يعرض ما يراه في مصلحة البلاد على الحكومة الإيطالية ، كما أن معاهدة الرجمة قد ألزمت الطليان كذلك بأن يضعوا موضع الاعتبار كل ما يبديه الأمير من اراء في ذلك[(١٢٩)].

تاسعاً: نص البيعة بالإمارة:

تقرر أن يذهب السيد بشير السعداوي بوصفه مندوباً من هيئة الإصلاح على رأس وفد لتسليم كتاب البيعة إلى الأمير محمد إدريس ، وكان ضمن هذا الوفد كل من عبد الرحمن عزام ، محمد الصادق بالحاج ، نوري السعداوي ، الشيخ محمد عبد الملك. ووقع على كتاب البيعة أحمد المريض رئيس هيئة الإصلاح المركزية ،

وعبد الرحمن عزام مستشارها ، ثم أعضاء الهيئة: محمد بن عمر ، وبشير السعداوي ، وحسين بن جابر ، ومحمد فرحات ، وعبد الرحمن زبيدة ، ومحمد التائب ، وسالم البحباح ، وعثمان القيزاني ، وعمر بودبوس ، ومحمد صادق بن الحاج ، ومحمد مختار كعبار ، ومحمد فكيني ، والصويعي الخيتوني ، كما وقع على البيعة من الأعيان محمد الديب ، ومحمد سوف ، وعمر ضياء ، وعلي أبو حبيل ، وأحمد القاضي ، ومحمد القرقني ، وأحمد السني ، والبغدادي بن معيوف ، ومحمد الصغير. وهذا نص البيعة:
((سمو مولانا الأمير الجليل السيد محمد إدريس ـ حفظه الله ورعاه ـ إنه لا يخفى على سموه أن الخلاف ما يزال قائماً بينهم وبين الحكومة الإيطالية؛ وذلك لأن الحكومة الإيطالية وجَّهت عزمها إلى العبث بجميع حقوقنا شرعيِّها ، وسياسيِّها ، وإداريِّها ، وجعلت من قوتها مبرراً للتصرف في مصيرنا وحقوقنا الطبيعية ، ونحن خير أمة أخرجت للناس ، لا نتحمَّل ضيماً ، ولا نرضى أن تضمحل شريعتنا ، ولا أن يتطرق الخلل إلى ديننا القويم كائناً ما كان ، الأمر الذي حملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية ، معتمدين على قوة الحق ، إلى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية ؛ ألا وهي تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاث: الدينية والسياسية والعسكرية ، مع مجلس نيابي تنتخب الأمة أعضاءه ، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضايانا ونحفظ شرعنا ، وعنعنة تاريخنا الباهر.

وهذا لا ينافي ما تدعيه إيطالية وما دأبت عليه من خطب رجالها من أنها تحتل ديارنا بنية الاستعمار ، وإنما ساقتها دواعي السياسة الدولية في البحر المتوسط ، ولو كانت صادقة في دعواها هذه لما عرضت بلادنا للخراب بتوالي الهجمات ، واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى ، وقد حاولت فصل الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة ، وأبى الله إلا أن يجمع كلمة القطرين الشقيقين بأن يلتفَّا حول أمير واحد يرضيانه.

وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجتمع في ذاتكم الشريف من المزايا العالية ، والأوصاف الجليلة فإن (هيئة الإصلاح المركزية) الحائزة للوكالة المطلقة من (مؤتمر غريان) الذي يمثل الأمة الطرابلسية ، بانتخاب واقع منها قد

وجدت في سموكم أميراً حازماً قادراً على جمع الأمة للثقة العامة ، محبوباً ، فهي لذلك تبايع سموكم أميراً للقطرين طرابلس وبرقة ، على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها.

على أن مبايعتكم كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في (سرت) ، وكان السبب في تأخير تحقيقها طوارأى الحرب التي طوحت بكل واحد من أعضاء الهيئة ، ورجال القطر في منطقة شاسعة من المناطق الحربية.

وبهذه البيعة إن شاء الله أصبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين ، ومتى سنحت الفرصة عند تشريفكم إيانا حسب رغبة الأمة تقام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم. والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ، ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح))[(١٣٠)].

وبادر الأمير محمد إدريس بمصافحة تلك اليد الممدودة ، وقَبِل البيعة دون تردد ، وأجاب على كتاب البيعة في ٢٢ ربيع الأول (١٣٤١) هـ ، ٢٢ نوفمبر (١٩٢٢ م) ، فقال: ((وبعد: فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان ، وجاهدتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس والثمرات في شخصي ، فأخذتها داعياً الله أن يحقق امال هذه الأمة ، ويكلل مساعيها كلها بالنجاح.

ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها ؛ وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول ، وأن أتحمَّل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها ، فعليَّ إذاً أن أعمل بجد معكم ، ولكن لا تنسوا أنني بغير إقدامكم وجدّكم لا قدرة لي على شيء. إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد ، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع ، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة ؛ إذ من حق كل شعب أن يسيطر على شؤونه ، والناس منذ نشؤوا أحرار.

وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية ، فدفع مهوراً غالية ، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشؤونه.

لقد اشترطتم عليَّ الشورى وهي أساس ديننا ، وسأعمل على قاعدتها. هذا وقد رأيت أن أقرَّ الأمور على ما هي عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد ، فلذلك أَكِلُ إلى الهيئة المركزية ـ لما أبدت من الحمية ، والعدل ، والدراية ـ أن تستمر على إدارة شؤون القطر الطرابلسي ، ولي الثقة العظيمة في حكمة رئيسها البطل الحازم أحمد بك المريض ورفقائه ، والرؤساء الكرام الذي أيَّدوا مساعي الهيئة الملية أن يتحملوا مشاق المسؤولية بصبر ؛ لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيدوه ، وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايته ، ويثبت الأقدام ، ويقهر الأعداء ، ويمنَّ بالنصر الموعود إنه على ما يشاء قدير))[(١٣١)].

حاول مستشار الأمير محمد إدريس عمر منصور الكيخيا أن يوفِّق بين سياسة الأمير إدريس مع الطليان ، وحرصه على وحدة الصف واجتماع الكلمة تحت زعامته ، وانعقدت اجتماعات ومناقشات ، واستمر هذا الميدان مفتوحاً نحو أربعين يوماً ، ولم يهتدِ الباحثون إلى الحل المطلوب إلا بمغادرة الأمير محمد إدريس إجدابية إلى مصر في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة (١٣٤١ هـ) ، ٢١ ديسمبر سنة (١٩٩٢ م)[(١٣٢)] ، وكان ذلك السفر بسبب مرض ألمّ به ، ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج ، وكان قبل سفره قد تعكرت وتغيرت العلاقات السنوسية مع إيطالية ، وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم ، وتمّ اعتقال الشيخ العوامي ظلماً وزوراً ، وكانت هناك محاولة أخرى للقبض على صفي الدين ، ولكنها باءت بالفشل بسبب الخبر الثمين الذي سربه عثمان العنيزي إلى صفي الدين محذراً إياه من غدر الطليان به.

إن الأمير محمد إدريس اتخذ قرار الهجرة إلى مصر بعد دراية وافية للمرحلة التي مرت بها البلاد ، وللتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت على الساحة ، فالحل العسكري كان يعرف باستحالته منذ البداية ، وكان يعمل ما في وسعه لإقناع الاخرين بذلك للمحافظة على دماء المواطنين التي كانت تهدر دون نتيجة ، مما كان سيسبب إحباط الروح المعنوية وتمكين العدو ، فقد كان يرى أن المقاومة الليبية المسلحة لن

يمكنها بأي حال من الأحوال دحر القوات الإيطالية.

ثم إن المجهودات الدبلوماسية التي كان يقوم بها قد أعطت كل ما يمكنها إعطاؤه في تلك المرحلة ، فرحل عن البلاد ليحتفظ بحريته ويراقب الوضع الدولي ويتحين الفرص[(١٣٣)].

لقد تعرض الأمير إدريس للانتقاد بدعوى أنه ترك شعبه أثناء منعطف تاريخي هام في (١٩٢٢ م) ، لقد حاول الإيطاليون قتله بالسم[(١٣٤)] ، وتنامت الخلافات والمشاكل بينه وبين الحكومة الإيطالية حتى لم يجد في مقدوره التغلب عليها ، فمعاهدة الرجمة لا تعدو كونها محاولة عقيمة لإقامة نوع من الحكم الثنائي يشارك فيه الإيطاليون والسنوسيون معاً ، ولم يقدر لها النجاح أبداً من الناحية العملية ، ثم انقطع الرجاء في استمرارها نهائياً عقب استيلاء الفاشست على مقاليد السلطة في إيطالية ، ولم يعد من المصلحة البقاء في وجود نظام فاشي ، فلو أن الأمير محمد إدريس أصر على البقاء داخل ليبية في ذلك الوقت لكانوا قبضوا عليه حتماً ، وكانت أهميته القصوى بالنسبة لليبيين تكمن في سعة نفوذه وهيبته في العالم الإسلامي كزعيم للحركة السنوسية ، وحنكته في أساليب التفاوض السياسي ، وخبرته بالقضايا الدولية ، وقد ظهر أثره في الحرب العالمية الثانية ، واستفاد من الفرص التي أتيحت ، وشكل الجيش السنوسي الذي خاض معارك ضارية ضد إيطالية وألمانية ، وساعد ذلك الجيش الحلفاء مما اضطرهم للاعتراف بالجهود التي بذلها الليبيون ، واستفاد الأمير محمد إدريس من تلك الأعمال الجليلة في مباحثاته ومفاوضاته مع الإنكليز[(١٣٥)].

إن فترة المهجر التي عاشها الأمير محمد إدريس في مصر كانت من أصعب أيام حياته ، فقد قال عنها: ((وكانت تلك الفترة تعيسة للغاية ، فقدتُ أثناءها الكثيرين من أخلص أصدقائي وأنصاري الذين استشهدوا في معارك الجهاد ضد الإيطاليين ، كما غمرني الحزن والأسى الشديد لمعاناة أهل برقة.

وعقب احتلال الكفرة دمّر المسجد الذي كان يضم رفات والدي ، ونهبت وبعثرت محتويات المكتبة التي كان

فيها الكثير من كتبنا ومخطوطاتنا. وما كان يشد من أزري عبر تلك الظروف العصيبة سوى ثقتي بالله ، وتعاطف أصدقائنا في العالم العربي))[(١٣٦)].

إن الأمير محمد إدريس قبل أن يغادر البلاد حاول تنظيم أمور المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي ، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب ، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب اخر.

واستقر رأي الأمير على أن يعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين ، وعهد بالمسائل الدينية وما يتعلق بالسنوسية وشؤون الأسرة الكريمة إلى أخيه السيد محمد رضا ، وكان السيد محمد الرضا في جالو نائباً عن سموه في إدارة شؤونها ، وزود الأمير رجاله بالتعليمات اللازمة ، وأوصاهم باتخاذ الحيطة دائماً من غدر الطليان ، واتفق مع الشيخ عمر

المختار على بعض القادة ليكونوا رؤساء على معسكرات المجاهدين في برقة ، ومن هؤلاء القادة السيد محمد الصديق بن محمد رضا وأخوه الحسن ، وقجة عبد الله السوداني ، والفضيل بو عمر ، ويوسف بورحيل ، وحسين الجويفي ، وعبد الله سلوم ؛ على أن يتولَّى قيادة هذه الجيوش جميعاً الشيخ عمر المختار[(١٣٧)].

وبحث الأمير مع بشير السعداوي مسألة استمرار الجهاد في طرابلس ضد الطليان ، وقبل ذلك تقدم بشير السعداوي بمشروع إنشاء هيئة مركزية في برقة من رؤساء القبائل تضطلع بأعباء الإدارة ، واختار الأمير لرئاستها الشيخ مختار الغدامسي ؛ وهو من القضاة الشرعيين ومن أكابر علماء البلاد ، وبعد مغادرة الأمير إجدابية عقدت الهيئة المركزية البرقاوية جلسات عدة للبحث في شؤون البلاد وتهيئة وسائل الجهاد ضد العدو الإيطالي النصراني الحاقد ، وحضر بشير السعداوي جلسات الهيئة ، وعرض على الحاضرين تشكيل جبهة متحدة من برقة وطرابلس للمتابعة ضد إيطالية دون أي إبطاء ، وبعد تبادل الرأي وافق الحاضرون على رأي السعداوي.

وتأهب السعداوي للسفر إلى طرابلس ، وكان معه صفي الدين السنوسي في ٢١

رجب (١٣٤١ هـ) ، ٩ مارس (١٩٢٣ م) ، وكان في رفقتهم مجموعة من خيار المجاهدين من أمثال أحمد باشا سيف النصر ، وعمر سيف ، يقول صفي الدين: ((وعندما وصلنا إلى النوفلية وجدنا بها خالداً بك القرقني وعثمان بك الجيزاني ، فارتحلنا جميعاً إلى سرت ، وفي أثناء الطريق وصلنا خبر مشؤوم مفاده: أن محمد سعدون السويحلي أخا رمضان السويحلي قد استشهد في القتال ، وكان محمد سعدون من خيرة القواد الذين تولوا قيادة العمليات العسكرية في الحركة الأخيرة ، على أننا تابعنا السير بعد ذلك حتى بلغنا سرت ، وهناك قابلنا أحمد بك المريض ، ثم ذهبنا إلى وادي نفد بين مصراتة وورفلة ، وفي ورفلة وجدنا أحمد شتيوي وهو من إخوة رمضان السويحلي ، وكان شتيوي متصرفاً على مصراتة ، ثم وجدنا معسكر المجاهدين العام))[(١٣٨)].

وقد بذل بشير السعداوي جهوداً عظيمة لحشد جموع المجاهدين حول السيد صفي الدين وتحت زعامة السنوسية ، وكان قائد معسكر المجاهدين الطرابلسيين في وادي نفد حوالي ثمانية شهور ؛ من شعبان (١٣٤١ هـ) إلى شهر جمادى الأولى من عام (١٣٤٢ هـ) ، أبريل - ديسمبر (١٩٢٣ م).

وبعد فترة من الزمن بدأ زعماء المجاهدين في ترك معسكر نفد ، ولم يبق إلا أحمد السويحلي ، وكانت القوات الإيطالية تتقدم وتحتل المدن في منطقة طرابلس ، وقد ذكر الشيخ طاهر الزاوي كيف احتل

الطليان منطقة طرابلس ومدنها بنوع من التفصيل[(١٣٩)] ، واضطر صفي الدين أمام انحلال المقاومة ، وضعف حركة الجهاد أن يذهب إلى جالو ، وبعث إلى الأمير محمد إدريس بمصر يخبره بكل ما وقع ، فأجابه الأمير بأن له أن يختار إما البقاء في جالو ، وإما الذهاب إلى جغبوب ، وارتحل صفي الدين إلى الجغبوب في صفر (١٢٤٣ هـ) ، سبتمبر (١٩٢٣ م).

وكان بشير السعداوي يواصل جهاده المرير لجمع كلمة المجاهدين ، وعقد الاجتماعات لتحقيق هذه الغاية في القرضابية ، ثم في قصر بوهادي ، واستطاع أن يؤسس مركزاً للجهاد في المكان الأخير ، وتسلم القيادة في سرت ، وجمع شتات

المنهزمين اللاجئين إلى سرت ، وكانوا حوالي خمسين أو ستين ألفاً ، وثبت المجاهدون في مصراتة وترهونة أقدامهم نتيجة لهذا العمل ، ولكن الطليان بقواتهم الجرارة ، وطائراتهم استطاعوا القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً ، ثم هاجموا في اخر الأمر ورفلة ، وعندئذ انحلت المقاومة تماماً ، واضطر بشر السعداوي إلى مغادرة سرت في عام (١٩٢٤ م) بعد أن مكث بها سنة تقريباً ، وكان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة ، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد ، وكان يتحلَّى برجاحة العقل ، والرزانة ، والهدوء ، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور[(١٤٠)].

قال محمد فؤاد شكري: إن خروجه كان مؤذناً بأن الثورة قد انتهت فعلاً ، وأن الأمر قد استتبَّ للطليان في طرابلس أخيراً ، وأن برقة وحدها هي التي أصبحت تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو ، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً ، وتم له ما أراد في الأسبوع الأول من شهر مارس (١٩٢٣ م) ، فحلت الحكومة في ٦ مارس معسكرات الأبيار وتكنس وسلطنة ، والمخيلي ، وعكرمة ، وانتهز بونجيو فاني فرصة افتتاح الدورة البرلمانية في اليوم نفسه ، وهجم في البرلمان على السنوسية. وقال: إن السنوسيين كانوا غير مخلصين للحكومة الإيطالية ، ثم أبلغ سامعيه التدابير التي اتخذها للقضاء على السنوسية ، وكانت أولى التدابير احتلال إجدابية ذاتها في ٢١ أبريل (١٩٢٣ م) ، وهي مقر الإمارة السنوسية ، وفي ٢٤ أبريل أعلن الوالي ((أن كل الاتفاقيات التي أبرمتها إيطالية مع السنوسية قد أصبحت لاغية ولا أثر لها))[(١٤١)].

وفي أول مايو من السنة نفسها عاد بونجيو فاني فأكَّد إلغاء هذه الاتفاقات في منشور أعلن فيه ((أن السنوسية قد أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية ، وأن نشاطها يجب أن يظل

نشاطاً دينياً محدوداً فحسب)) ، وفي يوم ٣ مايو ذهب الدروفاندي الوزير الإيطالي في مصر لمقابلة الأمير محمد إدريس ، وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدتها إيطالية معه قد أصبحت لاغية ، ولا وجود لها.

يقول الأمير محمد إدريس : ((بعد بضعة أشهر من قدومي إلى مصر أبلغني الوزير الإيطالي المفوض في القاهرة بأن حكومة موسوليني ألغت كافة العهود والمواثيق المعقودة مع السنوسيين ، وكان ذلك في مايو (١٩٢٣ م) ، وكان الإيطاليون قد ألقوا القبض على عمر باشا الكخيا بتهمة التواطؤ في هروبي ، فحبسوه أولاً في بنغازي ، ثم نقلوه إلى معتقل في إيطالية ، وبعدها بشهور قلائل علمتُ أن الحكومة الإيطالية قد طلبت من الحكومة المصرية تسليمي إليها ، ووعدت بعدم تعريضي لأي أذى.
وشعرت بالخطر المحقق ؛ نظراً لأن الملك فؤاد كانت أمه إيطاليَّة ، وقد تربى في إيطالية ، وتربطه بالإيطاليين علاقة حميمة ربما تدفعه إلى تلبية طلبهم...))[(١٤٢)].
ومن ذلك الحين بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطالية من غير هوادة أو لين ، أو ضعف ، أو خوار وقبل الدخول في سيرة الشيخ عمر المختار العطرة نحاول أن نقف مع الأحداث السابقة لنتأمل في العبر والدروس لتسترشد بها الأجيال في مستقبلها.
إن من الأمور الخطيرة التي مرت بها البلاد فيما بين (١٩١٦ و١٩٢٣ م) أن انقسم زعماء ليبية إلى قسمين بالنسبة للأوضاع الدولية في بداية الحرب العالمية الأولى ، مما ضاعف من توسيع هوّة الخلاف ، فأهل برقة عقدوا مصالحة مع الإنجليز وإيطالية ، وأهل طرابلس وقفوا مع الأتراك قلباً وقالباً ، وحدث تنازع على النفوذ ، ووصل إلى حد القتال بين الأشقاء ، وبعد هزيمة الأتراك والألمان ، وخروجهم من ليبية جاءت فكرة الجمهورية الطرابلسية ، ولم يستطع الزعماء أن يتغلبوا على أهوائهم الشخصية ، فانتهى بهم الأمر إلى مقتل رمضان السويحلي رحمه الله تعالى ، وهاجر سليمان الباروني رحمه الله من البلاد ، وأصبح مستشاراً لحكومة مسقط بدولة عمان ، وتوفي إثر مرضه ببومباي بالهند عام (١٩٤١ م)[(١٤٣)] ، وعبد النبي بالخير رحمه الله توفي في الصحراء الكبرى أثناء هجرته إلى تونس بسبب العطش[(١٤٤)] ، وأحمد
المريض رحمه الله توفي في الفيوم بمصر عام (١٩٤١ م)[(١٤٥)] ، ومحمد إدريس السنوسي رحمه الله أصبح لاجئاً سياسياً.
أقول: لو اتفق زعماء طرابلس في بداية أمرهم على قلب رجل واحد ؛ لكانت النتائج لصالح الإسلام والمسلمين ، لقد كانت البلاد في تلك الفترة في أشد الحاجة إلى توحيد الكلمة تحت قيادة رجل له

مدارك الباروني ، وهدوءه وحياده ، وذكاء عبد النبي ودهاؤه ، وصلابة رمضان وشجاعته ، وحلم أحمد المريض وسعة صدره ، وكان كل من يحاول من الزعماء أن يتطلع إلى الانفراد بالحكم في تلك الفترة المظلمة ، إنما يحاول المستحيل ، فكان من اللازم التضحية بنصيب من الأنانية ، والنعرة القبلية ، ومحاربة الأهواء ، ونبذ التعصب لتوحيد الشعب نحو مقصد الجهاد ضد المحتل الحاقد ، وأن يختاروا زعيماً من بينهم ، ويقف الجميع لدعمه ، ويقفلوا الأبواب على كل مخططات الأعداء التي تريد تمزيق الصف ، وتعميق الخلاف ، وضرب الزعماء ببعضهم ، كما أن ما وصل إليه الطرابلسيون من وجوب توحيد جهودهم مع البرقاوين جاء متأخراً ، وبعد فوات الأوان ، ولو كان قبل ذلك بسنين ، أو في زمن قيادة أحمد الشريف لكان ذلك الاتحاد من عوامل النهوض ، وأسباب النصر ، ولقامت إمارة قوية تستطيع أن تتغلب على العدو المحتل ، وتبني دولة عصرية قوية ، ولوجدت فيها الأجيال امتداداً حضارياً ، وبعداً سياسياً ، وانتماءً حقيقياً لمفهوم العقيدة والدين والأمة والشعب والوطن ، لقد شبَّه أحد المؤرخين تلك المرحلة بفترة ملوك الطوائف في الأندلس ، فالنزعة القبلية لا تزال في عنفوانها ، ودكتاتورية زعيم القبيلة لا يمكن محوها والتغلب عليها ، وإن كانت المنطقة الشرقية تغلبت عليها بالدعوة الشاملة ، والتربية العميقة ، وبتوفيق الله تعالى ، ثم بسبب جهود الحركة السنوسية في قبائل برقة.

إن الدرس المهم هو أن يتغلَّب الزعماء على أهوائهم من أجل المصالح العليا للبلاد والعباد ، وإلا أصبحت بلادنا فوضى يسهل عندئذ لأعدائنا اختراقها ، ومصّ خيراتها ، وتشتيت رجالها ، إن الخطاب لوحدة الصف ، وتوحيد الجهود ، نقصد به كل مسلم من أبناء ليبية حريص على بلده وشعبه وأمته.

إن الابتعاد عن الهوى ومحاربته في النفوس من أسباب النهوض ، ومن الأمور التي أرشد الله تعالى لها زعماء الأمة وقادتها ؛ قال تعالى: [ص: {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ *} [ص: ٢٦]

إن اتباع الهوى من أسباب الفرقة ، والفرقة من أسباب تأخر النهوض ، فإذاً على المخلصين من أبناء شعبنا الحريصين على تحكيم شرع الله تعالى ، محاربة الهوى وقلع جذوره وأسبابه من النفوس ، إن محاربة الأهواء طريق نحو الاجتماع والائتلاف ، ونحو الأخذ بأسباب النهوض والتمكين لهذا الدين ، إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلي بشيء من الهوى ، إلزام النفس بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى ، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما

يصدر منها ، وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها ، والإكثار من النفس على استنصاح الاخرين وتقبل الاراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس ، وتعويدها على التريُّث وعدم
الاستعجال في إصدار الأحكام ، وإمضاء الأعمال ، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط أو تفريط ، وغلو أو تقصير ، وجهل وبغي وعدوان ، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن ، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا. ويكثر من الدعاء الذي علمه رسول الله (ص) لأمته: ((وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب))[(١٤٦)] ، ومن قوله (ص): ((اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء))[(١٤٧)].
إن سنة الله ماضية في الأمم والشعوب لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل ، وجعل سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف ؛ قال (ص): ((فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)) ، وفي رواية: ((فأهلكوا))[(١٤٨)].

وعند ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود: ((فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف))[(١٤٩)]. قال ابن حجر العسقلاني: وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة ، والتحذير من الفرقة والاختلاف[(١٥٠)].
وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ((وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف ، ونهانا عن التفرق والاختلاف))[(١٥١)].
والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم ، وهو الذي يؤدي إلى تفريقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين ؛ كل طرف يعتقد ببطلان ما عند الطرف الاخر ، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضاً[(١٥٢)].
((وإنما كان الاختلاف علّة لهلاك الأمة كما جاء في حديث رسول الله (ص) ، لأن الاختلاف المذموم الذي ذكرنا بعض أوصافه يجعل الأمة فرقاً شتى مما يضعف الأمة ، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة ، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرأى العدو عليها ؛ فيطمع فيها ، ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها ، وفي ذلك انقراضها وهلاكها))[(١٥٣)].
إن من الدروس المهمة في هذه الدراسة التاريخية أن نتوقى الهلاك بتوقي الاختلاف المذموم ، لأن الاختلاف كان سبباً من الأسباب في ضياع بلادنا ، وتسلط الطليان عليها ، وإن أخطر ما نعاني منه

الان الخلاف في صفوف الحركات الإسلامية التي تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى ، وهذا الخلاف قد يؤدي إلى ضعف الحركات العاملة إذا لم تتخذ سبيل الوقاية منه.

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان: ((والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها ؛ يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها ، ولهذا كان شر ما تبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها ؛ بحيث يجعلها

فرقاً شتى ، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب ، وأن غيرها على خطأ وضلال ، وتعتقد كل فرقة أنها هي التي تعمل لمصلحة الدعوة ، وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة ، أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفرق ، ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفرق في أعين المتفرقين المختلفين ، فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة.

والاختلاف في الجماعة لا يقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة ، وإنما يضعف تأثيرها في الناس ، وتجعل المعرضين ينفثون باطلهم في الناس ، ويقولون: جماعة سوء تأمر الناس بأحكام الإسلام ، والإسلام يدعو إلى الألفة والاجتماع ، وينهى عن الاختلاف ، وهي تخالفه إذ هي متفرقة مختلفة فيما بينها ، كل فرقة تعيب الأخرى وتدعي أنها وحدها على الحق. ثم يؤول الأمر إلى انحسار تأثير الجماعة في المجتمع ، ثم اضمحلالها واندثارها وقيام جماعات جديدة مكانها هي فرق المنفصلين عنها ، ووقائع التاريخ البعيد والقريب تؤيد ما نقول))[(١٥٤)].

* * *

الفصل الثاني

الشيخ الجليل عمر المختار ـ رحمه الله ـ

نشأته ، وأعماله ، واستشهاده

المبحث الأول

نشأته وأعماله

أولاً: مولده ونسبه ونشأته وشيوخه:

ولد الشيخ الجليل عمر المختار من أبوين صالحين عام (١٨٦٢ م)[(١٥٥)] ، وقيل: (١٨٥٨ م) ، وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات ، وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر ، ونشأ وترعرع في بيت عز وكرم ، تحيط به شهامة المسلمين وأخلاقهم الرفيعة ، وصفاتهم الحميدة التي استمدوها من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله (ص).

توفي والده في رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج ، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه السيد أحمد الغرياني (شقيق شيخ زاوية جنزور الواقعة شرق طبرق) بأن يبلغ شقيقه بأنه عهد إليه بتربية ولديه عمر ومحمد ، وتولى الشيخ حسين الغرياني رعايتهما محققاً رغبة والدهما ، فأدخلهما مدرسة القران الكريم بالزاوية ، ثم ألحق

عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى[(١٥٦)].

لقد ذاق عمر المختار ـ رحمه الله ـ مرارة اليتم في صغره ، فكان هذا من الخير الذي أصاب قلبه المليء بالإيمان ، وحب الله ورسوله (ص) ؛ حيث التجأ إلى الله القوي العزيز في أموره كلها ، وظهر منه نبوغ منذ صباه مما جعل شيوخه يهتمون به في معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم ، وملتقى للعلماء ، والفقهاء والأدباء والمربين الذين كانوا يشرفون على تربية وتعليم وإعداد المتفوقين من أبناء المسلمين ، ليعدوهم لحمل رسالة الإسلام الخالدة ، ثم يرسلوها بعد سنين عديدة من العلم والتلقي والتربية إلى مواطن القبائل في ليبية وإفريقية ؛ لتعليم الناس وتربيتهم على مبادأى الإسلام وتعاليمه الرفيعة ، ومكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه والحديث والتفسير ، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، السيد الزروالي المغربي ، والسيد الجواني ، والعلامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني وغيرهم كثير ، وشهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل ، ومتانة الخلق ، وحب الدعوة.

وكان يقوم بما عليه من واجبات عملية أسوة بزملائه الذين يؤدون أعمالاً مماثلة في ساعات معينة إلى جانب طلب العلم ، وكان مخلصاً في عمله متفانياً في أداء ما عليه ، ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجَّل عمل يومه إلى غده ، وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر ، ولفتت شمائله أنظار أساتذته

وزملائه وهو لم يزل يافعاً ، وكان الأساتذة يبلغون الإمام محمد المهدي أخبار الطلبة وأخلاق كل واحد منهم ، فأكبر السيد محمد المهدي في عمر المختار صفاته وما يتحلى به من خلال[(١٥٧)].

وأصبح على إلمام واسع بشؤون البيئة التي تحيط به ، وعلى جانب كبير في الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه ، وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها ، وتوسع في معرفة الأنساب والارتباطات التي تصل هذه القبائل

بعضها ببعض ، وبتقاليدها ، وعاداتها ، ومواقعها ، وتعلم من بيئته التي نشأ فيها وسائل فضّ الخصومات البدوية ، وما يتطلبه الموقف من اراء ونظريات ، كما أنه أصبح خبيراً بمسالك الصحراء وبالطرق التي كان يختارها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج ، وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل ، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة ، وكان على دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة بطرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو ، وهي اختيارات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة ، والملاحظة الدقيقة ، وكان يعرف سمة كل قبيلة ، وهي السمات التي توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها ، فهذه المعلومات تدل على ذكاء عمر المختار وفطنته منذ شبابه[(١٥٨)].

ثانياً: وصف عمر المختار:

كان عمر المختار متوسط القامة ، يميل إلى الطول قليلاً ، ولم يكن بالبدين الممتلأى أو النحيف الفارغ ، أجش الصوت ، بدوي اللهجة ، رصين المنطق ، صريح العبارة ، لا يمل حديثه ، متزناً في كلامه ، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة ، أو ضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف ، كثيف اللحية ، وقد أرسلها منذ صغره ، تبدو عليه صفات الوقار والجدية في العمل ، والتعقل في الكلام ، والثبات عند المبدأ ، وقد أخذت هذه الصفات تتقدم معه بتقدم السن[(١٥٩)].

ثالثاً: تلاوته للقران الكريم وعبادته:

كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ، وكان يقرأ القران يومياً ، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي: يا عمر وردك القران. وقصة ذلك مما ذكرها محمد الطيب الأشهب: أنه استأذن في الدخول على الإمام محمد المهدي من حاجبه محمد حسن البسكري في موقع بئر السارة ، الواقع في الطريق الصحراوي بين الكفرة والسودان ، وعندما دخل على المهدي تناول مصحفاً

كان بجانبه وناوله للمختار ، وقال: هل لك شيء اخر تريده ، فقلت له: يا سيدي إن الكثيرين من الإخوان يقرؤون أوراداً معينة من الأدعية والتضرعات أجزتموهم قراءتها ، وأنا لا أقرأ إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات ، فأطلب منكم إجازتي بما ترون ، فأجابني رضي الله عنه بقوله: (يا عمر وردك القران) ، فقبَّلتُ يده وخرجت أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ، ولم أزل بفضل الله أحتفظ بها في حلي وترحالي ، ولم يفارقني مصحف سيدي منذ ذلك اليوم ، وصرت مداوماً على القراءة فيه يومياً لأختم السلكة كل سبعة أيام ، وسمعت من شيخنا سيدي أحمد الريفي أن بعض كبار الأولياء يداوم على طريقة قراءة القران مبتدئاً (بالفاتحة) إلى (سورة المائدة) ثم إلى (سورة يونس) ، ثم إلى (سورة الإسراء) ، ثم إلى (سورة الشعراء) ، ثم إلى (سورة الصافات) ، ثم إلى (سورة ق) ، ثم إلى اخر السلكة ، ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ القران من المصحف الشريف بهذا الترتيب[(١٦٠)].

إن المحافظة على تلاوة القران والتعبد به تدل على قوة الإيمان ، وتعمقه في النفس ، وبسبب الإيمان العظيم الذي تحلى به عمر المختار انبثق عنه صفات جميلة ، كالأمانة والشجاعة ، والصدق ، ومحاربة الظلم ، والقهر ، والخنوع ، وقد تجلَّى هذا الإيمان في حرصه على أداء الصلوات في أوقاتها ؛ قال تعالى: [النساء: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النِّسَاء: ١٠٣] ، وكان يتعبد المولى عز وجل بتنفيذ أوامره ، ويسارع في تنفيذها ، وكان كثير التنفل في أوقات الفراغ ، وكان قد ألزم نفسه بسنة الضحى ، وكان محافظاً على الوضوء حتى في غير أوقات الصلاة ، ومما يروى عنه أنه قال: لا أعرف أنني قابلت أحداً من السادة السنوسية وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم[(١٦١)].

لقد كان هذا العبد الصالح يهتم بزاده الروحي اليومي بتلاوة القران الكريم ، وقيام الليل ، واستمر معه هذا الحال حتى استشهاده.

فهذا المجاهد محمود الجهمي الذي حارب تحت قيادة عمر المختار وصاحبه كثيراً ، يذكر في مذكراته: أنه كان يأكل معه ، وينام معه في مكان واحد ، ويقول:

((لم أشهد قط أنه نام لغاية الصباح ، فكان ينام ساعتين أو ثلاثاً على أكثر تقدير ، ويبقى صاحياً يتلو القران الكريم ، وغالباً ما يتناول الإبريق ويسبغ الوضوء بعد منتصف الليل ، ويعود إلى تلاوة القران ، لقد كان على خلق عظيم ، يتميَّز بميزات التقوى والورع ، ويتحلَّى بصفات المجاهدين الأبرار...))[(١٦٢)].

وأما الأستاذ محمد الطيب الأشهب ؛ فقد قال: ((وقد عرفته معرفة طيبة ، وقد مكنتني هذه المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة ، فكنت أنام بخيمته وإلى جانبه ، وأهم ما كنت أمقته منه ـ رحمه الله ـ وأنا وقت ذاك حديث السن ؛ هو: أنه لا يتركنا ننام ؛ يقضي كل ليلة يتلو القران مبكراً ، فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر))[(١٦٣)].

وكأني أراه من خلف السنين وهو قائم يصلي لله رب العالمين في وديان وجبال وكهوف الجبل الأخضر ، وقد التف ببرده الأبيض في ظلمة الليل البهيم ، وهو يتلو كتاب الله بصوت حزين ، وتنحدر الدموع على خدوده من خشية العزيز الرحيم.

قال تعالى: [فاطر: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ *} [فَاطِر: ٢٩]

لقد وصَّى رسول الله (ص) أبا ذر بذلك ، فقال (ص): «عليك بتلاوة القران ؛ فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء». وقد حذر الرسول الكريم من هجر القران ، فقال (ص): «إن الذي ليس في جوفه شيء من القران كالبيت الخَرِب»[(١٦٤)].

قال الشاعر:

قم في الدجى واتل الكتاب ولا تنم إلا كنومة حائرٍ ولهان

فلربما تأتي المنية بغتة فتساق من فرش إلى الأكفان

يا حبذا عينان في غسق الدجى من خشية الرحمن باكيتان

أعرض عن الدنيا الدنيئة زاهداً فالزهد عند أولي النهى زهدان

زهد عن الدنيا وزهد في الثَّنَا طوبى لمن أمسى له الزهدان[(١٦٥)]

إن من أسباب الثبات التي تميز بها عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته إدمانه على تلاوة القران الكريم والتعبد به وتنفيذ أحكامه ، لأن القران الكريم مصدر تثبيت وهداية ، وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ولما فيه من ذكر مال الصالحين ، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة[(١٦٦)].

لقد كان عمر المختار يتلو القران الكريم بتدبر وإيمان عظيم ، فرزقه الله الثبات وهداه طريق الرشاد ، ولقد صاحبَهُ حالُه في التلاوة حتى النفس الأخير ، وهو يساق إلى حبل المشنقة وهو يتلو قوله تعالى:

[الفجر: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً *} [الفَجر: ٢٧-٢٨] .
٢٨][(١٦٧)].

رابعاً: شجاعته وكرمه:

إن هذه الصفة الجميلة تظهر في سيرة عمر المختار منذ شبابه الباكر ؛ ففي عام (١٣١١ هـ ١٨٩٤ م) تقرر سفر عمر المختار على رأس وفد إلى السودان ؛ يضم كلاً من السيد خالد بن موسى ، والسيد محمد المسالوسي ، وقرجيلة المجبري ، وخليفة الدبار الزوي أحد أعضاء زاوية واو بفزان (وهو الذي روى القصة) ، وفي الكفرة وجد الوفد قافلة من التجار من قبيلتي الزوية والمجابرة ، وتجار اخرين من طرابلس وبنغازي تتأهّب للسفر إلى السودان ، فانضم الوفد إلى هؤلاء التجار الذين تعودوا السير في الطرق الصحراوية ، ولهم خبرة جيدة بدروبها.

وعندما وصل المسافرون إلى قلب الصحراء بالقرب من السودان ؛ قال بعض التجار الذين تعودوا المرور من هذا الطريق: إننا سنمر بعد وقت قصير بطريق وعر لا مسلك لنا غيره ، ومن العادة ـ إلا في القليل النادر ـ يوجد فيه أسد ينتظر فريسته من القوافل التي تمر من هناك ، وتعودت القوافل أن تترك له بعيراً كما يترك الإنسان قطعة اللحم إلى الكلاب أو القطط ، وتمر القوافل بسلام ، واقترح المتحدِّث أن يشترك الجميع في ثمن بعير هزيل ويتركونه للأسد عند خروجه ، فرفض عمر المختار
بشدة قائلاً: ((إن الإتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف بدون حق أبطلت ؛ فكيف يصح لنا أن نعيد إعطاءها للحيوان؟! إنها علامة الهوان والمذلة ، إننا سندفع الأسد بسلاحنا إذا ما اعترض طريقنا)).

وقد حاول بعض المسافرين أن يثنيه عن عزمه ، فرد عليهم قائلاً: إنني أخجل عندما أعود وأقول: إنني تركت بعيراً إلى حيوان اعترض طريقي ، وأنا على استعداد لحماية ما معي ، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، إنها عادة سيئة يجب أن نبطلها ، وما كادت القافلة تدنو من الممر الضيق حتى خرج الأسد من مكانه الذي اتخذه على إحدى شرفات الممر ، فقال أحد التجار ـ وقد خاف من هول المنظر وارتعشت فرائصه من ذلك ـ: أنا مستعد أن أتنازل عن بعير من بعائري ولا تحاولوا مشاكسة الأسد ، فانبرى عمر المختار ببندقيته ـ وكانت من النوع اليوناني ـ ورمى الأسد بالرصاصة الأولى فأصابته ، ولكن في غير مقتل ، واندفع الأسد يتهادى نحو القافلة ، فرماه بأخرى فصرعته ، وأصر عمر المختار على أن يسلخ جلده ليراه أصحاب القوافل ، فكان له ما أراد[(١٦٨)].

إن هذه الحادثة تدلنا على شجاعة عمر المختار ، وقد تناولتها المجالس يومذاك بمنتهى الإعجاب ، وقد سأل الأستاذ محمد الطيب الأشهب عمر المختار نفسه عن هذه الحادثة في معسكر لمغاربة بخيمة السيد محمد الفائدي ، فأجاب بقوله: تريدني يا ولدي أن أفتخر بقتل صيد؟! قال لي ما قاله قديماً أحد الأعراب لمنافسه وقد قتل أسداً (أتفتخر عليّ بأنك قتلت حشرة؟!) وامتنع عمر المختار بقول الله تعالى: [الأنفال: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفَال: ١٧]

إن جواب عمر المختار بهذه الاية الكريمة يدل على تأثره العميق بالقران الكريم ، لأنه تعلَّم أن أهل الإيمان والتوحيد في نظرتهم العميقة لحقيقة الوجود ، وتطلعهم إلى الاخرة ينسبون الفضل إلى العزيز الوهاب سبحانه وتعالى ، ويتخلصون من حظوظ نفوسهم ، فهو الذي مرّ كثيراً على دعاء نبي الله يوسف عليه السلام: [يوسف: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ *} [يُوسُف: ١٠١]

وهو الذي تعلم من سيرة ذي القرنين هذا المعنى الرفيع ، والذي لابد من وجوده في الشخصية القيادية الربانية في قوله تعالى: [الكهف: {هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي} [الكهف: ٩٨] ، فعندما بنى السدَّ ، ورفع الظلم ، وأعان المستضعفين ؛ نسب الفضل إلى ربه سبحانه وتعالى.

إن عمر المختار كان صاحب قلب موصول بالله تعالى ، فلم تسكره نشوة النصر ، وحلاوة الغلبة بعدما تخلَّص من الأسد الأسطورة ، وأزاح الظلم ، وقهر التعدي ، بل نسب الفضل إلى خالقه ولذلك أجاب سائله بقوله تعالى: [الأنفال: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفَال: ١٧]

إن صفة الشجاعة ظهرت في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسة ، وفي ليبية ضد إيطالية ، ويحفظ لنا التاريخ هذه الرسالة التي أرسلها عمر المختار رداً على رسالة من الشارف الغرياني الذي أكرهته إيطالية ليتوسط لها في الصلح مع عمر المختار وإيقاف الحرب.

قال بعد البسملة والصلاة على رسول الله القائل: «إن الجنة تحت ظلال السيوف».

إلى أخينا سيدي الشارف بن أحمد الغرياني حفظه الله وهداه ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته. نعلمكم أن إيطالية إذا أرادت أن تبحث معنا في أي موضوع تعتقد أنه يهمها ويهمنا ؛ فما عليها إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدي السيد محمد إدريس ابن السيد محمد المهدي ابن السيد محمد السنوسي رضي الله عنهم جميعاً ، فهو الذي يستطيع قبول البحث معهم أو رفضه ، وأنتم لا تجهلون هذا ، بل وتعرفون إذا شئتم أكثر من هذا ، ومكان سيدي إدريس في مصر معروف عندكم

، وأما أنا وبقية الإخوان المجاهدين فلا نزيد عن كوننا جنداً من جنوده لا نعصي له أمراً ، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن لا يقدر علينا مخالفته فنقع فيما لا نريد الوقوع فيه ، حفظنا الله وإياكم من الزلل ، نحن لا حاجة عندنا إلا مقاتلة أعداء الله والوطن وأعدائنا ، وليس لنا من الأمر شيء إذا ما أمرنا سيدنا وولي نعمتنا رضي الله عنه ونفعنا به بوقف القتال نوقفه ، وإذا لم يأمرنا بذلك فنحن واقفون عند ما أمرنا به ، ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش
والسبايس المكسرين (هؤلاء الاخرون هم المجندون من بعض الليبيين) ، ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الابار ، وبخوا به الزروع النابتة في الأرض ، نحن من جنود الله ، وجنوده هم الغالبون ، ونحن لا نريد لكم ما يدفعكم إليه النصارى ، وظننا بكم خير ، والله يوفقنا ويهدينا وإياكم إلى سبل الرشاد ، وإلى خدمة المسلمين ، ورضا سيدنا رضي الله عنه ، وسلام الإسلام على من تبع الإسلام.
١٣ ربيع الثاني (١٣٤٤ هـ)

نائب المنطقة الجبلية عمر المختار[(١٦٩)]

ومحل الشاهد من هذه الرسالة قوله: ((ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس المكسرين ، ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الابار ، ووبخّوا به على الزروع النابتة في الأرض ، نحن من جنود الله ، وجنوده هم الغالبون)).
إن صفة الشجاعة ملازمة لصفة الكرم ، كما أن الجبن والبخل لا يفترقان ، ولقد حفظ لنا التاريخ عبارة جميلة كان يرددها عمر المختار بين ضيوفه: ((إننا لا نبخل بالموجود ، ولا نأسف لمفقود)).
لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة بمدح الكرم والإنفاق ، وذم البخل والإمساك ، قال تعالى:
[السجدة: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *} [السَّجدَة: ١٦-١٧] . ١٧].
لم تكن همة عمر المختار منصرفة إلى جمع المال والثروة والغنى وإن كان قد ورث عن والده بعض الماشية ؛ إلا أنه تركها في رعاية بعض أقاربه في القبيلة وترك أرضه وموطنه منذ أن كان عمره ١٦ عاماً ، وكان طيلة فترة إقامته في معهد الجغبوب تتكفل إدارة المعهد بمصروفاته ، وبعد أن تزوج وكوّن أسرة أصبح مورد رزقه ما يتحصل عليه من نتاج الحيوانات القليلة ، ولم يكن يوماً من الأيام متفرغاً لجمع المال ،

وإنما عاش للعلم والدعوة والجهاد ، وانشغل عن جمع الأموال والثروات ، وقضى حياته فقيراً مقتنعاً بما رزقه الله من القناعة والرضا بالكفاف ، وكان يبذل ما في
وسعه لضيوفه وجنوده ، وينفق على أفراد جيشه إنفاق من لا يخشى الفقر ، ويقدم إخوانه على نفسه ، وأصبح شعاره: (إننا لا نبخل بالموجود ، ولا نأسف لمفقود)[(١٧٠)].

خامساً: الدعوة والجهاد قبل الاحتلال الإيطالي:

تفوق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة ؛ منها: متانة الخلق ، ورجاحة العقل ، وحب الدعوة ، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي ، فقدمه على غيره ، واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام (١٨٩٥ م) ، وفي عام (١٨٩٧ م) أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج ، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام ، فعلّم الناس أمور دينهم ، وساهم في فض النزاعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم ، وسعى في مصالحهم ، وسار في الناس سيرة حميدة ، فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلمٍ ، وتأنٍّ ، وصبر ، ورفق ، وعلم ، وزهد.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن وقوع الاختيار عليه للقيام بأمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل قيادة الحركة السنوسية ؛ حيث إن هذه الزاوية كانت في أرض قبيلة العبيد التي عرفت بقوة الشكيمة وشدة المراس ، فوفقه الله في سياسة هذه القبيلة ، ونجح في قيادتها بفضل الله ، وبما أودع الله فيه من صفات قيادية ؛ من حكمة وعلم وحلم وصبر وإخلاص.

إن الفترة التي قضاها في زاوية القصور تدلنا وتشهد لنا على أعماله الجليلة؛ كداعية رباني يدعو إلى الإسلام ونشره بالفكرة والإقناع والإرشاد والتوجيه ، فهو قمة شامخة في هذا المجال ، فهو لم يدخل مجال الدعوة والإرشاد إلا بعد أن تعلَّم من أمور دينه الكثير ، فشق طريق الدعوة بزاد علمي ، وثقافة متميزة ، وتفوق روحي ، ورجاحة عقل ، وقوة حجة ، ورحابة صدر ، وسماحة نفس ، لقد كان حريصاً على تعلم العلم والعمل به وتعليمه ، وعندما زحف الاستعمار الفرنسي على مراكز الحركة السنوسية في تشاد ، نظمت الحركة السنوسية نفسها وأعدت للجهاد عدتها ،

واختارت من القادة من هم أولى بهذا العمل الجليل ، فكان عمر المختار من ضمنهم ، فقارع الاستعمار الفرنسي مع كتائب الحركة السنوسية المجاهدة في تشاد ، وبذل ما في وسعه حتى لفت

الأنظار إلى حزمه وعزمه وفراسته وبُعد نظره وحسن قيادته ، فقال عنه محمد المهدي السنوسي: ((لو كان لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا))[(١٧١)].

وبقي عمر المختار في تشاد يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم ، إلى جانب جهاده ضد فرنسة ، فحمل الكتاب الذي يهدي بيد ، والسيف الذي يحمي باليد الأخرى ، وظهرت منه شجاعة وبطولة وبسالة نادرة في الدفاع عن ديار المسلمين ، وكانت المناطق التي يتولى أمرها أمنع من عرين الأسد ، ولا يخفى ما في ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه وعقيدته وأمته[(١٧٢)].

وعندما أصيبت الإبل التي كانت تحمل الأثقال للمجاهدين بمرض الجرب ، وكان عددها لا يقل عن أربعة الاف بعير ، وكانت تلك الإبل هي قوام الحياة بالنسبة للمجاهدين ، واهتم السيد المهدي السنوسي بشأن علاجها ، ووقع اختياره على عمر المختار ليكون المسؤول عن هذه المهمة التي شغلت بال المجاهدين ، فأمره بأن يذهب بالإبل إلى موقع (عين كلك) نظراً لوفرة مائه ولصلاحيته ، وكان على عمر المختار مهمة أخرى ؛ وهي: الاحتياط والحرص الشديدان ، واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع ، واختار عمر المختار من المجاهدين مجموعة خيرة ، وذهب لتنفيذ أمر القيادة ، وكان توفيق الله له عظيماً في مهمته العسيرة ، فنال إعجاب السيد المهدي[(١٧٣)].

وفي عام (١٩٠٦ م) رجع عمر المختار بأمر من القيادة السنوسية إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور ، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ، فقد بدأت المعارك الضارية بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردي ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية. ولقد شهد عام (١٩٠٨ م) أشد المعارك

ضراوة ، وانتهت بضم السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانية على الدولة العثمانية ، وعاد الشيخ عمر المختار إلى زاوية القصور ، وبرزت شخصيته بين زملائه مشايخ الزوايا ، وبين شيوخ وأعيان القبائل ، ولدى الدوائر الحكومية العثمانية ، وظهرت مقدرته في مهمته الجديدة بصورة تلفت النظر ، وأصبح متميزاً في حزمه في إدارة الزاوية ، وفي تعاونه مع زملائه الاخرين ، وفي معالجته للمشاكل القبلية ، وفي ميدان الإصلاح العام مضرباً للأمثال.

وكانت تربطه صلات شخصية مع عدد كبير من زعماء وأعيان القبائل في برقة ، وكذلك زعماء المدن ، وكان زعماء البراعصة يحبون عمر المختار حباً نابعاً من قلوبهم ، في حين أنهم لم يكونوا من القبائل التابعة لزاويته ، وارتبطت علاقاته الأخوية مع شيوخ الزوايا كالسادة السنوسي الأشهب شيخ زاوية

مسوس ، وعمران السكوري شيخ زاوية المرج ، وعبد ربه بوشناف الشيخي ، والحسن الغماري شيخ زاوية دريانة[(١٧٤)].

سادساً: الشيخ عمر المختار في معاركه الأولى ضد إيطالية:

عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطالية عام (١٩١١ م) ؛ كان عمر المختار وقتها بواحة (جالو) ، خفّ مسرعاً إلى زاوية (القصور) ، وأمر بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية (القصور) ، فأجابوا نداءه ، وأحضروا لوازمهم ، وحضر أكثر من ألف مقاتل ، وكان عيد الأضحى من نفس السنة الهجرية على الأبواب ؛ أي: لم يبقَ عنه إلا ثلاثة أيام فقط ، ولم ينتظر السيد عمر المختار عند أهله حتى يشاركهم فرحة العيد ، فتحرك بجنوده وقضوا يوم العيد في الطريق ، وكانت الذبائح التي أكل المجاهدون من لحومها يوم العيد من السيد عمر المختار شخصياً ، ووصل المجاهدون وعلى رأسهم عمر المختار وبرفقته أحمد العيساوي إلى موقع بنينة ؛ حيث معسكر المجاهدين الذي فرح بقدوم نجدة عمر المختار ورفقائه ، ثم شرعوا يهاجمون العدو ليلاً ونهاراً ، وكانت غنائمهم من العدو تفوق الحصر[(١٧٥)]. وقد بيَّنْتُ دور الزوايا في جهادها ضد إيطالية في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية ، والذي سميته (سيرة الزعيمين محمد المهدي السنوسي ، وأحمد الشريف).

ويذكر الشيخ محمد الأخضر العيساوي أنه كان قريباً من عمر المختار في معركة السلاوي عام (١٩١١ م) ، فوصف لنا بعض أحداث تلك المعركة ، فقال: ((... وقد فاجأنا العدو ، فقابله من المجاهدين الخيالة ، بينما كان العدو يضربنا بمدافعه الرشاشة ، واضطررنا للنزول في مكان منخفض مزروع بالشعير ، وكانت السنابل تتطاير بفعل الرصاص المنهمر ، فكأنها تحصد بالمناجل ، وبينما نحن كذلك ؛ إذ رأينا مكاناً منخفضاً أكثر من المكان الذي نحن فيه ، وأردنا أن يأوي إليه السيد عمر المختار بسبب خوفنا عليه ، فرفض بشدة ، حتى جاءه أحد أتباعه يدعى السيد الأمين ودفعه بقوة إلى المكان الذي اخترناه لإيوائه ، وحاول الخروج منه فمنعناه بصورة جماعية...))[(١٧٦)].

كما أشار الشيخ محمد الأخضر إلى إعجاب الضباط الأتراك به وبشجاعته وبالاراء السديدة التي تصدر عنه ، فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج من كلية عسكرية.

وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثاً للروح المعنوية في قوة خارقة ، وقد تحدثت في سيرة أحمد الشريف في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية عن حركة الجهاد في أيامها الأولى ضد إيطالية ، وكان عمر المختار من المقربين للشيخ أحمد الشريف السنوسي ، وبعد هجرته لازم عمر المختار الأمير محمد

إدريس ، وقام بواجباته خير قيام ، وبعد هجرة الأمير إلى مصر تولَّى أمر القيادة العسكرية بالجبل الأخضر ، وأخذ في تهيئة النفوس لمجابهة العدو ، وبدأ جولاته في أنحاء المنطقة للاتصال بالأهالي وزعمائهم ، بل وبالأفراد كخطوة أولى للعمل الجديد الشاق في نفس الوقت ، وقام بفتح باب التطوع للجهاد ، فأقبل الليبيون من أبناء قبائل الجبل بوجوه مستبشرة ، وقلوب مطمئنة ، وتلهُّف على مجابهة العدو الغادر ، وكانت ترافقه لجنة مكونة من أعيان وشيوخ قبائل المنطقة (البراغيث ، والحرابي ، والمرابطين) لمساعدته في عمله العظيم ، وكان من بينهم: بوشديق بومازق حدوث ، الصيفاط بوفروة ، محمد بولقاسم جلغاف ، حمد الصغير

حدوث ، دلاف بو عبد الله ، محمد العلواني ، سويكر عبد الجليل ، موسى بوغيضان ، الغرياني عبد ربه بوشناف ، عبد الله الخرساني ، عوض العبيدي ، رجب بوسيحة ، رواق بودرمان ، كريم بوراقي ، قطيط الحاسي ، وغير هؤلاء من علية القوم ، فزار أغلب مناطق الجبل والبطنان ، وكان سمو الأمير قد وصل إلى مصر (يناير ١٩٢٣ م) وما كاد السيد عمر ينتهي من جولته هذه ويطمئن للنتائج حتى قرر الالتحاق بسمو الأمير في مصر ليعرض عليه نتيجة عمله ، ويتلقى منه التوجيهات اللازمة[(١٧٧)].

سابعاً: سفره إلى مصر:

سافر في شهر مارس سنة (١٩٢٣ م) إلى مصر بصحبة علي باشا العبيدي ، وترك رفقاءه عند بئر الغبي حتى يعود إليهم ، واستطاع اجتياز الحدود المصرية ، وتمكَّن من مقابلة السيد إدريس بمصر الجديدة ، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها ، وظهر ذلك الولاء في إقامته بمصر عندما حاول جماعة من قبيلة المنفة وهي قبيلة السيد عمر المختار ، وكانوا قد أقاموا بمصر ، أن يقابلوا السيد عمر المختار للترحيب به ، فاستفسر المختار قبل أن يأذن لهم بذلك عما إذا كانوا قد سعوا لمقابلة الأمير عند حضوره إلى مصر ، فلما أجاب هؤلاء بالنفي معتذرين بأن أسباباً عائلية قهرية منعتهم من تأدية هذا الواجب ، رفض المختار مقابلتهم قائلاً: ((وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي ، وأنتم الذين تركتم شيخي الذي هو ولي نعمتي وسبب خيري؟! أما وقد فعلتم ذلك فإني لا أسمح لكم بمقابلتي ، ولا علاقة من الان بيني وبينكم))[(١٧٨)].

فما أن بلغ السيد إدريس ما فعله عمر المختار مع من جاء إليه من أبناء قبيلته ، حتى أصدر أمره بمقابلتهم ، فامتثل المختار لأمره[(١٧٩)].

حاولت إيطالية بوساطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار ، وعرضت عليه بأنها سوف تقدم له مساعدة إذا ما تعهد باتخاذ سكنه في مدينة بنغازي أو

المرج ، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف إيطالية ، وأن حكومة روما مستعدة بأن تجعل من عمر المختار الشخصية الأولى في ليبية كلها ، وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانتها عند إيطالية في طرابلس وبنغازي ، وإذا ما أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهَّد بأن يكون لاجئاً ويقطع علاقته بإدريس السنوسي ، وفي هذه الحالة تتعهد حكومة روما بأن توفر له راتباً ضخماً يمكنه من حياة رغيدة ، وهي على استعداد أن يكون الاتفاق بصورة سرية ، وتوفير الضمانات لعمر المختار ، ويتم كل شيء دون ضجيج تطميناً لعمر المختار ، وقد طلبت منه نصح الأهالي بالإقلاع عن فكرة القيام في وجه إيطالية[(١٨٠)].

وقد أكد عمر المختار هذا الاتصال وهو في مصر لما سئل عن ذلك ، وقال: ثقوا أنني لم أكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد ، ومهما حاول أحد أن يغير من عقيدتي ورأيي واتجاهي فإن الله سيخيبه ، ومن (طياح سعد) إيطالية ورسلها هو جهلها بالحقيقة. وأنا لم أكن من الجاهلين والموتورين فأدعي أنني أقدر أعمل شيئاً في برقة ، ولست من المغرورين الذين يركبون رؤوسهم ويدعون أنهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالي بالاستسلام ، إنني أعيذ نفسي من أن أكون في يوم من الأيام مطية للعدو وأذنابه ؛ فأدعو الأهالي بعدم الحرب ضد الطليان ، وإذا ـ لا سمح الله ـ قدّر عليّ بأن أكون موتوراً ؛ فإن أهل برقة لا يطيعون لي أمراً يتعلق بإلقاء السلاح. إنني أعرف أن قيمتي في بلادي ـ إذا ما كانت لي قيمة أنا وأمثالي ـ فإنها مستمدة من السنوسية[(١٨١)].

لقد استمرت عروض الإيطاليين على عمر المختار حتى بعد رجوعه للبلاد ، وحاولوا استمالته بالمال الطائل ، والمناصب الرفيعة ، والجاه العريض في ظل حياة رغيدة ناعمة ، ولكنهم لم يفلحوا ، لقد كان عمر المختار رجل عقيدة ، وصاحب دعوة ، ومؤمناً بفكرة استمدت أصولها وتصوراتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) ، ويفهم جيداً معنى قول الله تعالى:

[الإسراء: {كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسرَاء: ١٩] ـ ١٩].

وعندما خرج السيد عمر المختار من مصر قاصداً برقة لمواصلة الجهاد اجتمع به مشايخ قبيلته

الموجودون بمصر من المتقدمين في السن ، وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوة أنه قد بلغ من الكبر عتياً ، وأن الراحة والهدوء ألزم له من أي شيء اخر ، وأن باستطاعة السنوسية أن تجد قائداً غيره لتزعم حركة

الجهاد في برقة ، فغضب عمر المختار غضباً شديداً ، وكان جوابه قاطعاً فاصلاً ، فقال لمحدثيه: ((إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيراً لي؛ لأن ما أسير فيه إنما هو طريق خير ، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكها ، وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي))[(١٨٢)].

لقد كان عمر المختار يعتقد اعتقاداً راسخاً أن ما كان يقوم به من الجهاد إنما هو فرض يؤديه ، وواجب ديني لا مناص منه ولا محيد عنه ، ولذلك أخلص في عمله وسكناته وأحواله وأقواله لقضية الجهاد في ليبية ، وكان يكثر من الدعاء لله تعالى بأن يجعل موته في سبيل هذه القضية المباركة ، فكان يقول: ((اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة))[(١٨٣)] ، وأصر على البقاء في أرض الوطن الحبيب ، وقال: ((لا أغادر هذا الوطن حتى ألاقي ربي ، والموت أقرب إليَّ من كل شيء ؛ فإني أترقبه بالدقيقة))[(١٨٤)].

وعندما عرض عليه أن يترك ساحة الجهاد ، ويسافر إلى الحج قال: ((لن أذهب ولن أبرح هذه البقعة حتى يأتي رسل ربي ، وإن ثواب الحج لا يفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة))[(١٨٥)].

وقال: ((كل مسلم الجهاد واجب عليه وليس منه ، وليس لغرض أشخاص وإنما هو لله وحده))(٤).

إن هذه الكلمات التي كتبت بماء الذهب على صفحات تاريخنا المجيد نابعة من فهم عمر المختار لقوله تعالى:

[التوبة: {وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ *يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ *خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ *} [التّوبَة: ١٩-٢٢] . ٢٢].

ومن فهمه لأحاديث رسول الله (ص): ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[(١٨٦)].

ولقوله (ص): ((من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد))[(١٨٧)].

إن هذه الايات الكريمة والأحاديث الشريفة ، كانت المنهج العقدي والفكري الذي تربت عليها كتائب المجاهدين ، وقادتها الكرام الذين تربوا في أحضان الحركة السنوسية.

تمَّ الاتفاق بين الأمير إدريس وعمر المختار على تفاصيل الخطة التي يجب أن يتبعها المجاهدون ضد العدو الغاشم المعتدي على أساس تشكيل المعسكرات ، واختيار القيادة الصالحة لهذه الأدوار ، وأن تظل القيادة العليا من نصيب عمر المختار نفسه ، وزوده الأمير بكتاب إلى السيد الرضا بهذا المعنى ، وتم الاتفاق على بقاء الأمير في مصر ليقود العمل السياسي ، ويهتم بأمر المهاجرين ويضغط على الحكومة المصرية والإنكليزية بالسماح للمجاهدين بالالتجاء إلى مصر ، ويشرف على إمداد المجاهدين بكل المساعدات الممكنة من مصر ، ويرسل الإرشادات والتعليمات اللازمة إلى عمر المختار في الجبل ، واتفق على أن يكون الحاج التواتي البرعصي حلقة الوصل بين الأمير وقائد الجهاد ، وبعد ذلك الاتفاق غادر عمر المختار القاهرة ، وعند وصوله إلى السلوم وجد بعض رفقائه في انتظاره ، فأخذ الجميع حاجتهم من المؤن الكافية لرحلتهم إلى الجبل الأخضر ، وغادروا السلوم إلى برقة[(١٨٨)].

وقد حدث في أثناء وجود عمر المختار أن اشتبك المجاهدون مع الطليان في معركتين كبيرتين في بير بلال والبريقة في ذي القعدة (١٣٤١ هـ/١٩٢٣ م) ، فانتصر المجاهدون على الطليان في معركة بير بلال بقيادة المجاهد قجة عبد الله السوداني ، واستشهد كل من المهدي الحرنة ، والشيخ نصر الأعمى وغيرهم ، وقد ساهم في هذه المعركة صالح الأطيوش ، والفضيل المهشهش ، وكانت نفقات المجاهدين في هذه المعركة على حساب الفضيل المهشهش ، ووقعة معركة البريقة بعد بير بلال بأربعة أيام ، واستشهد فيها من أبطال الجهاد: إبراهيم الفيل[(١٨٩)].

ومع هذه الانتصارات إلا أن الطليان استطاعوا احتلال أماكن للمجاهدين في برقة، وزحفوا على معسكر العواقير بموقع البدين ، وبعد معركة شديدة كبدت الطرفين خسائر فادحة انسحب المعسكر إلى إجدابية، واستمر الزحف الإيطالي يلاحق المجاهدين حتى اشتبك مع طلائع معسكر المغاربة في الزويتينة؛ ولم يطل الدفاع عنها حتى احتلها الطليان، وواصلوا زحفهم إلى إجدابية حيث احتلوها في (أبريل ١٩٢٣ م)[(١٩٠)].

ثامناً: معركة بئر الغبي:

كانت عيون إيطالية تترصد حركة عمر المختار في دعوته إلى برقة ، ولكنها فشلت في اللقاء به قبل أن يصل إلى رفاقه ، وما كاد يصل إلى بئر الغبي حتى فوجأى بعدد من المصفحات الإيطالية ، وإليك أحداث المعركة كما رواها عمر المختار بنفسه:

((كنا لا نتجاوز الخمسين شخصاً من المشايخ والعساكر ، وبينما تجمع هؤلاء حولنا لسؤالنا عن صحة سمو الأمير ، وكنا صائمين رمضان ، وإذا بسبعة سيارات إيطالية قادمة صوبنا ، فشعرنا بالقلق لأن مجيئها كان محل استغرابنا ومفاجأة لم نتوقعها ، وكنا لم نسمع عن هجوم الطليان على المعسكرات السنوسية ، واحتلالهم إجدابية ، فأخذنا نستعد في هدوء والسيارات تدنو منا في سير بطيء ، فأراد علي باشا العبيدي أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكني منعته قائلاً: لابد أن نتحقق قبلاً من الغرض ونعرف شيئاً عن مجيء هذه السيارات؛ كي لا نكون البادئين بمثل هذه الحوادث ، وبينما نحن في أخذ ورد وإذا بالسيارات تفترق في خطة منظمة المراد منها

تطويقنا ، وشاهدنا المدافع الرشاشة مصوبة نحونا فلم يبق هنا أي شك فيما يراد بنا ، فأمطرناهم وابلاً من رصاص بنادقنا ، وإذا بالسيارات قد ولت الأدبار إلى منتجع قريب منا ، وعادت بسرعة تحمل صوفاً ، ولما دنت منه توزعت توزيعاً محكماً ، وأخذ الجنود ينزلون ويضعون الأصواف (الخام) أمامهم ليتحصنوا بها من رصاصنا[(١٩١)] ، وبادرنا بطلق الأعيرة ، فأخذ علي باشا يولع سيجارة وقلت له: رمضان يا علي باشا! منبهاً إياه للصوم ، فأجابني قائلاً: (مو يوم صيام المنشرزام)[(١٩٢)].

وفي أسرع مدة انجلت المعركة عن خسارة الطليان ، وأخذت النار تلتهم السيارات إلا واحدة فرت راجعة ، وغنمنا جميع ما كان معهم من الأسلحة))[(١٩٣)].

ثم استمر المجاهدون في سيرهم حتى بلغوا الجبل الأخضر ، ووصلوا إلى زاوية القطوفية (مكان معسكر المغاربة) ، وقابلهم صالح الأطيوش والفضيل المهشهش ، ووقف عمر المختار على تفاصيل معركة البريقة وحال المجاهدين ، ثم واصل سيرة إلى جالو مقر السيد محمد الرضا ليبلغ التعليمات التي أخذها من سمو الأمير.

وبعد أن تم اللقاء بين عمر المختار والسيد الرضا اتفقا على تنظيم حركة الجهاد وإنشاء المعسكرات في الجبل الأخضر ، واقترح عمر المختار على الرضا أن يرسل ابنه الصديق إلى معسكر المغاربة عند صالح الأطيوش ، معسكر العواقير بقيادة قجة عبد الله السوداني ، وهي معسكرات قريبة من بعضها ، ثم غادر عمر جالو إلى الجبل الأخضر وشرع في تشكيل المعسكرات للمجاهدين ، وأنشئت معسكرات البراعصة والعبيد والحاسة ، فاختار الرضا حسين الجويفي البرعصي لقيادة البراعصة ، ويوسف بورحيل المسماري لمعسكر البراغيث ، والفضيل بو عمر لمعسكر الحاسة ، وأصبح عمر المختار القائد الأعلى لتلك المعسكرات.

وبدأ الجهاد الشاق والطويل ، واستمر متصلاً ومن غير هوادة حوالي ثمانية أعوام.

وكان عاما (١٩٢٤ م ، ١٩٢٥ م) قد شهدا مناوشات عدة ومعارك دامية ، ووسع المجاهدون نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر ، ولمع اسم عمر المختار ، ونجم كقائد بارع يتقن أساليب الكر والفر ، ويتمتع بنفوذ عظيم بين القبائل ، وأخذ العرب من أبناء القبائل ينضمون إلى صفوف المجاهدين ، وبادرت القبائل بإمداد المجاهدين بما يحتاجون من مؤن وعتاد وأسلحة ، وكان لقبائل العبيد والبراعصة والحاسة والدرسة والعواقير وأولاد الشيخ والعوامة والشهيبات والمنفا والمسامير أكبر نصيب في حركة الجهاد.

كان معسكر البراغيث هو مركز الرياسة العامة ومقر القائد العام عمر المختار ، وهو النواة الأولى وحجر الأساس لمعسكرات الجبل الأخضر الثلاثة ، وكان عمر المختار يلقب بنائب الوكيل العام ، وكان السيد يوسف بورحيل يعرف بوكيل النائب ، وهكذا فقد تنظم الجهاز الحكومي في هذه المنطقة الواسعة بتشكيل المحاكم الشرعية والصلحية وإدارة المالية (المحاسبة ، والأرزاق ، جباية الزكاة الشرعية ، الخمس من الغنائم) ، واستمر التعاون بين هذه المعسكرات الثلاثة وفروعها في السراء والضراء ، وأخذت تقوم بحركات عظيمة ضد العدو ، وشن الغارة عليه في معاقله؛ كما كانت تتصدَّى لزحفه عليها ، فتهجم حيناً ، وتنسحب حيناً اخر حسب ظروف الحرب[(١٩٤)].

أصبح تفكير إيطالية محصوراً في برقة التي لم يتمكن الطليان منذ زحفهم على إجدابية سنة (١٩٢٣ م) من احتلال مواقع تذكر عدا مدينة إجدابية ، ولذلك اهتمت إيطالية ببرقة ، وانحصرت مجهوداتها في الفترة الواقعة بين سنة (١٩٢٣ م) وبين (١٩٢٧ م) على معسكرات عمر المختار الذي لم يخرج يوماً من معركة إلا ليدخل في معركة أخرى.

وفي عام (١٩٢٧ م) وقع الوكيل العام السيد رضا المهدي السنوسي في الأسر بطريق الخديعة والخيانة والغدر ، وسقطت مناطق برقة الحمراء والبيضاء تدريجياً.

كانت قيادة الجيش الإيطالي في برقة قد بدلت ، وتولى أمرها لتنفيذ الخطة الجديدة التي تستهدف ضرب الحصار على حركة الجهاد في الجبل الأخضر

(ميزتي) ، كما استبدل والي بنغازي الإيطالي (مومبيلي) بخلفه الجنرال (تيروتس) ، وهو من زعماء الحزب الفاشيستيين ، وزود الجنرال ميزتي بعدد كبير من الجنرالات وكبار الضباط وأركان الحرب لمساعدته ، وفي نفس السنة تقدمت القوات الإيطالية من طرابلس بقيادة الجنرال غرسياني ، فاحتلت واحة الجفرة

والقسم الأكبر من فزان ، واشتبكت قبائل المغاربة بزعامة صالح الأطيوش وقبائل أولاد سليمان بزعامة عبد الجليل سيف النصر ، ودور حمد بك سيف النصر ، وبعض اللاجئين إلى تلك الجهات من قبائل العواقير بزعامتي عبد السلام باشا الكزة ، والشيخ سليمان رقرق ، ودخلت هذه القبائل في معارك بجهات الخشة ، وكانت الغلبة فيها للجيش الإيطالي الزاحف ، فالتجأ المجاهدون إلى منطقة الهاروج من الصحراء ، ومن ثم اشتركوا مع العدو في معارك عنيفة ؛ منها: معركة الهاروج ، ومعركة جبل السوداء ، ومعركة قارة عافية ، وكان من بين من حضروا هذه المعركة الأخيرة السيد محمود بوقويطين أمير اللواء وقائد عام قوة دفاع برقة في زمن المملكة الليبية المتحدة ، والسيد السنوسي الأشهب[(١٩٥)].

كانت القيادة الإيطالية حريصة على الاستيلاء على فزان ، فخرجت في أواخر يناير (١٩٢٨ م) قوتان: إحداهما من غدامس ، والأخرى من الجبل الأخضر ، وكان الجيش بقيادة غرسياني ، والتحم المجاهدون مع ذلك الجيش في معركة دامية استمرت خمسة أيام بتمامها ، انهزم فيها الطليان شر هزيمة ، فتقهقروا تاركين ما لديهم من مؤن وذخائر ، ثم ما لبث أن خرجت قوة أخرى قصدت فزان مباشرة ، فعلم المجاهدون بأمرها بعد خروجها بثلاثة أيام ، وانسحبوا إلى الداخل ، حتى إذا وصل هذا الجيش الجديد إلى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجبال السود ؛ انقضَّ المجاهدون على الطليان وأرغموهم على التقهقر ، فعمل قواد الحملة إلى الفرار بسياراتهم تاركين وراءهم الجيش الذي وقع أكثره في قبضة المجاهدين ، فاستأصلوهم عن اخرهم ، وعندئذ لم يجد الطليان مناصاً من أن يجددوا محاولتهم ، فخرجت هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة ؛ غير أن الطليان ما لبثوا أن انهزموا في هذه المعارك وتركوا وراءهم غنائم وأسلاباً كثيرة[(١٩٦)] ، وجدد الطليان

المسعى وخرجوا من الجفرة في (٣ فبراير ١٩٢٨ م) بجيش كبير ، وزحفوا على زلة واحتلوها في ٢٢ فبراير ، وواصلت القوات الإيطالية سيرها واحتلت ابار تتقرفت في ٢٥ فبراير ، واستمرت العمليات وانتهت باحتلال مرادة ، وأصبحت زلة وجالو وأوجلة ومرادة تحت سيطرتهم ، ومما ساعد الطليان على احتلالهم لتلك الواحات سقوط الجغبوب قبل ذلك في أيديهم ، وسياستهم الرامية لتفتيت الصف بوساطة بعض عملائهم ، وكان الطليان يبذلون الأموال والوعود لزعماء القبائل لوقف القتال ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً.

كان احتلال الجغبوب ، جالو ، أوجلو ، وفزان وغيرها من الواحات قد جعل عمر المختار في عزلة تامة في الجبل الأخضر ، ومع هذا ظل عمر المختار يشن الغارات على درنة وما حولها ، حتى أرغم الطليان

على الخروج بجيوشهم لمقابلته ، فاشتبك معهم في معركة شديدة استمرت يومين كان النصر فيها حليفه ، وفرّ الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع الجبلية وصناديق الذخيرة والجمال ، ودواب النقل[(١٩٧)].

وكانت القبائل تتعاون مع قائد حركة الجهاد تمده بالرجال، والمؤن، والمعلومات، وعلى سبيل المثال كان حامد عبد القادر المبروك من شيوخ قبيلة المسامير يمد المختار بالمعلومات المهمة دون تأخر ، ويشارك في عمليات الجهاد مع أبناء قبيلته دون علم الطليان ، ويرجع من كتبت له الحياة إلى موطنه ، ويستشهد من يستشهد ، وكان زعماء القبائل التابعة للحركة السنوسية يجمعون الأعشار والزكاة ويمدون بها حركة الجهاد بالرغم من وجود الكثير منهم تحت السلطات الإيطالية ، وخصوصاً من كان في المدن كبنغازي ، والمرج ، ودرنة ، وطبرق وغيرها ، وكانت وسائل مد المجاهدين بأموال الزكاة والأعشار تتم في غاية السرية ، وعجزت المخابرات الإيطالية عن اكتشاف اللجان الخاصة بالدعم المالي للمجاهدين ، ومن وقع في أيدي السلطات الإيطالية كانت عقوبته الإعدام ، وكانت الغنائم تمثل مصدراً مهماً لتمويل حركة الجهاد في فترة عمر المختار ، ومعظم الغنائم تم الحصول عليها في المعارك التي تمكن فيها المجاهدون من هزيمة الإيطاليين؛ مثل معركة الرحيبة في
مارس (١٩٢٧ م)[(١٩٨)] ، وقد وصف حافظ إبراهيم هذا المصدر في أبياته الشعرية ، فقال:

حاتم الطليان قد قلدتنا   منة نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عدة   ولباساً وشراباً وطعاما
وسلاحاً كان في أيديكم   ذا ملال فغدا يفري العظاما
أكثروا النزهة في أحيائنا   وربانا إنها تشفي السقاما
لست أدري بت ترعى أمة   من بني الطليان أم ترعى سواما[(١٩٩)]

وقال الأستاذ أحمد كاشف ذو الفقار:

يا ال رومة تطلبون أمانياً   ختالة أم تطلبون منونا
جئتم تجرون الحديد ورحتم   بحديدكم في اليم مغلولينا
ورقصتم فيه سكارى فارقصوا   في الليلة السوداء مذبوحينا
لكن استفزكم صليل سيوفكم   فلقد تبدَّل زفرة وأنينا

إلى أن قال:

هاتوا الذئاب إلى الليوث فخمسة منهم أبادوا منكمُ خمسينا

واستجمِعوا حيتانكم ونسوركم فالصائدون هناك مرتقِبونا

واستكثروا الزاد الشهيَّ فإنكم وسلاحكم والزاد مأخوذونا

لم يبق منهم معسر أو أعزل بعد الذي غنموه منتصرينا

واستكملوا المدد الكبير بفتية سيقوا إلى الهيجاء هيَّابينا

أحسبتم بطحاء برقة حانة لكم وغزو القيروان مجونا[(٢٠٠)]

وكانت كل عائلة قد أخذت على عاتقها تزويد مجاهديها بما يلزم من شؤون وملابس ، ترسله شهرياً إلى الدور (المعسكر).

وكان الأمير إدريس يتحين الفرص لتزويد المجاهدين ؛ فقد ذكر الأشهب بأن قافلة وصلت إلى المجاهدين قادمة من مصر وكان فيها سليمان العميري (من قبيلة

أولاد علي) ، وبومنيقر المنفي (من رفاق عمر المختار) ؛ يحملان رسائل من سمو الأمير ، وكانت القافلة محملة بالأرز والدقيق والسكر والشاي وبعض الملابس ، وكان الطيب الأشهب موجوداً في معسكر المجاهدين وقت وصول القافلة[(٢٠١)] ، وقد ذكر صاحب كتاب (حياة عمر المختار) بأن القافلة استطاعت أن تخرج من السلوم محملة بمختلف العتاد والمؤن قاصدة معسكر المجاهدين في الجبل الأخضر ، فعلم الطليان بذلك وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها ، ولكنَّ المجاهدين صمدوا لهم ، وأطلقوا رصاص بنادقهم على العجلات فتعطلت السيارات، وعندئذ انقض المجاهدون على القوة الإيطالية فأبادوها عن اخرها ، وكان ذلك في عام (١٩٢٨ م)[(٢٠٢)].

وكان المجاهدون يستفيدون من تلك المصادر ويقومون بشراء حاجيات المجاهدين من الأسواق في المدن والقرى ، ويشترون ما يلزمهم من المؤن والأسلحة ويجمعون المعلومات عن تحركات العدو العسكرية ، كل هذه الأعمال يقوم بها أتباع عمر المختار وبمساعدة سكان المدن والقرى الذين يخفون المجاهدين في بيوتهم ومخيماتهم ، وكان المتطوعون يتدفقون على معسكرات الجهاد ، وكانوا يعتمدون على أنفسهم في توفير السلاح ووسيلة الركوب والتموين ، وكان نظام الأدوار (المعسكرات) يتميز بالاتي:

١ ـ يلتزم كل دور بتوفير التموين اللازم لأفراده ، فهم بالإضافة إلى اشتراكهم في عمل واحد، هم أبناء عشيرة واحدة مترابطة ، ويوجد بالدور أشخاص مكلفون بجباية الزكاة وجمع الأعشار، وهؤلاء يقومون

بعملهم بناء على تكليف كتابي من عمر المختار، وهم بدورهم يجرون إيصالات (كوشان) بقيمة المبالغ والأشياء التي استلموها.

وقد عين لكل دور رئيس إدارة يشرف على تموين الدور من حيث التوزيع والتخزين والتدبير وتسلم الأموال والتبرعات التي تصل لقيادة الدور ، فقد عين عمران راشد القطعاني رئيساً لإدارة دور البراعصة والدرسة ، وعين التواتي العرابي رئيساً لإدارة دور العبيدات والحاسة ، وعين الصديق بو هزاوي مأموراً للأعشار ،

ويتبع عمر المختار مباشرة ، وعين داود الفسي رئيساً لإدارة دور العواقير[(٢٠٣)].

٢ . يقوم كل دور بتعويض الشهداء من المقاتلين باخرين من قبائلهم ، وهكذا لا يتأثر الدور كثيراً لفقد الشهداء ، فبعد كل معركة يتم حصر الشهداء وإلى أي القبائل ينتمون ، ثم يرسل إلى كل قبيلة العدد الذي يجب أن تعوضه عن شهدائها ، وإذا لم تجد العدد المطلوب تدفع لقيادة الجهاد ١٠٠٠ فرنك عن كل شهيد لكي يجند بها العدد اللازم.

٣ . تتبارى مجموعات القبائل في تقديم البطولات والتضحيات حتى لا تكون موضع سخرية واستهزاء أمام بقية القبائل ، وكان المجاهد الليبي يغضب غضباً شديداً ويحزن إذا فاته الاشتراك في إحدى المعارك أو تخلف عنها لسبب من الأسباب ، وإبراهيم الفيل العريبي نموذج لهؤلاء ؛ فقد فاته أن يشارك في معركة بلال ، فحزن حزناً شديداً ، إلا أن قادة الجهاد طمأنوه وقالوا له: إن أيام الجهاد كثيرة ، وفي اليوم التالي جرت معركة البريقة ، فاشترك فيها وهجم بفرسه على سيارات الأعداء ، وصار يقاتل حتى أكرمه الله بالشهادة.

٤ . يتوجب على كل دور توفير الحماية اللازمة لذويه عن طريق الدوريات ، والرباطات التي تراقب تحركات القوات الإيطالية ، أو أي تحركات غير عادية لمعرفتهم بمسالك المنطقة ودروبها وأماكن المياه بها ، فعندما يحل الدور بمنطقة ما يضع دورية في كل اتجاه لتراقب وضع القوات الإيطالية في تلك المنطقة ، وتغطي أخبار تحركاتها للمجاهدين أولاً بأول ، حتى يكونوا على علم باتجاه وتحركات العدو ، وحين يلتقي أفراد الدورية بالأعداء يطلقون ثلاث إطلاقات ، وعند سماع تلك الإطلاقات يستعد الجميع لملاقاة الأعداء في الجهة التي سمع منها إطلاق الرصاص.

كما تقوم دوريات أخرى تعرف باسم (الرباط) بمراقبة الإيطاليين في مراكزهم التي يحتلونها للحصول على معلومات عن تحركاتهم عن طريق الأهالي الموجودين داخل تلك المدن ، وكثيراً ما يتعرض بعض هؤلاء

الأهالي بسبب تعاونهم مع المجاهدين لعقوبة الإعدام ، كما حدث مع سليمان بن سعيد العرفي الذي أدانته

المحاكم الإيطالية بالتعاون مع المجاهدين ، وحكمت عليه بالإعدام ، فأعدم شنقاً[(٢٠٤)].

كان نظام الأدوار يقوم على أساس قبلي ، ويعتبر الدور وحدة عسكرية وإدارية ، واجتماعية يرأسها قائم مقام ، وتتمثل فيه السلطة الإدارية والعسكرية ، يساعده قوماندان (قائد) أو أكثر حسب حجم الدور والقبائل المنضوية تحته.

وقد استخدم عمر المختار النظام العسكري العثماني ، فبالإضافة إلى القائم مقام والقوماندان هناك الرتب الاتية: . بكباشي . يوزباشي . ملازم أول . ملازم ثاني . كوجك ضابط (ضابط صغير) ، باش شاوش . شاوش . أمباشي.

وكانت الترقيات تتم على أسس ميدانية بناء على ما يقدمه الشخص من أعمال وبطولات في ميادين المعارك والمواقف الدقيقة ، إذ يرفع إلى عمر المختار تقرير من الرئيس المباشر بشرح الحالة التي استحق عليها المعنيُّ الترقية ، ويصدر بذلك أمر كتابي من عمر المختار على بقية المجاهدين[(٢٠٥)].

وكان هناك مجلس أعلى يرأسه المختار يتكون من: يوسف بورحيل ، حسين الجويفي ، الفضيل بو عمر ، محمد السركسي ، موسى غيضان ، محمد مازق ، محمد العلواني ، جربوع سويكر ، قطيط الحاسي ، رواق درمان ، وفي حالة غياب عمر المختار يرأس المجلس يوسف بو رحيل[(٢٠٦)].

وكان لكل من الأدوار مجلس يتكون من مشايخ القبائل وأعيانها من المعروفين بالحكمة وسداد الرأي ، ومهمة هذا المجلس استشارية ، وهو في حالة انعقاد دائم لمواجهة الطوارأى والإسهام في حل المشاكل التي قد تحدث بالدور[(٢٠٧)].

تاسعاً: معركة أم الشافتير (عقيرة الدم):

استمر المجاهدون في الجبل الأخضر يشنون الهجمات على القوات الإيطالية ، وحققوا انتصارات رائعة ؛ من أشهرها موقعة يوم الرحيبة بتاريخ (٢٨ مارس

١٩٢٧ م)[(٢٠٨)] جنوب شرقي المرج وقرب جردس العبيد ، ووقعت بعد معركة الرحيبة معارك ضارية في بئر الزيتون (١٠ محرم ١٣٣٥ هـ ، ١٠ يوليو ١٩٢٧ م) ، ورأس الجلاز (١٣ محرم ١٣٣٥ هـ ، ١٣ يوليو ١٩٢٧ م).

أراد الإيطاليون أن ينتقموا لقتلاهم في معركة الرحيبة ، فشرعوا يعدون العدة للانتقام لقتلاهم الضباط الستة وأعوانهم المرتزقة البالغ عددهم (٣١٢) ؛ في محاولة لإعادة معنوياتهم المنهارة نتيجة لتلك الهزيمة الساحقة ؛ وتم إعداد الجيوش الجرارة ، لتتخذ من الجبل الأخضر قاعدة لها على النحو التالي[(٢٠٩)]:

١ ـ الجنرال مازيتي القائد العام للقوات الإيطالية قائداً لإحدى الفرق فوق الجبل الأخضر ٨ يوليو من مرارة: أربع فرق أرترية ـ فرقة ليبية ـ أربع فرق خيالة ـ بطارية أرترية.

٢ ـ الكورنيل إسبيرا إنذائي: ٨ يوليو من الجراري (جردس الجراري) أو جردس البراعصة: أربع فرق أرترية ـ فرقة ليبية ـ بطارية ليبية ـ فرقة غير نظامية.

٣ ـ الكورنيل منتاري: ٨ يوليو من خولان: فرق أرترية ـ فرق غير نظامية.

٤ ـ الماجور بولي: ٩ يوليو غوط الجمل: فرقة مهماريستا ـ فرقة سيارات مصفحة ـ نصف فرقة ليبلير ـ فصيلان قناصة على الدبابات.

ويضاف إلى تلك الاستعدادت سلاح الطيران الذي انطلق من قواعده بالمرج ومراوة وسلطنة.

وقد كانت قوات الإيطاليين ضخمة ؛ مما تدلنا على خوفهم ورهبتهم من قوات المجاهدين.

كان عدد المجاهدين ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ مجاهد[(٢١٠)] ؛ منهم حوالي ٢٥% من سلاح الفرسان ، ويرافقهم حوالي ١٢ ألف جمل[(٢١١)] ، عليها ما يثقل تحركاتهم من النساء والأطفال والشيوخ والأثاث ؛ علمت إيطالية بوساطة جواسيسها بموقع

المجاهدين في عقيرة أم الشفاتير، فأرادت أن تحكم الطوق على المجاهدين ، فزحفت القوات الإيطالية نحو العقيرة بعد مسيرة دامت يومين كاملين ، واستطاعت أن تضرب حصاراً حول المجاهدين من ثلاث جهات، وبقوات جرارة تكونت من حوالي (٢٠٠٠) بغل ، ٥٠٠٠ جندي ، ١٠٠٠ جمل ؛ بالإضافة إلى السيارات المصفحة والناقلة.

علم المجاهدون بذلك ، وأخذوا يعدون العدة لملاقاة العدو ، فأعدوا خطة حربية ، وقاموا بحفر الخنادق حول أطراف المنخفض ليستتر بها المجاهدون ، وخنادق أخرى لتحتمي بها الأسر من نساء وأطفال وشيوخ ، وتم ترتيب المجاهدين على شكل مجموعات حسب انتمائهم القبلي ، ووضعت أسر كل قبيلة خلف رجالها المقاتلين ، وكان قائد تلك المعركة التقي الزاهد الورع الشيخ حسين الجويفي البرعصي ، وكان عمر المختار من ضمن الموجودين في تلك المعركة.

كان الشيخ حسين الجويفي ممَّن تجرد للجهاد في سبيل الله ، وطلب رحمة الله تعالى ، وكان يقول: ((أنا لا أريد قيادة ولا منصباً ، بل أريد جهاداً رغبة في ثواب الله تعالى))[(٢١٢)].

كان ذلك الصنديد محل تقدير من قبل إخوانه. قال في حقه قائده الأعلى عمر المختار عقب استشهاده: أتذكر حسين الجويفي عند اللقاء مع العدو ، أو عند قراءة القران الكريم وقت الورد[(٢١٣)].

كما عُرف عنه أنه لم يبرح فرسه يوماً أثناء المعركة لينال من أسلاب العدو ، بل يتركها للمجاهدين لعفته وقناعته بما يملك من أموال ومواشٍ.

لقد أسندت إليه قيادة المعركة لمعرفته بشعاب ودروب المنطقة التي كان يسكنها ، مع كونه أحد قادة الجهاد ، وأحد المستشارين لعمر المختار ، وقائم مقام البراعصة والدرسة في فترة سابقة ، فكان في تلك المعركة فوق جواده يجوب الميمنة والميسرة والقلب ، وهو عاري الرأس لا يخشى الموت ، يوزع صناديق الذخيرة على المقاتلين تارة ، ويطلق عبارات التشجيع مرة أخرى ، ويقوم بتحريك جبهات القتال ، وتنظيم هجومات المجاهدين ، وترتيب صفوفهم.

وسقط الشهداء واشتدت المعركة ، وارتفعت درجة حرارة البنادق بسبب استمرار إطلاق العيارات النارية ، واستعمل المجاهدون الخرق البالية لتقيهم حرارة مواسير البنادق التي لا تطيقها يد المجاهد ، وكان بعض المجاهدين يملك بندقيتين يستعمل الواحدة مدة ، ثم يتركها حتى تبرد ويتناول الأخرى.

وخصص القائد حسين فرقة من المجاهدين للتصدي للمصفَّحات المهاجمة من الجنوب ، وعددها ثلاثون مصفحة ، ولعب كومندار طابور المعية المجاهد سعد العبد السوداني دوراً بارزاً ، وأظهر شجاعة نادرة بأن قاد تلك الفرقة المواجهة للمصفحات الإيطالية ، وتمكن من تدمير أغلبها مع رجاله ، وانتزع المجاهد رمضان العبيدي العلم الإيطالي من على إحدى المصفحات ، وبدأ الجيش الإيطالي في التقهقر ، ودخل الرعب نفوس ضباطه وجنوده الذين وجدوا فرصة الحياة في الهروب ، وبالرغم من قصف الطائرات إلا أن الإيمان القوي ، واحتساب الأجر عند الله كان دافعاً مهماً لدى المجاهدين.

كانت خسائر المجاهدين في الأرواح ٢٠٠ شهيد ؛ من بينهم القائم مقام محمد بونجوي المسماري الذي استشهد في اليوم الثالث إثر إصابته بجرح مميت ، وكانت مكانته عظيمة في نفوس المجاهدين ووالد زوجة عمر المختار الذي بكاه بكاءً حارّاً ، وقال بعد أن سمع باستشهاده: ((راحو الكل يا عين الجيران وأصحاب الغلا))[(٢١٤)].

واستشهد كل من جبريل العوامي ، وستة من قبيلة العوامة ، ومحمد بو معير الدرسي ، والشلحي الدرسي ، ومحمد الصغير البرعصي ، وفقد المجاهدون في تلك المعركة عدداً كبيراً من الإبل والمواشي ، وتم حرق بعض الخيام من جراء الغارات الجوية.

ومكث المجاهدون طيلة الليل يدفنون الشهداء وينقلون الجرحى ، وقبل بزوغ الفجر رحلوا عن ذلك الموقع ، بهدف الإعداد والاستعداد للقاء العدو في موقع جديد من مواقع القتال[(٢١٥)] ، وأصبحت القوات الإيطالية كما يقول تيروتسي:

((أصبحت الان منهوكة القوى تخور إعياء من شدة المعارك المستمرة منذ فترة طويلة دون توقف...))[(٢١٦)].

وكانت نتائج تلك المعركة فيما يلي:

١ ـ كانت معركة أم الشفاتير بداية نقطة فاصلة في اتباع استراتيجية جديدة عند عمر المختار ، وهي ضرورة إعادة تنظيم المجاهدين على هيئة فرق صغيرة[(٢١٧)] ، تلتحم مع العدو عند الضرورة ، وتشغله في أغلب الأوقات مما يقلل في عدد الشهداء أثناء المعارك ، ويلحق الخسائر الفادحة بالأعداء وفق التكتيك الجديد لحرب العصابات (اهجم في الوقت المناسب ، وانسحب عند الضرورة).

٢ ـ لمح عمر المختار بنظره الثاقب ملامح السياسة الفاشستية الجديدة ؛ وهي الإبادة والتدمير (للمصالح والرجال) ، فاتخذ إجراءات ترحيل النساء والأطفال والشيوخ إلى السلوم لحمايتهم من الغارات الجوية الإيطالية ، وتيسيراً لسهولة تحرك المجاهدين وفق ما يتطلبه الموقف الجديد.

٣ ـ كما سُمِحَ لأحد الأخوين بالهجرة للمحافظة على وريث لهما فيما بعد ، حتى يكون دائماً هناك من يطالب بحقوقه ويزعج المستعمرين الطليان ، وللتعريف بالقضية الليبية بتلك البلدان ، ونتج عنه فيما بعد تشكيل الجاليات الليبية في الخارج[(٢١٨)].

٤ ـ أيقن الإيطاليون أنه لا جدوى من الاستمرار في العمليات العسكرية ضد المجاهدين ، مما كان سبباً في توقفها طيلة سنة (١٩٢٨ م)[(٢١٩)]. لقد تحققت لموسليني ما قاله من قبل: ((إننا لا نحارب ذئاباً كما يقول غرسياني ، بل نحارب أسوداً يدافعون بشجاعة عن بلادهم... إن أمد الحرب سيكون طويلاً))[(٢٢٠)].

عاشراً: استشهاد حسين الجويفي والمختار بن محمد في معركة أبيار الزوزات (١٣/٨/١٩٢٧ م):

استشهد الشيخ حسين الجويفي رئيس دور البراعصة ، وكان صاحب مكانة عظيمة عند المختار[(٢٢١)] ، كان حسين الجويفي سباقاً للخيرات ، حريصاً على الشهادة في سبيل الله ، وكان يحرص على الخروج للمعارك مع مرضه ؛ حتى إن عمر المختار في إحدى المعارك طلب منه أن يبقى حفاظاً على صحته ، وقال له: (الجايات أكثر من الفايتات ، والطليان لمحاربينا ، ونحن لا نبطل الهجوم عليهم ، وستشبع من القتال فأيامه كثيرة)[(٢٢٢)].

لقد تأثَّر عمر المختار لاستشهاد القائد العظيم الجويفي ، ووقف عند قبره وقال:

شهير لَسَم وَاف الدين　　　　تمَّا غفير في فاهق خلا

لقد فقد عمر المختار عدداً كبيراً من رفاقه الأبطال الذين وقعوا شهداء في ساحة الوغى ، وكان من بينهم المختار ابن شقيقه محمد ، فشق عليه فقده رغم أنه لا يزيد مكانة عند عمه السيد عمر المختار أكثر من إخوانه المجاهدين ، لقد كان ابن أخيه عائلاً له يهتم بشؤون أسرة عمر المختار ، ويشرف على شؤونه الخاصة وخدمته الشخصية ، وكان بمثابة الابن ؛ حيث لم يكن لعمر ابن يتولى شؤون العائلة ؛ لأن ابنه الوحيد محمد صالح كان لا يزال طفلاً ، ثم إن السيد عمر المختار تعوَّد مصاحبة الفقيد منذ سنة (١٩١٦ م) ، وإلى جانب كل ذلك فإنه من أبطال الجهاد ومن الأبناء البررة ، لقد احتسب المختار وأظهر التجلد ، وصبر صبراً جميلاً ، وكان يقول لكل من جاء لتعزيته:

إن كل فرد من رفاقي المجاهدين هو عندي بمنزلة المختار ، إنني فقدت مختاراً واحداً ، ولكنني أعيش بين عدد من المختارين ؛ كل منهم يملأ مكان ابن أخي ، وردد قول الشاعر الشعبي:

الدنيا أمفيت الله من واليها　　　　وين الصحابا قبلنا أو نبيها

وين بون يا دم　　　　وين الشيوخ اللي كبار مقاوم

اللّي يندهوا للعبد هو والخادم　　　　وَنْ جاهم الطالب حاجتا يقضيها

ومعنى الأبيات:

أن الله سبحانه وتعالى وليُّ الدنيا ووارثها ، وكل ما في هذه الدنيا مصيره الفناء ، فأين رسول الله وصحابته وهم أكرم خلق الله عليه؟ وأين السادة الكبار الذين سبقونا وكان من شمائلهم المناداة للخدم من أجل خدمة الضيف ، وكل من جاء يطلب حاجة تقضى له؟ ومما قاله عمر المختار من الشعر:

يا عين كفي راه يومك قادم　　　　صيور البنا دم حفرتا ماليها

ومعنى البيت: أنه يخاطب نفسه بأن تكفَّ عن البكاء ؛ لأن أجله في طريقه إليه ، ومصير بني ادم هو تلك الحفرة (القبر) التي يملؤها رفاته بعد الموت[(٢٢٣)].

* * *

المبحث الثاني

استمرار العمليات والدخول في المفاوضات

في سبتمبر عام (١٩٢٧ م) غزت جموع الزاوية الجخرة ومرسي بريقة وجالو وأوجلة ، وأنزلوا بالطليان خسائر فادحة ، واشتدت مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر على الرغم من احتلال الطليان للواحات ومراكز السنوسية الهامة ، فلم يعد هناك مناص من أن يعيد الطليان النظر في خططهم ، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما ، وبدأت الحكومة تبحث بصورة جدية عن وسائل إخماد المقاومة ، وترسم الخطط السياسية الجديدة التي ترى ضرورة التقيد بها في كل من برقة وطرابلس ، وقد اضطر فيدرزوني وزير المستعمرات ، وديبونو والي طرابلس وتيروتزي والي برقة للاستقالة في ديسمبر (١٩٢٨ م) ، فعين ديبونو وزيراً للمستعمرات ، وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبيين ، وعين الماريشال بادوليو حاكماً على طرابلس وبرقة.

كان مجيء بادوليو إلى ليبية بداية مرحلة الجهاد الحاسمة بالنسبة للمجاهدين ، وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام (١٩٢٩ م) ، وكان برنامجه الجديد يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام (بحرب العصابات) ، والمحافظة على هيبة الحكومة ، مع إنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية ، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائيًّاً ، ومن أجل ذلك سعت إيطالية إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال[(٢٢٤)] ، فكان برنامج بادليو مبنياً على كسب الوقت أولاً ، ثم العمل رويداً رويداً من أجل تقوية المراكز المحتلة.

واهتم بادوليو بكسب الرأي العام وتخويفه ، فأعلن العفو عن الأفراد الذين يسلمون أنفسهم وسلاحهم مختارين للحكومة ، ويتوعد كل معاند بالعقوبة الصارمة ، وقد أسقطت الطائرات هذا المنشور من الجو على البلدان والقرى والنجوع في أنحاء ليبية جميعها وكان لهذا المنشور اثار مباشرة ، فظن بعض زعماء ليبية بمدينة طرابلس الضعف ووهن العزيمة في الحكومة ، وقام أحمد سيف النصر ومحمد بن الحاج حسن (من قبيلة المشاشة) بالزحف على منطقة القبلة لجمع البدو المحاربين وإرسالهم إلى الجبل الأخضر حتى يعززوا قوات المجاهدين في الجبل ، ويرغموا الحكومة على اتخاذ لهجة متواضعة عند بدء المفاوضات مع عمر المختار وصحبه ، وشرع صالح الأطيوش ينظم في جبل الهروج جماعات من المحاربين للاشتباك مع الطليان في برقة أو في طرابلس ، وفي منتصف فبراير (١٩٢٩ م) نزلت قوات المجاهدين من الهروج الأسود للانقضاض على النوفلية من جانب ، وعلى إجدابية من جانب اخر ، فاجتمعت من الجيفة ؛ ثم انقسمت ثلاث فرق التحمت إحداها مع الطليان في معركة عند قارة سويد في ٥ مارس ، واشتبكت الثانية معهم في معركة كبيرة عن النوفلية في ١٤ مارس ، واتجهت الثالثة بقيادة عبد القادر الأطيوش من الجيفة صوب منطقة العقيلة في ٢٣ مارس ، ثم استقر المجاهدون في جبل سلطان ، واضطر المجاهدون إلى الانسحاب أمام قوات العدو العظيمة صوب وادي الفارغ[(٢٢٥)].

كانت لتلك الأعمال أكبر الأثر في إقناع بادوليو بضرورة العمل فوراً من أجل استمالة المجاهدين إلى المفاوضة إذا أراد أن يضع برنامجه الواسع موضع التنفيذ ، فبدأ من ثم متصرف المرج الكولونيل باريلا من أوائل مارس (١٩٢٩ م) يطلب الاجتماع بالسيد عمر المختار للمفاوضة في شروط الصلح ، وحدد باريلا موعداً للاجتماع ؛ غير أن باريلا لم ينتظر جواب المختار وأراد أن ينتهز فرصة اطمئنان المجاهدين لقرب بداية المفاوضات وانشغالهم بعيد الفطر المبارك ، فانقضَّ الطليان على المجاهدين وهم يقومون بصلاة العيد (١٣٤٧ هـ) ، وردَّهم المجاهدون على أعقابهم ، ولكن مناوشات صالح الأطيوش وجماعته ونشوب المعارك المستمرة اضطرت بادوليو إلى تحديد المسعى ، فكلف متصرف درنة دودياشي لتمهيد المفاوضة مع عمر المختار وصحبه ، فاتصل بالمجاهدين ، واقترح على السيد عمر أن يكون الاجتماع يوم ٢ مارس في منزل على باشا العبيدي للبحث في موضوع الصلح ، وأصر عمر المختار على أن تظهر الحكومة الإيطالية حسن نواياها ، ويكون ذلك بإطلاق السيد محمد الرضا وإعادته إلى برقة.

واضطرت الحكومة الإيطالية للرضوخ ، وأحضرت السيد محمد الرضا من جزيرة أوستيكا إلى بنغازي ، واجتمع بعد ذلك عمر المختار مع مندوب الحكومة دودياشي في منزل علي العبيدي في ٢٠ مارس ،

وحضر الاجتماع عدد كبير من مشايخ البلاد وأعيانها ، ثم أُجِّلت المفاوضة إلى أسبوع ، وانعقد اجتماع اخر في سانية القبقب ، ولم يستطع المتفاوضون الوصول إلى نتيجة مجدية ، واجتمع المختار مع باريلا في الشليوني في الجبل الأخضر في يوم ٦ أبريل ، ولم يصل المتفاوضون إلى نتيجة ، وفي ٢٠ أبريل عادت المباحثات في بئر المغارة (في وادي القصور) ، وقد حضر هذا الاجتماع محمد الرضا ، والشارف الغرياني ، وخالد الحمري ، وعبد الله فركاش ورويفع فركاش وعلي باشا العبيدي وعبد الله بلعون مدير المرج ، وحضر كل هؤلاء اجتماع المختار بالسيد رضا ، ثم خير مندوب الحكومة عمر بين ثلاثة أمور:

الذهاب إلى الحجاز ، أو إلى مصر ، أو البقاء في برقة ، فإذا رضي بالبقاء في برقة أجرت عليه الحكومة مرتباً ضخماً ، وعاملته بكل احترام ، ولكن المختار رفض هذه الشروط ، وكان السيد رضا يخضع لرقابة صارمة منعته من تبادل الرأي مع عمر المختار.

واستؤنفت المفاوضات في هذه المرة في مكان يسمى قندولة بالقرب من سيدي رويفع ، وحضر اجتماع قندولة باريلا ، وكمباني ، وعدد من الضباط والأعيان ، وكان سيشلياني قد بيَّت النية على الإيقاع بالمختار وأسره ، ولكن عمر المختار احتاط للأمر ولم يسفر هذا الاجتماع عن شيء.

وفي ٢٦ مايو بدأت المفاوضات من جديد ، فحضر المختار إلى مكان قريب من القبقب. وفي هذا الاجتماع دارت المباحثات على أساس ما جاء في منشور بادوليو ، فعرض دودياشي شروط الحكومة ؛ وهي:

أولاً: عودة السيد إدريس وأحمد الشريف والسيد صفي الدين وسائر أعضاء الأسرة السنوسية إلى البلاد، على أن يكونوا تحت إشراف الحكومة ، وأن يتم رجوعهم بترخيص من الحكومة بوصفهم مهاجرين يبغون العودة إلى أوطانهم، وتعهدت الحكومة بمعاملتهم المعاملة اللائقة بهم على غرار ما تفعله مع السيد الرضا.

ثانياً: احترام الزوايا وأوقافها ودفع المرتبات لشيوخها.

ثالثاً: إرجاع أملاك الأسرة السنوسية.

رابعاً: إعفاء الزوايا وأملاك السنوسية من الضرائب.

خامساً: تسليم المجاهدين نصف ما معهم من أسلحة لقاء ألف ليرة إيطالية تدفع ثمناً لكل بندقية يسلمونها ، وعلى أن ينضم بقية المجاهدين المسلحين إلى المنظمات التي تنشئها الحكومة تحت إشرافها

وإدارتها ، وذلك لمدة معينة تحددها الحكومة فيما بعد في نظير أن تعد أماكن لإقامتهم يسهل على الحكومة إمدادهم فيها بالمؤن ، فضلاً عن إحكام الرقابة عليهم.

سادساً: إبعاد كل الإخوان السنوسيين من الأدوار ، وتتعهد الحكومة بإعطائهم المرتبات التي تناسب مراكزهم ، فاعترض المختار على تسليم الأسلحة وحل الأدوار ، وأصر على بقاء الأدوار تحت قيادة السيد حسن الرضا على أن يكون للحكومة نوع من الإشراف العام فحسب ، وأيَّد رأي المختار عبد الحميد العبار ، ورفض دودياشي عروض المختار ، وانفضَّ الاجتماع على أن يعرض دودياشي هذا الحل .كما طلب المختار من نائب الوالي في برقة . حتى يفصل فيه سيشلياني بنفسه[(٢٢٦)].

وبعد أربعة أيام فقط طلب دودياشي مقابلة المختار في قندولة (٣٠ مايو) ، فجاء المختار إلى نجع علي العبيدي شيخ العبيدات بالقرب من القبقب ، وحضر معه السيد حسن الرضا والفضيل بو عمر وعبد الحميد العبار وحامد القماص واخرون ، ومعهم حرس يتألف من مئة وخمسين فارساً ، وجاء من طرف الحكومة دودياشي وباريلا كما حضر هذا الاجتماع علي العبيدي وخالد الحمري ورويفع فركاش ، وأظهر فيها المختار استعداده للتفاهم طالما أنه يؤدي إلى المحافظة على كرامة السنوسية ،

وفضلاً عن ذلك فقد أصر المختار على عدم حدوث أي اتفاق بينه وبين الحكومة الإيطالية ، إلا إذا حضر مندوب عن الحكومة المصرية ، واخر عن الحكومة السنوسية كدليل على رغبة الطرفين الصادقة في الاتفاق بصورة قاطعة ، ولكن دودياشي اعترض على هذا الطلب ، وقال بأن الطليان معروفون بوفائهم للعهود وحفظهم للمواثيق ، فرد عليه عمر المختار وذكر ما فعله الجنرال متأتي بقبيلة العبيدات ، وهي من القبائل التي سالمت الطليان عندما اغتصب هؤلاء كل ما تمتلكه هذه القبيلة ؛ حتى إنهم نزعوا حلي النساء من اذانهن ، وذكر ما فعله لويللو مع أسرة إبراهيم من قبيلة العواقير ، وقد سالم هؤلاء الطليان كذلك ، فأخذ لويللو منهم أربعين رجلاً قتلهم رمياً بالرصاص ، ثم جعل السيارات تمر على جثثهم فما زالت السيارات تدهسهم ذهاباً وإياباً حتى اختلطوا بالتراب... وتدخل بعض الحاضرين لتهدئة الموقف ، وتمسك المختار بحقوق الحركة السنوسية وزعامتها ، وأصرَّ على أن يكون للقطر البرقاوي الطرابلسي نفس الامتيازات التي تتمتع بها جاراته مصر وتونس ، وكان عمر المختار وحده هو الذي يتحدث ، وأما سائر المجاهدين فقد صمتوا ، ثم قرر الذهاب إلى معسكره ، وقال: إذا أراد المتصرف دودياشي الحديث فإن موعد ذلك جلسة أخرى ، وبعد أيام اتصل علي العبيدي بالسيد عمر ، وقبل عمر المختار استئناف المفاوضات ، فعقد اجتماع اخر في يوم ٧ يونيه حضره دودياشي وباريلا

، ثم سيشلياني الذي جاء الاجتماع موفداً من قبل الماريشال بادوليو بغية الوصول إلى اتفاق حاسم مع العرب ، وجدد الطليان عروضهم القديمة ، وتمسك المختار بمطالبه ، وأصرَّ على حضور مندوبين من قبل الحكومتين المصرية والتونسية ، ووعد سيشلياني بأن يحمل مطالب المختار إلى بادوليو.

وفي ١٣ يونيه اجتمع نائب الوالي سيشلياني بالسيد عمر في قلعة شليوتي ، وأظهر المختار رغبته الصادقة في الاتفاق إذا أقرت الحكومة الإيطالية مطالبه ، وهي نفس المطالب السابقة ، وتأجَّل الاجتماع إلى يوم اخر حتى يتم الاتفاق النهائي بحضور والي طرابلس وبرقة نفسه ، وفي يوم ١٩ يونيه حضر الاجتماع سيدي رحومة المشهور بحضور بادوليو وسيشلياني وعدد من الطليان والأعيان كالشارف الغرياني ، وعلي باشا العبيدي ، وظل عمر المختار متمسكاً بضرورة حضور مندوبين عن الحكومتين المصرية والتونسية ، وعرض شروطه النهائية بحضور والي ليبية ، فقرأ

الفضيل بو عمر هذه الشروط ووافق الطليان عليها ، ثم تسلمها بادوليو ، ووعد بأن يعمل على حضور مندوبي الحكومتين المصرية والتونسية في اجتماع يحدد فيما بعد قريباً ، واتفق الفريقان على عقد هدنة لمدة شهرين حتى يتسنى لكل منهما مراسلة مرجعه[(٢٢٧)].

وقال بادوليو: إنه على استعداد تام لقبول عودة أمير البلاد السيد محمد إدريس إلى برقة ما دام المختار والمجاهدون يصرون على ذلك.

وكانت الشروط التي عرضها المختار تكفل المحافظة على هوية الشعب وعقيدته ودينه ولغته ، وتحفظ أوقاف الزوايا ، وتعطي عمر المختار الحق في أخذ الزكاة الشرعية من القبائل ؛ ومن أهم هذه الشروط:

١ . أن لا تتدخل الحكومة في أمور ديننا ، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفاً بها في دواوين الحكومة الإيطالية.

٢ . أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، وسائر العلوم.

٣ . وأن يلغى القانون الذي وضعته إيطالية ، والذي ينص على عدم المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي إلا إذا تجنس الأول بالجنسية الإيطالية[(٢٢٨)] ، كما كانت شروط المجاهدين تنصُّ على إرجاع جميع الممتلكات التي اغتصبتها الحكومة من الأهالي ، وإعطائهم مطلق الحرية في حمل السلاح وجلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة عن بيع السلاح لهم ، كما نصَّت هذه الشروط على أن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها ، كما يكون للقاضي الإسلامي وحده الفصل بين المسلمين.

وطالب عمر المختار بإعلان العفو الشامل عن جميع من عدتهم إيطالية مجرمين سياسيين ، سواء كانوا داخل ليبية أم خارجها ، وإطلاق سراح المسجونين ، وسحب كل المراكز التي استحدثها الطليان في أثناء الحرب ، بما في ذلك مراكزهم في

الجغبوب وجالو[(٢٢٩)] ، كما اشترط بأن لزعماء المسلمين الحق في تأديب من يخرج عن الدين ، أو يهزأ بتعاليمه ، أو يتهاون في القيام بواجباته[(٢٣٠)].

إن حرص عمر المختار على رفض الخضوع لأي إرادة أو سلطة غير سلطة الله واضح في حياته ، ويظهر ذلك جلياً في شروطه ، فقد كان دائماً مصرّاً على شرط تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ، ورفض كل ما عداه من قوانين وضعية في مفاوضاته[(٢٣١)].

أظهر بادوليو قبول الشروط ، ولكنه نكث بوعوده ، وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين ، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم ، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أنه لا يمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي[(٢٣٢)].

أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان ، فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي ، وكان عمر المختار مقتنعاً بعدم جدوى الاجتماع ، ولكنه اضطر مكرهاً ، وعاد الحسن يحمل شروطاً إيطالية مجحفة ، فرفضها عمر المختار والمجاهدون ، وكتب المختار إلى نائب الوالي يخبره برفض الشروط الإيطالية جملة وتفصيلاً ، ويلفت في هذه الرسالة نظر الحكومة الإيطالية إلى الشروط السابقة التي تسلمها المارشال بادوليو من السيد عمر نفسه ، وقطع على نفسه عهداً بالإجابة عنها بعد دراستها ؛ إذ لا يوجد سبيل لحل المشكلة دونها ، وطلب عمر في نفس الرسالة تحديد موعد لمقابلة الجنرال سيشلياني نائب الوالي ، وفي حالة الرفض أو عدم الإجابة يكون السيد عمر المختار في حل مما قيدته به اداب المجاملة في انتظار نتيجة المفاوضات ، وسوف تعود الأمور لما كانت عليه ، وكان جواب إيطالية هو أنها على استعداد ولا داعي للإنذار بإعادة الحرب[(٢٣٣)].

لما ذهب الحسن بن الرضا إلى بنغازي تأثَّر ببعض أقوال الليبيين التابعين

للحكومة الإيطالية، وقبل أن يوقع على شروط الصلح التي خالفت ما طلبه المجاهدون، فلما رفض عمر المختار تلك الشروط عزَّ على الحسن أن ينقض المختار كلمته ، وانفصل بجماعته من البراعصة والدرسة ، وكانوا يبلغون حوالي الثلاثمئة واتخذ مكانه في غوط الجبل ، وهو مكان قريب من مراكز الطليان في مراوة[(٢٣٤)].

كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق ، عالماً بواقعه ، مدركاً لما يجري حوله ، متابعاً له ، وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه ، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع ، وما أقبح أن يتفرقا ، ولئن كان هذا واضحاً جليّاً في كل المواقف التي خاضها عمر المختار رحمه الله وارائه التي قالها ، إلا أنه يتجلى كأوضح ما يكون في إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية[(٢٣٥)].

أولاً: النداء الأخير:

خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبة قائلاً: فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ؛ ليتم لهم الغلبة علينا ، واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك ، وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد إيطالية وأغراضها ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه... فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم ما دامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغالٍ.

ثم ختم المختار هذا النداء بقوله: ((لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه ، حتى يتوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم، ويسلكوا السبيل القويم ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع))[(٢٣٦)].

وقد نشرت بعض الصحف المصرية هذا النداء في (٢ يناير ١٩٢٩ م): من كان

عبداً لله يستحيل أن يرضى بأن يكون عبداً لحكومة ظالمة كافرة ، أو لدنيا ، أو مال ، أو لهوى ، فأكثر الناس أحرار ، وتحقيقاً للحرية على مفهومها الصحيح ذلك العبد الذي رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد (ص) نبياً ورسولاً.

ثانياً: غدر وخيانة:

لقد نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين ، وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم ، فقد غادر المعسكر في غوط الجبل جماعة من عائلة عريف ، وانتهز الطليان هذه الفرصة فطلبوا من الحسن أن يتقدم بالدور إلى ناحية مراوة ، وأجاب الحسن رغبتهم ، وعندئذ سيرت الحكومة قوة كبيرة على الدور لجمع الأسلحة من أتباعه بدعوى أن رجاله قد (غزوا) بعض الأهلين في مراوة ، وأبدى

الحسن ورجاله معارضة شديدة ، ولكن معارضتهم هذه سرعان ما أكدت للطليان ـ على حد قول هؤلاء ـ أن الدور كان مركزاً لدعاية سنوسية خطيرة ، وأن حل الدور قد بات لذلك أمراً لا مناص منه ، ولا محيد عنه.

وكان مما جعل الطليان ينقلبون على الحسن أن امتنع في المدة الأخيرة عن إجابة رغبتهم عندما طلبوا منه الانتقال إلى بنغازي ، وعلى ذلك فقد اشتبكت القوات الإيطالية مع الدور في قتال عنيف ذهب ضحيته كثير من المجاهدين ، ووقع الباقون في أسر هذه القوات ، وفي (١٠ يناير ١٩٣٠ م) قبض الطليان على الحسن نفسه ، وساقوه أسيراً إلى بنغازي ، ثم ما لبثوا أن نفوه إلى جزيرة أوستيكا ، ثم إلى فلورنسة بعد ذلك ، وقد بقي الحسن منفياً في هذه المدينة الأخيرة حتى وفاته عام (١٩٣٦ م) ، وبعد ذلك اندلعت المعارك بين المجاهدين والطليان في الجبل الأخضر ، وكانت الطائرات الإيطالية تلقي قذائفها على معسكرات المجاهدين ، ونشطت عمليات الطليان العسكرية بعد أن غدروا بالحسن ، وهاجموا دور المجاهدين في وادي مهجة (٢٨ يناير ١٩٣٠ م) ، وألقت الطائرات قذائفها على العرب ، وانتشرت المعارك في منطقة الجبل حتى أقفلت جميع الطرق[(٢٣٧)].

ثالثاً: تعيين الجنرال غراسياني حاكماً لبرقة ونائباً للمرشال بادوليو الحاكم العام:

كان الجنرال غراسياني عند قومه معظماً ومقدماً ، وقد قام بأعمال عسكرية في

فزان شنيعة للغاية ، واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان بدخوله غات في (٢٥ فبراير ١٩٣٠م) ، وكان نصرانيّاً حقوداً على الإسلام والمسلمين ، لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة.

بعد بقائه في ليبية لمدة تسع سنوات متتالية ، وبعد احتلاله الغاشم لفزان ، دُعِيَ إلى إيطالية لتشريفه وتكليفه.

ذكر في مذكراته وداعه لطرابلس ، فقال: ((وداعاً طرابلس أرض الامي وعذابي ، غير أنه تبقى في روحي ، وداخل نفسي ذكريات كل حجر مرتفع في جبالك ، وفي صحرائك الواسعة ، ولكن لن ينطفأى أبداً ألمي وعذابي من أجل إفريقية ، وأنت يا طرابلس ، وفي روما كانت تنتظرني الاحتفالات التي يطمع كل جندي مخلص أمين يحظى برضا وتصفيق الزعيم الدوتشي (موسليني)... وقد نلت هذا ، وصفق الزعيم ومجلس الأمة الإيطالي لي في جلسة بتاريخ (٢١/٣/١٩٣٠ م) ، هذا الاحتفاء وهذا الرضا ، كان أعظم مكافأة في حياتي ، فلقد جددت في نفسي حب العمل والتضحية في سبيل الواجب الكبير الذي ينتظرني في ليبية بجسم متعب في الأعمال التي تحملها في الماضي ، ولكن بالروح والقلب الحريص

والحاضر للعمل... وبعد أن استلمت التعليمات العليا سافرت على السفينة إلى برقة... ويوم (١٩٣٠/٣/٢٧ م) وصلت بنغازي التي غادرتها سنة (١٩١٤ م) خلال الحرب العالمية الأولى ، وكانت رتبتي ملازم أول في الجيش الإيطالي)).

إن التعليمات التي صدرت عن رغبة الدوتشي ، وقسمت ونظمت من قبل صاحب السيادة دي بونو (والفريق) الماريشال بادوليو ، بيتوا فيها تصميم الحكومة الفاشستية القضاء المبرم على الحركة الوطنية (الثورة) مهما كلف ذلك ، وبكل الطرق والوسائل ؛ لإنهاء القضية البرقاوية[(٢٣٨)].

والتعليمات هي:

١ ـ تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من الثوار ، سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال والحركات التجارية.

٢ ـ إعطاء الخاضعين أمناً وحماية ولكن مراقبة لكل نشاطاتهم.

٣ ـ عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي ، ومنع أي كائن منعاً باتاً من قبض أي مبالغ من الأعشار والزكاة.

٤ ـ مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة ؛ بحيث تمنع أي محاولة تموين لقوافل العدو (أي: المجاهدين).

٥ ـ تنقية الأوساط المحلية التي توجد بها عناصر تدعي الوطنية ابتداءً بالمدن الكبيرة وخاصة بنغازي.

٦ ـ تعيين عناصر غير نظامية من الطرابلسيين لكي يكونوا قوة مضادة للمجاهدين ، وتعنى بتطهير الإقليم من كل تمرد أو ثورة.

٧ ـ حركة دقيقة وخفية لكل قواتنا (الطليان) المسلحة في المنطقة لخلق جو مذبذب ضد كل (الأدوار) ، والمعسكرات ، والضغط عليها حتى تتكبد الخسائر ، وتشعر بأن قواتنا موجودة دائماً وفي كل مكان مستعدة للهجوم.

٨ ـ الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة[(٢٣٩)].

هذا هو جزَّار ليبية غراسياني الذي جاء محملاً لتنفيذ الأوامر السالفة الذكر من أسياده في روما الكاثوليكية الفاشستية الميكيافلية.

ومنذ عودة غراسياني إلى بنغازي ، بدأ نائب الوالي الجديد يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء ؛ معلناً أنه سوف: ((يتبع بكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشستية ويسير على مبادئها ، لأنه وإن

كان قائداً من قواد الجيش وأحد الرجال العسكريين إلا أنه يدين بمبادأى فاشستية محضة ، ويعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة))[(٢٤٠)].

كان الجنرال غراسياني معروفاً بالعجرفة والطيش ، وبالجبروت الوهمي ، وكان أول عمل قام به في الدوائر المدنية بعد وصوله هو استبدال الموظفين الإيطاليين باخرين ؛ ممَّن يتمتعون بثقته عندما كان يعمل في طرابلس ، كما جاء بقائد جديد

للكربنير (الضابطية) هو الكولونيل كاستريوتا ، وبالجنرال نازي ليكون مساعده الأول في القيادة العسكرية ، واستعان بعصابة من المدنيين قد أخذوا ينفذون أهدافه الشريرة وأفكاره الشاذة بكل الوسائل ، ومن هذه العصابة الكمندتور موريتي (السكرتير العام) ، الكمندتور أجيدي متصرف لواء بنغازي ، ثم بدأ زيارته للمناطق الخاضعة لنفوذ إيطالية ، وكانت السلطات تجمع لاستقباله جميع الأهالي بما في ذلك النساء والأطفال والعجزة ، فيخطب فيهم متوعداً ومهدداً[(٢٤١)] ، وكان يستفتح خطاباته الطائشة بقوله: ((صموا أفواهكم ، افتحوا اذانكم)) ليلقي الرعب في نفوس المستضعفين الذين استسلموا وخضعوا لإيطالية ، وكان قد ألقى كلمة تهديدية في جموع حشدتها السلطات في موقع (البريقة) استهلها بقوله:

((ما أنتِ إلا مثل سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار من هنا ومن هناك حتى تصبح رماداً ، وها هو ذا أنا أولع السيجارة من جانبي ، ويوقدها عمر المختار من جانبه حتى يؤتى عليكم))[(٢٤٢)].

وقال في خطاب ألقاه من شرفة قصره في بنغازي: ((تحت يدي وتصرفي باخرة تقف في الميناء ، وبأقل إشارة مني تنقل كل من أرى من الصواب نقله إلى إيطالية ، وهذا أخف ما نعاقب به))[(٢٤٣)].

وفي خطاب تهديدي اخر قال: ((عندي لكم ثلاث حالات: الباخرة الموجودة في الميناء ، وأربعة أمتار فوق الأرض ـ مشيراً إلى أعمدة المشنقة ـ ، ورصاص بنادق جندنا ـ مشيراً إلى القتل رمياً بالرصاص))[(٢٤٤)].

لقد قام غراسياني وحكومته بحشد المجهودات الضخمة للقضاء على عمر المختار بالصورة التي كلفت الخزانة الإيطالية في سنة واحدة ما لا يقل عن النفقات التي تتكبدها دولة عظيمة لمجابهة دولة تماثلها في عدة سنوات.

فقد قال السنيور فيتيتي وكيل وزارة الخارجية في حديث له مع سماحة مفتي

فلسطين الأكبر الأستاذ محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ، وقد أورد سماحته هذا الحديث في مذكراته التي أخذت تنشرها جريدة أخبار اليوم ، قال وكيل وزارة الخارجية المذكور: حقّاً إن ما وقع في ليبية سبب لنا متاعب كثيرة ، فعندما كانت السياسة الإيطالية تتأثّر في الماضي كثيراً بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست ، خدعتنا إنكلترة وفرنسة فاستولت على أغنى وأغلى أقطار إفريقية ، وأغرتنا باقتحام ليبية عام (١٩١١ م) ، فلم نجنِ فيها رغم الجهود المضنية والخسائر الفادحة في الأنفس والأموال غير الرصاص والرمال ، ولم نجنِ من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين لنا[(٢٤٥)].

رابعاً: المحكمة الطائرة:

لم يمض على وصول غراسياني سوى أيام قلائل حتى أنشأ ما عرف في تاريخ الاستعمار الإيطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة (أبريل ١٩٣٠ م) ، كانت تلك المحكمة تقطع البلاد على متون الطيارات ، وتحكم على الأهالي بالموت ومصادرة الأملاك لأقل شبهة ، وتمنحها للمرتزقة الفاشست ، وكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة ، وتصدر أحكامها وتنفذ في دقائق وبحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه ، لتنعقد في نفس اليوم بموقع اخر ، وفتحت أبواب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة ، وانتزعت الأموال من المسلمين دون مبرر ، ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة ، وإجدابية ، وبنغازي ، وسلوق ، والمرج ، وشحات ، ودرنة ، وعين الغزالة ، وطبرق ، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الإعدام وينفذ في حينه شنقاً أو رمياً بالرصاص ، وكان ممَّن قتل شنقاً أو رمياً بالرصاص في مدة لا تزيد عن شهرين من استلام غراسياني مقاليد الحكم في برقة: المشايخ بجيح الصبحي ، علي بويس العربي وابنه عبد ربه بوموصاخ ، خير الله هليل ، محمد يونس بوقادم ، علي حميد أبو ضفيرة ، اثنان من قبيلة سعيد أشقاء حمد الرقيق ، وهؤلاء من منطقة إجدابية ، ثم محمد الحداد وابنه بنغازي ، وعبد السلام محبوب من الإخوان السنوسيين ، سليمان سعيد العرفي (المرج) ، وخمسة عشر شخصاً بينهم الشيخ سعيد الرفادي (عين الغزالة) ، وغيرهم كثير[(٢٤٦)].

خامساً: عزل المجاهدين ووضع القبائل في معسكرات الاعتقال الجماعية:

بدأ غراسياني ينفذ سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن المجاهدين ، وشرع في جمع الإخوان السنوسيين من شيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القران بها مع ذويهم جميعاً ، وكل من تربطه بأحد هؤلاء أي صلة ، وكذلك بمشايخ وأعيان القبائل ، وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو

المهاجرين ، جيء بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم إلى السجون ، ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة ، أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد ، أو الضرر الملازم ، وأنشئت معتقلات جديدة في بنينة ، والرجمة ، وبرج توبليك ، وخصص غراسياني مواقع العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقة البيضاء ، والمقرون وسلوق في أواسط برقة الحمراء ؛ لتكون مواقع الاعتقال والنفي والتشريد والتعذيب لجميع سكان منطقتي الجبل الأخضر والبطنان بصورة جماعية ، وبغير سكان هذين المنطقتين ممن تحوم حولهم أي شبهة أو تلفق ضدهم أقل فرية ، وأمر بنقل قبائل هاتين المنطقتين المذكورتين إلى هذه المعتقلات الخاصة بهم (ثمانين ألفاً) ، وما هي في الحقيقة إلا مقابر يدفن فيها الأحياء وأداً ، فخصص معتقل العقيلة والبريقة لقبائل العبيدات والمنفا ، والقطعان ، والشواعر ، والمسامير... ولبعض عائلات الإخوان السنوسيين بما في ذلك سكان الجغبوب ، ولبعض من سكان مدينتي بنغازي ودرنة ، وأسند حكم هذين المعتقلين لممثلي الظلم والجبروت والوحشية الفظيعة ؛ لكل من كسوني ، وباريلا (غير باريلا متصرف المرج).

وخصص معتقلَي المقرون وسلوق لكل من قبائل البراعصة والدرسا والعرفا والعبيد وأباعهم ، وشطر كبير من عائلات الإخوان السنوسيين الذين سبق أن أبعد غراسياني رجالاتهم إلى إيطالية ، أو فرقهم بين السجون المختلفة ، جيء بهذه القبائل التي بلغ تعدادها الثمانين ألف نسمة يساقون زمراً إلى المعتقلات المذكورة ، فمنهم من جاءها عن طريق البحر ؛ حيث حشروا بالمراكب حشراً ، ومنهم من جاءها عن طريق البر بعد أن أتت إيطالية على جميع المنقولات حرقاً بالنار ، كما أحرقت

الزراعة ومحصولاتها ، وأهلكت الحيوانات فيما عدا ما استعملته للنقل ، وأحيط القسم المساق عن طريق البر بجنود من الصوماليين والإريتريين ليتعقبوا كل من يتخلف من المساقين إلى حتفهم ، ويرمي المتخلف بالرصاص ، وكان الرامي غير مسؤول عن عمله هذا ، وأصبحت جميع مناطق الجبل والبطنان هلاكاً تلعب فيه الرياح[(٢٤٧)].

لقد أراد غراسياني الانتقام من القبائل التي أثبتت الأيام أنها نعم العون للمجاهدين بعد الله ، فجمع النواجع المنتشرة في منطقة الجبل الأخضر في أماكن أحاطها بالأسلاك ، وحدث في تلك المعتقلات الجماعية ما لم يصدقه بشر ، ولا خطر على بال إنسان يعقل ، لقد اشتدت المحنة واعتدى الإيطاليون على الأبدان والأموال والأعراض في تلك المعتقلات ، ولقد قام الباحث يوسف سالم البرغثي بدراسة

متميزة سماها (المعتقلات والأضرار الناجمة عن الغزو الإيطالي) ، وذكر فيها تفصيلاً محزناً ، ووثائق تاريخية من أفواه من عاش تلك المرحلة العصيبة التي مر بها شعبنا المظلوم[(٢٤٨)].

لقد وصف مراسل جريدة ألمانية زار معسكرات الموت التي جمع فيها غراسياني أكثر من ٨٠ ألف نسمة ، فقال: إن الانتقادات التي يوجهها الان الفرنسيون والإنكليز إلى خطة الفاشيست في برقة ، موجهة في الدرجة الأولى إلى التدابير التي اتخذها الجنرال غراسياني لإجلاء ٨٠ ألف بدوي عن أراضيهم ، دون أن يراعوا حالة هؤلاء البدو الروحية ، أو يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم ، ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا في النهار ، بشرط أن يرجع إلى مكانه قبل أن يخيم الظلام ، وكل واحد من رؤساء القبائل مسؤول عن أتباعه فرداً فرداً.

يجب أن نقول: إن الحالة السيئة للغاية تفوق كلَّ تصور ، فإن معدل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠% ، وأمراض العيون التي ينتهي أكثرها بالعمى كثيرة جدّاً ومنتشرة ، ويكاد لا ينجو أحد من الأمراض ، أما غذاء هؤلاء المساكين فالأحسن أن لا نتكلم عنه بالمرة ، ومن الطبيعي أن نرى هؤلاء يتألَّمون أشد الألم ، وفي الدرجة الأولى

من هذه الأسلاك الشائكة ، رمز الأسر ، ورغم تلاصق الخيام ، وشدة تقاربها ببعضها ، فإن حصرها ضمن أسلاك شائكة ، يجب أن نعتبره من المتناقضات الغريبة التي لا يتصورها العقل[(٢٤٩)].

إن ما ارتكب في العقيلة والبريقة وغيرها من المعتقلات من جرائم جعل المناضلين في العالم يصرخون ويندددون بالاستعمار الفاشيستي في ليبية ، فقال عبد الرحمن عزام يصف حالة المعتقلين ، ويلفت الأنظار إليهم: ((يبحثون عن أخبار الأندلس ، وكيف أجرم الإسبانيون بالمسلمين هناك ، وما لهم والأندلس والأمور التي جرت في القرون الوسطى؟! فأمام أعينهم طرابلس الغرب ؛ فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم في هذه الأيام فضائح لا تقل عما جرى بالأندلس))[(٢٥٠)].

وعبَّر غراسياني نفسه عن المأساة التي كانت أكبر من قلبه القاسي ، فقال: ((لقد نتج عن هذا كله أن أكثر الناس هاجرت ونزحت إلى مصر وتونس والسودان ، تاركة وراءها أهلها وذويها... فإني حاسبت نفسي وضميري.. الأمر الذي جعلني لم أنم هادئاً أكثر الليالي))[(٢٥١)]. ويقول ـ مبرراً جرائمه البشعة ـ: ((لا نستطيع إنشاء حاضر جديد إذا لم نقض على الماضي القديم))[(٢٥٢)].

سادساً: عمر المختار يغير استراتيجية الحرب:

كانت معسكرات المجاهدين قريبة من نواجع الأهالي ، حتى يسهل على المختار وصحبه أخذ العشور ، والحصول على الذخائر والأسلحة والمؤن ، ولكن بعد حشر القبائل في المعتقلات الجماعية تغيَّرتِ خطة عمر المختار ، وطور أساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة ، واعتمد على عنصر المباغتة ، وركن إلى مفاجأة القوات الإيطالية بعد كشفها والاستطلاع عليها في أماكن متفرقة[(٢٥٣)].

يقول غراسياني: ((بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا ؛ يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان))[(٢٥٤)].

وقال عنه أيضاً: ((عمر المختار قبل كل شيء لم يسلم أبداً ؛ لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الاخرين ؛ فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل ؛ بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده ، أما غيره من الرؤساء ؛ فإنهم أسرع من البرق عند الخطر ، فيهربون إلى القطر المصري تاركين جنودهم على كفة القدر معرضين لخطر الفناء ، عمر المختار عكس هذا ؛ فهو يكافح إلى أبعد حد لدرجة العجز ، ثم يغيِّر خطته ويسعى دائماً للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً ؛ بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية ماديّاً ومعنويّاً ، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وهنا يسلِّم أمره لله كمسلم مخلص لدينه))[(٢٥٥)].

كان عمر المختار قطباً تدور عليه رحى الأعمال ، والتفَّ المجاهدون حوله التفاف السوار بالمعصم ، واستمر العمل بقيادته ومساعدة معاونيه كيوسف بورحيل ، والفضيل بو عمر ، وعصمان الشامي ، وعوض العبيدي ، وعيسى الوكواك العرفي ، وعبد الله بو سلوم ، وعبد الحميد العبار ، وكانت مواقف عمر المختار تدل على شخصيته القيادية البارعة في أحلك الظروف وأثناء المحن ، ففي أحد الأيام وعقب انتقام الإيطاليين من أحد المنتجعات التي كانت تقدم مساعدات للمجاهدين ؛ تقدَّم بعض زعماء القبائل باحتجاج إلى عمر المختار وطلبوا منه؛ إما أن يسلم إلى الإيطاليين ، أو أن يرحل عن مواطنهم ، أو أنهم سوف يحاربونه لكي يتجنبوا انتقام الإيطاليين ، وعلى إثر تسلم هذا الإنذار دعا عمر المختار إلى عقد اجتماع في منطقة قصر المجاهير ، وقد ساد هذا اللقاء حالة من التوتر وشدة في النقاش في محاولة لتجنب حرب أهلية بين المجاهدين والليبيين الواقعين في المناطق الخاضعة للاحتلال ، فرأى بعض المجاهدين تجنباً لهذا الوضع الحرج أن يهاجروا إلى مصر لكي لا يتعرض الأهالي إلى الانتقام ، وبعد حوار طويل أظهر المختار مصحفه وأقسم عليه بأنه لن يتوقف عن مجاهدة الإيطاليين ، وأنه لن

يترك الجبل الأخضر حتى يتحقق النصر أو الشهادة ، وفي نفس الوقت أعلن للمجاهدين: أنه من يريد الهجرة
إلى مصر فله مطلق الحرية في السفر ، أو التسليم للإيطاليين ، وعندما رأى المجاهدون موقف قائدهم عدلوا عن رأيهم وأطاعوه ، وانفضَّ الاجتماع عن وحدة صف المجاهدين[(٢٥٦)].
استمر غراسياني في تدابيره العسكرية ، فلم يأتِ يوم ١٤ يونيو حتى كان الطليان قد استولوا على منطقة الفايدية بأجمعها ، واحتلوها ونزعوا من الأهالي الخاضعين لهم (٣١٧٥) بندقية ، و(٠٠٠٦٠) خرطوش.
نقل عمر المختار دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية ، وذلك حتى يتمكن من إرسال المواشي التي يأتيه بها الأهالي إلى الأسواق المصرية في نظير أخذ حاجته من هذه الأسواق ، مما جعل غراسياني يقرر إقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود الشرقية ، قال: ... إن اطمأن على خطوط تموينه البعيدة أصدر أمره إلى قواته الموزعة في كل مكان ألا تزعج بعد الان الليبيين الخاضعين لسلطاتنا ، حتى لا يكونوا سلاحاً اخر ضده ، وألا يغضبوا من حركته ، وهكذا يصبح أمام ضميره بأنه مسلم حقيقي ، ونضيف أن مد الأسلاك الشائكة المكهربة على حدود مصر كادت أن تنتهي ، وستضيق الخناق عليه تدريجيّاً حتى يقع في الفخ الذي سننصبه له ، إن مصر هي المأوى الامن لعدد كبير من الالاف المؤلفة من البرقاويين الذين ينتمون إلى لقبائل العمامة ، والتي لها إمكاناتها البشرية والمادية، وكذلك لها التأثير الكبير على كثير من النفوس التي يسهل تجنيدها وتوجيهها نحو القتال ، مقتنعين بأنهم يدافعون عن الدين الإسلامي وعن كيانهم ، معتبرين أننا مغتصبون ومعتدون على حقوقهم... هؤلاء الخارجون عن القانون ـ ومن بينهم أعداؤنا ـ يكونون المخازن الثانية لتمويل الثورة بالأسلحة والمؤن والرجال لكل الأدوار ، رغم كل الاحتياطات التي اتخذتها سلطاتنا الحاكمة ، زد على ذلك الأموال التي تجمع من لجان التبرعات من الأقطار العربية لمساعدة الثوار القائمين بالحرب المقدسة فوق الجبل الأخضر في برقة ، وحتى إن اتخذنا كل الاحتياطات ضد الخاضعين لسلطاتنا وإبعادهم ، فالثوار لا يزالون أقوياء يهاجموننا في كل مكان[(٢٥٧)].

عزم غراسياني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار ما يزيد على ٣٠٠ كم من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ،وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليون فرنك إيطاليّ ، وقد حقق لهم ذلك العمل أموراً عدة ؛ ذكرها غراسياني في كتابه ؛ منها:

١ ـ قضى على الثوار.

٢ ـ قضى على التهريب ، وأصبح دخل الدولة الإيطالية في ازدياد من ناحية الضرائب الجمركية.

٣ ـ قضى على حركة الإمدادات التي كانت تأتي للثوار المجاهدين من مصر عن طريق المهاجرين[(٢٥٨)].

سابعاً: استشهاد الفضيل بو عمر:

استمرت المعارك بين الإيطاليين والمجاهدين ، ومن أشهر تلك المعارك (كرسة) التي وقعت في يوم ٢٠ ديسمبر ، وقد استشهد في هذه المعركة الساعد الأيمن لعمر المختار الشيخ الجليل والمجاهد الفذ الفضيل بو عمر الذي شارك في مسيرة الجهاد منذ دخول الغزو الإيطالي في (١٩١١ م) ، وشهد له بالشجاعة والإخلاص في جهاده ، وقد ذكر عمر المختار تفاصيل هذه المعركة في رسالة له ؛ جاء فيها: أن العدو هاجم المعسكر ، وكان رئيسه السيد فضيل بو عمر ، وقد استشهد في هذه المعركة إلى جانب الفضيل أربعون شهيداً ، وقد وجدنا في ميدان القتال ما يزيد عن ٥٠٠ من العدو وبينهم ماجور وثلاثة ضباط ، وشدد الطليان عملياتهم العسكرية في منطقة الجبل الأخضر بعد هذه الواقعة ، واستمرت جموعهم تناوش المجاهدين مدة أسبوعين ، ولكن دون الوصول إلى نتيجة.

وفي أكتوبر (١٩٣٠ م) تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة ، عثر الطليان عقب انتهائها على (نظارات) السيد المختار ، كما عثروا على جواده المعروف مجندلاً في ميدان المعركة ، فثبت لهم أن المختار ما زال على قيد الحياة ، وأصدر غراسياني منشوراً ضمنه هذا الحادث ؛ حاول فيه أن يقضي على

(أسطورة المختار الذي لا يقهر أبداً) ، وقال متوعداً: ((لقد أخذنا اليوم نظارات المختار ، وغداً نأتي برأسه))[(٢٥٩)].

ومع شدة قبضة الاستعمار الإيطالي على المدن ، إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجبهم المقدس ، واستطاعت المخابرات الإيطالية أن تقبض على عدد من الليبيين الذين يزودون حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات ، وتم إعدامهم ، وقد ذكر غراسياني بعض الأشخاص في كتابه ، فقال: وهنا أعرض بعض الأحوال الهامة لبعض الأشخاص الليبيين الذين نفذت فيهم المحكمة الخاصة حكم الإعدام في ١٤ يونيو (١٩٣٠ م): عقدت المحكمة الخاصة في شحات لمحاكمة المواطن حمد بو عبد ربه الدرسي في الميدان العام ، باعتباره خائناً للدولة الإيطالية ، لأنه كان شيخاً لبيت من بيوت قبيلته الدرسة ، وكان محترماً

من سلطاتنا ، ولكن اتضح لدى قسم المخابرات أنه يتعاون مع الثوار في إمدادهم بالمؤن والسلاح ، وكانت مخيماته تعتبر شبه استراحة لجنود الثوار (المجاهدين) ، وعدد هذه الخيام يزيد عن عشرين خيمة بمنطقة (قصر بن قدين) المكان الذي يتزود منه الثوار بالمؤن والسلاح ، وقد حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص في الميدان بشحات وأمام الجماهير ، وبعد أسبوع من هذا الحادث حصلت حركة انتقامية من الثوار (المجاهدين) ، هجموا على نفس الميدان ، وفي وضح النهار قتل فيه عدد كبير من جنودنا... وكذلك تاجر من تجار المنطقة.

وفي شهر سبتمبر (١٩٣٠ م) اكتشفت قوة الأمن بمنطقة البركة ببنغازي أن المواطن محمد الحداد أحد أعيان بنغازي ومن تجارها يتعاون مع الثوار ، وعن طريقه تتم حركة الإمدادات من المؤن والأسلحة ، وكان يستضيف في بيته الثوار ويمدهم بما يلزمهم ، وفي الوقت والحين حضرت المحكمة الخاصة ، وحكمت على الأب والابن بالإعدام شنقاً أمام الجماهير التي أرادت السلطات الإيطالية إحضارهم خصيصاً لمشاهدة تنفيذ الحكم ، وهذا مثال اخر: سليمان سيد شيخ قبيلة الطرش ، كان عضواً في مجلس النواب ، حاملاً لوسام النجمة الإيطالية للمستعمرات برتبة ضابط ، وكان يرتدي برنوس الشرف الخاص بالنواب الليبيين ، كنا نعتمد على

ارائه ، ولم نفكر في يوم من الأيام أن يكون ضدنا ؛ حكمت عليه المحكمة بالإعدام؛ لأنه كان يستغل نفوذه ويتعاون مع الثوار... ومن هذا النوع الكثير من المشاهد التي لا يمكن حصرها ، وقد نفذ مع مجيء المحكمة الطائرة ٢٥٠ حكماً بالإعدام ، ونفذ فيهم الحكم في مدة وجيزة ، ورغم ذلك لا زال الشعب الليبي يتعاون مع الثوار إلى درجة الانصياع التام[(٢٦٠)].

إن هذه الحقائق والمواقف التاريخية تشير إلى فاعلية أهل المدن في جمع المعلومات والأموال والمؤن والأسلحة ، وتهريبها إلى قادة حركة الجهاد المبارك ، وحرصهم على استمرارية جذوة الجهاد.

لقد وجد الإيطاليون أنفسهم في حرب مع شعب دفع بكافة طاقاته نحو ساحات الوغى والفداء ، وشارك معظم أبنائه بكافة ما يملكون في حركة الجهاد المقدس.

ثامناً: احتلال الكفرة:

بعد أن استطاعت القوات الإيطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسعة ، وأخذ غراسياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر ،

وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة من المرتزقة ، ومن المعدات الحربية لاحتلال الكفرة.

كانت نقاط الاحتشاد هي العقيلة ، ومرادة ، وإجدابية ، وجالو ، وحشدت إيطالية عدداً كبيراً من الإبل استعداداً لنقل المؤن إلى جانب سيارات النقل الكثيرة ، هذا ما كان عن استعداد القيادة الإيطالية ببرقة ، أما عن القيادة الإيطالية بطرابلس فقد جهزت هي الأخرى حملة مماثلة بقيادة الكولونيل قالينا ، وكانت نقطة ارتكاز هذه الحملة واحة زلة ، وكانت القيادة العامة للحملة الموحدة تتمثل في شخص الجنرال رونكيتي ، تحت إشراف الجنرال غراسياني مباشرة ، وتحركت الجيوش الإيطالية من طرابلس وبرقة في وقت واحد وبنظام موحد تسلك طريق الصحراء إلى الكفرة ، وتجمعت يوم (٢٩ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ) بموقع الهواري ، وهناك اشتبكت قواهم مع المجاهدين في أولى المعارك ، وكانت معركة غير متكافئة ، وقد اشترك قسم من

الطائرات الإيطالية مكون من عشرين طائرة ، واستمرت المعركة ثلاث ساعات ؛ قُتل أثناءها العدد الكثير من الإيطاليين ، ومن المدافعين الذين ما كانوا يفكرون في صد العدوان طويلاً ، ولكنهم يحاولون إيقافه بعض الوقت ريثما يتمكن من يستطيع الفرار ليأخذ طريقه إلى السودان أو مصر[(٢٦١)] ، لقد قاتل المجاهدون جميعاً بشجاعة وبسالة نادرة ، فلم يكفوا عن القتال ، واستشهد العشرات ، ووقع في أسر الطليان ثلاثة عشر فقط ، وغنم الطليان مئة بندقية ، واحتلوا الكفرة ، وهتكوا الأعراض ، وفعلوا ما لم يفعله إنسان.

لقد كتب غراسياني عن اهتمامه باحتلال الكفرة ، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الإيطالية أكثر من خمسٍ وأربعين صفحة ، لقد اعترف غراسياني بقوة وشجاعة المجاهدين الذين تعرضوا لقتال الإيطاليين عبر الصحراء الكبرى.

قال غراسياني: لقد تكبدت حملتنا خسائر فادحة ، وكنا حريصين على تحقيق النصر بأي ثمن لكون قوات المجاهدين غير متكافئة ، رغم هذا كله كانوا أشداء أقوياء صامدين ، صابرين لا يتقهقرون أبداً ، حتى ولو أدى ذلك لفنائهم جميعاً ، مؤمنين بأنهم أصحاب حق وشجاعة[(٢٦٢)].

لقد اعترف العدو بهم ، كان زادهم التمر والشعير ، ومع ذلك دوَّخوا إيطالية ، وكان من بين القادة الذين أثخنوا في الأعداء عبد الحميد بومطاري الذي تزعَّم قيادة الزوية والمغاربة في تلك المرحلة في جهادها ضد إيطالية ، وصالح الأطيوش وسيف النصر الذي قال فيهم غراسياني: ((لقد وصل سيف

النصر وصالح الأطيوش إلى المنطقة ، وبصحبتهم الذين هاجروا من القطر الطرابلسي ، فأصبح الموضوع دقيقاً وبالأخص صالح الأطيوش فهو مكابر وشديد المراس))[(٢٦٣)].

إن المجاهد صالح الأطيوش من المجاهدين العظام الذين ساهموا في الذود عن حياض المسلمين ، لقد شهد له عدوه غراسياني بشدة مراسه ، فله منا الدعاء

بالمغفرة والرحمة والرضوان ، له ولجميع إخوانه الذين سطروا لنا صفحات من البطولة والرجولة للذود عن ديننا العظيم.

إن عائلة ال الأطيوش تعرضت لبلاء عظيم ، ولقد أعطى السنوسي الأطيوش صورة حية عن ذلك البلاء الذي كابده الفارون من جحيم الكفرة في ذلك الوقت.

إن أسرة عائلة الأطيوش أسرة مشيخة أصيلة في قبيلة المغاربة ، تعد نموذجاً لما قاسته مختلف العائلات الليبية البارزة عبر فترة الكفاح الطويل ضد الإيطاليين ، فمن المعلوم أن الكيلاني الأطيوش ، الذي عيَّنه الوالي التركي في منصب القائم مقام في الكفرة سنة (١٩١٠ م) توفي في العام التالي مباشرة وهو في طريقه إلى جالو للالتحاق بقوات المقاومة التركية ضد الغزو الإيطالي ، وأخوه سعيد قضى نحبه خلف أسوار معتقل إيطالي في العقيلة ، ومن بني أخيه واحد شنقه الطليان في سرت ، وعبد الله استشهد في معركة النوفلية ،كما قتل في البريقة اثنان اخران هما علي وأحمد عبد القادر الذي قتل في سرت سنة (١٩١٨ م) ، والاخر استشهد في معركة سرت بالقرب من إجدابية ، وكذلك فقدت هذه العائلة ما لا يقل عن أربعة اخرين ماتوا في أثناء محاولة النجاة بأرواحهم من الكفرة.

فعندما هاجم الإيطاليون الكفرة رحل صالح باشا الأطيوش بأهل بيته ، وكان من بينهم السنوسي ابن أخيه ، وبضعة أشخاص اخرين ، في قافلة من الإبل اتجهوا بها أولاً صوب العوينات على حدود السودان ، فبلغوها بعد ستة أيام ، وهناك ملؤوا قربهم بالماء وانقسموا إلى فريقين ، توجَّه أحدهما إلى الشمال نحو وادي النيل ، بينما عمد الفريق الاخر إلى مرقة ؛ وهي واحة صغيرة غير مأهولة تقع في ناحية الجنوب الشرقي بالسودان ، ويبلغ طول هاتين المسافتين ٥٠٠ ميل و٣٠٠ ميل على التوالي ، أي مسيرة ٢٥ يوماً و١٥ يوماً بمعدل سير الإبل العادي ، ولم يكن ثمة أي: أثر يمكن للمسافر اقتفاؤه ولا مورد ماء في الطريق ، ولا أحد يستطيع أن يتصوَّر مدى خطورة رحلة كهذه ما لم يكن قد جرب اجتياز تلك الصحارى على ظهر جمل ، وقد حكى السنوسي الأطيوش قصة تلك الرحلة فقال:

((بعد مسيرة عدة أيام أخفقنا في الوصول إلى مرقة ، وعرفنا أننا تائهون في الصحراء ، فرجعنا أدراجنا نقصد العوينات ، لما كنا استنفدنا مؤنتنا من المياه ، أصبحنا مضطرين إلى نحر ناقة أو جمل كل يوم لشرب الماء المخزون في بطون
الإبل ، وكان كل منا يحمل في مخلاته بعض لحم الذبيحة ويأكل أثناء السير ، ومع أن المسافة التي قطعناها منذ خروجنا من العوينات كانت قد استغرقت منَّا ثمانية أيام كاملة ، فقد بلغت بنا شدة المحنة أننا في طريق العودة قطعنا نفس المسافة خلال أربعة أيام فقط ، راكبين أو ماشين ليلاً ونهاراً ، وفي العوينات ملأنا قرب الماء من جديد ، وبعد استراحة قصيرة واصلنا السفر عامدين نهر النيل رأساً ، باقتفاء اثار الفريق الاخر من جماعتنا ، وعثرنا في الطريق على جثث البعض ، ومن بينهم أمي وأختي واثنين من إخوتي قصفتهم طائرات الطليان ، أو ماتوا عطشاً ، وكنا نواصل السير ليل نهار حتى وصلنا ابار كريم بعد تسعة أيام ونحن أقرب إلى الموت منا إلى الحياة ، وهناك أسعفنا الحظ بلقاء بعثة
استكشافية كان قد نظمها الأمير عمر طوسون بقيادة ضابط بريطاني ، فحملتنا معها إلى واحة الخارجة ثم إلى الداخلة ؛ ومنها انتقلنا إلى المنيا ؛ حيث استقرَّ بنا المقام مع ناس من قبيلة الجوازي التي تربطنا بها صلة القرابة ، ومكثنا هناك حتى عام (١٩٤٠ م) ، وعندها التحقنا بالقوات الليبية تلبية لنداء الأمير))[(٢٦٤)].
إن هذه القصة الحزينة تعطينا صورة واضحة عما كابده الليبيون الذين استطاعوا الهروب من هجمة غراسياني الوحشية على الكفرة ، وتلك الغارة الهمجية ، ولقد تأثر العالم الإسلامي من الأخبار التي سمعوها من العوائل الليبية التي كتب الله لها النجاة ، وقد قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في توضيح تلك الأعمال ، وكتب مقالات صادقة أصبحت وثائق مهمة للمؤرخ لتلك المحنة العظمية التي مرَّ بها الشعب الليبي المسلم ؛ فقد قال:
((... إنهم لما احتلوا واحة الكفرة في ١٣ يناير من سنة(١٩٣١ م) ، واستباحوا قراها ثلاثة أيام ، فقتلوا من صادفوه من الأهالي ، وكان من جملة القتلى بعض الشيوخ الأجلاء مثل محمد عمر الفضيل ،
والسيد حميد الفضيل ، والشيخ فضيل الديفار وغيرهم ممن قتلوه صبراً ؛ غير داخل في ذلك من قتلوا في المعركة التي جرت بين الأهالي وجيش الحملة الطليانية ؛ وهم ٢٠٠ شخص ، ثم إن الطليان انتشروا في القرى والبساتين ، ونهبوا كلَّ ما وقع في أيديهم ، ولم يرحموا الشيوخ

ولا الأطفال ولا النساء ، وصادفوا الشيخ مختار الغدامسي وهو شيخٌ فانٍ بلغ ثلاثاً وتسعين سنة ، ومن جلة علماء السنوسية ، فحملوه مقيداً بالحبال على جمل ، ونفوه من الكفرة فمات في الطريق ، ثم اغتصبوا النساء في أعراضهن ، وقتلوا منهن كثيراً ممن دافعن إلى الاخر عن أعراضهن ، وكان نحو من ٢٠٠ امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي ، فأرسلوا قوة في أثرهن ، حتى قبضوا عليهن وسحبوهن إلى الكفرة حين خلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن.

وهكذا نزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف الكفرة الذين كانت الشمس تقريباً لا ترى وجههن من الصون ، والعفاف ، وقد أشارت الصحف الطليانية إلى هذه الحادثة ، وصرحت من باب الافتخار قائلة: ((إن الجيش قبض على ٢٠٠ امرأة من نساء الزعماء)) ، وقرأنا ذلك بأعيننا ، ولحظنا أن مقصود البلاغ العسكري الإيطالي التبجح بكون حلائل زعماء الكفرة صرن إلى الضباط ، إلا أننا انتظرنا جلاء الأخبار من الجهة الثانية حتى نعلم ماذا جرى بعد التثبت ، فما مضى شهر حتى وردت الأخبار من المهاجرين الذين دخلوا حدود مصر بأن هؤلاء السيدات المقصورات الناشئات في أكرم بيوت الطهارة والصون ؛ قد قُبض عليهن في الصحراء وصرن إلى أولئك الفجرة الذين لا يعرفون لصيانة العرض معنى ، ولا يقيمون للشرف وزناً ، وعلمنا أن بعض شيوخ الكفرة الذين احتجوا على هتك أعراض السيدات المذكورات قد أمر القائد بقتلهم ، ثم لما هاج هائج العالم الإسلامي من جراء هذا الخبر وأشباهه أذاعت الحكومة الإيطالية تمويهاً ظاهراً ؛ زعمت فيه أن الجيش تأثر للنسوة المئتين المذكورات شفقة عليهن ، ولأجل أن يرجعن إلى بيوتهن امنات ، وغير ذلك من الأقاويل التي قصدت إيطالية بها تخدير أعصاب المسلمين الذين بلغهم ما كان جرى بالكفرة من هذه الفضائح ؛ من هتك أعراض مخدرات المسلمين ، ومن استباحة الزاوية السنوسية المسماة (التاج) ، وإراقة الخمور فيها ، ودوس المصاحف الشريفة بالأقدام.

هذا إضافة إلى ما كان بلغهم من قبل من إجلاء ٨٠ ألفاً من عرب الجبل الأخضر عن أوطانهم ، وإماتتهم بالجوع والعطش ، وأخذ أطفالهم قهراً إلى إيطالية لأجل تنصيرهم ، إلى ما كان بلغهم من فظائع كثيرة ؛ مثل: حمل الشيخ سعد شيخ قبيلة

(الفوائد) وخمسة عشر شيخاً من رفاقه بالطائرات وقذفهم بهم من الجو على مشهد من أهلهم ، حتى إذا وصل أحدهم إلى الأرض وتقطع إرباً صفق الطليان طرباً ، ونادوا العرب قائلين: ((ليأت محمد هذا نبيكم البدوي الذي أمركم بالجهاد وينقذكم من أيدينا)) هذه حادثة.

وغيرها من الأمور في هذا الشأن كثيرة جرحت قلوب المسلمين ، فجرت مظاهرات بالشام ، وحلب ، وطرابلس الشام ، وبيروت ، وفلسطين ، وانعقدت اجتماعات في كل مكان للاحتجاج على أعمال إيطالية ، وأبرق المسلمون بالاحتجاجات الشديدة إلى جمعية الأمم بجنيف ، وإلى نفس موسليني بالعبارات القاسية ، وقامت قيامة الجرائد العربية ، وحملت على توحش الفاشيست من كل جانب ، وامتلأت جرائد مصر بالاحتجاج والطعن في إيطالية إلى أن عطلتها الحكومة المصرية إجابة لطلب الحكومة الإيطالية ، ووصل الصريخ إلى الهند والجاوي ، وضجَّ المسلمون لهذه الأخبار ، وانعقد في الجاوي اجتماع كبير حضره ألوف مؤلفة من المسلمين ، وخطبوا خطباً شديدة ، ودعوا إلى مقاطعة البضائع الإيطالية.

وتدخلت الحكومة الهندية في الأمر وانتصرت لإيطالية بمقتضى قاعدة التكامل الأوروبي بوجه المسلمين ، وقاعدة التكافل الاستعماري بوجه الأمم المقهورة ، وأشاع قناصل إيطالية أن كل هذه الأخبار عمّا حل بمسلمي طرابلس ملفقة لا أصل لها ، وبلغت بهم الوقاحة أنهم كانوا يخاطرون الناس مخاطرة على أن يذهبوا إلى طرابلس بأنفسهم ليشهدوا كذب هذه الأقاويل ، وبلغ بهم البهتان أنهم أشاعوا أيضاً أن إيطالية اقترحت على جمعية الأمم أن ترسل إلى طرابلس لجنة من عندهم للتحقيق عما ينسب إلى رجالها من الأعمال الشنيعة التي هم أبرياء منها ، وكل هذا اختلاق محض قصدت به إيطالية التمويه وتخدير الأعصاب وصرف المسلمين عن مقاطعة بضائعها.

وقد سكن كثير من المسلمين إلى هذه التكذيبات ، وهدأ بالهم ، والحقُّ خلاف ذلك ، وكل ما شاع من الأخبار عن أعمال الطليان لا سيما بعد مجيء دول الفاشيست هو دون الواقع ، ولو تأمَّل المسلمون فيما يأتيه الفاشيست في نفس إيطالية من الموبقات ومن اغتيال أعدائهم السياسيين ، ومن حجر كل حرية ، ومن منع تأليف كل حزب يخالف حزبهم ، وأمام هذا الانتقام الرهيب من المسلمين في

قتلهم وتغريبهم عن ديارهم ، فلا تسأل ، فقد أصبحت في حكم المتواتر الذي لا يصح فيه المراء لاتفاق عشرات الألوف من الأهلين على روايته ؛ فقد نزح عن طرابلس وبرقة نحو مئتي ألف نسمة ، وقيل: ٣٠٠ ألف نسمة؛ منهم ٢٠ ألفاً دخلوا تونس والجزائر ، ٦٠ ألفاً دخلوا مصر ، ومنهم من شردوا إلى السودان ، ومنهم من تفرقوا في الصحارى ، وقد أطبقوا بأجمعهم على صحة هذه الأخيار ومشاهدتهم تلك الأفعال بالعيان ، وأنه ليستحيل اتفاق الألوف المؤلفة على الكذب ، هذا فضلاً عن كون هذه

المظالم حقيقة راهنة ما كان هذا العدد الكبير من الأهالي يترك وطنه ، ويهيم على وجهه في البراري ، أو يلتمس الرزق عاملاً في أرض غيره بعد أن كان سيداً في أرضه.

ومن أغرب المتناقضات . والتناقض من عادة كل كاذب . أنه بينما ممثلو إيطالية في بلاد الإسلام يذيعون أن من شاء أن يذهب إلى طرابلس بنفسه ليتحقق من كذب تلك الأخبار عن فظائع الطليان فيها ؛ فإن أبواب طرابلس مفتوحة لمن شاء الذهاب إلى هناك ، وبينما قنصلهم في بيروت يشيع ذلك في بيروت ، وبينما الحكومة الإيطالية تقول هذا القول لشوكت علي الزعيم المسلم الهندي ؛ إذ بقيت إيطالية مدة طويلة بعد احتلال الكفرة وحوادثها المؤلمة تمنع كل دخول وخروج بين الحدود المصرية والحدود البرقاوية لئلا يقف أهل مصر على الحقائق والأخبار فيزدادوا هياجاً. ولكن الحقائق لابد أن تظهر ، ولا يمكن لإيطالية إخفاء كل ما تأتيه من الأعمال الوحشية في طرابلس ، وليس المسلمون وحدهم هم الذين شاهدوا أعمال الطليان وضجوا منها ، بل ثمة كثير من الإفرنج شاهدوها وأنكروها[(٢٦٥)].

تاسعاً: دور الصحافة الإسلامية:

لقد قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في الدفاع عن الليبيين ، وإظهار وحشية الإيطاليين ، ولقد كتب في صحف ذلك الزمان مقالات حزينة ، بيّن فيها الأعمال الوحشية التي قام بها الإيطاليون ضد الشعب الليبي المظلوم ، وهذه وثيقة أخرى تاريخية لمقال كتبه الأمير شكيب في مجلة الدولة العربية ، ولقد انتشر هذا المقال شرقاً وغرباً ، ونص هذا المقال:

التعذيب الإيطالي في طرابلس

تحرير الأمير شكيب أرسلان

كانت الحركة الإسلامية تائهة عن كل ما يحدث في طرابلس من تعذيب وهمجية من البرابرة الإيطاليين ؛ الذين ما أتوا إلى هذه الأرض إلا ليؤخروها عن التقدم والمدنية ، بعكس ما كانوا يقولون ويكتبون...

نعم إن الناس علمت بأن الحكومة الإيطالية الفاشيستية نقلت ما يزيد عن ٨٠ ألف عربي من الجبل الأخضر ووضعتهم في الصحراء (سرت)... نزعت منهم أراضيهم بحجة التعمير ، وأن المعمرين الإيطاليين هم أحق من أي أحد اخر ، لأنهم يتقنون هذا العمل أكثر وأحسن من العرب.

إن العالم علم بأن الجيش الإيطالي احتل الكفرة وواحاتها بعد قتل السكان العُزَّل والثوار الذين دافعوا عن وطنهم إلى النهاية ، وأن الصحافة الإيطالية تتبجَّح وتنشر بأن جيشها أسر مئة امرأة وهن زوجات الشيوخ هناك.

وفي مجلتنا (الدولة العربية) وجهنا سؤالنا إلى الإيطاليين الفاشستيين عن معنى هذا التبجح بأسر مئة امرأة.

مع العلم بأن التقاليد والعادات العالمية ، وبالأخص البيئة العربية التي تنفي اضطهاد المرأة والنساء خصوصاً أثناء قيام الحرب.

ولكن ما كنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارة الأوروبية: أن تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عن جادة التمدن والرقي.

لم يسبق في تاريخ البشرية ، بل في تاريخ البربرية أن معاملة الجيش الإيطالي الفاشيستي للنساء هي معاملة وحشية بدرجة تتقزز منها النفوس ، فهي معاملة سيئة سواء في طرابلس أو في برقة.

إن هذه الأخبار لم تكن نسيجاً من خيال أو فكرة طارئة ، وإنما هي حقائق يرويها من أسعده الحظ بالنجاة من المذابح التي قام بها الجيش الإيطالي الفاشيستي.

شرحوا لنا ما يلي:

١ ـ عندما اتجهت القوات الإيطالية لاحتلال الكفرة كانت معززة بالطائرات التي تلقي قنابلها على السكان العزل من شيوخ ونساء وأطفال ، وخلاف هذا سمحوا لجنودهم أن يعبثوا بالسكان لمدة ثلاثة أيام ؛ مطلقي الأيادي في البيوت والأسواق والمساجد ، وفي كل النواحي ، تصرفات وحشية لم تخطر على بال أحد؛ نهبوا وقتلوا وأحرقوا كل ما مروا به ، ولم يتركوا أي جريمة تخطر ببالهم إلا وارتكبوها ، قتلوا العلماء والمشايخ ، هتكوا حرمات البيوت ، وبقروا بطون النساء ، وأن عدد العائلات التي قضي عليها عند احتلال الكفرة يزيد عن ٧٠ عائلة من علية القوم ، وعلاوة على هذا فقد اتخذوا زاوية السنوسي (التاج) كحانة شربوا فيها الخمر حتى ثمالة الجنون ، وشربوا نخب القضاء على المسلمين واحتلال طرابلس وبرقة... ألقوا بالمصاحف القرانية في الاصطبلات تحت سنابك الخيل ، وبالكتب العلمية أوقدوا بها النار تحت قدورهم لطهي طعامهم. وقد استشهد من الثوار في احتلال الكفرة ما يزيد عن (٢٠٠) شهيد من بينهم المشايخ الاتي أسماؤهم:

الشيخ صالح العبادية ، الحاج سليمان بومطاوي ، الشيخ غيث بو قنديل ، الشيخ سليمان الشريف ، الشيخ محمد يونس ، الشيخ أحمد بو أشناك وحفيده الشيخ عمر ، الشيخ حمد الحامي ، الشيخ عبد السلام بوسريويل ، الشيخ محمد المسحوق وحفيده علي بن حسين ، الشيخ محمد العربي ، الشيخ محمد بو سجادة ، الشيخ محمد الفايدي الجلولي ، الشيخ خليفة الدلال.

٢ ـ أما الرواية الثانية ، هي: كيف تم احتلال الكفرة من أولئك الغاشمين المتوحشين من مشاهدين حقيقيين لتلك الأحداث؟

قبل دخول الإيطاليين إلى الكفرة قامت طائراتهم بقصف واحات الكفرة بقنابلهم الفتاكة فوق السكان العزل ؛ حيث قتل عدد كبير من النساء والشيوخ والأطفال ، وبعد أن دخلوا الكفرة أطلقوا أيدي جنودهم لمدة ثلاثة أيام للعبث والتخريب في الكفرة ، فقد أطلقوا بغالهم وخيولهم ؛ حيث داست كل المزروعات ، فاستولوا على كل المواد الغذائية وقطعان الأغنام والبقر لتموين جنودهم المحتلين دون مقابل ، وعلاوة على هذا نهبوا أثاث السكان وقسموها على إدارات الجيش الزاحف ، كذلك

ملابس النساء وحليهن ، هذا قليل من كثير ، زد على ذلك اعتداءاتهم على حرمات الناس العزل دون وازع من ضمير ، وعندما اتجه بعض المشايخ إلى قائد الحملة راجين منه إصدار أمره إلى الجنود بالكفِّ عن هذه الاعتداءات على الناس ، كان مصيرهم القتل رمياً بالرصاص باعتبارهم خونة ، وبالاختصار إن الإيطاليين عندما احتلوا الكفرة قاموا بأعمال وحشية لم يسبق أن حدثت في التاريخ حتى في القرون الوسطى عهد الهمجية.

إن قضية الـ ٨٠٠٠ عربي الذين نقلتهم القوات الغاشمة من أراضيهم الخصبة في الجبل الأخضر إلى مناطق جدبة صحراوية لا ماء فيها ولا كلأ ، هي منطقة (سرت) كي تموت المواشي جوعاً ، وعطشاً ، أما البقية فقد استولى عليها الجنود الإيطاليون ، وأصبحوا فقراء تدفع لهم الحكومة الإيطالية فرنكين عن كل يوم لكل شخص مهما كان عدد عائلته. أما بالنسبة لحلي النساء وملابسهن فقد نهبها الجنود الإيطاليون ، وأصبحت العائلات في هوة الفقر سواسية. وفي أثناء مرافقة هذا العدد الضخم من رجال ونساء وأطفال ، كان الجنود يسومونهم سوء العذاب ، وكل من يعجز عن المسير مصيره الموت ، فيقتلونه ويتركونه يتخبط في دمه.

إن الرجال والشبان الذين تتراوح أعمارهم من ١٥ إلى ٤٠ سنة أجبروا على الانخراط في قوات الجيش.
وأما الصغار الذين تتراوح أعمارهم حتى ١٤ سنة فقد أخذوا بالقوة من أهليهم وأرسلوا إلى إيطالية بحجة تعليمهم ، ولكن في الحقيقة من أجل تنصيرهم.
وهذا ما كان يتحدث به سكان (روما) ، وهو تنصير الليبيين بصورة عامة والطرابلسيين بصورة خاصة ، ورغبة الإيطاليين الفاشيستيين هي القضاء المبرم على العنصر الإسلامي في ليبية ، فإذا ليبية تصير إيطالية ، وبجوارها مصر سوف تتعرض إلى أكبر خطر. وإن مصر لن تسكت عن هذا الإجراء لأن الإيطاليين في اعتقادهم المريض أن مصر ليست دولة عربية ، وإنما هي خليط من عدة أجناس... الأمر الذي يجعل إيطالية تحكم بأن تغزو مصر وتتمكن من أرضها وشعبها كما تمكنت من طرابلس.
إن الوعود المعسولة التي كانت تصرح بها السلطات الإيطالية ، وتمنياتها الطيبة التي كانت تعرضها على الشعب الليبي ، وأنها ـ يعني إيطالية ـ ما أتت إلا لتخلص
الشعب الليبي من الاستبداد التركي ؛ ولأجل أن تذر الرماد في أعين الناس ، أتت بإدريس وقلدته لقب الإمارة ، ووعدته بالحكم الذاتي ، ولكن كانت دائماً وعوداً فقط.. وها هي إيطالية تلغي كل شيء ، وتبدأ في سفك الدماء وتطرد السكان من أراضيهم وأموالهم ، وأخذت أولادهم وبناتهم إلى إيطالية من أجل تعليمهم ، وفي الواقع من أجل تنصيرهم...
إنني أُقبل على المسلمين أن يتذكروا هذا كله ، وأن يتفهموه... فإن هناك من يتفلسف ويتشدق بالقول بأن في أوروبة تسود العدالة والحرية ، وأن الدولة الأوروبية لا تتعرض للقضايا الدينية ، وأن السبب في سقوط المسلمين هو التعصب الأعمى! إن هذه الألفاظ وهذه المغالطات تنذر المسلمين جميعاً بأنهم إذا لم يتحدوا ويذودوا عن حياضهم سوف يتعرضون إلى الفناء ، ويفقدون قواتهم المسلحة وحرياتهم السياسية ، سوف يحدث لهم كما حدث لطرابلس إذا لم يحافظوا على حريتهم واستقلالهم. إن موقف إيطالية من حضارة القرن العشرين موقف غير مشرف ، فقد رجعت إلى معاملات القرون الوسطى.
إن الإيطاليين المتوحشين لم يتحرجوا لا كبيراً ولا صغيراً ؛ فقد اعتدوا على الحريات ، واغتصبوا النساء ، وهتكوا الأعراض. كل هذه الأعمال من أجل اضطهاد المسلمين وروحهم الانتقامية.
لقد زجّ الإيطاليون في السجون الكثير من الأهالي ومشايخ القبائل ، وقد عارضهم وندد بأعمالهم الشيخ سعد الفايدي شيخ قبيلة الفوايد ؛ فما كان منهم إلا أن قتلوه ومعه ١٥ من أبناء قبيلته ؛ البعض

منهم ألقي من الطائرات من علو ٤٠٠ متر ، وكلما كانت الطائرة تلقي بواحد منهم هناك كان الهتاف يعلو وصياح الجنود يزداد.

إن الصحفي الدانماركي الشهير (كنود هولمبوي) الذي اعتنق الإسلام ، وقام بجولة سياحية أثناء هذه الفترة في ليبية ، قد شاهد بنفسه وعينيه كل التعذيب والاضطهاد الذي يقوم به الجنود الإيطاليون الفاشيست ؛ يقول:

شاهدت ٢٠ عربياً مسلسلين... شنقهم الجنود بأمر من ضابطهم دون محاكمة ، ولم تكن هناك محكمة.. هذا المنظر البشع أثَّر في نفسي ، ولم يكن في اعتقاده أن دولة مثل إيطالية الفاشيستية وهي إحدى دول البحر الأبيض المتوسط تقوم بمثل هذه

القسوة وهذه الوحشية. إنها جرائم سيسجلها التاريخ في صفحة سوداء ، وسيبقى وصمة عار في جبين الدولة الإيطالية على مدى الدهر والأزمان.

إن إيطالية أرادت أن تحذو حذو فرنسة في تنصير المسلمين إبان حكمها في المغرب ؛ فقد عملت ووزعت المبشرين في طول البلاد وعرضها ، وبنت العديد من المعابد والكنائس في كل المدن والقرى لتقضي على الدين الإسلامي ، وهكذا عملت إيطالية فقد بنت المعابد في طرابلس وبنغازي وكل القرى ، وأمرت المبشرين بأن يسعوا بكل الوسائل لتنصير العرب مهما كان الثمن. وقد فاقت على فرنسة بطريقة أخرى ؛ فأخذت الأطفال من حجور أمهاتهم ، وبعثت بهم إلى إيطالية إلى تلك المعاهد المسيحية لتعليم هؤلاء الأطفال الدين المسيحي... وعزلهم عزلاً كلياً عن وطنهم وبيئتهم... بحيث يشبون ويترعرعون في الجو الفاشيستي والكنيسة المسيحية.

إن سياسة إيطالية الفاشيستية هي القضاء على الدين والعقيدة ، وإبعاد المسلمين عن معابدهم ومساجدهم ، وكم من مرة صرَّح موسوليني رئيس الحكومة والحزب الفاشيستي في خطاباته بعد احتلال (الكفرة) ؛ بأنه عازم على تثبيت ثلاثة ملايين من السكان الإيطاليين في الأراضي الليبية الخصبة. وقد أيَّد هذا الرأي الكثير من السياسيين ، وأبرزها الكثير من الصحفيين على صفحات جرائدهم ومجلاتهم.

منذ أيام قرأت بالجريدة الرسمية المرسوم الملكي القاضي بمصادرة أملاك المواطنين وأوقاف المسلمين والزوايا السنوسية وأوقافها. وبهذه الطريقة الجهنمية عملت إيطالية الفاشيستية على تملك الإيطاليين كل

الممتلكات الليبية بالتدريج ، وإبعاد الليبيين من كل المجالات ، حتى تصبح ليبية خالية من كل العناصر ، ولا يبقى بها إلا الإيطالي المسيحي الكاثوليكي.

إذاً الكلام الصادر من الجنرال أو المارشال لم يكن إلا زوراً وبهتاناً وتضليلاً لتهدئة المسلمين ، حتى تستطيع السلطات الإيطالية الفاشيستية تنفيذ أغراضها الاستعمارية. وهي إن استحوذت على الملايين من هكتارات الأراضي الزراعية وغيرها (من أين لها هذه الأراضي؟) فالجواب معروف. استحوذت عليها بطرد أهلها

الحقيقيين ، ونقلهم إلى مناطق الهلاك هم ومواشيهم على السواء أمام أعين العالم المتمدن ، وأمام عصبة الأمم.

وبالاختصار: تبجح الإيطاليون بقولهم: إن طرابلس وبرقة كانتا رومانيتين... فلابد أن ترجعا رومانيتين كما كانتا . هذا هو هدف الفاشيست دون تردد.

إننا لا نصدق ما يقولون ، لقد خالفوا القواعد الدولية والإنسانية ، ولم ينفذوا حرفاً واحداً من تعهداتهم إلى الطرابلسيين والبرقاويين ، حتى التعهدات الكتابية والاتفاقات المبرمة بينهم وبين إدريس السنوسي ، كانت عبارة عن أكاذيب وكسباً للوقت.

نحن مقتنعون بأن كل ما كتبناه وأعلناه على الملأ أجمع ستكذبه السلطات الفاشيستية ، وستوجد لنا مضابط لكي تدحض أقوالنا ، ولكن كل ما كتبناه ثابت وصحيح ومصدره من جهةٍ عاصرتِ الأحداث ؛ وهي هيئة التحرير الليبية في دمشق ، فقد أثبتت الحوادث والاعتداءات بالوثائق الرسمية ، وبالأخص في احتلال الكفرة ؛ فقد ارتكب الجنود الإيطاليون الفاشيست أبشع الجرائم باعتداءاتهم على النساء وقتلهم الشيوخ والأطفال ، واعتدوا على حرمات المساجد والمقدسات. وقد ادعت إيطالية بأن كل الأعمال العسكرية التي قامت بها ما هي إلا تأديب لأناس أعلنوا العصيان على دولتهم ، وهذه حجة واهية لا يقبلها العقل ، ولا تقوم بها دولة متمدنة كما تدعيه إيطالية الفاشيستية. وأن الثوار في العرف الدولي لم يكونوا من العصاة على الدولة ، وإنما هم أصحاب حق يدافعون عنه ، اغتصبه عدو دخيل.

بقي عليَّ أن أختتم مقالي هذا الذي كتبته لا أريد منه تحريض المسلمين على أن ينتقموا من الإيطاليين الذين يعيشون معهم ؛ حاشا لله! نحن لسنا من الانتقاميين ، ولا في الجهل مثل الإيطاليين الفاشيست ، وليس من شيم أخلاقنا أن نستعمل القوة على من هو أضعف منا.

وأن المسلمين لن يغيروا أبداً تراثهم الخلقي الذي ورثوه أباً عن جد. ولكني أقترح ما هو ات:

١ . جمعية الشبان المسلمين في كل بلد عليها أن تحتجَّ على كل أساليب الاعتداء والإجرام التي ارتكبتها إيطالية الفاشيستية في ليبية ، وأن ترسل برقية احتجاج شديدة

اللهجة إلى عصبة الأمم ، وتنشر على الصحف العالمية.

٢ .كل المدن والمقاطعات الإسلامية التي تتقد حماساً ، والدم الساخن الذي يجري في عروقهم ، عليهم أن يقدموا احتجاجاتهم إلى عصبة الأمم بالبرق مستعجلاً ، ونشرها جميعاً على صفحات مجلاتهم وجرائدهم المحلية.

٣ . إن مجموعة الدول الشرقية بالقاهرة هي كذلك عليها أن تحتجَّ وتندِّد بأعمال القمع والعنف التي تقوم بها إيطالية الفاشيستية ، وتقدمه إلى عصبة الأمم مثل الهيئات الأخرى.

٤ .كل الهيئات الإسلامية والعربية والشرقية بالقاهرة وسورية والعراق والعربية السعودية والهند وجاوا وغيرها ؛ لابد وأن يقوموا بواجبهم نحو القضية الليبية.

٥ . عقد اجتماعات شعبية في المدن الإسلامية ، وإلقاء الخطب الحماسية لشرح ظلم واستبداد السلطات الإيطالية الفاشيستية ، وهتافات بسقوط العدو الغاصب.

٦ . يجب على كل المسلمين أن يقاطعوا كل البضائع الإيطالية والسفن ، وكل الوسائل والأعمال ، وكل شيء يحمل اسم إيطالية ، وقطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك تكوين لجان شعبية خاصة بمراقبة البضائع الإيطالية.

٧ . طبع المنشورات وكتيبات تبين فيها تصرفات إيطالية الفاشيستية واضطهادها للشعب الليبي ، ويكون طبعها كذلك باللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، ويكون توزيعها بالالاف في أوروبة وفي كل العالم ، ومن واجب كل مسلم أن يقوم بإلصاق هذه المنشورات في كل الشوارع والميادين ، وتوزيع الكتيبات في كل مكان من العالم. كذلك على كل مسلم أن يعلق في بيته بعضاً من هذه المنشورات حتى لا ينسى ما يعانيه الشعب الليبي من اضطهاد وتعذيب.

أيها المسلمون:

لا تقولوا بأن هذا الحديث في طرابلس وليبية فقط ، وإنما الليبيون الشرفاء طُعنوا في شرفهم.. في دمائهم.. في دينهم ، وفي أموالهم وممتلكاتهم ، وكذلك سيحدث لكم أنتم مثل هذه المأساة ، وسيحل بكم العذاب كما حل بالليبيين الشرفاء إذا لم تدافعوا عن أنفسكم ، إذا لم تبينوا أنفسكم أنكم أحياء.

أيها المسلمون:

في الوقت الحالي لن تستطيعوا الدفاع عن أنفسكم وبسلاحكم فقط؛ بل سخِّروا أقلامكم وكذلك باجتهادكم وبصبركم على المكائد ، لتدافعوا عن كيانكم وعن أرضكم وعن مقدساتكم ، وتثبتوا للعالم بأنكم شعب يعرف كيف يقاوم.

لوزان ١٢ ذو القعدة

٧ أبريل ١٩٣١م

شكيب أرسلان

قال شكيب أرسلان: ولما حررت المقالة التي نشرتها عن فجائع طرابلس وبرقة سنة (١٩٣١ م) على إثر دخول الطليان إلى الكفرة ، وارتجف لها العالم الإسلامي غضباً ، وعلا الصراخ من كل جهة ، جاءني من الشهيد الأكبر بطل الجبل الأخضر السيد عمر المختار الكتاب الاتي:

عاشراً: رسالة من عمر المختار إلى شكيب أرسلان:

كانت تلك الجهود التي قام بها الأمير شكيب أرسلان وصلت أخبارها للمجاهدين ، فأرسل قائد حركة الجهاد رسالة شكر واحترام وتقدير لتلك الأعمال ، وهذا نص الرسالة:

«إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله. بعد السلام الأتم ، والرضوان الشامل الأعم ، ورحمة الله وبركاته: قد قرأنا ما دبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان ، وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار ، فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر ، وعظيم الممنونية. كل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير ، وقد اقتصدتم واحتطتم كثيراً ، ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغي لما يروى من استحالة وقوعه ، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح ، وإننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون ، وعلى الله في نصرنا متوكلون ، وقد قال الله تعالى:

[الروم: {حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الرُّوم: ٤٧] ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، في (٢٠ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ)»[(٢٦٦)].

وقد علق شكيب أرسلان على تلك الرسالة فقال: وما لاحظه الشهيد المشار إليه هو عين الحقيقة؛ فإن الناس يصعب عليهم أن يصدقوا الشناعات والدناءات والنذالات التي أقدم عليها الطليان في طرابلس ، ولا سيما الفاشيست منهم[(٢٦٧)].

إن رسالة عمر المختار للأمير شكيب أرسلان نستخلص منها فوائد جمّة: ففي قوله: من (خادم المسلمين)؛ دليل على تواضعه وافتخاره بكونه من خدّام المسلمين، وهذا المعنى له مدلول عند الشيخ عمر المختار ، فهو يتقرب إلى الله تعالى بخدمة المسلمين؛ وهي من أعظم القربات عند الله تعالى ، وفي قوله: (إلى المجاهد الأمير الخطير) وصف الأمير شكيب بالمجاهد ، وهو بالفعل جاهد مع الليبيين بجانب جنود الأتراك ضد الطليان ، وفيه دلالة على اهتمام عمر المختار بالمصطلحات الشرعية فلم يقل: مناضل ، أو مكافح ، أو ثائر.. وإنما تقيد بوصفه مجاهداً ؛ لدلالة هذه الكلمة وعمقها في أوساط المسلمين ، ووصفه بالخطر ؛ كيف لا وقد كانت مقالاته أنفذ من الرصاص في قلوب الإيطاليين ، وساهمت في تشكيل تعاطف إسلامي وعربي كبير مع القضية الليبية العادلة ، وفي قوله (أخينا في الله) فيه دلالة رابطة العقيدة التي جعلت المسلمين إخوة ، فهي فوق كل الروابط الأرضية ، وفي قوله: (بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم) فيها قوة العبارة ، وبلاغة الأسلوب ، وروعة المدخل ، وفي قوله: (قد قرأنا ما دبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان) دليل على متابعة المجاهدين لما يجري خارج البلاد ، وله علاقة بقضية شعبنا ، وأما بقية الرسالة ففيها تأكيد للأمير شكيب عن المعلومات التي وصلت إليه وقام بنشرها ، وفيها إصرار قوي على مواصلة الجهاد والدفاع عن الدين والوطن ، وفيها توكل على الله عظيم.

هذا وقد قامت جمعية الشبان المسلمين بمصر بنشر بيان عن سياسة الإبادة والاستئصال التي اتبعتها إيطالية في طرابلس الغرب ، وألقي ذلك البيان في اجتماع

عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ، ووقع عليه أهل الرأي والمكانة في مصر ؛ ليرسل إلى جمعية الأمم ، ويذاع في العالم الإسلامي، وجاء في ذلك البيان الحديث عن:

١ . سياسة التهجير:

لقد شهدت مصر مشهداً لا تستطيع الإنسانية أن تعرض عنه متجاهلة لما انطوى عليه من الالام ، وذلك أن مئات من بني الإنسان بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ اضطروا تحت ضغط الجور إلى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم ، وأن يهيموا على وجوههم في القفار ، ولولا مروءة مأجور الواحات

المصري الذي خرج هو ورجاله للبحث عنهم حتى لقيهم وأنقذهم لهلكوا عطشاً وجوعاً ، أولئك هم فريق من إخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الإيطالي الذي لا يطاق.

٢ . سياسة القتل والرمي في البحر:

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت إلينا أمواج البحر في السلوم مشهداً اخر أفظع من هذا وأشنع ، فرمى البحر إلى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة.

٣ . عمل الإيطاليين في الكفرة:

ثم توالت الأخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طائرات الإيطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكاً ذريعاً ، وبعد ذلك هاجمها الجيش ، وكاد يأتي على البقية من أهلها ، ولم يتعفف عن هتك الأعراض وسلب الأموال وبقر بطون الحوامل.

٤ . قتلهم لأهل العلم:

وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون ؛ منهم: الشيخ أبو شنة ، وابن أخيه الشيخ عمر ، والشيخ حامد الهامة ، والشيخ عبد السلام أبو سريويل ، والشيخ محمد المنشوف ، وابن أخيه علي بن حسين ، والشيخ محمد العربي ، والشيخ محمد أبو سجادة ، والشيخ أحمد الفايدي الجلولي ، والشيخ خليفة الدلاية.

٥ . قتلهم لكبار شيوخ الكفرة:

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة إلى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح ؛ أمر بذبحهم أمامه كما تذبح الشياه.

٦ . قتل الأبرياء برميهم من الطائرات:

ومن الفظائع التي ارتكبها الإيطاليون في برقة ، ونقلها الرواة الصادقون: أنهم وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصاً من العرب في الطائرات ، وارتفعوا بهم عن سطح الأرض ، ثم جعلوا يلقونهم واحداً بعد الاخر ليموتوا ميتة لم يسبق لها مثيل.

٧ . انتزاع الأراضي من أهاليها وتجويعهم:

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الأخضر: إخراج أهله منه وهم لا يقل عددهم عن ثمانين ألف عربي إلى بادية سرت القاحلة ، ثم أذاعوا بوساطة قنصليتهم في بلاد الأرجنتين أن حكومة طرابلس وبرقة

تعطي الأراضي الخصبة فيها لكل إيطالي يريد النقلة إليها ، وبلغت مساحة الأراضي التي أخذت غصباً نحواً من مئتي ألف هكتار ، ولا تزال الحكومة الإيطالية تحث الإيطاليين على استعمار هذه الأراضي ، وقبل انتزاع أراضي الجبل الأخضر من أهله في هذه السنة انتزعت في سنة ١٩٢٤ م ما مساحته ٤٢٠ ألف هكتار دون مقابل ، وفي بعض الأحيان كان المقابل عن المئة ألف هكتار ستة الاف فرنك إيطالي . أي: خمسين جنيهاً تقريباً . وقد خرج أهالي الجبل الأخضر عند إجلائهم منه وهم لا يملكون ما يقتاتون به ، فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم ، وهم الان يعيشون بهذا المرتب عيشة بؤس تفتت الأكباد ، وفي أثناء نقلهم إلى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يُرمى بالرصاص.

٨ . ترحيل الأطفال إلى إيطالية لتنصيرهم:

وفضلاً عن كل ذلك فقد جمع الإيطاليون الأطفال الوطنيين من ٣ إلى ١٤ وأخذوهم من أهلهم ، وأرسلوهم إلى إيطالية بزعم تعليمهم فيها ، وجمعوا الشبان من سن ١٥ إلى ٤٠ ، وألحقوهم بالجيش ، واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم.

٩ . إرساليات التبشير بين الأهالي:

وبلغ الاستهتار بالشعور الإسلامي مبلغاً عظيماً بين إرساليات التبشير المنبثة الان بين الأهالي ، ومن صدور الأوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطالية على المنابر.

١٠ . خداعها للأهالي[(٢٦٨)]:

وقد حدث مراراً أن الحكومة تعلن عن العفو والأمان ، فإذا وقع المعفو عنهم وغدا في قبضتهم غدرت بهم ، وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل: خليفة بن عسكر ، والشيخ عبيدة الصرماني ، وأحمد الباشا ، وإبراهيم بن عباد ، والهادي كعبار وابنه محمد كعبار ، والشيخ أحمد أحمد الحجاوي ، والشيخ علي الشويخ ، والشيخ عبد السلام بن عامر ، والشيخ محمد التريكي ، والشيخ شرف الدين العمامي ، والشيخ أحمد بن حسن بن المنتصر ، والشيخ عمر العوارني ، والشيخ محمد عبد العال ، ومن الضحايا الذين لا يعرف لهم ذنب: الشيخ صالح العوامي ؛ وهو شيخ يبلغ التسعين عاماً من أهل العلم والصلاح ؛ قبضت عليه إيطالية سنة (١٩٢٣ م) وزجَّتْه في سجن بنغازي إلى أن مات ، فدفن بمحل مجهول ، فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالإنسانية جميعها ، وبجمعية الأمم بنوع خاص: أن هلمي إلى إنقاذ البقية الباقية من أبناء الإنسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والإبادة التي تتبعها إيطالية في طرابلس المنكوبة ، وأن العالم الإسلامي يعتبر ما وقع ويقع في طرابلس الغرب عدواناً

مباشراً على كل مسلم مهما كانت جنسيته ووطنه ، وسيبقى عار هذه الأعمال لاصقاً لإجراء تحقيق دولي حر دقيق في نفس بلاد برقة وطرابلس عن كل ما جرى فيها ، وإعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق ، والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الأمم إجراء هذا التحقيق تنزيهاً للإنسانية عن لحوق هذا العار بها إلى الأبد ، ويرجون بإلحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق ، وهم ينتظرون ما تقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر.

التوقيعات:

١ . محمد الشرقاوي.

٢ . خليل الخالدي ، رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين.

٣ . محمد رشيد رضا ، منشأى مجلة المنار الإسلامية.

٤ . محمد عبد اللطيف دراز ، من العلماء وعضو مجلس إدارة.

٥ . جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

٦ . محمد عبد الرحمن قراعة ، من العلماء ومدرس بالأزهر الشريف.

٧ . عبد الوهاب النجار ، وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

٨ . محمد كامل القصاب.

٩ . محمد تقي الدين الهلالي ، الأستاذ الأول للاداب العربية بندوة العلماء بالهند.

١٠ . علي سرور الزنكلوني ، المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

لقد عبث الجنود الإيطاليون بالمكتبة السنوسية التي كانت ثروة علمية ضخمة ، فأخذت أيدي الجنود تبددها ذات اليمين وذات الشمال ، وتوقد بها النيران للطعام ، وأخيراً صدرت الأوامر بجمع ما تبقى منها ونقله إلى بنغازي ، فنقلته أربعون سيارة شحن كبيرة ، وعدد كبير من الإبل ، ولم تنجُ هذه المكتبة بعد وصولها إلى بنغازي من العبث ؛ فقد تسرب الكثير منها إلى أيدي الأفراد ، ونقل قسم كبير منها إلى إيطالية ، وهكذا وصلت يد الفساد الإيطالية إلى كل شيء في ليبية[(٢٦٩)].

عندما تم اعتقال جميع أهالي برقة وحصرهم ، وتم احتلال واحة الكفرة ؛ لم يعد إذاً أمام سفاح برقة إلا شيء واحد؛ هو إتمام وضعية مد الأسلاك الشائكة التي ستفصل بين برقة ومصر فصلاً نهائياً ، فأخذ في سرعة تتميمها ؛ مجنداً لذلك كل ما لديه من إمكانيات ، وكان قد استدعى شركات المقاولات

الخاصة من إيطالية ، فتعهدت كل شركة منها بإتمام الجزء المخصص لها تحت إشراف القيادة العسكرية التي وضعت مهندسيها تحت تصرف هذه الشركات ، وقد استوردت الحكومة

الإيطالية معدات خاصة من ألمانية ، فضلاً عما جاءت به من إيطالية لهذا الغرض المطلوب ، ووضعت تحت تصرف هذه الشركات عشرات الالاف من العمال الذين جندتهم من المعتقلات تلهب ظهورهم السياط ، وهكذا امتد خط الأسلاك الشائكة من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ، فكان طوله حوالي ثلاثمئة كيلو متر ، ثم وضع غراسياني نقاطاً عسكرية مزودة بجميع المعدات الحربية ، وربط بعضها ببعض من حيث الاتصال فيما إذا احتاجت نقطة لمساعدة الأخرى تهب بسرعة ، ومن هذه النقاط: مساعد ، والشقة ، وبئر الغبي ، وقبر صالح ، وسيدي عمر ، وبئر حكيم ، ثم زوّد غراسياني هذا السياج المحكم بمولدات كهربائية لمده بالنور حتى لا يستطاع الإفلات منه مهما تكن الأحوال ، وإذا ما قدر لأي إنسان أن يصل إليه فسيواجه معركتين عسيرتين لا سبيل لإفلاته من إحداهما إذا ما تيسر له الإفلات من الأخرى ، وتتمثل المعركتان في محاولة تقطيع الأسلاك ، وفي الدفاع عن النفس ، وتقطيع الأسلاك يحتاج إلى معدات فنية ، وإلى وقت من الزمن ؛ فكيف إذاً لمن يتمكن من الوصول إلى هذا السياج إجراء عملية التقطيع وعملية الدفاع في ان واحد؟![(٢٧٠)].

كان المجاهدون مستمرين في جهادهم ، والقوات الإيطالية تشتبك معهم وهي مجهزة بالمصفحات والطائرات والمدفعيات ، وكان القتال لا يتوقف ، وقد أورد الجنرال غراسياني في كتابه: أنه التقى مع عمر المختار في مئتين وستين معركة خلال الثمانية عشر شهراً ؛ ابتداء من حكمه في برقة إلى أن وقع عمر المختار أسيراً ، وقد ثبت المجاهدون في حالتي الدفاع والهجوم.

كان المجاهدون يقضون معظم أوقاتهم في حالة استعداد قصوى ، ويوجهون الضربات المحكمة للطليان ، وحار سفّاح برقة في أمر المجاهدين ، ورغم الإجراءات التي اتخذها ، والتي كان يثق في فائدتها ، إلا أنه أصيب بالقنوط واليأس ، وأصبح كل أمله في موت عمر المختار الطبيعي قائلاً لكبار مرؤوسيه في أكثر من مناسبة: إن عمر المختار شيخ كبير ، ولابد من موته عاجلاً أو اجلاً ، فعلينا أن ننتظر تلك الساعة ولعلها لا تكون بعيدة ، وفكر غراسياني ذات مرة تفكيراً غريباً وإن كان لا يستغرب على تفكيره أي شيء ، فكر في إحراق جميع غابات الجبل

الأخضر ، ودرس هذا الموضوع جدياً مع مستشاريه السياسيين والعسكريين[(٢٧١)] ، إلا أن السيد صالح بك المهدوي أحد زعماء بنغازي استطاع أن يثني غراسياني عن هدفه بعد أن اجتمع به ، وشرع

غراسياني يتكلم عن عمر المختار محملاً مسؤولية ذلك إلى جميع أهل البلاد ، وقال عنهم: لو أنهم صدقوا معنا لما استمر عمر المختار في موقفه اليائس يقاتل جنودنا ، ثم انتقل فجأة ليتحدث عن موضوع حرق غابات الجبل الأخضر ، وقال: إن الحكومة الإيطالية يهمها أن تنهض بهذه البلاد ، وإن عمر المختار وقف عقبة في سبيل النهوض ، وحاولت الحكومة أكثر من مرة أن تنصحه للإقلاع عن محاربتنا ، ولكنه رفض الانصياع إلى نصائح الحكومة ، معتمداً على اختفائه في مغارات الجبل وغاباته ، ولقد صممت أن أزيل هذه الغابة التي يحتمي وراءها ساخراً بقوة الحكومة ، وسكت الجنرال قليلاً ، ثم طلب من صالح بك المهدوي أن يشاركه البحث في هذا الموضوع ، فأجابه بقوله:

إن عمر المختار سينتهي بلا شك ، فقاطعني عند كلمتي هذه بقوله: (إكُّو إكُّو.. كويستا لفيريتا.. يانوتا يانوتا.. سينتا سينتا.. ديري ديري.. أوانتي أوانتي..) ومعنى هذه الكلمات الإيطالية هو: هكذا هكذا.. هذه هي الحقيقة.. اسمع يايانوتا (الترجمان).. اسمع اسمع.. قل قل.. استمر استمر) إنكم يا دولة الوالي اتخذتم بحزم جميع الاحتياطات التي من شأنها القضاء عليه ، والمسألة وقت لا أقل ولا أكثر ، وهنا تحمَّس الجنرال لكلماتي هذه كأنها صادفت هوى في نفسه ، أو كأنني قلت له شيئاً كان يريد أن يسمعه.

وقلت له مواصلاً الحديث: إن الدولة الإيطالية في حاجة لاستثمار كل شجرة في هذه البلاد ، وسوف يكون فضل هذا الاستثمار المنتظر على أيديكم فإذا ما أقدمتم على حرق الغابات . والكلمة الأخيرة لدولتكم . فسوف يمر زمن طويل وطويل جداً دون إعادتها من جديد لما كانت عليه ، هذا إذا لم يكن إعادتها مستحيلاً ، وإليكم يا دولة الوالي نذكر مسألة لها وجه الشبه برأيكم هذا. في عهد الدولة العثمانية قامت قبيلة البراعصة بعصيان ضد الحكومة ، وتعذر على الحكومة إنهاء العصيان ، واعتبرت أن غابات الجبل الأخضر كانت أكبر مشجع للقبائل على العصيان ، فتتخذ

منه مخابأى لا يقوى الجنود العثمانيون على اكتشافها ، فأرادت الحكومة أن تقوم بحرق جميع الغابات ، وسمع السلطان بذلك فاعترض على هذه الفكرة قائلاً: إذا كان الموجب لعصيان الأهالي هو تمنعهم عن دفع العشور والعوائد الحكومية ؛ فإنني أدفعها عنهم من جيبي الخاص حماية للغابات في الجبل الأخضر ، ولا أوافق على حرقها. وعندما انتهيت من الحديث معه ودعني شاكراً)[(٢٧٢)].

لقد حرص صالح بك المهدوي على حماية الجبل الأخضر من عبث غراسياني الذي كانت في يده إمكانات إيطالية للقضاء على حركة الجهاد ، ولذلك جادل وناقش وحاول أن يقنع غراسياني بالإقلاع

عن تلك الفكرة الجهنمية ، لقد قال صالح بك عندما سئل عن صحة ما إذا كانت الحكومة العثمانية فكرت في إحراق غابات الجبل الأخضر؟ فأجاب بقوله: إن المسألة التي ضربت بها المثل للجنرال غراسياني كان لها أثر في عهد قديم ، والحديث عنها يطول ، والطليان لا يريدون ذكرها من وجهة سياسية محضة ، وعلى كل حال كنت أرمي بذكرها للجنرال غراسياني إلى حماية جيلنا من عبث هذا المجنون الذي وضعوا في يده سيفاً حاداً.

كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو ، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة ، والخزائن المرصوفة بالأموال ، والسجون والمعتقلات والمشانق ، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم ، حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام ، لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع ، وكان في طريقه إلى الاستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر[(٢٧٣)].

* * *

المبحث الثالث

الأيام الأخيرة من حياة المختار

ووقوعه في الأسر ثم إعدامه

أولاً: أحمد الشريف يحترق على بلاده ، ويرسل محمد أسد لمعرفة أخبار المجاهدين:

كان محمد أسد صاحب كتاب (الطريق إلى الإسلام) قد تعرف على أحمد الشريف أثناء إقامته في الحجاز ، وقد تأثر به غاية التأثر ، وأحبه حباً عظيماً ، يقول محمد أسد: ((ليس في الجزيرة العربية كلها شخص أحببته كما أحببت السيد أحمد ؛ ذلك أنه ما من رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن كل غاية في سبيل مثل أعلى ، كما فعل هو ، لقد وقف حياته كلها ، عالماً ومحارباً ، على بعث المجتمع الإسلامي بعثاً روحياً ، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي ، ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الواحد لا يمكن أن يتحقق من دون الاخر))[(٢٧٤)].

لقد تعرف محمد أسد على أحمد الشريف بوساطة المجاهد الأندونيسي حاجي اغوس سالم ؛ الذي كان يمثل مركز القيادة في جهاد إندونيسية ضد أعدائها ، وكان قد جاء معه بقصد الحج ، وعندما عرف السيد أحمد الشريف أن محمد أسد حديث عهد بالإسلام ، مد إليه يده وقال: ((مرحباً بك بين إخوانك ، يا أخي الشاب))[(٢٧٥)].

لقد أحب محمد أسد أحمد الشريف وتفاعل مع قضية ليبية ، وكان يمضي معه وبصحبة السيد محمد الزاوي الساعات الطوال للبحث في وضع المجاهدين في ليبية ، واستمرت الاجتماعات مساء كل يوم طيلة أسبوع تقريباً لبحث ما كان بالإمكان

صنعه ، وقد رأى الشيخ محمد الزاوي أن إمداد المجاهدين بين الفينة والأخرى لم يكن من شأنه أن يحل المشكلة ، فقد كان يعتقد أن واحة الكفرة في الجنوب من صحراء ليبية يجب أن تكون ثاني محور لكل العمليات الحربية في المستقبل ، وكان يظن أن الكفرة ما تزال بعيدة عن تناول الجيوش الإيطالية ، وفوق ذلك فقد كانت تقع على طريق القوافل (ولو كان طويلاً وشاقاً) إلى واحتي بحرية وفرفرة المصريتين ، ولذا كان يمكن تموينها بصورة جادة أكثر من أي موقع اخر في ليبية ، كما كان يمكن أن يتحول كثير من المهاجرين إلى مصر إليها لتكون مستودعاً دائماً لإمداد عمر المختار في الشمال ، وكان أحمد الشريف مستعداً للذهاب بنفسه ، لو أمكن إعادة تنظيم القتال على تلك الصورة ، للإشراف على العمليات الجهادية بنفسه[(٢٧٦)].

لقد تحدث محمد أسد عن سبب اهتمامه بالقضية السنوسية ، فقال: لم يكن اهتمامي البالغ بمصير السنوسيين ناشئاً عن إعجابي ببطولتهم المتناهية في قضية عادلة مقسطة فحسب ، بل إن ما كان يهمني أكثر من ذلك هو ما كان يمكن أن يحدثه انتصار السنوسيين من تأثير على العالم العربي بأكمله ؛ إذ إنني لم أستطع أن أرى في العالم الإسلامي كله إلا حركة واحدة كانت تسعى صادقة إلى تحقيق المجتمع الإسلامي المثالي: الحركة السنوسية ، التي كانت تحارب الان معركتها الأخيرة في سبيل الحياة ، وبسبب أن السيد أحمد كان يعرف مبلغ عطفي الشديد على القضية السنوسية ، فقد التفت إليَّ وسدد نظره إلى عيني وسألني قائلاً: ((هل تذهب يا محمد إلى برقة بالنيابة عنا ، فتقف على ما يمكن صنعه للمجاهدين؟ لعلك تستطيع أن ترى الأمور بأجلى مما يراها بنو قومي...))[(٢٧٧)].

وبعد أن وافق محمد أسد على تلك المهمة الصعبة ، تناول أحمد الشريف من أحد الرفوف نسخة من القران الكريم ملفوفة بغلاف من الحرير ، وبعد أن وضعها على ركبته أمسك بيدي اليمنى بين يديه ووضعها على الكتاب:

((اقسم يا محمد ، بالله الذي يعلم ما في القلوب ، على أنك ستبقى أميناً للمجاهدين...)).

قال محمد أسد: فأقسمت ولم أشعر في حياتي يوماً أنني كنت أكثر وثوقاً بوعدي مما كنت في تلك اللحظة[(٢٧٨)].

قام أحمد الشريف بترتيب أمور هذه الرحلة ، واتصل بأتباع الحركة في مصر ، ووصل الخبر إلى عمر المختار واستعد محمد أسد لهذه الرحلة المثيرة مع رفيقه زيد من قبيلة شمّر ، وشرع في تنفيذ خطواته وكان رجال الحركة السنوسية يقودونه بمهارة بارعة ، حتى وجد نفسه أمام عمر المختار في الجبل الأخضر ، وقد فصل الأستاذ محمد أسد تلك الرحلة في كتابه المشهور[(٢٧٩)].

لقاؤه بعمر المختار:

بعد دخول محمد أسد إلى الجبل الأخضر من جهة الصحراء الغربية المصرية بوساطة المجاهدين الذين أرسلهم عمر المختار لاستقباله ، وجد محمد أسد نفسه أمام قائد حركة الجهاد ، ويصف لنا محمد أسد ذلك اللقاء فيقول: كان يحيط به رجلان من كل جانب ، ويتبعه كذلك عدد اخر ، وعندما وصل إلى الصخور التي كنا ننتظر عندها ، ساعده أحد رجاله على النزول ، ورأيت أنه كان يمشي بصعوبة (عرفت بعدئذ أنه قد جرح إبان إحدى المناوشات قبل ذلك بعشرة أيام) ، وعلى ضوء القمر المشرق استطعت الان أن أراه بوضوح: كان رجلاً معتدل القامة ، قوي البنية ، ذا لحية قصيرة بيضاء كالثلج تحيط بوجهة الكئيب ذي الخطوط العميقة ، وكانت عيناه عميقتين ، ومن الغضون المحيطة بهما كان باستطاعة المرء أن يعرف أنهما كانتا ضاحكتين براقتين في غير هذه الظروف ، إلا أنهما لم يكن فيهما الان شيء غير الظلمة والألم والشجاعة.

واقتربت منه لأحييه ، وشعرت بالقوة التي ضغطت بها يده على يدي: ((مرحباً بك يا بني)) قال ذلك وأخذ يجيل عينيه فيّ متفحِّصاً: لقد كانت عيني رجل كان الخطر خبزه اليومي.

وفرش أحد رجاله حراماً على الأرض ، فجلس سيدي عمر عليه متثاقلاً ، وانحنى

عبد الرحمن[(٢٨٠)] ليقبل يده ثم شرع بعد استئذانه يوقد ناراً خفيفة تحت الصخرة التي كنا محتمين بها ، وعلى ضوء النار الخافت قرأ سيدي عمر الكتاب الذي حملنيه السيد أحمد إليه. لقد قرأه باهتمام

وعناية ، ثم طواه ووضعه لحظة فوق رأسه . وهي أمارة الاحترام والحب لا يكاد المرء يراها في جزيرة العرب ، ولكنه كثيراً ما يراها في شمالي إفريقية . ثم التفت إليَّ مبتسماً ، وقال: ((لقد أطراك السيد أحمد ، أطال الله عمره ، في كتابه. أنت على استعداد لمساعدتنا ، ولكني لا أعلم من أين يمكن أن تأتينا النجدة ، إلا من الله العلي الكريم. إننا حقاً على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا...)).
فقلت: ((ولكن.. هذه الخطة التي وضعها السيد أحمد ، ألا يمكن أن تكون بداية جديدة؟ وإذا أمكن تدبير الحصول على المؤن والذخائر من الكفرة بصورة ثابتة ، أفلا يمكن صد الإيطاليين؟))[(٢٨١)].
لم أر في حياتي ابتسامة تدل على ذلك القدر من المرارة واليأس كتلك الابتسامة التي رافقت جواب سيدي عمر: ((الكفرة...؟ لقد خسرنا الكفرة ، فالإيطاليون قد احتلوها منذ أسبوعين تقريباً...))[(٢٨٢)].
وأذهلني الخبر ، ذلك أنني والسيد أحمد ، طوال تلك الأشهر الماضية ،كنا نبني خططنا على افتراض أن الكفرة يمكن أن تكون نقطة تجمع لتقوية المقاومة ، أما وقد ضاعت الكفرة فإنه لم يبق للسنوسيين سوى نجد الجبل الأخضر ، لا شيء سوى كماشة الإيطاليين التي كانوا يضيقونها بثبات واستمرار... وخسارة نقطة بعد نقطة.. واختناق بطيء.
. وكيف سقطت الكفرة؟.
فأومأ سيدي عمر إيماءة متعبة إلى أحد رجاله أن يقترب: ((دع هذا الرجل يقص عليك الخبر... إنه واحد من أولئك القلائل الذين هربوا من الكفرة ، ولم يصل عندي إلا بالأمس)).

وجلس الكفري على ردفيه أمامي وجذب برنسه البالي حوله وتكلم ببطء دون أن يبدو في صوته أي أثر للانفعال ، ولكن وجهه الناحل كان يعكس جميع الأهوال التي شهدها.
((لقد خرجوا علينا في ثلاث فرق من ثلاث جهات ، وكان معهم سيارات مصفحة ومدافع ثقيلة كثيرة. أما طائراتهم فقد حلقت على علو منخفض ، ورمت بالقنابل البيوت والمساجد وغياض النخيل. لم يكن لدينا سوى بضع مئات من الرجال يستطيعون حمل السلاح ، أما الباقون فقد كانوا نساء وأطفالاً وشيوخاً. لقد دافعنا عن أنفسنا بيتاً بيتاً ، ولكنهم كانوا أقوى كثيراً منا ، وفي النهاية لم يبق إلا قرية الهواري. لم تنفع بنادقنا في سياراتهم المصفحة ، فطغوا علينا ، وتمكن عدد قليل جداً من الهرب. أما أنا فقد اختبأت في حدائق النخيل ، مترقباً الفرصة لشق طريقي خلال الخطوط الإيطالية ، وكنت طوال الليل أسمع ولولة النساء اللواتي كان الجنود الإيطاليون والعساكر الإريتريون يغتصبونهن ، وفي اليوم التالي

أحضرت لي امرأة عجوز بعض الماء والخبز ، وأخبرتني أن الجنرال الإيطالي قد حشد كل من تبقى على قيد الحياة أمام قبر السيد محمد المهدي ، وأمام أعينهم مزق نسخة من القران الكريم ثم رماها إلى الأرض وداس عليها بحذائه صائحاً: ((دعوا نبيكم البدوي يساعدكم الان إذا استطاع!)) ، ثم أمر بقطع أشجار النخيل في الواحة وهدم ابارها ، وأحرق كل ما كان في مكتبة السيد أحمد البدوي من كتب ، وفي اليوم التالي أصدر أمره بوضع شيوخنا وعلمائنا في طائرة حلقت بهم ورمتهم من علو شاهق ، وطوال الليلة التالية كنت أسمع من مخبئي صرخات النساء وضحكات الجنود وطلقات بنادقهم... وأخيراً زحفت إلى الصحراء في ظلام الليل ، فوجدت جملاً شارداً امتطيته ووليت فراراً...))[(٢٨٣)].

وعندما أنهى الرجل قصته المروعة قربني سيدي إليه بلطف وكرر قوله: ((إنك تستطيع أن ترى يا بني أننا قد اقتربنا فعلاً من نهاية أجلنا)) ، ثم أضاف: ((إننا نقاتل لأن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن ، وليس لنا أن نختار غير ذلك. إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد أرسلنا نساءنا وأولادنا إلى مصر

كيما نطمئن على سلامتهم ، متى شاء الله لنا أن نموت)).

قلت: ((ولكن يا سيدي عمر ، أليس من الأفضل لك وللمجاهدين أن تنسحبوا إلى مصر بينما لا يزال هناك طريق مفتوح أمامكم؟ فلقد يكون من الممكن في مصر جمع المهاجرين الكثيرين من برقة وتنظيم قوة أكثر فعالية وجدوى. إن القتال هناك يجب أن يوقف بعض الوقت حتى يستعيد الرجال شيئاً من قوتهم... أنا أعرف أن البريطانيين في مصر لا ينظرون بعين الرضا إلى وجود قوات إيطالية راسخة الأقدام على خاصرتهم ، فقد يغضون الطرف ، والله أعلم ، عن استعداداتكم فيما إذا أقنعتموهم بأنكم لا تعتبرونهم أعداء...)).

فأجاب: ((كلا يا بني ، لم يعد هذا يجدي الان ، إن ما تقوله كان ممكناً منذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، قبل أن يقوم السيد أحمد ، أطال الله عمره ، بمهاجمة البريطانيين كي يساعد الأتراك؛ الذين لم يساعدونا... أما الان فلم يعد في الأمر ما يجدي.. إن البريطانيين لن يحركوا إصبعاً لكي يسهلوا علينا أمرنا ، والإيطاليون مصممون على أن يقاتلونا حتى النهاية ، وعلى سحق كل إمكانية للمقاومة في المستقبل ، فإذا ذهبت وأتباعي الان إلى مصر ، فإننا لن نتمكن مطلقاً من العودة ثانية ، وكيف نستطيع أن نتخلى عن قومنا ونتركهم ولا زعيم لهم ، لأعداء الله يفترسونهم؟)).

. وما قول السيد إدريس؟ هل يشاركك الرأي يا سيدي عمر؟

. ((إن السيد إدريس رجل طيب ، إنه ولد طيب لوالد عظيم ، ولكن الله لم يعطه قلباً يمكنه من تحمل مثل هذا الصراع...))[(٢٨٤)].

كان زيد الشمّري رفيق محمد أسد في رحلته بصحبة خليل أحد المجاهدين لإحضار قرب الماء ، وبعدما رجع وقع بصر خليل على سيدي عمر هجم لتقبيل يده ، وبعد ذلك قدم محمد أسد زيداً إلى عمر المختار ، فوضع المختار يده على كتفه وقال:

((مرحباً بك ، يا أخي ، من أرض أجدادي ، من أي العرب أنت؟ وعندما أخبره

زيد أنه من قبيلة شمر ، أومأ عمر برأسه مبتسماً: اه ، إذاً أنت من قبيلة حاتم الطائي ، أكرم الناس يداً...)).

وقدم لهم رجال المختار بعض التمر ، ودعاهم المختار إلى ذلك الطعام البسيط فأكلوا ، ونهض قائد المجاهدين وقال: ((ان لنا أن نتحرك من هنا ، إننا على مقربة من المركز الإيطالي في بوصفية ، ولذا لا نستطيع أن نتأخر حتى الفجر..)).

وتحرك محمد أسد مع قائد حركة الجهاد ووصل إلى معسكر المجاهدين ، ووقعت عيناه على امرأتين . إحداهما مسنة والأخرى شابة . في المعسكر كانتا جالستين بالقرب من أحد النيران ، مستغرقتين في إصلاح سرج ممزق بمخرز غليظ.

وعندما لحظ الشيخ عمر المختار دهشة محمد أسد قال: ((إن أختينا هاتين تذهبان معنا حيثما نذهب ، لقد رفضتا أن تسعيا إلى أمن مصر مع سائر نسائنا وأولادنا ، إنهما أم وابنتها ، وقد فقدتا جميع رجالهما في الحرب..))[(٢٨٥)].

اتفق عمر المختار مع محمد أسد على طريقة إمداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح عن طريق الطريق التي جاء منها محمد أسد ، مع إنشاء مستودعات سرية في واحات بحرية وفرفرة وسيوة ، وكان عمر المختار يشك في إمكانية الإفلات من مراقبة الإيطاليين بهذه الطريقة مدة طويلة.

وقد تبين بعد ذلك أن ظنونه ومخاوفه كانت في محلها ، ذلك أنه بعد بضعة أشهر تمكَّنت قافلة تحمل المؤن والذخائر من الوصول فعلاً إلى المجاهدين ، إلا أن الإيطاليين اكتشفوها بينما كانت تجتاز الفجوة بين الجغبوب وجالو ، وسريعاً ما أنشؤوا بعد ذلك مركزاً محصناً في بير طرفاوي على نصف المسافة تقريباً بين الواحتين ، مما جعل . بالإضافة إلى الدوريات الجوية المستمرة . كل مسعى اخر من هذا النوع خطراً إلى أبعد الحدود[(٢٨٦)].

وكان قد تقرر رجوع محمد أسد وزيد الشمّري إلى الحجاز ، ورجعا من حيث أتيا بوساطة المجاهدين البواسل الذي رتبوا الأمور ، وأخذوا بالأسباب ، وحافظوا على ضيوفهم الكرام.

يقول محمد أسد: وودعت وزيد عمر المختار ، ولم نره بعد ذلك إطلاقاً ، ذلك أنه بعد ثمانية أشهر ، قبض عليه الإيطاليون وأعدموه.

وقد وصف لنا محمد أسد اخر لقاء مع السيد أحمد الشريف ، فقال: ومرة أخرى وقفت أمام إمام السنوسية ونظرت إلى وجه ذلك المحارب القديم المرهق ، ومرة أخرى قبلت اليد التي حملت السيف طويلاً جداً حتى إنها لم تعد تستطيع بعد أن تحمله.

((بارك الله فيك يا بني.. لقد مضت سنة منذ أن التقينا أول مرة ، وهذه السنة قد شهدت نهاية امالنا ، ولكن الحمد لله على كل حال...)).

والحق أنها كانت سنة مفعمة بالهموم والأكدار بالنسبة إلى أحمد. لقد أصبحت الأخاديد حول فمه أكثر عمقاً ، وأصبح صوته أكثر انخفاضاً من أي وقت مضى.

لقد هوى النسر ، إنه يجلس منكمشاً على السجادة ، وقد لف نفسه ببرنسه الأبيض كأنما يطلب الدفء ، ويحدق بصمت في الفراغ ، وهمس: ((ولو أننا استطعنا فقط أن ننقذ عمر المختار ، لو أننا تمكنا من إقناعه بالهرب إلى مصر بينما كان هناك متسع من الوقت...)).

فقلت له: ((لم يكن باستطاعة أحد أن ينقذ سيدي عمر ، إنه لم يرد أن ينقذ ، لقد فضل أن يموت إذا لم يستطع أن ينتصر ، لقد عرفت ذلك عندما فارقته يا سيدي أحمد...))[(٢٨٧)].

إن أحمد الشريف اهتم ببلاده بمجرد هجرته منها ، وكان على اتصال بالمجاهدين ، وقد حدثني السيد عبد القادر بن علي: أن أحمد الشريف قام بكتابة رسائل إلى قبائل برقة يحثهم على السمع والطاعة للشيخ عمر المختار رحمه الله.

ثانياً: الأسد يقع أسيراً:

ظل المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله ، وكانت من عادة عمر المختار الانتقال في كل سنة من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التي يقيم فيها إخوانه المجاهدون لتفقد

أحوالهم ، وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارأى ، ويأخذ معه قوة كافية تحرسه من العدو الذي يتربص به الدوائر في كل زمان ومكان ، ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ذهب في هذه السنة كعادته في نفر قليل يقدر بمئة فارس ، ولكنه عاد فردَّ من هذا العدد ستين فارساً وذهب في أربعين فقط.

ويوجد في الجبل الأخضر واد عظيم معترض بين المجاهدين اسمه وادي الجريب (بالتصغير) ، وهو صعب المسالك كثير الغابات ، كان لا بد من اجتيازه ، فمر به عمر المختار ومن معه ، وباتوا فيه ليلتين ، وعلمت بهذا إيطالية بوساطة جواسيسها في كل مكان ، فأمرت بتطويق الوادي على عجل من جميع الجهات بعد أن جمعت كل ما عندها من قوة قريبة وبعيدة ، فما شعر عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو[(٢٨٨)] ، وقرر منازلة الأعداء وجهاً لوجه ؛ فإما أن يشق طريقاً يمكنه من النجاة ، وإما أن يلقى ربه شهيداً في الميدان الذي ألف فيه مصارعة الأعداء ، والتحمت المعركة داخل الوادي ، وحصد رصاص المجاهدين عدداً كبيراً من الأعداء ، وسقط الشهداء ، وأصيب عمر المختار بجراح في يده ، وأصيب فرسه بضربة قاتلة ، وحُصرت يده السليمة تحت الفرس فلم يتمكن من سحبها ، ولم تسعفه يده الجريحة ، وأصبح لسان حاله يقول:

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى وكم من صدى صوتي ليوث الشرى فروا
وما أحد في الحرب يجهل سطوتي ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرأى يكون ولا يغني من القدر الحذر
ومن رام من أمر الإله وقاية فليس له برٌّ يقيه ولا بحر[(٢٨٩)]

والتفت المجاهد ابن قويرش فرأى الموقف المحزن ، وصاح في إخوانه الذين شقوا الطريق للخروج من الحصار قائلاً: ((الحاجة التي تنفع عقبت ـ أي: تخلفت)) ، فعادوا لتخليص قائدهم ، ولكن رصاص الطليان حصد أغلبهم ، وكان ابن قويرش أول من قتل وهو يحاول إنقاذ الشيخ الجليل ، وهجم جنود الطليان على الأسد الجريح دون أن يعرفوا شخصيته في البداية ، وتم القبض عليه ، وتعرَّف عليه أحد الخونة ، وجاء الكمندتور داود باتشي متصرف درنة ليتعرف على الأسير ، وبمثل سرعة البرق نقل عمر المختار إلى ميناء سوسة محاطاً بعدد كبير من الضباط والجنود الإيطاليين ، وأخذت كافة الاحتياطات لحراسة جميع الطرق والمواقع القريبة لتأمين وصول المجاهد العظيم إلى سوسة ، ومن ثم نقل فوراً إلى بنغازي عن طريق البحر[(٢٩٠)].

يقول غراسياني في مذكراته: في صباح يوم (١١سبتمبر١٩٣١ م) وصل الخبر برقياً إلى الحكومة من متصرفية الجبل هذا نصها: ((بالقرب من (سلطنة) فرقة الفرسان (الصواري) قبضت على وطني وقع من على جواده أثناء المعركة ، وقد تعرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار ، ونظراً للخبر المهم ومن أجل التأكد والتحقق أمرت الحكومة متصرف الجبل الحكومندتور (الوجيه داود ياتشي) ، فجهزت طائرة خاصة لنقله إلى (سلطنة) على الفور للتعرف على شخصية الأسير وتثبت هويته إن كان هو زعيم المجاهدين عمر المختار ، وتأكد متصرف الجبل من أنه عمر المختار ، وسرى الخبر سريان البرق ، وصدرت الأوامر بنقله إلى سلطنة ، ومنها إلى سوسة تحت حراسة شديدة ؛ حيث وصلها عند السابعة عشر من مساء نفس اليوم سبتمبر (١٩٣١ م) دون أي عائق ، أو حادث أثناء الطريق من سلطنة إلى سوسة ، مكث هناك في انتظار الطراد الحربي (أورسيني) الذي تحرك من بنغازي خصيصاً ليعود بالأسير إلى بنغازي ، وفي أثناء الرحلة تحدث معه بعض السياسيين التابعين لإدارتنا ووجهوا إليه الأسئلة ، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوي دون أي تأثر بالموقف الذي هو فيه ، وفي يوم
(١٢سبتمبر١٩٣١ م) عند الساعة السابعة عشرة وصل الطراد أورسيني إلى ميناء بنغازي حاملاً معه الأسير عمر المختار..))[(٢٩١)].
وقال أيضاً: هذا الرجل أسطورة الزمان الذي نجا الاف المرات من الموت ومن الأسر ، واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام ؛ لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية (الإسلامية) في برقة ، وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة ، والان وقع أسيراً في أيدينا[(٢٩٢)].

وهذا الاعتراف من غراسياني الخسيس في كتابه بأن عمر المختار قاد المعارك سنين طويلة ، واعترف بأنه محترم من أتباعه إلى مكانة عالية جداً ، ثم بأنه الرأس المفكر والقلب النابض للجهاد الإسلامي المقدس في برقة ، ثم الصبر والمهارة التي لا مثيل لها؛ فهذا اعتراف من الجنرال غراسياني خريج الكليات الحربية والأكاديمية العسكرية، وله تجارب طويلة في حرب الاحتلال إلى حرب العالمية الأولى وحروبه الصحراوية؛ حتى لقبه بنو قومه بلقب: أسد الصحراء، والفضل ما شهدت به الأعداء.
ويقول الجنرال غراسياني عن عمر المختار أيضاً: «كان عمر المختار كرئيس عربي مؤمن بقضية وطنه ، وله تأثير كبير على أتباعه مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق وإخلاص ، وأقول ذلك عن تجارب مرت بي أثناء الحروب الليبية ، وكان عمر المختار من المجاهدين الكبار لما له من مكانة مقدسة

بين أتباعه ومحبيه ، إن عمر المختار يختلف عن الاخرين ؛ فهو شيخ متديِّن بدون شك ، قاسٍ وشديد التعصب للدين ، ورحيم عند المقدرة ، ذنبه الوحيد أنه يكرهنا كثيراً ، وفي بعض الأوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة مثل الجبليين ، كان دائماً مضادّاً لنا ولسياستنا في كل الأحوال ، لا يلين أبداً ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع في صالح الوطن العربي الليبي ، ولم يخن أبداً مبادئه ؛ فهو دائماً موضع الاحترام رغم التصرفات التي تحدث منه في غير صالحنا ، إن خيانة موقعة (قصر بنقدين) ضيعت على عمر المختار كل الفرص التي يمكن للدولة الإيطالية أن ترحمه فيها))[(٢٩٣)].

وقال غراسياني في مذكراته: ((أما وصف عمر المختار ؛ فهو معتدل الجسم ، عريض المنكبين ، شعر رأسه ولحيته وشواربه بيضاء ناصعة ، يتمتع بذكاء حاضر وحاد ، كان مثقفاً ثقافة علمية دينية ، له طبع حاد ومندفع ، يتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أي حساب ، متصلب ومتعصب لدينه ، وأخيراً كان فقيراً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا إلا حبه لدينه ووطنه ، رغم أنه وصل إلى أعلى الدرجات حتى أصبح ممثلاً كبيراً للسنوسية كلها))[(٢٩٤)]. وهذا وصف دقيق يدل بوضوح على عظمة المختار وإمكاناته الذاتية التي وهبه الله إياها ، فتقلد بسببها أكبر المناصب ، وخاض

أكثر المعارك ، وصفه عدوه بصفات الورع والتدين ومثقف ثقافة دينية وعلمية ، وصفه بشدة المراس والصبر على الشدائد ، وهكذا يا أخي المسلم الكريم يصنع الإسلام من أتباعه.

ثالثاً: دخول المختار في سجن بنغازي:

وعندما وصل الأسير إلى بنغازي لم يسمح لأي مراسل جريدة أو مجلة بنشر أخبار أو مقابلات ، وكان على الرصيف مئات من المشاهدين عند نزوله في الميناء ، ولم يتمكن أي شخص مهما كان مركزه أن يقترب من الموكب المحاط بالجنود المدججين بالسلاح ، ونقل فوق سيارة السجن تصحبه قوة مسلحة بالمدافع الرشاشة ؛ حيث أودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين ، وتحت حراسة شديدة وجديدة ، ويقول مترجم كتاب (برقة الهادئة) الأستاذ إبراهيم سالم عامر: كنت من الذين أسعدهم الحظ على أن يتكلموا مع بطل الجهاد عمر المختار أثناء قيامه في السجن ؛ فقد أوقفوا كل الأهالي المعتبرين في مراكز الأمن والسجون ، وكان نصيبي في سجن بنغازي المركزي ، وعندما أتي بعمر المختار غيروا الحراس المحليين بحراس إريتريين ، والموظفين بالإيطاليين من الحزب الفاشيستي ، وبعد أن أودعوه في الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش ، وعلى الأرض قطعة من السجاد البالي لأجل وقع الرجلين عليه ، فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ، ومد رجليه إلى

الأمام ، وعندما كان مدير السجن يتجول على زنزانات السجناء رأى الشهيد جالساً على الأرض ، ولم يستطع أن يسأله لماذا هو جالس على الأرض؟ ولأن المدير لا يعرف العربية ، فناداني من بين السجناء السياسيين وطلب مني أن أترجم سؤاله ، فسألت الشهيد ، فأجاب بصوت هادر كالأسد الهصور: قل له: أنا أعرف أين أجلس لا يحمل همّاً ، فهذا ليس من شأنه ، فترجمت الكلام فانصعق المدير واصفر وجهه ، وقال: هيا ارجع إلى مكانك بلهجة الأمر ، غير أن قلبي كان يطير من صدري فرحاً عندما سمعت هذه الإجابة القاطعة. رحم الله عمر المختار كم كان عظيماً وهو قائم ، وأعظم وهو أسير[(٢٩٥)].

ويقول غراسياني الجنرال الإيطالي السفَّاك الجلاد: ((وأثناء الرحلة من سوسة إلى بنغازي أعطى لنا معلومات هامة عن كيفية سقوطه في الأسر والقبض عليه ، قائلاً: عندما ضرب جواده وسقط على الأرض فجرحت يده اليمنى مما سببت له بعض التشقق في عظام ذراعه ، ورغم هذا الألم حاول جر نفسه ليبتعد ويختفي في أحد الشجرات التي في الغابة ، ولكن فرقة الفرسان حالت بينه وبين غرضه ، وقد تعرف عليه أحد الصواري من فرقة الفرسان ، وسرعان ما أحاطت به قوتنا ، وقد تأسف كثيراً أثناء حديثه بأن رفاقه حاولوا إنقاذه بكل وسيلة ، وقد ضاع منهم بعض الرفاق ، ولكن الكثرة حالت دون بغيتهم ، كذلك قلة الذخيرة لها عاملها الأصلي في عدم إنقاذي ، وأثبت كذلك أن وقوعه في الأسر لا يعني توقف الثورة والجهاد ، بل هناك أربعة من القادة يحلون محلي ، وهم: الشيخ حمد بوموسى ، عثمان الشامي ، وعبد الحميد العبار ، ويوسف بورحيل المسماري ، وهذا الأخير هو أقربهم إليه لأنه كان دائماً بجانبه ، ولقد بالغ كثيراً بالنسبة لعدد الجنود ؛ فقد قال: إن دوره يتكون من ٥٠٠ مقاتل عادي ، ٤٠٠ فارس ، واستطرد قائلاً شارحاً أن وقوعه في الأسر لا يؤثر ولا يغير سير القتال أو وضع الدور ، بل سيزداد قساوة ، ثم أضاف: إني أحارب الإيطاليين الفاشيستيين لا لأني أكره الشعب الإيطالي ، ولكن ديني أمرني بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن))[(٢٩٦)].

قلت: ما أعلم أحداً من المسلمين الصادقين يجد في نفسه ودّاً للنصارى على العموم ؛ فكيف بالذين يقولون: الله ثالث ثلاثة ، ويقولون: عيسى ابن الله؟! لكن قول غراسياني: إن عمر المختار لا يبغض الشعب الإيطالي ؛ فهذا ادعاء منه ، وأما قول عمر المختار: ديني أمرني بقتالكم ؛ فهذا الذي يليق بحاله ، وبغض المسلم للنصارى الكفرة يتدينون بها خالقهم ورازقهم ، ومالكهم ومتولي أمورهم ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

قال تعالى: [المائدة: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *} [المائدة: ٧٣-٧٤] . ٧٤].

وقال تعالى: [مريم: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا *لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا *تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا *أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا *} [مَريَم: ٨٨-٩١] . ٩١].
فالايات السابقة الواضحة البينة تمنع العالم الرباني والشيخ الجليل أن يقول بأنه لا يبغض أعداء الله حماة الصليب.
واستطرد غراسياني في كتابه (برقة الهادئة) ، قال: ((لقد قال عمر المختار كلمات تاريخية: إن وقوعي في الأسر تأكيد بأمر الله ، وسابق في علمه سبحانه وتعالى ، والان أنا بين يدي الحكومة الإيطالية الفاشيستية ، وأصبحت أسيراً عندها ، والله يفعل بي ما يشاء ، أخذتموني أسيراً ولكم القدرة أن تفعلوا بي ما تشاؤون ، والذي أريد أن أقوله بكل تأكيد لم أفكر في يوم من الأيام أن أسلم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً ، ولكن مشيئة الله أرادت هذا ، فلا راد لقضاء الله))[(٢٩٧)].
وهذه بعينها عقيدة القضاء والقدر ، وهي من أركان الإيمان التي جاء بها الإسلام ، وقد تجسدت في حياة عمر المختار ؛ فهذه الايات الكريمة تبين أن ما وقع للإنسان قد كتب ؛ فعليه ألاّ يحزن ولا ييأس ؛ لأن الأمور بقضائه وقدره ، قال تعالى:
[الحديد: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *} [الحَديد: ٢٢-٢٣] . ٢٣].
وقد تربى المختار رحمه الله تعالى على الايات القرانية وأحاديث المصطفى ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله (ص): «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[(٢٩٨)].
وهذه العقيدة الصحيحة كانت مستقرة في قلب الشيخ الجليل رحمه الله ،
وتحولت إلى عمل في حياته جسدته مواقف عقدية ومشاهد بطولية ، ولا نكون مخطئين إن قلنا: كانت مواقفه وسيرته العطرة يدلان على أنه رجل عقيدة.

رابعاً: من مواقف العزة داخل السجن:

أراد الكمندتور رينسي (السكرتير العام لحكومة برقة) في أمسية الرابع عشر من سبتمبر أن يقحم الشارف الغرياني في موقف حرج مع عمر المختار وهو في السجن ، وأبلغ الشارف الغرياني بأن المختار طلب مقابلتك ، والحكومة الإيطالية لا ترى مانعاً من تلبية طلبه ، وذهب الشارف الغرياني إلى السجن لمقابلة الشيخ الجليل ، وعندما التقيا خيم السكوت الرهيب ، ولم يتكلم المختار ، فقال الشارف الغرياني هذا المثل الشعبي مخاطباً به السيد عمر: (الحاصلة سقيمة والصقر ما يتخبل) وماكاد المختار يسمع المثل المذكور حتى رفع رأسه ونظر بحدة إلى الشارف الغرياني ، وقال له: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، وسكت هنيهة ثم أردف قائلاً: رب هب لنا من لدنك رحمة وهيأى لنا من أمرنا رشداً ، إنني لم أكن في حاجة إلى وعظ أو تلقين ، إنني أؤمن بالقضاء والقدر ، وأعرف فضائل الصبر والتسليم لإرادة الله ، إنني متعب من الجلوس هنا فقل لي: ماذا تريد؟ وهنا أيقن الشارف الغرياني بأنه غرّر به ، فزاد تأثره وقال للمختار: ما وددت أن أراك هكذا ولقد أرغمت نفسي للمجيء بناءً على طلبك...

فقال الشيخ الجليل والجبل الشامخ: أنا لم أطلبك ، ولن أطلب أحداً ، ولا حاجة لي عند أحد ، ووقف دون أن ينتظر جواباً من الشارف الغرياني ، وعاد الأخير إلى منزله وهو مهموم حزين وقد صرّح بأنه شعر في ذلك اليوم بشيء ثقيل في نفسه ما شعر به طيلة حياته ، ولما سئل الشارف الغرياني عن نوع الثياب التي كان يرتديها عمر المختار أهي ثياب السجن أم ثيابه التي وقع بها في الأسر؟كان جوابه هو البيتان الاتيان مستشهداً بهما:

عليه ثياب لو تقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهم نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا[(٢٩٩)]

خامساً: عمر المختار أمام غراسياني السفاح:

أراد المولى عز وجل لحكمة يريدها أن يقف البطل الأشم والطود الشامخ الذي

حيَّر إيطالية الكافرة النصرانية الكاثوليكية ، وأشاع الرعب في قلوب جيوشها ، أمام الرجل التافه الحقير المدعو غراسياني ، هذا حقير النفسية ، وضيع الأخلاق ، من أولئك الذين يرتفعون في كل عهد ، ويأكلون على كل مائدة ، وكان من قادة الجيش الإيطالي ، فلما جاء موسوليني ذلك البطل الأجوف ، وادَّعى الزعامة على إيطالية وحشر نفسه حشراً في صفوف الزعامات العالمية ، كان غراسياني أول من صفق وقرع الطبول للزعامة الجديدة ، وصار فاشيستياً أكثر من الفاشيستيين أنفسهم ، أمام هذا الرجل

الحقير الذليل الخسيس التافه وقف البطل الأشم والطود المنيف شيخنا عمر المختار رحمه الله ، وتستطيع أن تفكر في هذا الموقف وتطيل التفكير ، فإن النفوس الحقيرة الوضيعة لا تعرف الشرف ، ولا الرجولة ولا الكرامة ولا والأخلاق ، إذا خاصمت فما يكاد عدوها يقع في يدها حتى تفعل به الأفاعيل ، وتصب عليه أصنافاً وألواناً من العذاب!! يدفعها إلى ذلك شدة إحساسها بحقدها وعظمة عدوها ، وشدة شعورها بنقصها وكمال أسيرها[(٣٠٠)].

من أجل ذلك دفعت الشماتة هذا الرجل الحقير أن يقطع رحلته إلى باريس ، وأن يعود فوراً إلى بنغازي ، وأن يدعو المحكمة الطائرة إلى الانعقاد ، ودفعت غريزة الشماتة غراسياني أن يستدعي البطل في صبيحة اليوم نفسه ، وقبل المحاكمة بقليل[(٣٠١)].

يقول غراسياني في مذكراته: ((وعندما حضر أمام مدخل مكتبي ، تهيأ لي أني أرى فيه شخصية الاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية ، يداه مكبلتان بالسلاسل ، رغم الكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركة ، وجهه مضغوط لأنه كان مغطياً رأسهُ (بالجرد) ، ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر ، وبالإجمال يخيّل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال ، منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر. ها هو واقف أمام مكتبي ، نسأله ويجيب بصوت هادأى وواضح ، وكان ترجماني المخلص النقيب (كابتن)

خليفة خالد الغرياني الذي أحضرته معي خصيصاً من طرابلس ، ووجهت له أول سؤال:

س . لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشيستية؟[(٣٠٢)].

ج . لأن ديني يأمرني بذلك[(٣٠٣)].

س . هل كنت تأمل في يوم من الأيام أن تطردنا من برقة بإمكاناتك الضئيلة وعددك القليل؟.

ج . لا ، هذا كان مستحيلاً.

س . إذاً ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟.

ج . لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون ، أما الحرب فهو فرض علينا وما النصر إلا من عند الله.

س . لكن كتابك يقول: [البقرة: ١٩٥] بمعنى: {وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البَقَرَة: ١٩٥] تجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس ، القران يقول هذا.

ج . نعم.

س ـ إذاً لماذا تحارب؟.

ج ـ كما قلت من أجل وطني وديني[(٣٠٤)].

قال غراسياني: فما كان مني إلا أن قلت له أنت تحارب من أجل السنوسية تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد على السواء ، وفي الوقت نفسه كانت المنظمة تستغل أموال الناس دون حق ؛ هذا هو الحافز الذي جعلك تحاربنا لا الدين والوطن كما قلت.

عمر المختار: نظر إليّ نظرة حادة كالوحش المفترس: لست على حق فيما تقول ، ولك أن تظن ما ظننت ، ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غبار عليها: أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني لا كما قلت.

بان عليّ وجهه بعد أن زال الجرد من

على رأسه واستطردت في توجيه الأسئلة إليه:

س ـ لماذا قطعت المهادنة السارية وأمرت بالهجوم على (قصر بن قدين)؟.

ج ـ لأنه منذ شهر أرسلت إلى المارشال (بادوليو) ولم يجبني عنها ، وبقيت دون رد حتى الان.

يقول الجنرال: لا ، أنت أردت قطع المهادنة لحاجة في نفسك ، وهاك الدليل ، وقرأت له البيان الذي نشره فوق الجرائد المصرية بتوقيعه. ولم يرد في بادأى الأمر وحنى رأسه مفكراً ، ثم قال:

عمر المختار: نعم نشرت البيان في مصر بتوقيعي ، ولكن ليس هذا هو الدليل ، وإنما هو عدم تجاوبكم معنا في تنفيذ شروط الهدنة، ولم يزد شيئاً بل حنى رأسه إعياء.

س ـ هل أمرت بقتل الطيارين هوبر وبياتي؟.

ج ـ نعم ، كل الأخطاء والتهم في الواقع هي مسؤولية الرئيس ، والحرب هي الحرب.

الجنرال: قلت له هذا صحيح لو كان حرباً حقيقية لا قتل وسلب مثل حروبك.

عمر المختار: هذا رأي ، فيه إعادة نظر ، وأنت الذي تقول هذا الكلام ولا زلت أكرر لك: الحرب هي الحرب.

الجنرال: بموقفك في موقعة (قصر بن قدين) ضيعت كل أمل وكل حق في الحصول على رحمة وعفو الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

عمر المختار: مكتوب (كلمة لتفسير معنى القضاء والقدر في العقيدة الإسلامية) وعلى كلٍّ عندما وقع جوادي وألقي القبض عليّ كانت معي ست طلقات ، وكان في استطاعتي أن أدافع عن نفسي وأقتل

كل من يقترب مني ، حتى الذي قبض عليّ وهو أحد الجنود من فرقة الصواري المتطوعين معكم ، وكان في إمكاني كذلك أن أقتل نفسي.

الجنرال: ولماذا لم تفعل؟.

عمر المختار: لأنه كان مقدراً أن يكون.

الجنرال: ولكن قد تحقق فيما بعد إلقاء القبض عليه ؛ كانت بندقيته فوق ظهره ،

وبسقوطه على الأرض لم يستطع نزعها ، وبالتالي لم يتمكن من استعمالها بسرعة ، وكذلك من أثر الجروح والكسر الذي بيده اليمنى ، وهذا في الحقيقة جدير بالاعتبار والتقدير[(٣٠٥)].

وهذا اعتراف من السفاح إبان تجبره وطغيانه ونشوة انتصاره ؛ يعترف بقوة عمر المختار ، ويقدر فيه بطولته وجهاده التي لم يُر لها مثيل ، وقال شوقي رحمه الله في رثاء عمر المختار ما يجسد هذا الموقف:

جرح يصيح على المدى وضحية تتلمس الحرية الحمراء[(٣٠٦)]

عمر المختار: كما ترى أنا طاعن في السن على الأقل اتركني بأن أجلس.

الجنرال: أشرت له فجلس على كرسيه أمام مكتبي ، وفي هذه الأثناء ظهر لي وجهه بوضوح وقد زالت رهبة الموقف ، وقد تأملته جانبيّاً فرأيت بعض الاحمرار في وجهه ، وبدأت أفكر: كيف كان يحكم ويقود المعارك؟ وبينما هو يتكلم كانت نظراته ثابتة إلى الأمام ، وصوته نابع من أعماقه ويخرج من بين شفتيه بكلمات ثابتة وبكل هدوء ، وفكرت ثانية: هذا هو القديس ؛ لأن كلامه عن الدين والجهاد يدل بكل تأكيد أنه مؤمن صادق يتكلم عن الدين بكل حماس و تأثر. ثم قلت له فجأة: بما لك من نفوذ وجاه كم يوم يمكنك أن تأمر العصاة (يعني: المجاهدين) بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم وينهوا الحرب.

عمر المختار مجيباً: أبداً كأسير لا يمكنني أن أعمل أي شيء ، واستطرد قائلاً: ودون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الاخر ولا نسلّم أو نلقي السلاح ، وأنا هنا لم يسبق لي أن استسلمت ، هذا على ما أظن حقيقي وثابت عندكم.

الجنرال: قلت له وأنا متماسك: يمكن ذلك لو تم تعارفنا في وقت سابق ، والخبرة الطويلة التي أخذتها عليكم ؛ لكان علينا أن نصل إلى أحسن حال في سبيل تهدئة البلاد وازدهارها.

قوياً ، ولهذا فإني أتمنى أن تكون كذلك مهما يحدث لك ومهما تكن الظروف.

(عمر المختار) عندما وقف ليتهيأ للانصراف ، كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به ، فارتعش قلبي من جلالة الموقف. أنا الذي خاض المعارك والحروب العالمية ، والصحراوية ، ولقبت بأسد الصحراء ، ورغم هذا فقط كانت شفتاي ترتعشان ، ولم أستطع أن أنبس بحرف واحد ، فانتهت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه للمحاكمة في المساء ، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي ولكنه لم يتمكن ، لأن يديه كانت مكبلة بالحديد.

لقد خرج من مكتبي كما دخل عليّ ، وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير[(٣٠٧)].

قال شوقي رحمه الله:

وأتى الأمير يجر ثقل حديده أسد يجرجر حية رقطاء

سادساً: محاكمة عمر المختار رحمه الله:

في الساعة الخامسة مساءً في (١٥ سبتمبر١٩٣١ م) جرت تلك المحاكمة التي أعد لها الطليان مكان بناء (برلمان برقة) القديم ، وكانت محاكمة صورية شكلاً وموضوعاً.

ودليل ذلك أن الطليان ـ قبحهم الله ـ كانوا قبل بدء المحاكمة بيوم واحد قد أعدوا (المشنقة) وانتهوا من ترتيبات الإعدام وتنفيذ الحكم قبل صدوره ، وإنك لتلمس ذلك في نهاية الحديث الذي دار بين البطل وبين غراسياني ؛ حيث قال له: ((إني لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك)).

وإنها لكلمات تفوح بالخبث والدناءة والشماتة ، ومعناها: إنك يا مختار سوف تعدم شنقاً ، فلا تجبن أمام المشنقة ، ولا شك عندي لو كان غراسياني في موقف شيخنا لمات من الجبن قبل أن يساق للمشنقة ، ولكن شيخنا الجليل وأستاذنا الكريم وقائد الجهاد يزداد سموّاً بعد سمو ثم يقول: ((إن شاء الله)).

ويصف الدكتور العنيزي ذلك فيقول: ((جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً بالحديد ، وحوله الحرس من كل جانب.. وكان مكاني في

القاعة بجوار السيد عمر ، وأحضر الطليان أحد التراجمة الرسميين واسمه نصرت هرمس ، فلما افتتحت الجلسة وبدأ استجواب السيد ، بلغ التأثر بالترجمان ، حدّاً جعله لا يستطيع إخفاء تأثره ، وظهر عليه الارتباك ، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان اخر ، فوقع الاختيار على أحد اليهود ، وهو لمبروزو ، من بين الحاضرين في الجلسة ، وقام لمبروزو بدور المترجم ، وكان السيد عمر رحمه الله جريئاً

صريحاً ، يصحح للمحكمة بعض الوقائع ، خصوصاً حادث الطيارين الإيطاليين أوبر وبياتي))[(٣٠٨)].

وبعد استجواب السيد ومناقشته وقف المدعي العام بدندو ، فطلب الحكم على السيد بالإعدام.

وعندما جاء دور المحامي المعهود إليه الدفاع عن السيد عمر ، وكان ضابطاً إيطالياً يدعى الكابتن أونتانو ، وقف وقال: كجندي لا أتردد البتة إذا وقعت عيناي على عمر المختار في ميدان القتال ، في إطلاق الرصاص عليه وقتله ، وأفعل ذلك كإيطالي أمقته وأكرهه ، ولكنني وقد كلفت الدفاع عنه فإني أطلب حكماً هو في نظري أشد هولاً من الإعدام نفسه ، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظراً لكبر سنه وشيخوخته.

وعندئذ تدخل المدعي العمومي ، وقطع الحديث على المحامي وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته مستنداً في طلبه هذا إلى أن الدفاع خرج عن الموضوع ، وليس من حقه أن يتكلم عن كبر سن عمر المختار وشيخوخته ، ووافقت المحكمة[(٣٠٩)].

أمر القاضي المحامي بأن لا يخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز ، وهنا تكلم المحامي بحدة ، وقال: إن عمر المختار الذي هو أمامكم وليد هذه الأرض قبل وجودكم فيها ، ويعتبر كل من احتلها عنوة عدو له ، ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى يخرجه منها أو يهلك دونها ، هذا حق أعطته له الطبيعة والإنسانية ، وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامي وإصدار الحكم على

المتهم الذي طالب به المدعي العام ، ولكن المحامي استمر قائلاً: العدالة الحقة لا تخضع لأي سلطان ، ولا لأي غوغاء ، وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا ، وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعي العام محتجّاً على المحامي، ولكن المحامي استمر في دفاعه غير مبالٍ بكل هذا ، بل حذر القاضي أن يحكِّم ضميره قائلاً: إن هذا المتهم عمر المختار الذي انتدبت من سوء حظي أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون ، وماذا بقي له من العمر بعدما أتم السبعين سنة؟! وإني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة في (تحقيق) العقوبة عنه ؛ لأنه صاحب حق ولا يضر العدالة إذا أنصفته بحكم أخف ، وإنني أحذر عدالة محكمتكم حكم التاريخ؛ لأنه لا يرحم فهو عجلة تدور وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب.

وهنا كثر الضجيج في الخارج ضد المحامي ودفاعه. ولكن المحامي استمر في دفاعه قائلاً: سيدي القاضي حضرات المستشارين ، لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ ، وليس لدي ما أضيفه إلاّ طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق من الذود عن أرضه ودينه ، وشكراً.

وعندما قام النائب العام لمواصلة احتجاجه ، قاطعه القاضي برفع الجلسة للمداولة ، وبعد مضي فترة قصيرة من الانتظار دخل القاضي والمستشاران والمدعي العام ، بينما المحامي لم يحضر لتلاوة حكم القاضي بإعدام عمر المختار شنقاً حتى الموت ، وعندما ترجم الحكم إلى عمر المختار قهقه بكل شجاعة قائلاً: الحكم حكم الله لا حكمكم المزيف ، إنا لله وإنا إليه راجعون[(٣١٠)].

وأراد رئيس المحكمة أن يعرف ما قاله السيد عمر.. فسأل الترجمان أن ينقل إليه عبارته ، ففعل ، وعندئذ بدا التأثير العميق على وجوه الإيطاليين أنفسهم الذين حضروا هذه المحكمة الصورية ، وأظهروا إعجابهم لشجاعة شيخ المجاهدين بليبية الحبيبة وبسالته في ان واحد.

وأما المحكمة فقد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمس عشرة دقيقة فحسب ، من الساعة الخامسة مساءً إلى الساعة السادسة والربع ، وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم الطليان في مصير البطل ، لتتم الإرادة الإلهية

وتمضي الحكمة الربانية[(٣١١)]. قال تعالى: [القصص: ٦٨]. وقال: [التغابن: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *} [القَصَص: ٦٨]، [التّغَابُن: ١١]

سابعاً: إعدام شيخ الجهاد في بلادنا الحبيبة:

وفي يوم ١٦ سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة (١٩٣١ م) عند الساعة التاسعة صباحاً ؛ نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقاً في شيخ الجهاد وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير.

ودفعت الخسة بالإيطاليين أن يفعلوا عجباً في تاريخ الشعوب ، وذلك أنهم حرصوا على أن يجمعوا حشداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ ، فأرغموا أعيان بنغازي ، وعدداً كبيراً من الأهالي من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ ، فحضر ما لا يقل عن عشرين ألف نسمة ، على حد قول غراسياني في كتاب (برقة الهادئة)[(٣١٢)].

ويقول الدكتور العنيزي: ((لقد أرغم الطليان الأهالي والأعيان المعتقلين في معسكرات الاعتقال والنازلين في بنغازي على حضور المحاكمة ، وحضور التنفيذ ، وكنت أحد أولئك الذين أرغمهم الطليان على المحاكمة ، ولكني وقد استبد بي الحزن شأني في ذلك شأن سائر أبناء بلدتي ، لم أكن أستطيع رؤية البطل المجاهد على حبل المشنقة ، فمرضت ، ولم يعفني الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشؤوم ، إلا عندما تيقنوا من مرضي وعجزي عن الحضور.

ويا لها من ساعة رهيبة التي سار المختار فيها بقدم ثابتة وشجاعة نادرة وهو ينطق بالشهادتين إلى حبل المشنقة ، وقد ظل المختار يردد الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله.

لقد كان الشيخ الجليل يتهلل وجهه استبشاراً بالشهادة ، وارتياحاً لقضاء الله وقدره ، وبمجرد وصوله إلى موقع المشنقة أخذت الطائرات تحلق في الفضاء فوق ساحة الإعدام على انخفاض ، وبصوت مدوٍ لمنع الأهالي من الاستماع إلى عمر

المختار ؛ إذ ربما يتحدث إليهم أو يقول كلاماً يسمعونه ، وصعد حبل المشنقة في ثبات وهدوء.

وهناك أعمل فيه الجلاد حبل الظالم ، فصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية ، هذا وكان الجميع من أولئك الذين جاؤوا يساقون إلى هذا المشهد الرهيب ينظرون إلى السيد عمر وهو يسير إلى المشنقة بخطا ثابتة ، وكانت يداه مكبلتين بالحديد ، وعلى ثغره ابتسامة راضية ، تلك الابتسامة التي كانت بمثابة التحية الأخيرة لأبناء وطنه ، وقد سمعه بعض المقربين منه ، ومنهم ليبيون: أنه صعد سلالم المشنقة وهو يؤذن بصوت هادأى أذان الصلاة وكان أحد الموظفين الليبيين من أقرب الحاضرين إليه ، فسمعه عندما وضع الجلاد حبل المشنقة في عنقه يقول: [الفجر: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *} [الفَجر: ٢٧-٢٨] . ٢٨].

لقد استجاب الله دعاء الشيخ الجليل ، وجعل موته في سبيل عقيدته ودينه ووطنه ، لقد كان يقول: ((اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة))[(٣١٣)].

ويقول شاعر القطرين خليل مطران:

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليماً ... وجُدْتَ بالروح جود الحر أن ضيما

لله يا عمر المختار حكمته ... في أن تلاقي ما لاقيت مظلوما

إن يقتلوك فما أن عجلوا أجلاً ... قد كان مذ كنت مقدوراً ومحتوما

ولقد رثاه الشعراء وتكلم في تأبينه الأدباء والكتاب ، ولو تتبعنا ذلك لوجدناه أكثر من مجلد[(٣١٤)].

ونختم استشهاد عمر المختار رحمه الله بقول الله تعالى: [ال عمران: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ *وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ *} [آل عِمرَان: ١٤٥-١٤٦] . ١٤٦].

ومن سيرة عمر المختار العطرة نستخلص دروساً وعبراً تفيدنا كثيراً في حياتنا المعاصرة؛ ليس عمر المختار رحمه الله أول من جاهد ولا أول من استشهد ، ولكن

كان حاله كما قال تعالى: [ال عمران: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *} [آل عِمرَان: ١٧٣]

ومفتاح شخصيته الفذة: أنه امن بالله ، واستقرت معانيه في قلبه ، فأصبح لا يخشى إلا الله ، وهذا الصنف من المسلمين هو أقوى ما عرفته البشرية ؛ وهو الإنسان الحر في أعلى معاني الحرية.

جرد قلبه من الأوهام ومن الشركيات والضلال ومن الشبهات والشهوات ، وخلص قلبه من كل ظلمة تحول بينه وبين دخول التوحيد الصحيح إليه ، كان كثير المراقبة لله ، ومن هنا كان شديد الخوف من الله ، يعلم أنه شديد العقاب وخوفه من الله جعله أهلاً لتوفيق الله ، ولذلك كان راسخاً كالجبل الأشم[(٣١٥)].

فالفريد في سيرته: أنه أحيا شيئاً كاد يندثر ، أحيا معاني الإيمان التي كان الناس قد بدؤوا ينصرفون عنها ، إنه بنيان أُسِّس على التقوى ، فعاش مباركاً في حياته وفي مماته.

والعبرة الثانية: أنه كان داعياً إلى الله بإذنه ، تربى على أيدي دعاة السنوسية ، فلما اكتمل وترعرع ، أدى الرسالة وبلغ الأمانة وأنذر وبشر ، وخيركم من تعلم القران وعلمه.

والعبرة الأخرى: أنه كان على فهم صحيح لدينه ، يأخذه كلاً لا يتجزأ ، فلا هو بالتدين المنحرف ، ولا هو بالتدين البعيد عن جوهر الدين ، وإنما هو رجل مؤمن ، يعلم أن الإسلام لا يصح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه ، وإنما عليه أن يعمل به كله.

وكان في حرارة الشباب وحيويتهم رغم شيخوخته ، وتلك طبيعة المقاتلين في سبيل الله ، الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً غيره.

والعبرة الأخرى: أنه لم يسعَ للشهرة ، لأن المخلصين لا يبحثون عن الشهرة ، وإنما يبحثون عن رضا الله سبحانه وتعالى[(٣١٦)]. ولذلك جعل الله له ذكراً في الدنيا ونسأل الله أن يتغمده برحمته في الاخرة.

إن أعداءه الأوروبيين أعجبتهم سيرته البطولية والكفاحية والجهادية ؛ فهذه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في ١٧ سبتمبر سنة (١٩٣١ م) تحت عنوان (نصر إيطالي): ((حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحاً حاسماً في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة ، فلقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري...)) ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: ((ومن المحتمل جدّاً أن مصيره سيشلُّ مقاومة بقية الثوار ، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من إيطالية ، وأنفق كل ما عنده في سبيل الجهاد ، وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه ، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الديني ، إنه كان مرموقاً لشجاعته))[(٣١٧)].
وقد وصفه أحد الإيطاليين قائلاً: ((كان عمر المختار مخلصاً وذكيّاً ، وكان عقل الثورة وقلبها ببرقة)).
وقال اخر: ((كان إنجازه رائعاً ، فقد حارب إيطالية الفاشيستية تسع سنوات في حرب فدائية لم تكن ضعيفة في ذاتها ، وكان التحدي والتضحية والاستشهاد بالنفس عند عمر المختار وأتباعه شيئاً نبيلاً »[(٣١٨)].
ونحن نقول:

ومليحة شهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الأعداء

لقد كانت حياة عمر المختار شيخ المجاهدين في الجبل الأخضر بليبية مكرسة كلها للعلم والدعوة وتربية الناس على الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وكان من رواد الحركة السنوسية ، فقضى حياته حين نادى منادي الجهاد معتلياً صهوة جواده ممسكاً سلاحه ، لم يهادن ولم يستسلم ، بل قارع أعداء دينه مقارعة الند للند رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين ، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك ، إن جهاد عمر المختار رحمه الله سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبية خاصة وتاريخ الأمة الإسلامية عامة ، وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع ولا يزال نماذج عظيمة من
البطولات على مر العصور ، وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان[(٣١٩)].
إن الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والتربوية والجهادية ، ويعلم الله ما أعطيت الشيخ حقه ولا حتى بعض حقه ،

وأحس إحساساً عميقاً صادقاً في قرارة نفسي أنه أعظم مما كتبت ، وأجل مما توهمت ، وأفضل من عايشت من سيرة أبطال الجهاد في ليبية الحبيبة ؛ فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان ، وعلى إخوانه الميامين الكرام ، ونفعنا الله بسيرته الزكية العطرة النقية.

وهكذا يا أخي الكريم يصنع الإسلام من أتباعه في ميادين النزال وساحات القتال، وكذلك عند الوقوف أمام الطغاة والجلاوزة الظلمة ؛ لأن العقيدة تحركه ، ورعاية الله تحفه ، وإن هذه الوقفات الخالدة من سيرة شيخ الجهاد في ليبية لحريٌّ بنا أن نكتبها بحروف من ذهب ، ونعلمها للأجيال ، ونربي عليها الأشبال لغد مشرق مجيد ، قد بدأت بوادره تلوح في عنان السماء ، ومظاهرها متجسدة في رجوع شعوب المسلمين لدينها، مع ما يحف هذا الرجوع من مخاطر عديدة من قبل اليهود والحكام الظلمة ، وأنى لهم أن يطفئوا نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فما علينا إلا أن نستعين بالله في تحقيق وتطبيق دينه على نفوسنا وأسرنا ومن حولنا ثم على الناس أجمعين.

[النور: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *} [النُّور: ٥٥]

[الحج: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحَجّ: ٤٠]

[فاطر: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فَاطِر: ١٠]

ثامناً: بعض ما قيل في تأبين الشيخ عمر المختار من الشعر:

أ ـ قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء — يستنهض الوادي صباح مساء

يا ويحهم نصبوا مناراً من دم — يوحي إلى جيل الغد البغضاء

ما ضر لو جعلوا العلاقة في غدٍ — بين الشعوب مودة وإخاء

جرح يصيح على المدى وضحية — تتلمس الحرية الحمراء

يا أيها السيف المجرد بالفلا — يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحارى غمد كل مهند — أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية — وكهولهم لم يبرحوا أحياء

لو لاذ بالجوزاء منهم معقل　　دخلوا على أبراجها الجوزاء
فتحوا الشمال سهوله وجباله　　وتوغلوا فاستعمروا الخضراء
وبنوا حضارتهم فطاول ركنها　　دار السلام وجلق الشماء
خيرت فاخترت المبيت على الطوى　　لم تبن جاهاً أو تلمّ ثراء
إن البطولة أن تموت على الظما　　ليس البطولة أنْ تعبَّ الماء
إفريقية مهد الأسود ولحدها　　ضجت عليك أراجلاً ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم　　لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم　　يبكون زيد الخيل والفلحاء
في ذمة الله الكريم وحفظه　　جسد ببرقة وُسِّد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظماً　　تبلى ، ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسر أو بقية ضيغم　　باتا وراء السافيات هباء
بطل البداوة لم يكن يغزو على　　(تنك) ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها　　وأراد من أعرافها الهيجاء
لبى قضاء الأرض أمسى بمهجة　　لم تخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه　　سقراط جر إلى القضاة رداء
شيخ تمالك سنه لم ينفجر　　كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو أمور عاش في سرَّائها　　فتغيرت فتوقع الضراء
الأسد تزأر في الحديد ، ولن ترى　　في السجن ضرغاماً بكى استخذاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده　　أسد يجرجر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ　　ومشت بهيكله السنون فناء
سبعون لو ركبت مناكب شاهق　　لترجلت هضباته إعياء

خفيت عن القاضي ، وفات نصيبها　　من رفق جند قادة نبلاء
والسن تعطف كل قلب مهذب　　عرف الجدود وأدرك الاباء
دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجداً　　يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه　　ويصف حول خوانه الأعداء

وتخيروا الحبل المهين منية　　　لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا الممات على الصوارم والقنا　　　من كان يعطي الطعنة النجلاء
إني رأيت يد الحضارة أولغت　　　بالحق هدماً تارة وبناء
شرعت حقوق الناس في أوطانهم　　　إلا أُباة الضيم والضعفاء
يا أيها الشعب القريب أسامعٌ　　　فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت　　　أذنيك حين تُخاطبُ الإصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باقٍ خالدٌ　　　فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى　　　واحمل على فتيانك الأعباء[(٣٢٠)]

ب ـ قال الأستاذ نعمان عبد الوهاب ناظر مدرسة لملوم بمغاغة بمصر ، وذلك بمناسبة أول ذكرى للشهيد قام بها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية:

ذكرى بها ألمُ النفوس دفينُ　　　وأسىً له صَلدُ الصخور يلينُ
وسقام شعب في رفات ضحية　　　ونداء قطر بالفلاة سجين
ودموع ثكلى من دم أذراعها　　　(سفاح برقة) والرحاب أمين
صاحت على بطل يساق مكبلاً　　　إذ قال: عرضي ، والحمى ، والدين
فارتا ع شعب أعزل لكنما　　　في كل ركن في البلاد عرين
من واحة الجغبوب قامت أسرة　　　بالله يربطها هدى ويقين
بيت الإمارة والمهابة والتقى　　　والعزم ما جدَّتْ هناك شؤون
فاصطفت الأبطال تحت لوائها　　　وتجرد الهندي والمسنون
والسيد المهدي يذكي نارها　　　بالحزم والإقدام ظل يبين
يستنهض الفرسان في ساحاتها　　　والشعب منقاد له ورهين
يستعذبون الموت في إرضائها　　　في حبِّ برقة يضحك المطعون

عشرون عاماً في الجهاد بهمَّة　　　لم تكتحل فيها المنام جفون
صبر الألى فتحوا ممالك قيصر　　　وتسوَّروا الإيوان وهو حصين
لو كان للإسلام سالف عهده　　　والجار للجار الضعيف معين
ما بات أبطال الجهاد على الطوى　　　يستنجدون الشرق وهو ضنين

يا لهف نفسي كيف سار بغله		من كان للسرج الرهيب يزين
عمر بن مختار الشهيد ومن له		في كل قلب لوعة وحنين
فختامه يحكي نهاية (جعفر)		حتى حلا لي فيهما التأبين
عيناه قد رأت الحصان مجندلاً		والجو أطبق والرصاص هتون
والسيف في اليمنى وإن قُطِعَتْ فما		يلقيه حتى أن يحين الحين
من كان لله القدير جهاده		والحق يعلم أنه المغبون
لا ينثني عن عزمه والموت في		حبل المشانق جاثم مرهون
ما ردَّ إلا حيث قال قضاتهم		نعم ، وفي الصوت الجهور رنين
فاضت على حبل المظالم روحه		والله قدر ما عليه تكون
دار السنوسي لقنت أشبالها		موت المعزة بالكماة قمين
فالصبر يا شعب الجهاد فضيلة		يا مرسل الشكوى وأنت حزين
لا زال رب الدار ليثاً رابضاً		إن غاب عنها ليس عنك يبين
لا زال إدريس الوفي بعهدكم		والحر للعهد النزيه يصون
لا زال يسعى للخلاص بفتية		منكم ، وقد سهرت عليه عيون[(٣٢١)]

ج ـ وقال أحد الشعراء الليبيين الأستاذ أبو الخير الطرابلسي:

دك طود الجهاد باسم السلام		وثوى الحر في مهاوي الظلام
وأبيدت معالم الحق لما		زلزل الأمن في ربوع الأنام
وأميتت مبادأى الدين كفراً		وأزيلت منارة الإسلام
وأقيمت مجازر الإثم والبغ		ي ، وزلت مواطأى الأقدام
وتحامت عناصر الظلم والعدوا		ن ، فهدت دعائم الأقدام
ليت تلك السماء تحكي فتروي		كيف حيكت مؤامرات اللئام

ليت هذا الأديم ينشق توّاً		فيواري مخلفات العظام
أيهذا الشهيد! ما أنت إلا		طارف العز.. تالد المجد.. سامي
أيهذا الشهيد! ما أنت إلا		قدوة الجيش.. في اللواء الأمامي
خصك الله بالعزيمة والصب		ـر ، وخص الطغاة بالإحجام

خصك الله بالعقيدة والطهـ ـر ، وخص الدناة بالاثام
أمم الأرض طأطأت في احترام رأسها.. يا جلال هذا المقام
أمم الأرض قلدتهم هواناً وازدراء بهم أحط وسام
أيهذا الشهيد! قدمت شنقاً بيد الغدر ذقت كأس الحمام
فتوارت غزالة الصبح حزناً واختفى البدر في ليالي التمام
خالد أنت رغم أنف المنايا (عمر) أنت... والردى تتعامي
إن تناسوك ، فالثمانون عاماً ليس ينسى على مدى الأعوام
كللت كاهليك بالعزم تاجاً فتوثبت قاهراً في اعتصام
ما تحدوك.. إنما قد تحداك القضا.. بالردى ونصل الختام
إنهم ألبسوك حلة فخر ثم أعلوك فوق أسمى مقام
طوقوا جيدك الأغر وغطوا جسمك الحر.. خيفة الإيلام
سنة الغدر.. رحمة الذئب بالشا ة وخبث الجبان في الإيهام
أرجحوا جسمك الضعيف فضجت في الأعالي ملائك للسلام
وعووا كالذئاب: هيا تعالوا فاشهدوا مصرع الزعيم الهمام
فأبوا. ثم سيق قهراً وجلداً من تأبى حضور ملقى الزؤام
ثم دقوا الطبول للموت تدوي صارخات على العدا كل عام
لعنة الله.. لعنة الحق صبي بشواظ على الكوافر جامي
لعنة الكهل.. لعنة الطفل والخدر ولعنة الثاكلات الدوامي
لعنات على الجناة السفالى دائمات إلى نشور العظام
يا أخي! عبرة الخطب هاجت فأفاضت لنا الدموع الهوامي
ولغ القوم في الدما فأثاروا ديدن الحقد ، مبعث الانتقام
ردد اللحن هائجاً مائجاً مسـ ـتفيض الشعور صاخب الأنغام
يا جهاد الشيوخ يا فداء الشبا ب يا حثيث النساء للإقحام

يا دعاة السلام صمتاً فإنا قد شهدنا مقاصل الإعدام
قد شهدنا قذائف الموت تعوي هاويات على رؤوس الشهام

فشهيد يميل فوق شهيد ودماء تفور فوق رغام
يا رياح الفناء! هبي وذري في الماقي قذى القنا والسهام
وارقصي ثورتي وميدي جنوناً واطربي يا فتوتي! لن تضامي
وتمطي عزيمتي للعلا واستـ ـزري ناطح السحب شاهق الاكام
رب شعب عن المعالي قعيد خانه العزم بالوغى والسقام
ورمته الخطوب لما توانى وارتضى بالقيود والألجام
فعلت من ثراه صيحات جد داعيات إلى البنا والقيام
ونمت فيه بنته النهضة الغضـ ـى على مصرع الأبناء المسام
وتقوت سواعد النشء لما صقلتها يد العرى بالنظام
أمة المجد! إن المجد صعب والخنى مستسر قد استضام
سائلي الأمس.. كيف أنَّا ولدنا ونشأنا في أحلك الأيام
ولبثنا سنين جهلاً عبيداً واستنمنا لباطل الأحلام
وقعدنا عن النهوض ففات الركـ ـب وتهنا بمهمة الأوهام
فالمضاء المضاء يا فتية النصـ ـر! فقد طال طال عهد المنام
والبدار البدار يا أمة الفخـ ـر! فحسب الحصاد نيل المرام

د ـ وقال الأستاذ حسين الغناي أحد شعراء الشباب الليبيين:

يبيد الزمان ومدته وتفنى الخلائق جدته
وتطوي الدهور سجل الحياة وتبقى من المرء سيرته
ومن أخلد الذكر في العالمين مضاء الفتى وعزيمته
ووقفته عند قرع السلاح تذود عن الحق مهجته
إذا عجمته شداد الخطوب تدرع بالصبر مهجته
سواء لديه اعوجاج الزمان كذا عدله واستقامته
ومن أبرز الذائدين فتى إلى أرض برقة نسبته
من العرب الشوس والفاتحين جبلته وأرومته
إذا عد (عمر) و(ابن الوليد) و(عقبة) ثم صحابته

وأمثالهم نخبة المسلمين		رجال الفتوح وقادته
فـ(مختار) برقة ذاك الأبي		الذي طافت الأرض شهرته
لصنو لهم في قياس الفحول		وتمتاز عنهم صلابته
عقيدته في الحياة الجهاد		لتحفظ للشعب حرمته
وتلقاه في اليأس والمكرمات		له فضله ومهابته
إذا اتصفت بالدهاء الرجال		وبانت من العدل وجهته
فقول الكتاب له مبدأ		وصوت السلاح سياسته
أبى شرفاً أن يفكَّ الركاب		وأن تلقيَ السيفَ راحتُه
وما زال في السرج شاكي السلاح		توشحه بندقيته
يصادم في طلعة الهاجمين		وأول طلق رصاصته
ويغزو على القوم في دارهم		فتقضي إلى النصر غزوته
إلى أن قضى تحت حكم القضاء		شهيداً فكانت نهايته
لئن مات شهم الوغى عمر		ولما تُحَقَّقْ رسالتُه
فقد أوجدت في شعور العروبة		نوراً يشعُّ عقيدته
يسير بها في دروب الظلام		فتهدي إلى الحق لمعتُه
كما علم الروم أن الجهاد		مُنى العربيِّ وبغيته
وعلمهم أن وكرَ النسور		حرام على البوم وطأتُه
حديثك يا عمر الخيرين		تغذي النفوسَ روايتُه
وذكرك باق مع الخالدين		به تختم المجد صفحته[(٣٢٢)]

تاسعاً: اخر وثيقة من أحمد الشريف وصلت للمجاهدين في ليبية:

وكانت اخر وثيقة أرسلها أحمد الشريف رداً على رسالة المجاهد الكبير يوسف بورحيل الذي تولَّى الأمر مؤقتاً بعد استشهاد عمر المختار رحمه الله تعالى ، وقد أعلم في رسالته أحمد الشريف باستشهاد عمر المختار ، وطلب منه أن يعين من يقوم بهذا الدور العظيم.

نص الرسالة التي بعث بها أحمد الشريف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، واله وصحبه وسلم.

من عبد ربه سبحانه ، خادم الإسلام ، أحمد الشريف السنوسي.
إلى حضرة الفاضل المحترم ، والجليل المفخم ، المجاهد الصادق ، واللبيب الحاذق ، قائم مقام دور العواقير ، ولدنا الشيخ عبد الحميد العبار ، وكافة أولادنا العواقير حفظهم الله ورعاهم وحرسهم وحماهم امين امين.
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته وتحياته ورضوانه وعميم فضله وإحسانه ، وبعد: فالمرجو من الله تعالى أن تكونوا جميعاً على أيسر الأحوال محفوظين بالله ومنصورين به ، وإننا لن نغفل عنكم في وقت من الأوقات من الدعاء ، لكن عند بيت الله الحرام وفي حضرة مولانا رسول الله (ص) ، وعلى الله القبول ، إنه أكرم مسؤول ، وخير مأمول ، هذا وقد بلغنا ما أزعجنا وكدرنا غاية الكدر ، وهو استشهاد حضرة النائب العام سيدي عمر المختار رحمه الله ورضي الله عنه وجعل جنة الفردوس مسكنه ومحله ، وجزاه الله عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء ، فإنه كان عاملاً صادقاً ناصحاً ، وإننا لم نتكدر على نيله للشهادة ، بل نحمد الله على ذلك ولا نقول: إنه مات ، بل إنه حي لقول الله: [البقرة: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ} [البَقَرَة: ١٥٤] ، وإنما كدرنا فقدانه من بينكم وغيابه عنكم ، ولكن هذا أمر الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فلا يمكننا إلا تسليمنا لله ورجوعنا إليه ، ولا نقول إلا ما يقول الصابرون: إنا لله وإنا إليه راجعون ، نعم استشهد سيدي عمر المختار ولكنه أبقى العمل الطيب والذكر الحسن إلى يوم القيامة ، فهذا ليس بميت ولن يموت أبداً ، ما دامت الدنيا ، لأنه شهيد ، والشهيد ليس بميت ، لقوله تعالى: [ال عمران: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ *} [آل عِمرَان: ١٦٩-١٧١] . ١٧١].
فالله يا أولادي في التمسك ، وإياكم واليأس ، إياكم والقنوط ، إياكم وأقاويل الناس الفاسدة ، فجدوا واجتهدوا كما كنتم ، واجعلوا أعمالكم لله ؛ لأنه لنا ولا لغيرنا ؛ لأن من قاتل لله ، فالله حي باقٍ ، ومن قاتل لغير الله فعلمه لا يفيده
شيئاً ، واعلموا أن الله معكم ، ولن يتركم أعمالكم ، فاصبروا وصابروا واعلموا أن العاقبة للمتقين ، وأن الله مخزي الكافرين ، وما ترونه من الأهوال ، فإنه والله ثم والله زائل عن قريب ، وسترون ما يسركم دنيا

وأخرى ، ففي الدنيا سترون بحول الله العز والنصر والفتح الذي لا يخطر لكم على بال ، وفي الاخرة رضاء الله ورسوله والنعيم المقيم ، فأنتم في الخير أحياء وأموات.

وها نحن نوبنا عنا عليكم حضرة أخيكم المجاهد الغيور الصادق ، ولدنا الشيخ يوسف بو رحيل ، فإنكم ستلقونه بعون الله وقوته ، مثل السيد عمر وأكثر ، ونحن ما قدمناه إلا بتقديم سيدي عمر له في حياته ، وامتثلوا أمره واسمعوا كلامه ، وكونوا له عوناً معيناً ، ومن خالفه منكم فلا يلومن إلا نفسه ، ومن تبعه وامتثل أمره ، فهو الذي منا وعلينا ، وولدنا الشيخ يوسف المذكور هو النائب عنا عموماً ، فلا تروه إلاّ بالعين التي تروننا بها ، وبذلك يتم بالله أمركم ، وتجتمع كلمتكم وتقهروا عدوكم ، وإياكم ثم إياكم المخالفة والنزاع ، قال الله تعالى: [الأنفال: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفَال: ٤٦]

واعلموا يا أولادي أن العدو خيَّبه الله ساعٍ بكل جهده في القضاء عليكم في هذه المدة القريبة ، لا بلغه الله مناه ، لأنه بعد مدة قليلة يقوم معه حرب عظيم يشغله عنكم وهو مع الفرنسيين ، والدول الأخرى ، فعند ذلك لا يقدر على دوام القتال معكم ، والحرب قريب النشوب ، فجدوا في عملكم ، واصبروا وأبشروا بالنصر والفتح ، ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال تعالى: [يوسف: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ *} [يُوسُف: ١١٠]

ولا نشك يا أولادي أن الله منجز وعده ؛ لأن الله لا يخلف الميعاد ، وإني والله ثم والله ما يمنعني من الوصول إليكم إلا عدم الطريق ، ولكن بحول الله لا زلت مجتهداً بكل جهدي في وصولي إليكم، وعن قريب يتم ذلك بحول الله وقوته، هذا وسلموا منا على عموم أولادنا المجاهدين، والبارأى يحفظكم وينصركم ويجمعنا بكم عن قريب[(٣٢٣)].

(١٦جمادى الثاني سنة١٣٥٠ هـ)

عاشراً: إيطالية تحاول أن تستفيد بعد مقتل عمر المختار:

يقول غراسياني عن عمر المختار في كتابه (برقة الهادئة): إن خبر القبض على عمر المختار وإعدامه سرى في كل مكان ، وفي الأوساط المحلية بين الأهالي والخاضعين لسلطاتنا ، وبين الثوار الخارجين عن طاعتنا ، والمهاجرين في مصر ، وفي كل البلدان من المشرق إلى المغرب ، كلها تأثرت من هذا الحادث

الجلل ، وإعدام عمر المختار ، ولكي ننتهز هذه الفرصة في هذا الظرف الدقيق من أجل إثارة الفوضى بين القادة الذين خلفوا عمر المختار في القيادة ؛ رأينا أن ننشر بياناً إلى كافة أو البقية من العصاة نعلن لهم فيه: أن الحكومة الإيطالية الفاشيستية مستعدة أن تقبل استسلامهم وتسليم السلاح ، وتضمن لهم الحياة ، وفي ١٧ سبتمبر (١٩٣١ م) نشرت التعليمات الاتية من أجل توزيعها ؛ وهي:

١ . أن نعطي للثوار الإحساس بسخاء الدولة الإيطالية الفاشيستية ، وكذلك للسكان المحليين.

٢ . إفراد الحالة أمام العالم الإسلامي وغير الإسلامي بكل دقة ، وأن تصرفاتنا لا لبس فيها ، فهي من اختصاصنا ، وكذلك من مسؤولياتنا في كل العمليات الحربية التي أجريت في برقة ، ولهذا فقد قامت طائرتنا بقذف المنشورات على المناطق الجبلية ، وعلى المدن والقرى ، وبها البيان الاتي:

إلى أدوار عمر المختار:

إن الرئيس العظيم رئيس الثوار عمر المختار يحارب منذ عشرين سنة كان يقودكم فيها إلى الخراب والدمار والتأخر والانحطاط ، قبضت عليه قواتنا المظفرة قوات إيطالية الفاشيستية ، وقد حكمت عليه المحكمة الخاصة بالإعدام ، وهذا انتقام من الله من أجل المساكين الذين بسببه تركوا أراضيهم ومسقط رأسهم[(٣٢٤)].

قال مترجم كتاب (برقة الهادئة) إبراهيم بن عامر عن هذا المنشور: سبحان الله يا جنرال! من الذي شرد الناس من أراضيهم؟ ومن الذي أفنى ثمانين ألفاً من المواطنين في المعتقلات؟ ألم تكن أنت الذي قضى على الناس وأموالهم؟ وفي نفس

الصفحة تعترف بأن عمر المختار منذ عشرين سنة يحارب من أجل من؟ من أجل أن يطردك ويطرد قوات إيطالية الغاصبة[(٣٢٥)].

واستمر غراسياني في المنشور: يا أهل الدور إن الحكومة الإيطالية الفاشيستية القوية والسخية تحذركم مرة أخرى ؛ إنه بعد وفاة واختفاء عمر المختار أنها مستعدة بأن تعفو عن كل الذين يخضعون لحكمنا ويسلِّمون أسلحتهم ، ومن غير هذا فالحكومة كما قضت على عمر المختار ستقضي على كل الذين يواصلون العصيان إما عاجلاً وإما اجلاً. اسمعوا كلامي وسلموا أنفسكم.

وفي نفس الوقت أصدرت الأوامر إلى قوات الجيش بعد أن قذفت الطائرات المنشورات بالاستمرار في القتال دون توقف ، بل بذل أكثر من الجهد دون تردد حتى نجعل أمام العصاة (يعني: الثوار) الطريق الوحيد هو الاستسلام دون قيد أو شرط ، وخلاف إلقاء البيان بالطائرات ما يزيد عن ٣٥٠٠٠

منشور ، وأكثر منها وزعت من الدوريات الكشافة على كل بئر وفي كل حقل ومرعى ، وكل هذه الأماكن التي يمر بها العصاة (يعني: المجاهدين) أما (الماريشال بالدوليو) من جانبه فقد وجه إلى قوات الجيش البرقية التالية:

أوجه إلى قوات الجيش الشجاعة ببرقة أعظم الثناء وأحر تهنئتي على كل ما قاموا به من عمل مجيد وانتصار باهر في هذه الحروب ، والنتيجة المرضية التي كنا نتمناها أن نهاية عمر المختار يجب أن لا تؤثر على السير فوق الطريق التي رسمناها ؛ وهي مطاردة العصاة أينما وجدوا ، واقتفاء أثرهم ، وضربهم بكل شدة ودون هوادة أو رحمة إلى اخر واحد منهم ، وليكن شعارنا: لا توقف ولا ارتخاء ، واصلوا الزحف بكل حماس متجرد ، ولسوف نقضي على العصاة نهائياً[(٣٢٦)].

انظروا إخواني إلى هذا الحقد والبغض والكيد والمكر الذي ظهر من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، وصدق الله ؛ حيث قال: [البقرة: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البَقَرَة: ٢١٧]

الحادي عشر: تعيين يوسف بو رحيل قائداً للحركة الجهادية:

وبعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمَّع المجاهدون بين يوم وليلة ، وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد (يوسف بو رحيل) قائداً للجهاد الإسلامي ووكيلاً عامّاً للجهاد ، وعلى أثر هذا التنصيب كلَّف الشيخ عبد الحميد العبار بالرحيل نحو شرق البلاد للقيام بحثِّ الناس على الانخراط في جيش المجاهدين ، وحمل السلاح لمكافحة الجيوش ، والجهاد في سبيل العقيدة الإسلامية والدين ، واستقبل المجاهدون خبر استشهاد قائدهم العظيم بالعزيمة والاستمرار ومواصلة السير ، إما الشهادة أو النصر على النصارى الحاقدين.

وواصلت الحكومة الإيطالية حملات الانتقام ضد أولئك الأبطال ، وبرز في تلك المرحلة الحاسمة ، والتي ندر فيها وجود الرجال الشيوخ الفرسان والقادة الأبطال والميامين الكرام أجدادنا البواسل كل من عبد الحميد العبار ويوسف بو رحيل وعصمان الشامي ، وحشدت إيطالية قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير. وبعد قتال عنيف عند الحدود المصرية قرب الأسلاك الشائكة اجتاز الأسلاك بعض المجاهدين ببطولة منقطعة النظير ، وفروسية عالية القياس ، وقتل من قتل وأسر من أسر ، وبقي الزعماء الأربعة يقاومون ؛ فقتل حمد بو خير الله أحد الزعماء ، وقتل يوسف بو رحيل ، وجرح عصمان

الشامي فأخذ أسيراً ، وأما الفارس المغوار عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له[(٣٢٧)].

وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين ، وتعثَّرت خطواتهم ، وأخمدت حركة الجهاد ، وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخاً بطوليّاً كفاحياً جهادياً رائعاً من أجل العقيدة والدين والشرف والكرامة ، فعلى طريق الإسلام نحن سائرون، ومن أجل إعزاز دين الله عاملون ، ورفع راية التوحيد مجاهدون ، ونسأل الله المغفرة والرحمة والرضوان للأجداد والأبطال الكرام من أمثال رمضان السويحلي ، وسليمان الباروني ، والفضيل بو عمر ، وأحمد الشريف السنوسي ، وصالح الأطيوش ، وإبراهيم الفيل، وأحمد سيف النصر، وسعدون وعبد الحميد العبار ، وغيرهم كثير.

إن عبد الحميد العبار قد أمد الله في عمره ، وقد شاهدته مرات عديدة وأنا طفل لم أتجاوز الرابعة ، وكنت أراه كل يوم بعد صلاة الفجر أمام بيته في الحي الذي كنت أسكن فيه بمدينة بنغازي ، والذي يسمى مدينة الحدائق بقرب مسجد السيد بالقاسم أحمد الشريف السنوسي المعروف بمسجد الأنصار ، وكان منظره وهو يتلو كتاب الله وقد تقدمت به السن مؤثراً في نفسي ، وبلادنا في تلك الفترة عمّها الفساد ، وما كنا نرى ونحن أطفال من يحافظ على تلاوة القران الكريم بالكيفية المذكورة ، وأخبرت والدي عن ذلك الذي أسر قلبي بتلاوته القران الكريم ، فقال لي: يا بني ذاك الشيخ عبد الحميد العبار من كبار المجاهدين ، وبدأت جدتي وهي من قبائل برقة من قبيلة الدرسة وقد كانت ضمن المعتقلين بمعتقل المقرون تسرد لي أموراً عجيبة عن جهاده وفروسيته وشجاعته ونجدته ، ولا زالت صورته في ذهني إلى وقت كتابتي هذه ، وعندما تُوفي رحمه الله كان لوفاته مأتم مشهود ، وحضرت جموع غفيرة من شرق البلاد وغربها ، واستمر المأتم أياماً عديدة ، فرحمة الله على أولئك الأبطال.

الثاني عشر: اضطهاد الشعب:

وباستشهاد عمر المختار ويوسف بو رحيل ، وأسر عصمان الشامي بعد جرحه ، وهجرة عبد الحميد العبار إلى مصر ، وقتل كثير من المجاهدين ؛ انتهت حركة الجهاد الفعلية ، ومع وجود معظم السكان في معسكرات الاعتقال حكم الإيطاليون البلد من الحصون المحاطة بالأسلاك الشائكة والدوريات والمصفحات والسيارات المسلحة والرشاشات والأنوار الكاشفة والطائرات ، وفي يناير (١٩٣٢ م) أعلن بادوليو حاكم ليبية العسكري الإيطالي: أن الثورة قد انتهت كلية وتماماً ، وأصرت إيطالية على جعل ليبية الشاطأى الرابع لإيطالية ، وأعلن موسليني ذلك الطبل الأجوف سنة (١٩٣٤ م) بأن الحضارة

الحقيقية هي ما تخلقها إيطالية على الشاطأى الرابع لبحرنا (الحضارة الغربية بصفة عامة ، والحضارة الفاشيستية بصفة خاصة) ، وأخذ الرأسماليون الإيطاليون يقسمون ممتلكات الشعب المسلم على بعضهم البعض ، ويرحّلون الأسر الإيطالية للاستيطان الكامل في ليبية المسلمة ، وأصبح الليبيون عمالاً مستأجرين وخداماً للعائلات الإيطالية في مزارعهم التي نزعت من أيديهم وسلمت للإيطاليين ، وأصدرت وسُنت القوانين التي تخدم مصالح الحكومة الإيطالية

في مصادرة الأملاك والاستيلاء عليها ونزعها من المواطنين بمبالغ زهيدة باسم المصلحة العامة.

واهتمت إيطالية بليبية اهتماماً بالغاً من أجل جعلها قطعة إيطالية لها دورها في توسيع مستعمراتها نحو الجزائر ومالطا وجبل طارق، وشجعت إيطالية هجرة الألوف من العائلات الإيطالية ضمن شروط لابد من توافرها في الراغبين بالاستيطان في ليبية المسلمة، ومن هذه الشروط: كثرة عدد أفراد الأسرة بحيث تكون أكثر من سبعة، وأيضاً الصحة ، والقراءة والكتابة ، وأن تكون هذه الأسرة من أعضاء الحزب الفاشيستي ، أو ذات الوعي السياسي ، وكان معظم القادمين هم من المناطق الفقيرة في شمال إيطالية ، وخرجوا من إيطالية وسط دعاية عالمية ، واستقبلوا في طرابلس وبنغازي استقبال الأبطال ، ونقلوا في سيارات الجيش إلى القرى التي كانت جاهزة لهم ، وكان بالبو يرافقهم من نابولي حتى القرى التي اغتصبوها من الشعب المسلم المسكين ، وأعطيت كل أسرة منزلاً ومزرعة جاهزة للعمل ، وكانت الحقول قد زرعت ، وفي كل إسطبل كان يوجد بقرة وبغل ، وأدوات وحبوب وعلف ، وكذلك عربات وخشب للوقود ، وفي كل بيت كان هناك طعام يكفي لأسبوع[(٣٢٨)] ، حتى الكبريت والشمع كان موجوداً جاهزاً.

وسخر الشعب الليبي المسلم لخدمة النصارى ، واستعبد النصارى الحاقدون المسلمين في حربهم لليبية ، واهتموا بطرابلس ولبدة وصبراتة وشحات لجعلها دعاية للحكومة الإيطالية ، ودعوة انحلالية للخمور والدعارة في حوض البحر المتوسط على مستوى عالمي.

وكانت أهداف الإمبراطورية الفاشيستية حسب تعبير الطبل الأجوف موسليني (ليس تغييراً أقليميّاً حربيّاً تجاريّاً فحسب ، بل تغييراً روحيّاً وأخلاقيّاً أيضاً) وعمل على انسلاخ المسلمين من أخلاقهم ودينهم ، ورضوا بأن يحصر دين المسلمين في الشعائر التعبدية. وقد أعلن بالبو مرة أنه (لن يكون في ليبية حكام ومحكومون ، وبدلاً من ذلك سيكون فيها إيطاليون كاثوليك ، وإيطاليون مسلمون ، متحدين من جماعة مشتركة كعناصر بناءة في تنظيم جبار للإمبراطورية الفاشيستية) ، وحرموا

الشعب الليبي المسلم من كل حقوقه الطبيعية ؛ فلا فرصة في التعلم والتعليم والثقافة والتثقيف ، ولم يكن الفاشيستيون يرون نهاية لوجودهم في بلادنا العزيزة ، وكانت الطبقة المثقفة الصغيرة إما في المنفى ، أو لا صوت لها ، وقد أخمدت كل معارضة بقسوة بالغة، وأضعف البناء القبلي التقليدي بتعيين زعيم لكل عدد من القبائل ، والفاشيستيون يأمرون والشعب المستضعف ينفذ دون سؤال أو تعليل ، وكان التعليل الكافي الذي ربي عليه الشعب (يجب عليك لأنه يجب عليك أن تفعل كذا وكذا) ، وكانت السياسة التعليمية الإيطالية رسمت من أجل تخريج عدد كبير من التلاميذ الليبيين الذين يتكلمون الإيطالية ويخلصون الولاء لإيطالية[(٣٢٩)].

وعملوا على القضاء على الأخلاق الإسلامية ، وبث روح الكثلكة في المدارس بين الأطفال ، والقضاء على مصارف أهل البلاد والتعليم الديني ، وأغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية ، وأكثروا من إقامة دور الفحش ، ومنعوا الليبيين من أداء فريضة الحج وازداد امتهانهم للدين الإسلامي بدرجة شنيعة ؛ فكان من سوء فعالهم: أن ألقى قائد طبرق الإيطالي بالمصحف الشريف إلى الأرض ، ثم أخذ يطأ عليه بقدمه على مشهد من جماعة من المسلمين: ((إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً ما دام هذا الكتاب بين أيديكم)).

وسخَّروا المسلمين واستعبدوهم في بناء الطرق والقلاع والمزارع والقرى ، ونشط المبشرون الطليان في دعوتهم ، وعمدت الحكومة إلى تشجيعهم وأرغمت النساء على التنصير والزواج من الطليان.

وزاحموا أهالي البلاد في الصناعة والتجارة ، وسيطروا عليها سيطرة كاملة ، ومنعوا الناس من التظلم، وقيدوا حرياتهم، فمنعوهم من محادثة بعضهم بعضاً، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب ، ومن مراسلة أقاربهم في الخارج ، حتى صاروا في سجن داخل بلادهم ، محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربي والإسلامي.

لقد كان من أحلام الفاشيست إعادة الإمبراطورية الرومانية الغابرة ، فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطأى البحر الأبيض المتوسط ، ثم إبادة أهل هذه البلاد وإفنائهم ، وتحويلها إلى رقعة لاتينية ، وإنها لوقاحة منقطعة النظير أن

يعمل شعب على إبادة شعوب ليحل محلها بالقوة ، ولكن هذا هو منطق الصليبيين الحاقدين ، وبلغ استهتارهم: أنهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على المنابر لملك إيطالية: عمانويل الثالث ، وعندئذ امتنع المسلمون عن صلاة الجمعة ، فلما هاج الرأي العام الإسلامي على هذا الفعل ، استكتبوا الأئمة تكذيباً

بتوقيعاتهم ، جاء فيه أن الدعاء كان بمحض إرادتهم ومن تلقاء أنفسهم ، ومن غير تدخل من جانب الحكومة الفاشيستية!!.

فهل رأيت وقاحة أبلغ من هذه؟!

وفي عهد بادليو صاروا يمنعون الناس من أداء الحج ، ويضعون العراقيل في سبيلهم ، حتى يجبروا على تركه.

كان أقبح ما فعل المارشال بادوليو أنه أمر بأن ترصف (الصالة) في قصره بالبلاط المنقوش عليه (محمد) (ص) ، وبعد انتهاء مرحلة الحرب المسلحة كما علمنا نفذ الشطر الثاني من برنامج إبادة الليبيين وإفنائهم ، ونعني بذلك: ما اغتصبه الطليان من الأراضي والمزارع وإعطائها للعائلات الفاشيستية بالقوة ، وترك أصحاب الأرض الحقيقين وأبناء البلاد يتضورون جوعاً ، ويخدمون هؤلاء الحاقدين كخدمٍ وعبيدٍ[(٣٣٠)].

وأراد الله أن ينتقم للمجاهدين من الطليان بقدرته وجبروته وعزته وحكمته النافذة التي لا يعلمها كثير من عباده ، وبعد أن اطمأنَّ النصارى الكاثوليك في ليبية جاءت الحرب العالمية الثانية قدراً من الله ، وتسليطاً من الله من ظالم على ظالم: [الأنعام: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *} [الأنعَام: ١٢٩]

وبعد أن اطمأنَّتْ الإمبراطورية الإيطالية إلى سلطانها ، ودانت لها الأقطار الليبية من أقصاها إلى أقصاها من بعد استشهاد المختار عام (١٩٣١ م ـ ١٩٤٢ م).

أحد عشر عاماً من اليأس المطلق الذي لا يبشر بشيء من الأمل ، أهل الحل والعقد الليبيين بعيدين عن البلاد.

نصف الشعب أو يزيد أهلكوا ، أو أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ، البقية الباقية مستضعفة في بلادها لا حول ولا قوة لها.

غراسياني ينفخ أوداجه ، ويختال على أرض المسلمين يمنة ويسرة ؛ حيث شاء[(٣٣١)].

ثم جاء من ورائه بادوليو المارشال العجوز ليتم قصة إبادة الشعب الليبي ، ويسلم الأراضي إلى رعاع الطليان.

ليل هنا وليل هناك ، وظلام دامس وظلم مخيم ويأس مرير ، وذلة أصابت المسلمين وعزة زائفة سيطرت على النصارى الحاقدين ، وكانت قصة خروج الطليان من بلادنا غريبة جداً ينبغي أن يتدبر فيها ليعلم الناس وليطمئنوا إلى عدل الله المنتقم الجبار ولو بعد حين.

وكانت قصة هزيمة إيطالية في ليبية بدأت في الحرب الثانية في سبتمبر ، وحرصت إيطالية أول الأمر على عدم دخولها ، حتى إذا رأت فرنسة تنهار على أثر الزحف الألماني الخاطف عليها ، أعلنت إيطالية الحرب على إنكترة وفرنسة في ١٠ يوليو (١٩٤٠ م) ، وبدأ الجبل الأخضر يضيق حول عنق الإمبراطورية الجوفاء العرجاء ، ودخلت إيطالية الحرب بقيادة زعيمها موسوليني الطبل الأجوف طمعاً في الغنائم ، وكانت توقن أن الأرض قد دانت لحليفتها ألمانية ، فأخلف الله ظنها ، وأفضى الأمر إلى زوالها نهائيّاً من الوجود كإمبراطورية صاحبة مستعمرات ، واندحرت إيطالية باندحار ألمانية في شمال إفريقية ، ولم تغرب شمس يوم ٧ أبريل عام (١٩٤٣ م) حتى كانت جيوش ألمانية وإيطالية بقيادة روميل المنهزمة قد أخلت القطر الطرابلسي بأجمعه.

وكانت فرحة عظيمة شاملة عمَّت قلوب الناس ، وعبر عنها الملك السابق بقوله: ((إني أحمد الله الذي جعلني أشهد خروج هؤلاء الطليان الظالمين من بلادنا)).

وتدفق الليبيون إلى بلادهم التي ترعرعوا فيها وأخرجوا منها ظلماً وزوراً ، وهكذا استدار الزمان ، وسلط الله الإنكليز على الطليان ونزل العار بهم[(٣٣٢)].

لقد أرادت إيطالية إبادة المسلمين في ليبية، فبادوا هم وبقي المسلمون في ليبية ، وأراد غراسياني إعدام المختار ، فهلك وبقي المختار علماً وقدوة لأجيال المسلمين.

* * *

الفصل الثالث

الليبيون بين المهجر والاستقلال

المبحث الأول

الليبيون في المهجر

هاجر الليبيون إلى تونس ، والجزائر ، وتشاد ، وسورية ، والأردن ، ولبنان ، ومصر ، والحجاز ، وتركية ، وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان ، وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض ، وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع إلى ديارهم ، وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لها بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.

أولاً: قال الشاعر أحمد رفيق في هذه المعاني:

كادت تطير بأضلعي أشواقي يوم الفراق فهل يكون تلاقِ

ودَّعْتُه والله يعلم أنني ودعت راحة قلبيَ الخفاق

لو كان قبل الموت يوم قيامة كان الفراق قيامة العشاق

وطني من الإيمان حبك ليس لي مَنٌّ عليك وأنت ذو استحقاق

ويقول أيضاً:

يا أيها الوطن المقدس عندنا شوقاً إليك فكيف حالك بعدنا؟

كنا بأرضك لا نريد تحوُّلاً عنها ولا نرضى سواها موطنا

في عيشة لو لم تكن ممزوجة بالذل كانت ما ألذ وأحسنا

عفنا رفاه العيش فيك مع العدا وكما أبى شمم النفوس وعزنا

إلى أن يقول:

جعلوك مسخرة بأيدي صبية لا يبعدون عن الحمير تمدنا

قالوا لنا جئنا نمدن أرضكم أين التمدن والذين قالوا لنا؟

هدموا من الأخلاق في أوطاننا أضعاف ما شادوه فيها من بنا[(٣٣٣)]

ثانياً: وقال الأستاذ محمد الطيب قصيدة فاضت من الشعور لا من الشعر:

ماجنة الحسن إلا في طرابلس عهدي به وسناها مشترق عال

يا برقة الخير يا دار الأحبة ما أقسى الفراق بقلبي يوم ترحال

وصوت ذكرك (يا برقا) يردده قلبي فيشغلني عن كل أشغالي

نار الفراق لها في مهجتي شررٌ		لولا الدموع لأوهت جسمي البالي
دار الأحبة لا أبغي بها بدلاً		فلا بمصر ولا بالشام امالي
ولا العراق ولا صنعا تغيّرني		عن حب (برقة) ولا الخضراء تحلو لي
ولا دمشق ولا الدنيا بأجمعها		أنسى بها برقة الفيحاء من بالي
فهي النعيم إذا ما جئت أذكرها		طاب المقام بها في عصري الخالي حصباؤها ذهب والتبر تربتها
وماؤها من رحيق الشهد سيال
وأهلها عرب قعساء همتهم		شادوا المفاخر جيلاً بعد أجيال
الدهر يعرفهم أسداً غطارفة		في حالة الجد لا في القيل والقال
عرّج بها يا رعاك الله في أسف		وارو الربوع بدمع منك شتال[(٣٣٤)]

ثالثاً: وأما المجاهد بشير بك السعداوي ، فقد قال:

قالوا: تحن إلى البلاد وأهلها؟		فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها		ولا منيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها		ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه		إن زرت يوماً منزلاً لسعادي
ابسط لها شوقي وفرط صبابتي		واهدِ تحياتي لها ووددادي
واخفض جناح الذل عني وقل لها		أسرفت في هجري وفي إبعادي

حر النوى أوهى فؤادي وإنني		متهتك متمزق الأكبادي
مذ غردت بالبين أغربة النوى		من بيننا ما ذقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما		والبدر جسم لا يجيب منادي
فلطالما ناديت في غسق الدجى		حيي فتذهب صيحتي في وادِ
لهفي على تلك الديار وأهلها		قوم لهم في المكرمات أياد
لازلت أصبو بحبهم ووددادهم		رغماً على أنف الزمان العادي[(٣٣٥)]

وقال أيضاً:

يا حادي الركب حث السير في عجل		نحو المواطن بين السهل والجبل
وقف بذاك الحمى والأربع الدرس		وجول الطرف الاكام والقلل

إلى أن يقول:

عهدي بها وأسود الليل رابضة حول الكنائس لها غاب من الأسل
واليوم قد أصبحت والذل رائدها وتشتكي دولة الأوغاد والسفل
قوم أحلوا بها لا أصل يردعهم ولا خلاق سوى الفحشاء والزلل
ظنوا بأن وعدوا أنا نصدقهم وعندنا وعدهم كذباً بلا خجل
لا تيأسي يا ربوع العز وانتظري فإن دولتهم من أنقص الدول[(٣٣٦)]

لقد ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ، ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطالية ذرعاً.

وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي الذي قال في حقه الجنرال غراسياني: ((إذا أردنا أن نقضي مرة واحدة على العصيان ؛ يجب أن يغيب إدريس من عالم الوجود ، فإذا مات هو مات معه التمرد والعصيان ، يجب لتحقيق هذا أن نضغط على مصر حتى تسلمه لنا ، أو نقضي المهمة وراء ستار))[(٣٣٧)].

وأما في بلاد الشام فقد ظهرت جهود بشير السعداوي واضحة للعيان ، فقد قام مع إخوانه الميامين بصور شتى من صور الجهاد ، فقد شمَّروا عن ساعد الجد والعمل ،

فتأسست في دمشق في (عام ١٩٢٨ م) جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام ، وانتخب بشير السعداوي رئيساً لها ، وكانت هذه الجمعية تضم إليها مجموعة من المجاهدين كسكرتير الجمعية عمر فائق شنيب بك ، وأمين الصندوق فوزي النقاش ، ثم عبد الغني الباجقمي ، وكامل عياد ، وعبد السلام أدهم ، والبمباشي طارق ، ومحمد ناجي التركي ، ومصطفى بن نوح ، وأحمد راسم ، وأبو بكر قدورة ، وأبو بكر التركي ، وخليفة بن شعبان ، وعمل هؤلاء الإخوة الأبطال جميعاً على إعداد البحوث التي تكشف عن أعمال الطليان وفظائعهم في القطر الليبي ، وصاروا ينشرونها في الصحف ، والجرائد ، والمنشورات ، وأظهر بشير السعداوي نشاطاً واسعاً ، ونشر بحوثاً ومقالات كثيرة ، وسار عمر فائق شنيب على نفس المنوال ، وفي عام (١٩٢٩ م) وضعت الجمعية الميثاق الوطني المشهور للشعب الطرابلسي البرقاوي؛ فنصت المواد على التالي:

المادة الأولى: تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس وبرقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة.

المادة الثانية: دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد.

المادة الثالثة: انتخاب الأمة مجلساً نيابياً حائزاً على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور.
المادة الرابعة: اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.
المادة الخامسة: المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطر في جميع أرجائه.
المادة السادسة: العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية منتخبة.
المادة السابعة: العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.
المادة الثامنة: تحسين العلاقات والمصالح بين الأمة الطرابلسية البرقاوية ، والدولة الإيطالية ؛ بمعاهدة خاصة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي[(٣٣٨)].
وقامت الجمعية بفتح فرع لها في تونس عام (١٩٣٠ م) برئاسة محمد عريقيب
الزليطني ، وحققت الجمعية بعض النجاحات الكبيرة ، وكان الأمير إدريس السنوسي قد أولاها عنايته الخاصة ، وأمدها بالمساعدات القيمة ، فيرسل لها الإعانات المالية حيناً ، وبالمعلومات والأخبار الجديدة عن القطر الليبي حيناً اخر ، وتمكنت الجمعية من دعم مركزها ومتابعة النشر والقيام بحملة صحفية واسعة تهيب بالأمة الإسلامية والعربية أن تنهض للوقوف بجانب الشعب الليبي بكل الطرق.
ونشرت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية نص الميثاق ، وقدمت له بنداء خاطب فيه مواطنيها في الأقطار العربية ، جاء فيه: ((أيها الإخوان الأعزاء: إن الواجب يقضي عليكم أن تعملوا لخير بلادكم ، وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم ، وأن تؤلفوا في كل قطر تسكنونه (جمعية) تلم شعثكم وتجمع شملكم ، وأن توطنوا نفوسكم على التضحية والقيام بالواجب الوطني؛ فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً؛ وارفعوا أصواتكم بالشكوى مما تلاقيه أمتكم البائسة من مظالم الإيطاليين ، واملؤوا الصحف بالمقالات ، والفضاء بالاحتجاجات ، وانشروا النشرات وقفوا للحوادث بالمرصاد ، وانتهزوا الفرصة وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع؛ فالفكرة الناضجة تكوّن الأمم وتبعث فيها روح اليقظة والانتباه؛ ثم ربوا نشأكم على حب الوطن ، والحرية والاستقلال ، أرضعوهم هذه المبادىء مع اللبن ، وانفثوها في صدورهم منذ عهد الصبا ونعومة الأظفار ، علموهم مناقب السلف الصالح وأبطال التاريخ والفتح الإسلامي ، فإنها تبث في نفوسهم علو الهمة وروح الشهامة والمبادأى الوطنية ، وليكن شعاركم الاستقلال وتخليص وطنكم من الأغلال ، وفكروا في الوسائل التي تقربكم من هذه الغاية الشريفة؛ فإن الدولة الإيطالية مهما اشتد بها الصلف والغرور إذا رأتنا أمامها أمة ناهضة منتشرة في الافاق ، واقفة لها بالمرصاد ، تحارب الظلم والاستبداد ، ولا تدين لسنن الاستعمار والاستعباد ؛ لابد أن تذعن لمطالبنا

الحقة ولميثاقنا القومي الذي عاهدنا الله على تحقيقه ببذل النفس والنفيس ، والله مع الصابرين))[(٣٣٩)].

لقد استطاعت الجمعية أن توسِّع دائرة نشاطها ، وطلبت من شكيب أرسلان في عام (١٩٢٩ م) أن يقف معها لما كان بالحجاز ، ولبى الأمير شكيب نداء الليبيين ،

وشرع في نشر مخازي ومظالم الطليان في الصحف والمجلات العالمية والعربية ، وفي نشرات صغيرة حتى يسهل تداولها ، وحققت مقالات شكيب هدفها ، وانتبه العالم الإسلامي لما يفعله الطليان في ليبية بسبب مقالاته الرائعة التي دبجها بقلمه السيال.

واستمرَّت الجمعية في نشاطها ، وتوالت نشراتها تصف فظائع الطليان ، وتحذِّر الأمة من تصديق دعاياتهم الكاذبة المغرضة ، وتسوق الحجج والبراهين والأدلة على انتهاك أبسط حقوق الإنسان في ليبية ، وتفننت في ابتكار وسائل عدة لإيصال هذه النشرات إلى داخل ليبية ، وبذلت جهوداً عظيمة لتوزيع نشراتها في جميع أنحاء العالم العربي ، لقد نجحت في حرب الأقلام ، وشاركت في المؤتمر الإسلامي في القدس ، وعرضت قضيتها، وهذا نص الوثيقة التاريخية التي قدمتها:

رابعاً: وثيقة تاريخية عن القضية الطرابلسية البرقاوية ، تقدمت بها الجمعية الطرابلسية البرقاوية للمؤتمر الإسلامي في القدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أن أخذ الأوروبيون يشنُّون الغارة على البلاد الإسلامية بحجة الاستعمار ، لم تفجع بلاد إسلامية ـ بعد الأندلس ـ بمثل ما فجعت بطرابلس ـ برقة ـ ؛ تلك البلاد التي منذ سطا الإيطاليون وسيوف نقمتهم لم تبرح أعناق أهلها دون رحمة ولا شفقة ، حتى الت إلى مجزرة بشرية تمثل فيه أفظع الأدوار الهمجية.

لا نريد أن نطيل البحث في مناقشة الوسائل التي تذرعت بها الدولة الإيطالية لاحتلال طرابلس ـ برقة ـ التي لا تربطها بها أية علاقة ، ونكتفي هنا بنظرة عامة في تطور القضية الطرابلسية منذ الاحتلال الإيطالي إلى يومنا هذا ، إذ إن المجال لا يسمح بسرد جميع الحوادث مفصلة.

لقد أغارت الدولة الإيطالية على القطر الطرابلسي ـ البرقاوي في ٥ تشرين الأول سنة (١٩١١ م) على حين غفلة من أهلها ، وكان مع خلوه من المعدات الحربية لم يكن به من الحماية العثمانية سوى ثلاثة الاف جندي مبعثرين في عدة مناطق ، بيد أن سكان تلك البلاد الذين كلهم كتلة عربية ـ إسلامية

واحدة قد فطروا على عزة النفس والإباء ، ولذلك قاموا في وجوه الغاصبين قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم ،

ويذودون عن حياتهم بقلوب ملؤها الإيمان بالله والاعتماد عليه.

واستمرت الحرب سنة كاملة لم تتمكن من خلالها الجنود الإيطالية من التقدم شبراً عن مرمى مدافع أسطولهم ، إلى أن اضطرت الدولة العثمانية إلى عقد صلح مع الإيطاليين ؛ منحت فيها الطرابلسيين استقلالهم الإداري وسحبت جنودها وهي مرغمة.

وعقب ذلك أخذ الإيطاليون يدعون أهالي البلاد إلى السكينة ، ويظهرون لهم حسن النية لخير تلك البلاد ، فوضعت الحرب أوزارها ، وألقى أكثر أهالي طرابلس وبرقة السلاح وعادت السيوف إلى أغمادها ، ولكن رجال الدولة الإيطالية ما كادوا يظفرون بتجريد الأهالي من السلاح حتى قلبوا لهم ظهر المجن ، وأخذوا يسومونهم سوء العذاب ، وينتقمون من كل من حرض الناس على قتالهم ، فيخلقون لهم تهماً واهية ويزجون بعضهم في أعماق السجون ، ويرمون بالبعض إلى جزر إيطالية.

فثارت ثائرة القوم من تلك الأفعال المنافية للعهود والمناقضة للوعود ، فانقضوا على إيطالية ، وكان أول وقعة دموية جرت وقعة تسمى بوقعة (القراضابية) ، وهو مكان قرب خليج سرت ، جرت تلك الوقعة في أوائل سنة (١٩١٤ م) ، أضاع فيها الإيطاليون ما ينيف على (٨٠٠٠) جندي ، وعقب ذلك ازداد حقد الإيطاليين على الأهلين ، فانهالوا على العرب بالقتل والتعذيب ، فقتلوا في يوم واحد من الأعيان ورؤساء القبائل رمياً بالرصاص ٣٠٠ نسمة في فضاء سرت ، وأخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفال والنساء والرجال.

وعلى أثر ذلك اشتعلت في بلادنا حرب سرى لهيبها في كل ناحية من النواحي ، وظلت الفتن تتقد إلى أن نشبت الحرب العالمية ، فأرسلت الحكومة العثمانية بعض القواد العسكريين منهم نوري باشا شقيق أنور باشا الشهير ، عندئذ اضطرت الجنود الإيطالية أن تنسحب من كل المواقع التي أشغلتها أثناء السلم ، وتتحصن في مدينة طرابلس ، زوارة ، الخمس ، بنغازي ، درنة ، طبرق ، إلى أن انتهت الحرب الكبرى ، فخرجت إيطالية منها وعسكرها منهوك القوى لما لاقى من الهزيمة تلو الهزيمة في ساحات أوروبة.

ورغم ذلك ساقت عدة فيالق من جيوشها إلى طرابلس ـ برقة ـ وجهزت منهم مئة ألف جندي ، زحفت بهم على خطوط المجاهدين في منطقة طرابلس.

وما كادت تدور رحى الحرب بين الفريقين حتى انهزم ذلك الجيش العرمرم شر هزيمة ، وغنم المجاهدون منهم أسلحة ومعدات حربية كثيرة.

ولما باءت الدولة الإيطالية في تلك التجربة بالفشل ، وعلمت أنها غير قادرة على إخضاع الشعب بقوة الحديد والنار ، عمدت إلى التضليل والتمويه ؛ فسنت قانوناً سمته (القانون الأساسي) ، وأعلنته في سنة (١٩١٩ م) ، ومع أنه جاء غير ضامن لحقوق الأهلين ؛ فقد قبلوا به بغية حقن الدماء وراحة الفريقين ، وانتظروا من رجال الحكومة الإيطالية تنفيذه ، ثم ما لبث أن ظهر أنهم اتخذوه غشاوة على أعين الناس ، وأخذوا يبثون بذور الفساد من وراء الحجب ، ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الأموال والسلاح والذخائر الحربية لإيقاد نار الفتن بين الأهلين ، والتفريق بين الوطن وبين الأخ وأخيه.

وكادوا يصلون إلى رغائبهم ويوقعون البعض في تلك الحبائل التي نسجتها أياديهم الأثيمة ، لولا أن عقلاء البلاد أدركوا تلك الدسائس ، وتلافوا الأمر بعقد مؤتمر عام في مدينة غريان ضم نخبة من رجالات البلد في سنة (١٩٢٠ م) ، فتبادلوا الاراء وفكروا فيما ينقذ البلاد من الفتن والفوضى.

وكان الجيش الإيطالي وقتئذٍ كما ذكرنا منحصراً في بعض المدن الساحلية ، وبعد المداولة في جلسات متوالية قرروا بالإجماع ما يلي:

((إن الحالة التي الت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحتمه الشرع الإسلامي من الأصول ، تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمة ، لا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب ، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها ، بموجب دستور تقره الأمة بوساطة نوابها ، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة.

وقد تناقش المؤتمر في ذلك على أن لا تتنافى منافع دولة إيطالية التي جاءت إلى وطننا من أجلها ، مع اللزوم القطعي لراحتنا وسلامتنا ، وبين ثقته في أن الشعب الإيطالي لا يرضى في هذا الزمن الذي تنال فيه كل الأمم أكبر أمانيها ، أن يقيم نفسه من أجل مطامع وأوهام فئة المستعمرين عقبة في سبيل النظام والأمن والعدل في

طرابلس الغرب ، ولذلك لا تزال للأمة ثقة في أن تسعف بضرورياتها وأن لا تصادم في أمنية لا ترضى ولا يستقر لها حال بغيرها.

وقد أنبنا للمطالبة بذلك وفداً من حضرات: نوري بك السعداوي ، ومحمد خالد بك القرقني ، ومحمد فرحات بك ، ومحمد الصادق بك ابن الحاج ليراجع كل مصدر يرى ضرورة مراجعته لتحقيق الغاية المذكورة في القرار المبين أعلاه ، داعين المولى جل شأنه أن يوفقهم وأن يحقق أماني أمتنا)).

(حرر في ٦ربيع الأول ١٣٣٩ هـ)

ثم انتخب المؤتمر هيئة حكومية عهد إليها إدارة شؤون البلاد الداخلية التي عمت فيها الفوضى ؛ بسبب الفتن التي خلقها رجال الحكومة الإيطالية ، وذهب الوفد المشار إليه في ذلك الحين إلى رومة ليبلغ حكومتها ما أجمع عليه الشعب من المطالب ، وأخذ يراجع المقامات الرسمية وغير الرسمية ؛ فلم يكن حظه من رجال الحكومة الإيطالية سوى الإعراض والاستخفاف بمهمته.

أما هيئة الحكومة الوطنية التي عهدت إليها إدارة شؤون البلاد ؛ فإنها أخذت في إقرار دعائم الأمن ، وتنظيم الشؤون الإدارية كالدوائر المالية والقضائية ، وتنظيم الجيش لما سيحدث من الطوارأى ، فساد الأمن ورجعت الطمأنينة بعد الخوف الذي استولى على النفوس ، وانصرف الأهلون إلى معائشهم ومصالحهم.

أما منطقة بنغازي ؛ فإن نوري باشا الذي أوفدته الحكومة العثمانية إليها خلال الحرب العالمية حمل الأهالي على التعرض على القطر المصري ، وهي خطة رسمتها وزارة الحربية العثمانية ؛ فجهز جيشاً مؤلفاً من (٥٠٠٠) مجاهد بالاتفاق مع السيد أحمد الشريف السنوسي ، وتجاوزا به الحدود المصرية ، وترك السيد أحمد الشريف وكيلاً عنه في برقة ابن عمه السيد إدريس السنوسي.

ولما دخل المجاهدون الحدود المصرية اصطدموا بالجيوش الإنكليزية وبعد حروب بين الفريقين تراجع المجاهدون بصورة غير منظمة ، وخلال ذلك عمت الفاقة منطقة برقة واشتدت المجاعة.

فرأى السيد إدريس من الحكمة أن يعقد هدنة مع الإيطاليين ، وأوقفت رحى

الحرب ، وبعد انتهاء الحرب الكبرى بايعه الشعب البرقاوي بالإمارة ، ووافقت على ذلك الحكومة الإيطالية بمقتضى معاهدة عقدت بين الفريقين.

بيد أن رجال الحكومة الإيطالية كعادتهم في كل عهد يعقد معهم أخذوا ينقضون العهود ، فاضطر الأمير السيد إدريس أن يوحِّد مساعيه مع حكومة طرابلس الوطنية ، وعقدت اتفاقية بين الفريقين

المعروفة باتفاقية (سرت) المتضمنة توحيد القطرين الشقيقين ، والتضامن على المطالبة بحقوقهما معاً ، وتنصُّ المادة الخامسة من هذا الاتفاق على توحيد الزعامة ، وتنصيب أمير واحد للقطرين.

وما كادت هذه الاتفاقية تتم حتى هاجم الإيطاليون سواحل مصراتة في منطقة طرابلس سنة (١٩٢٢ م) ، فأعلنت الحكومة الحرب في كل المناطق ، واستمرت الحرب بشدة هائلة ثلاثة أسابيع عجز الإيطاليون خلالها عن التقدم ولو كيلو متراً ، وضحت البلاد بألوف الخلق في سبيل الدفاع ، كما أن الإيطاليين خسروا أضعاف ذلك ؛ لأنهم كانوا المهاجمين ، ولما أيقنوا بالخيبة والفشل طلبوا توقيف القتال بغية التفاهم ، وانتدبوا للمذاكرة السنيور (بيلا) والسنيور (رابكس) ، وخرجا في الموعد المضروب الذي قررته الحكومة الوطنية في مكان يسمى (فندق الشريف) ، وقد كتبت الحكومة الوطنية للوالي الكتاب الاتي:

((باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة والتفريق حدثت في البلاد حالة فوضوية وقفت الحكومة الإيطالية أمامها موقف المتفرج ، فاضطرت الأمة إلى عقد مؤتمر في غريان بلغت مقرراته الصائبة إلى الحكومة ، وأرسلت وفدها للمطالبة بما أجمع عليه المؤتمر ، فلم يكن حظه إلا الإعراض والاستخفاف بمهمة ذلك الوفد مع استمرارها على خطة المراوغة والتفريق.

ولما حال الحوار على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية ، والحكومة مصرة على تلك السياسة المنفردة. وتحقق أهل القطرين (طرابلس ـ برقة) أن حياتهما محفوفة بالخطر في الحال والاستقبال ، وأن ما داهم أحد القطرين لا بد أن يحيق بالاخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية ، لا سيما أن إدارتهما إلى عهد الاحتلال واحدة ، عندئذ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والاراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الإخاء ، ويسهل سير الأمتين العربية والإيطالية في سبيل الحياة الاقتصادية مع المحافظة على حق إيطالية السياسي.

فقرر الفريقان بالإجماع في سرت اتفاقية من جملة فصولها المطالبة بتوحيد إدارة القطرين ، وهو الحل النهائي الذي لا يبقى معه ريب لهذه القضية المعضلة التي لا تريدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد إلا تحكيماً في عقد الخلاف ، فتصبح من الأمراض المزمنة ، ويعسر حلها فضلاً عما تصاب به الأمتان من الخسارة وما يفوتهما من المنافع كما لا يخفى ، أما نحن أهل القطرين فإن الأدوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا إلى صورة حل هذه المشكلة حلاً لاحظنا فيه المنافع الإيطالية سياسية كانت أو اقتصادية ، وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الأمة ، وتكون له السلطات

الإدارية جميعها مع السلطة الدينية ، ولا نظن أن الحكومة لا تستحسن هذا الحل المفيد إن تجردت عن ملاحظة الأشكال والاعتبارات ، ووجهت دقيق نظرها إلى الحقائق والجوهريات ، كنا قررنا مهادنة للتفاهم والمفاوضة ، وعلمنا خلالها أن سفركم إلى رومة بقصد التفاهم مع حكومة جلالة الملك والحصول على إذن وصلاحية واسعة تخول لكم المفاوضة معنا للوصول إلى ما يرفع الخلاف الذي لا تتحمل البلاد دوامه ، ورعاية لأحكام اتفاقية سرت المذكورة فإنا في انتظار مندوبي برقة الذين قرب وصولهم بالنظر لإشعار سمو الأمير السيد محمد إدريس ، ومتى وصلوا يتعين الزمان والمكان للمذاكرة التي لا تشك أنها ستبنى على أساس الإخلاص وحسن النية ، والأمل وطيد في أن دولتكم ستضم إلى تاريخ حياتكم السياسية فخراً اخر في حل المشكلات ، واقبلوا يا دولة الوالي عاطر التحية وفائق الاحترام)).

وبعد استمرار المذاكرة ثلاثة أشهر والإيطاليون يراوغون في أحاديثهم مراوغة الثعالب ؛ تبين أن الغاية من توقيف القتال وتلك المذاكرة الاستفادة من الوقت لإعداد العدة للحرب ، وقد تجلت فكرتهم هذه في تكليفهم الأخير ؛ وهو طلبهم تسليم السلاح الذي بيد الأهلين قبل أي حل وإلا الحرب ، عندئذ لم تر الحكومة الوطنية بدّاً من رفض هذا الطلب وخوض غمار الحرب ، واستؤنف القتال الذي لم يزل شرره يستطير من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.

إن الحكومة الإيطالية بعد أن اتخذت كل ما في وسعها من الوسائل لتفريق كلمة أبناء البلاد ولم تنجح ، ورأت ذلك الشعب متضامناً مستميتاً في سبيل الشرف والمطالبة بحقوقه ؛ عمدت إلى تنفيذ سياسة الشدة والإرهاق ؛ خصوصاً بعد استلام

الفاشيست زمام الحكم ؛ فإنهم أضافوا إلى تلك الشدة فكرة إبادة ذلك الشعب وإمحائه لتخلو لهم الديار ، ويستخلفوا فيها المستعمرين من أبناء بلدتهم الذين ضاقت بهم أرضهم ، وهكذا أخذ الفاشيست في تنفيذ سياستهم الغاشمة ، وما برحوا ينزلون بذلك الشعب العربي ضروب العذاب فلا يرحمون طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً.

فإنهم يحكمون البلاد بأحكام عسكرية ، وأعمدة المشانق منذ الاحتلال حتى يومنا هذا لم تزل منصوبة في كل بلد من ذلك القطر ؛ فإدارة البلاد تحت حكم عسكري مطلق اليد لا يسأل عما يفعل ، وله في كل لواء وقضاء وناحية حاكم إداري ، وجميع الدوائر المالية والعدلية والبلدية يديرونها بمعرفتهم ، وليس للأهلين مشاركة في شؤون بلادهم ، ولا يستخدمون منهم حتى الخدم ولا الحُجَّاب أيضاً الذين يقفون على الأبواب ، وجميع المعاملة باللغة الإيطالية ، والأغرب من هذا كله أن جباة الأموال من الفاشيست

فيطرحون الضرائب ويجبونها من المكلف ، وهو لا يدري ما عليه ، ولا يعرف بأية نسبة تجبى منه تلك الضريبة ؛ بل إنه مرغم على أدائها عن يد وهو صاغر ، وإذا سأل سائل عن أساس الضريبة يعد خائناً ويعاقب العقاب الأليم.

وبالجملة فإن السياسة المرهقة التي تتمشى عليها الحكومة الفاشيستية لم يسبق لها مثيل منذ أن عرف التاريخ ، فسفك الدماء ، وقتل النفوس البريئة ، والتجاوز على الأعراض ، والنفي والحكم بالسجن المؤبد ، وسلب الأموال ، وغصب الملاك والأراضي من أيدي أصحابها ، وقذف البشر من الطائرات ، وإلقاء بعضهم مكبلين بالأغلال في لجج البحر ، وقتل الأسرى ، وهتك حرمات الدين ، ودوس القران الكريم تحت الأقدام أمام جماهير من المسلمين ، وهدم أضرحة بعض الصحابة الكرام والأولياء ، واتخاذها إصطبلات للحيوانات ، والترنم بالأناشيد في الطعن بالدين الإسلامي ، فحدِّث عن ذلك ولا حرج ، ولا نريد أن نأتي في هذه العجالة على ذكر الفظائع التي كتب فيها تأليف خالص يغنينا عن التفصيل ؛ فإن فيه من الفظائع ما تتفطر منه الأكباد ويذيب الفؤاد.

ومنه يعلم القارأى أن سياسة الفاشيست في ذلك القطر ترمي إلى إبادة أهله ، فقد كان عدد الشعب الطرابلسي ـ البرقاوي قبل الاحتلال الإيطالي يربو على

(١٠٠٥٠٠٠) نسمة ، وقد صرح الجنرال غراسياني قائد الحركات العسكرية أنه بعد الإحصاء الدقيق تبين أن سكان (طرابلس ـ برقة) لم يتجاوز عددهم (٧٠٠) ألف ، ولا ريب من أنهم قد قضوا على ذلك الشعب المسلم بين قتل وتهجير والبقية الباقية أيضاً محكومة بالفناء ؛ لأن الضغط الشديد وشد الخناق على الأعناق لا بد أن يؤدي إلى تلك النتيجة ، وعدا ذلك فإن مرافق الحياة في تلك البلاد قد استولى عليها جميعاً ، فالمسلم لا يتمكن من الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة وبأية حرفة تؤمن معاشه ، فالتاجر لا يمكنه التوسع بالتجارة والتجول في البلاد لتوسيع نطاق عمله ، بل إنهم يحددون له المبالغ التي يمكنه أن يتاجر بها ، والأيام التي يمكنه أن يتغيبها في الأقطار المجاورة ، وصنف البضاعة ، وإذا تغيب عن الأجل المضروب له أو تاجر بأصناف غير مسموح له تسحب من يده إجازة التجارة ويعاقب ؛ زد على ذلك أنهم أطفؤوا نور العلم ، وتركوا ذلك الشعب يتخبط في دياجير الجهل ؛ فلم تكن في تلك البلاد إلا بضع مدارس ابتدائية أسست في عهد الترك ، يعلِّمون فيها الأطفال باللغة الإيطالية للوصول إلى إماتة اللغة العربية حتى لا تبقى ناحية من مقومات ذلك الشعب إلا ويقضى عليها القضاء المبرم.

ولما رأت الجاليات الطرابلسية البرقاوية التي تقطن مختلف الأقطار الإسلامية ما أحاط ببلادها من الأخطار ؛ فكرت في تأليف لجنة للدفاع عما حلّ ببلادها من الضيم الفظيع والظلم المريع ، وانتخبت هذه اللجنة ووضعت أساساً لعملها (الميثاق الوطني) ، وهذه مواده:

١ . تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس . برقة ؛ يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة.

٢ . دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد.

٣ . انتخاب الأمة مجلساً حائزاً على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور.

٤ . اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.

٥ . المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطرين في جميع أرجائه.

٦ . العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية.

٧ . العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

٨ . تحسين العلاقات بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي.

ومنذ تأسست هذه اللجنة أخذت على عاتقها القضية بشتى الوسائل الداخلية في حيز إمكانها ، فأذاعت على الملأ السياسة الهوجاء التي تتمشى عليها الدولة الإيطالية في تلك البلاد بواسطة الصحف والنشرات والرسائل ، وهي ترسل في كل موسم حج إلى مكة المكرمة عشرات الالاف من النشرات لتحيط المسلمين في جميع الأقطار علماً بما هو حادث في تلك الديار النائية ، ولم تكتفِ بذلك بل خاطبت طاغية الفاشيست ، وبيَّنت له عقم سياسة الحديد والنار التي يتعقبها في طرابلس وبرقة ، ولكن نصحها له لم يزده إلا غروراً وعتواً كبيراً ، وقد اقتنعت بعدم الفائدة من مراجعة أولئك الطغاة الذين لا يرضيهم إلا تمزيق اللحوم والولوغ في دم البشر.

لذلك يتحتم على المسلمين الاهتمام بإخوانهم في الدين والقومية في تلك البلاد النائية ، أولئك المساكين الذين تقطعت بهم الأسباب ، وأعوزتهم الوسائل وسدَّت في وجوههم السبل إلا سبيل الموت ، وفي الموت راحة البائسين ، ولطالما ملأنا الفضاء بأصواتنا ، ورفعنا شكوانا إلى العالم الإسلامي ليصرخ في وجوه وحوش الفاشيست ، عساهم يرجعون عن غيهم ويؤوبون إلى رشدهم رحمة بالإنسانية وشفقة على البشرية ، ولكن أنى للمسلمين الذين تفرقت كلمتهم ، وانحلت عرا جامعتهم أن يتضامنوا على القيام بمثل هذا الواجب ، ولما كان المؤتمر الإسلامي الموقر من ضمن واجبه التفكير في مثل هذه الشؤون الهامة

، فها إننا نبسط بين يديه قضية من أهم القضايا التي يجب العناية بها ؛ فإن ذلك الشعب المفجوع في وطنه ودينه إذا لم تشمله عناية المخلصين من إخوانه المسلمين الذين يهمهم أمر الدين ؛ سيصبح ـ لا سمح الله ـ أثراً بعد عين ، وفي ذلك ما فيه من المسؤولية الكبرى والبلاء العظيم.

فيا أيها السادة الكرام:

إن الشعب الواقف في وجوه أعدائكم منذ إحدى وعشرين سنة هو منكم ، والدين المهان في تلك الديار هو دينكم. وأولئك الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله هم شهداؤكم ، هنالك في تلك الصحارى المحرقة والفيافي المقفرة إخوان لكم

[الأحزاب: {صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} [الأحزَاب: ٢٣]

أجل ؛ إن إخوانكم في تلك الديار النائية يستصرخونكم ويناشدوكم الله أن تعملوا على معالجة شؤونهم ، ونشلهم من براثن الأعداء قبل أن يقضى عليهم فيموتوا ، وبذلك تفقدون قطراً إسلاميّاً فتحه جدودكم الكرام ، ورفعوا فيه راية الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

وقد أصيبت اليوم تلك التربة التي خضبت بدم الشهداء تخيم عليها سحابة سوداء تمطر ظلماً وجوراً على إخوانكم البؤساء ، هنالك تسمعون الصراخ والعويل والبكاء والنحيب ، هنالك الإنسانية المعذبة ، هناك تحار الأفكار وتزيغ الأبصار ، ولا منجد ، ولا مغيث ، ولا معين.

فإن في تلك البلاد طائفة من المسلمين لم يزالوا شاكين السلاح يذودون عن أوطانهم ويدافعون عن كيانهم ، وعدوهم الجائر يتربص بهم الدوائر ، فنرجو أن تفكروا فيما يخفف عنهم المصائب التي تحل قبل أن تمزقهم القوى الغاشمة ، ولا نخال أنها تعوزكم الوسائل لمد يد المساعدة لأولئك البؤساء ، وأنتم رجال الإسلام الذين يمثلون (٤٠٠) مليون مسلم في الكرة الأرضية ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه[(٣٤٠)].

رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات

الطرابلسية البرقاوية

بشير السعداوي

(٢٦ رجب سنة ١٣٥٠ هـ)

(٦ كانون الأول سنة ١٩٣١ م)

لقد تزعَّم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية السيد بشير السعداوي ، ويعتبر من الشخصيات الفريدة في التاريخ الليبي المعاصر ، فقد قام بدور فعال في حركة الجهاد التي كانت تتصدى للاستعمار الإيطالي في ليبية ، وبعد أن أخضعت إيطالية منطقة طرابلس بالكامل ، وتوقفت حركة الجهاد من الإقليم ؛ اختار بشير

السعداوي العيش في المهجر ، ولكن نشاطه الجهادي السياسي المعادي للاستعمار الإيطالي في الخارج لم يتوقف ، وظل يحرّض الليبيين على الصمود في وجه الممارسات الإيطالية الغاشمة ، وأخذ يحث الدول والشخصيات العربية والإسلامية على مساندة الشعب الليبي ، وتقديم كافة صور الدعم الممكنة له ، واستفاد من عمله كمستشار للملك عبد العزيز في التعريف بالقضية الليبية.

استمرت الجمعية الطرابلسية البرقاوية في عملها ، وفي عام (١٩٤٠ م) أعيد تشكيل الجمعية من جديد في دمشق برئاسة الدكتور كامل عيد ؛ يضم إليه نخبة من أفاضل المجاهدين ، كالسيد عبد الغني الباجقمي أميناً للسر ، وأبي بكر قدورة وغيرهما ، وبقيت الجمعية تعمل من ذلك الحين تحت إرشاد الأمير إدريس وتوجيهاته[(٣٤١)].

خامساً: إيطالية تحتل الحبشة:

كانت إيطالية تسعى حثيثاً لتحقيق طموحاتها الجنونية الهادفة إلى إنشاء إمبراطوريتها القديمة في إفريقية الشرقية ، ولذلك أغارت على الحبشة واحتلتها بالقوة ، وتمت السيطرة التامة في عام (١٩٣٦ م) ، وكان الليبيون المجندون من قبل إيطالية وقوداً لتلك المعارك المحرقة ، حاولت عصبة الأمم أن تنزل العقوبات الاقتصادية على إيطالية ولكن دون جدوى ، وأصبحت الحبشة جزءاً من إمبراطورية إيطالية ، واتخذ ملكها لقب إمبراطور أثيوبية ، وكان من نتائج ذلك الاحتلال أن تغيرت العلاقات بين بريطانية وإيطالية لمصلحة المجاهدين في ليبية.

وقامت بريطانية بالاتصال بالأمير إدريس عن طريق الكولونيل برملو (بك) ، ورتب لقاءً بين إدريس السنوسي وأدميرال الأسطول الإنكليزي الرابض بالإسكندرية ، وتحدث الأدميرال إلى الأمير السنوسي عن المستقبل الطيب الذي ينتظر بلاده ، ولكن تلك المقابلة والأحاديث لم تؤتِ ثمارها ؛ لأن بريطانية

لا ترغب في إعلان الحرب على إيطالية ، وكان رجال حكومتها شديدي الحرص على السلم في أوروبة باسم سياسة التسكين والتهدئة ، ولذلك رفعت العقوبات الاقتصادية عن إيطالية نهائيّاً في عام (١٩٣٧ م) ، وترك أمر الليبيين لأهله ، وهكذا منطق المصالح ينظر للأحداث.

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ، ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين ، وخصوصاً أقواهم الأمير إدريس السنوسي.

* * *

المبحث الثاني

الحرب العالمية الثانية

إن الحرب العالمية الثانية اية من ايات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ، ومن السنن الواضحة في حياة الأمم: أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ، ويصيبها البطر والكبرياء ؛ يهيأى الله لها أسباب الانهيار والزوال ، قال تعالى: [الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ *وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ *وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ *الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ *فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ *فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ *إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ *} [الفَجر: ٦-١٤] . ١٤].
وقال تعالى: [الإسراء: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا *} [الإسرَاء: ١٦]
أي: أمرناهم بالأمر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي ؛ فعصوا وفسقوا ، فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم ، وفي قراءة: {أَمَّرنَا} [آل عِمرَان: ١٤٧][(٣٤٢)] بالتشديد ، أي:

جعلناهم أمراء ، والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من أسبابه ، إلا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله ، وليس كل ثراء ترفاً[(٣٤٣)].

إن هلاك الأمم يكون كذلك بفشو الظلم وعدم إقامة العدل ، فلقد أمر سبحانه وتعالى بالعدل وحرّم الظلم على نفسه ، وجعله بين العباد محرّماً ، كما في الحديث

القدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرَّماً فلا تظالموا))[(٣٤٤)].

لقد اختلَّت الموازين وانعدمت القيم ، وتحكم الجبابرة الطغاة في المسلمين المستضعفين ، ووزع المجتمع بين سادة (الإيطاليين) وعبيد (الليبيين) ، وأرادت حكمة الله ومشيئته أن يخلص الشعب المظلوم من القوى الباغية ، فجاءت الأسباب التي قادت الأمم المتجبرة إلى الحرب العالمية الثانية.

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر (١٩٣٩ م) بالهجوم الألماني النازي على بولندة ، وحرصت إيطالية في بداية الأمر على عدم الدخول فيها ، حتى إذا رأت فرنسة تسقط أمام الجيوش الألمانية ؛ أعلنت الحرب على إنكترة وفرنسة في ١٠ يونيه (١٩٤٠ م) ، فمهَّدت بذلك العمل إلى زوال إمبراطوريتها الإفريقية وانهيار دولتها الفاشيستية في النهاية ، وكان دخول إيطالية الحرب إلى جانب ألمانية فرصة ثمينة بالنسبة لليبيين في المهجر وفي أوطانهم ينتظرونها للتحرر والخلاص ، واسترداد حقوقهم التي اغتصبها العدو في أعوام طويلة ، فما إن دخلت إيطالية الحرب حتى شرع الليبيون في العمل ، واتصل فريق منهم بالمفوضية الفرنسية بالقاهرة وغادروا مصر فعلاً إلى الجزائر ؛ حيث اتصلوا بالجنرال (نوجس) واتفقوا معه على أن يجهزوا حملة من الليبيين الموجودين في الجزائر وتونس للعمل ضد إيطالية في ليبية ، إلا أن هذا المشروع لم ينفذ بسبب استسلام فرنسة للزحف الألماني.

وكان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة ، فشرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف ، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها ، وعقد الزعماء الليبيون اجتماعاً تاريخياً في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية لبحث المستجدات واتخاذ قرار نهائي ، وكان تاريخ ذلك الاجتماع (٦ رمضان ١٣٥٨ هـ ، ٢٠ أكتوبر ١٩٣٩ م) اجتمع فيه حوالي أربعين شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين بمصر في منزل الأمير إدريس في جهة فكتوريا برمل الإسكندرية ، وظلوا يبحثون ثلاثة أيام بتمامها ، وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن

يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أوالحكومة الإنكليزية بشأن تكوين جيش سنوسي ؛ مهمته الاشتراك في افتتاح الأقطار الليبية واسترجاع أرض الوطن عند دخول إيطالية الحرب إلى جانب ألمانية ، ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم (٩ رمضان ١٣٥٨ هـ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٣٩ م) جاء فيها:

((بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، قد اجتمع زعماء ومشايخ الجالية الطرابلسية البرقاوية المهاجرون بالديار المصرية في اليوم السادس من شهر رمضان المعظم (١٣٥٨ هـ) بالإسكندرية ، وتشاوروا في حالتهم الاستقبالية ، وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم في كل الأمور ، ويعرب عن ارائهم ، وبذلك وضعوا ثقتهم في سمو السيد محمد إدريس السنوسي الذي يمثلهم تمثيلاً حقيقيّاً ؛ لما له من المكانة الرفيعة في نفوسهم ؛ حيث يرونه قدوة يُقتدى بها. وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيئة منتخبة شورية مربوطة به ومربوط بها لتكون الأداة المبلغة والمعربة عن منتخبيها ، وهي التي تمثل جميعهم تمثيلاً صحيحاً ، وأن يعين وكيلاً لها يقوم مقامه في حالة الغياب ، ويكون من أفراد الهيئة في حالة حضوره ، وللهيئة الحق في تثبيت هذا الوكيل أو رفضه بأغلبية الأصوات ، وعليه حرر التوقيع رؤساء القبائل الطرابلسية البرقاوية ، والمولى سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه))[(٣٤٥)].

وكان عدد الذين وقعوا على هذا التفويض من ترهونة ، ومصراتة ، وبنغازي ، وورفلة ، وغريان، والقصور ، والمنفة ، والعواقير ، والبراعصة ، والعبيد ، والمغاربة ، والحاسة ، وغير ذلك من القبائل الطرابلسية البرقاوية واحداً وخمسين شيخاً منهم من المجاهدين القدماء: عبد السلام الكزة عن قبيلة العواقير ، وصالح الأطيوش رئيس قبيلة المغاربة ، وعبد الحميد العبار ، وعون محمد سوف ، وأحمد شتيوي ، وعبد الحميد أبو مطاري ، ومحمد توفيق الغرياني ، وإبراهيم أحمد الشريف وغيرهم[(٣٤٦)].

وبادرت (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي) بعقد اجتماع في دمشق في يوم (٢٩ شوال ١٣٥٨ هـ) ، واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء

المجاهدين في مصر بتاريخ (٩ رمضان ١٣٥٨ هـ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٣٩ م) ووافقت عليه ، وقالت في بيان لها:

((إن جميع الزعماء ورؤساء القبائل وكبار المجاهدين بدون استثناء اتفقت كلمتهم وتعاهدوا جميعاً على أن يدينوا بالولاء والطاعة والإخلاص لسمو الأمير إدريس المهدي السنوسي ، وأنهم عقدوا عليه الامال في حالهم ومستقبلهم ، ليمثل أمام الحكومات والسلطات والهيئات أماني القطر الطرابلسي البرقاوي تمثيلاً حقيقيّاً صحيحاً ، ويتكلم باسم الجميع ، على أن تكون هيئة منتخبة منهم ، وله نائب يقوم

مقامه عند مسيس الحاجة ، وتليت التوقيعات فتبين أنها هي توقيعات من بأيديهم الحل والعقد في القطر الطرابلسي البرقاوي من الأحرار الذين عاهدوا الله على الدفاع عن الوطن وحقوق الأمة ، فكان ما جاء فيه من الغاية السامية أبلغ الأثر في نفوس الجميع ؛ لأنه حقق رغباته الصادقة في توحيد الكلمة ، وبرهن على ثبات هذه الأمة في المطالبة بحقوقها وولائها بالإمارة أولاً واخراً ، وهو محط امال الجميع في الحاضر والمستقبل لإخلاصه للوطن ودفاعه المجيد عنه ، ولا يوجد من يشذ عن ارائه الصائبة ولا من يخالفه في التضحية بالنفس والنفيس في سبيل سعادة الوطن والأمة وإعلاء كلمة الله ، قرر الجميع تأييد قرار إخوانهم الطرابلسيين البرقاويين في القطر المصري بدون قيد ولاشرط ، وكلفت الهيئة تنظيم هذا القرار الإجماعي للإعراب لسمو الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي في الثقة التامة به ، والولاء الكامل له ما دام متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، متخذاً التأهبات اللازمة للقيام بعمل جدي حين تدعو الظروف إليه ، هذه تواقيعنا تشهد أمام الله والوطن بعهدنا هذا ، ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه ، والله ولي الجميع))[(٣٤٧)].

وشرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز ، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي ، وإعادة الاستقلال للبلاد ، ودعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين بمصر ، أو أولئك الذين كانوا في خارجه ، وذلك

للاجتماع في مكان بالقاهرة في يوم الخميس ٨ أغسطس سنة (١٩٤٠ م) ؛ من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة.

وانعقد الاجتماع قبل الموعد المعين بيوم واحد في أحد أحياء القاهرة ، واستمر البحث طيلة يومي ٧ ، ٨ أغسطس ، وفي يوم ٩ أغسطس سنة (١٩٤٠ م) وصلت الجمعية الوطنية الليبية إلى القرارت التالية:

١ . وضع الثقة في بريطانية العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص الوطن الطرابلسي البرقاوي من براثن الاستعمار الإيطالي الغاشم.

٢ . إعلان الإمارة السنوسية والثقة التامة بالأمير السيد محمد إدريس السنوسي المهدي المبايع له بالإمارة على القطرين.

٣ . تعيين هيئة تمثل القطرين: طرابلس وبرقة ، تكون مجلس شورى للأمير المشار إليه.

٤ . خوض غمار الحرب ضد إيطالية بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية.

٥ . تعيين حكومة سنوسية تدير الشؤون اللازمة في الوقت الحاضر مؤقتاً.

٦ . تعيين هيئة للتجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية.

٧ . التوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير المشار إليه بطلب المخصصات اللازمة للتجنيد وإدارة الحكومة ، وتعيين ميزانية خاصة ونظام مؤقت مستمد من الميثاق الوطني حسب عوائد وتقاليد العرب.

٨ . تفويض سمو الأمير بمراجعة الدولة البريطانية لعقد الاتفاقيات ، والمعاهدات السياسية ، والمالية ، والحربية التي توفي هذه الغاية ، وتضمن للوطن حريته واستقلاله[(٣٤٨)].

وفي يوم ٩ أغسطس حضر الجنرال ويلسن إلى مكان الاجتماع ، فاستقبله سمو الأمير ، وألقى الجنرال كلمة على الحاضرين قال فيها: ((إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو تحرير لوطنكم ، واسترداد أملاككم

وحريتكم واستقلالكم)) ثم أضاف أنه على استعداد لتزويد الجيش بكل ما يلزمه من أسلحة وعتاد[(٣٤٩)].

وقد تحدث الأمير إدريس السنوسي بنفسه عن تلك الأحداث فقال: ((عندما أعلنت إيطالية الحرب على بريطانية بتاريخ (١٠ يونيه ١٩٤٠ م) ، اتصل بي في مقر إقامتي بمنطقة الحمام الجنرال ويلسون ، امر القوات البريطانية في مصر تحت قيادة الجنرال ويفل ، وطلب مني المساعدة في المجهود الحربي ضد الإيطاليين ، فدعوت الزعماء الليبيين إلى عقد اجتماع بالقاهرة خلال شهر أغسطس ، لمناقشة الإجراء الذي ينبغي لنا اتخاذه لتحديد موقفنا من الحرب ، ولم يبدِ البرقاويون أي اعتراض على انتهاز الفرصة لاستئناف الجهاد ضد الطليان ، باعتبار أنه لا يمكن أن يعود علينا إلا بالكسب ، فنحن لن نخسر أكثر مما خسرنا على أي حال.

ولكن موقف الطرابلسيين كان أكثر حرجاً بسبب الخوف من أن تنتهي الحرب بانتصار دول المحور ، فيأخذ عليهم الطليان أنهم حاربوا في صفوف الأعداء ، وكنت شخصيّاً على يقين كامل من أن النصر النهائي سوف يكون من نصيب الحلفاء لإيماني بحتمية انتصار الحرية على الطغيان ، عملت جهدي لإقناع الحاضرين بأن يضعوا ثقتهم في قدرة بريطانية بحيث نوحِّد كلمتنا في مساندتها في الحرب.

وجاء قرار الأغلبية (باستثناء بعض الطرابلسيين) معبراً عن الثقة في الحكومة البريطانية ، والاعتراف بي مفوضاً عن الليبيين في علاقتهم مع بريطانية ، والاتفاق على إنشاء جيش ليبي يسمى (القوة العربية

الليبية) للقتال إلى جانب القوات البريطانية ضد الإيطاليين ، فأصدرت تعليمات فورية بالبدء في تجنيد جيش من الليبيين المقيمين بمصر ، وَعُين قائداً للجيش ضابط بريطاني برتبة كولونيل (أي عقيد) يدعى بروميلو ، سبق له العمل في خدمة القوات العراقية ، بينما أقيم مركز القيادة بفندق سميرأميس في القاهرة ، بينما أقيم ضابط الاتصال الكولونيل اندرسون من خيرة المتخصصين في الدراسات العربية ، وقد أمضى فترة من الوقت ، فخبرته بالشؤون المحلية ساعدت كثيراً في تسهيل إنشاء الجيش.

وكان مكتبي في شارع بركات ، ومحل سكني شقة بالدور الأرضي في مبنى من

طابقين بشارع حشمت باشا في حي الزمالك... والقوة العربية الليبية تكونت في معظمها من البرقاويين اللاجئين بمصر ، ومن ضمنهم بعض المجاهدين الذين فروا بعد اشتراكهم في مقاومة الإيطاليين ، ولم يلبث الجيش أن وصل إلى قوة قوامها أربع كتائب قتالية ، وكتيبة أركان ، وكان مستودع السلاح والذخيرة ومعسكر التدريب يقع عند الكيلو (٩) بجوار الأهرام ، استغرقني العمل في الإشراف على تجنيد المتطوعين ومعالجة المشاكل العديدة المتعلقة برفع مستوى القدرة القتالية للجيش الذي كان على أحرّ من الجمر لخوض المعركة ، وبعد أول هزيمة لحقت بجيش غراسياني قرب سيدي براني في ديسمبر (١٩٤٠ م) وقع في الأسر الاف الليبيين المجندين بالجيش الإيطالي ، ونقلوا معسكرات أسرى الحرب في منطقة قناة السويس ، فأخذت أتردد على تلك المعسكرات لمحاولة إقناعهم بالانضمام إلى القوة العربية الليبية ، وامتنع أغلب الطرابلسيين خوفاً من تعريض عائلاتهم لانتقام الطليان من جهة ؛ ولأنهم من جهة أخرى كانوا سعداء بمجرد الخروج من خضم الحرب ، وفي الوقت نفسه كانت وحدات الجيش الليبي الناشأى ترسل إلى خطوط القتال أولاً بأول حالما ينتهي تدريبها ، ومنها كتيبتان شاركتا في معركة الدفاع عن طبرق عام (١٩٤١ م)[(٣٥٠)].

ووجه الأمير إدريس نداء نقلته أمواج الأثير إلى شعبه في ليبية ، بيَّن لهم فيه تحالفه مع بريطانية ضد إيطالية ، وحثهم على الجهد والعمل للتخلص من الاستعمار الإيطالي البغيض[(٣٥١)].

أولاً: الليبيون في الحرب:

قدم الليبيون بقيادة السيد إدريس كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور ، وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء ، وكذلك الأهالي المدنيون فقد كانوا يقدمون للجيش البريطاني مساعدات جريئة بعد أن أصبحت بلادهم كلها ميدان قتال هائل مزروع بالألغام ، وكانت قبائل برقة

تؤوي الجنود البريطانيين الفارين من الأسر ، وقامت بتوصيلهم إلى مواقع وحداتهم التي ضلوا طريق العودة إليها في بعض الأوقات ، وكان هذا الموقف عظيم الأهمية والفائدة

للوحدات البريطانية العاملة خلف خطوط الأعداء ، مثل مفرزة العمليات الصحراوية البعيدة المدى التي كانت تغير على المواقع الأمامية للإيطاليين في الصحراء الليبية ، ومثل قوة بنياكوف لحرب العصابات التي اشتهرت باسم (جيش بوسكي الخصوصي).

وقداعترف البريطانيون رسميّاً بأهمية المساعدات التي قدمها السنوسيون أثناء الحرب ، وذلك حين نوَّه بها وزير الخارجية إيدن في تصريح أدلى به أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ ٨ نيابر (١٩٤٢م)[(٣٥٢)] ، وفيما يلي نصه:

((اتصل السيد إدريس السنوسي بالسلطات البريطانية في مصر قبل مضي شهر واحد على سقوط فرنسة ، بينما كان موقفنا في إفريقية متأزماً للغاية ، وبعدئذ تم إنشاء قوة سنوسية من بين أنصاره الذين فروا من الاضطهاد الإيطالي في فترات مختلفة خلال العشرين سنة الماضية ، وهذه أدت عدة مهام جديرة بالاعتبار أثناء المعارك الظافرة التي دارت بالصحراء الغربية شتاء عام (١٩٤٠ ـ ١٩٤١ م) ، كما أنها تقوم بدور فعال في سياق الحملة الجارية حالياً ، وأودّ أن انتهز هذه الفرصة للتعبير عن مشاعر التقدير الحار التي تحملها حكومة صاحب الجلالة للمساهمة التي قدمها ويقدمها السيد إدريس السنوسي وأنصاره دعماً للمجهود الحربي البريطاني ، ونحن نرحب باشتراكهم مع قوات صاحب الجلالة في مهمة دحر العدو المشترك ، وأن حكومة صاحب الجلالة المصممة على ألا يعود السنوسيون في برقة بأي حال من الأحوال للوقوع تحت السيطرة الإيطالية مرة أخرى لدى انتهاء الحرب))[(٣٥٣)].

ثانياً: وصف اثار الحرب على برقة:

كان غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية ، وضربت المدن والموانأى والقرى والمطارات والطرق والتركيبات التي أقامها الطليان ، وتحطم أمل إيطالية في استعمار ليبية ، وخلال احتلال بريطانية برقة سنة (١٩٤٠ م ـ ١٩٤١ م) واندحار الطليان أتيحت فرصة الليبيين للجهاد ضد الإيطاليين ومستعمراتهم ، فلم يقصروا في ذلك ، وبهجوم روميل الألماني المشهور ربيع عام (١٩٤١ م) أجبر البريطانيين على التقهقر إلى مصر ، وبحلول شتاء (١٩٤١ م ـ ١٩٤٢ م) عندما طردت جيوش المحور مرة أخرى من برقة كانت الديار الليبية تحت الدمار والخراب.

وقد كتب الصحفي البريطاني مورهيد عن ذلك ، فقال: المدينة الجميلة (درنة) قد أحرقت ونهبت ، وخربت المزارع الإيطالية ، وأما بنغازي في شتاء (١٩٤١ م) (فلم تعد مدينة البتة) ؛ فقد حطمتها المتفجرات الثقيلة وتركتها خالية خربة ومحزنة باردة. وأغلقت المتاجر والأسواق ، وتتابع الخراب بعد الخراب واستمر سلاح الطيران البريطاني مدة عام كامل يقصف المدينة ليل نهار ؛ حتى أصبحت أثراً بعد عين[(٣٥٤)] ، ومرة أخرى أجبر البريطانيون على التخلي عن برقة ، ولم يعودوا لاحتلالها إلا في خريف (١٩٤٢ م) للمرة الثالثة والأخيرة ، وأقلع الاستعماريون الإيطاليون الذين كانوا قبل سنوات أربع قد حاولوا أن يدمغوها بطابع الاستقرار ، ولكنهم فرّوا إلى إيطالية هاربين ، أما بقية المدنيين منهم فقد رجعوا لبلدهم ، أو هربوا إلى طرابلس برّاً أو بحراً أو جوّاً.

تسليم طرابلس:

وفي يناير (١٩٤٣ م) كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس: جيش مونتجمري الثامن ، وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي ، ويصف حاكم طرابلس الإيطالي الذي سلم المدينة للحلفاء تلك اللحظات الرهيبة بالنسبة له: ((كانت تلك المقابلة أول مقابلة مع القوات البريطانية ، وكنا نتصور أنها ستكون لحظة مهيبة أو عنيفة ، وكنا نتوقع عدوان المعتدي ، ونعد أنفسنا لما يجري ، وأصبح الحاكم واحداً من الفاشيست الكثيرين الذين ذهلوا في ذلك الصباح ، لقد ذهبوا كلهم ؛ . القادة الذين أقسموا اليمين على الدفاع عن المدينة حتى اخر حجر . كلهم هربوا ، وأقلعت اخر سفينة إسعاف من زوارة ، لا تحمل الجرحى ، ولكن تحمل الضفائر الذهبية والصدور المحلاة بالحرير والأوسمة)).

ويضيف حاكم طرابلس الإيطالي في مرارة: ((إن المدنيين الذين لا يحملون الأوسمة هم الذين بقوا هناك)). وفي صباح ٢٣ يناير تسلّم (مونتجمري) عند باب

ابن غشير المدينة بصفة رسمية بحضور الحاكم ونائبه ورئيس البلدية ، واحتلت بقية البلاد ، وانتزعت من الهيمنة الإيطالية ؛ بينما الطبل الأجوف موسوليني يحث شعبه على تحمّل خسارة طرابلس (بشجاعة ورجولة رومانية) ، وحينها كان وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط يعلن بأن قادة الفاشيست بليبية سيعتقلون ، وأن المنظمات الاجتماعية والنوادي الإيطالية ستغلق ، وأن المدارس الفاشستية ستنتهي.

ثالثاً: أثر الليبيين في القتال:

لعب الجيش الليبي دوراً نشيطاً في حملات (١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ م) ، وساعد المدنيون الليبيون جيوش الحلفاء المقطوعة خلف خطوط المحور ، وترك المجندون الجيش الإيطالي كلما واتتهم الفرصة ، والتحقوا بالبريطانيين ، وقد انتقد بعض القادة من الليبيين سياسة إدريس في تأييد بريطانية قبل أن يحصل على ضمانات أكيدة باستقلال ليبية ، وزاد ضغطهم لدرجة أن بعض القادة اضطر أن يهدد بالانسحاب من التعاون مع بريطانية ، وكان كل ما وعد به البريطانيون علانية هو أن أعلن إيدان وزير الخارجية في مجلس العموم في ٨ يناير (١٩٤٢ م) ((بأن حكومة صاحب الجلالة مصممة في نهاية الحرب على أن لا يرجع السنوسيون في برقة بأي حال تحت السيطرة الإيطالية)).

وإعلان (إيدان) المذكور لم يعد حتى باستقلال برقة ، فضلاً عن عدم ذكره لمنطقة طرابلس ، والواقع يمكن أن يفهم منه الإنذار المسبق بنية السيطرة البريطانية وقوة أخرى ، ومع ذلك وبعد الرفض البريطاني لحق إدريس في المطالبة باستقلال ليبية في فبراير (١٩٤٢ م) قنع إدريس بالوعود الشفوية التي أعطيت له[(٣٥٥)] ، ومعلوم أن الضعيف لا يستطيع أن يملي شروطه في عالم السياسة والهيمنة على الشعوب ، ولكن الضعيف إن دخل في هذه اللعبة عليه أن يسمع ويطيع وينفذ ويرضى بالفتات على الموائد.

لقد اعترفت بريطانية بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب العالمية الثانية ضد المحور ، وتحدثت الصحافة في تلك الفترة عن دور الليبيين في تلك الحرب ، فبعنوان (صفحة جديدة في تاريخ ليبية) للمستر هـ. فوت H.M.FOOT ،

مساعد المعتمد البريطاني في عمان ، ونائب الحاكم العسكري البريطاني في برقة سابقاً مجلة المنتداء الفلسطينية ، العدد السابع (أكتوبر سنة ١٩٤٣ م) قال:

قليل من الناس يذكر حملة الصحراء الغربية المصرية في الحرب الماضية أيام كنا نحارب عدواً غير جيش ألمانية الإفريقي ، وغير الجيوش الإيطالية ، نعني بهذا العدو جماعة صغيرة من الأعراب كانت تركب الإبل ، وليس لديها من السلاح إلا النزر اليسير ، ولكنها مع ذلك شغلت جزءاً هامّاً من القوى البريطانية طول الحرب الماضية تقريباً ، ولم يكن بين هؤلاء الليبيين وبين بريطانية العظمى خلاف ، ولكنهم عقدوا النية على طرد الإيطاليين من بلادهم فتصدوا لمنازلة قوى الحلفاء الجبارة.

إن المقاومة التي أبداها هؤلاء العرب القلائل ضد الفرق الإيطالية تلك المقاومة الطويلة الباسلة ، لهي قصة رائعة من قصص البطولة ، فقد أمضوا في كفاحهم ثلاثين عاماً بين تلال برقة وصحاريها ، وفي أثناء ذلك علق زعماؤهم على أعواد المشانق وصودرت أملاكهم وقتلت مواشيهم.

أما الأهالي أنفسهم فإنهم سيقوا مع أطفالهم إلى معتقلات كبيرة في صحراء العقيلة ، ومع كل ذلك لم يدب اليأس في قلوبهم ، وإنه ليتسنى للذين خالطوا هؤلاء العرب منا واستمعوا في مضاربهم إلى حديث الثورة التي أشعلوا نيرانها ضد الطليان أن يتفهموا قوة كفاحهم وما ينطوي عليه من مجد وفخار ، فكثير من رجالهم ما زالوا يحملون اثار جراح بليغة ، ويندر أن تجد عائلة منهم لم تصب في فرد من أفرادها على يد الإيطاليين.

إن تلك الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة واستحقاق قد تبدَّت مرة أخرى في الحملات الأخيرة ، فنحن لا نزال نجهل قسطاً كبيراً من المساعدة التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء ، كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد ناطقة على الكرم العربي وحب العرب للمجازفة.

يقول هؤلاء الضباط: إن كل خيمة عربية كانت بمثابة ملجأ ، وإن كل عربي كان بمثابة دليل ، ومن طريف ما يروى أن أحد المدفعيين البريطانيين أصيب بجرح ، فاواه عربي إلى أحد الكهوف وسهر على راحته ستة أشهر ، فلما تماثل للشفاء حمله فوق جمله مسافة ٤٠٠ ميل وأوصله إلى العلمين ، قام العربي بكل ذلك ، وسلم

الجندي الجريح إلى إحدى الوحدات دون أن يعلن عن اسمه أو يطلب مكافأة ، وليس هذا الحادث هو الوحيد من نوعه ، فإنه ما كان ليتسنى لمئات من جنودنا أن يعودوا إلى وحداتهم دون مساعدة العرب ، تلك المساعدة التي كانوا يقومون بها عن طيب خاطر ، والتي كانت تعرض حياتهم لخطر الموت ، ولم يتطرق الوهن إلى قلوب العرب حين كنا نتراجع تراجعاً كليّاً ، وحين ظن الناس أن الدائرة قد دارت علينا ، بل كانوا أبداً على استعداد لتقديم المساعدة.

وقد جرى أثناء احتفال عظيم في درنة أقامه الطليان على أثر استيلاء المحور على طبرق أن كان بين النظارة ضابط بريطاني متخفٍّ ، فلم يفكر واحد من الأهلين أن يكشف أمره ويفضحه.

ومن الطبيعي أن تتضاءل قوة العرب بعد كفاح دام ثلاثين سنة ، فقد انتهت ثورتهم بسقوط كفرة عام (١٩٢٩ م) ، وكان النتيجة أن انتشر الليبيون المنفيون في أنحاء الشرق الأدنى ، أما الذين بقوا منهم في برقة فقد أرغموا على قبول حكم الموظفين الطليان والقانون الإيطالي أيضاً ، وشر من هذا أن اللغة الإيطالية حلت محل اللغة العربية في المدارس ، وأخذ الجيل الناشأى ينسى العربية.

ولقد كنت أخشى أن نجد فيهم شعباً متخاذلاً جباناً ، ولكن الأمر كان لحسن الحظ عكس ذلك ، فالشيوخ والزعماء مستقيمون في معاملاتهم ، عادلون في أحكامهم ، يتصفون بالشجاعة والصراحة ، نعم إن وقت التخلص من الاضطهاد قد جاء ، وكان مجيئه في الوقت المناسب . قبيل فوات الأوان . لو تأخر الخلاص نصف جيل لتمت عملية تحويل الشباب العربي إلى خدم أذلاء لإيطالية.

ولو سئلت عن أهم ما يستلفت النظر في برقة لقلت إنه النشاط العجيب والعزيمة الماضية التي يتحلَّى بها قوم يجمعهم دين واحد ، وتجمعهم شجاعة يمتاز بها كل واحد منهم ، ومقاومة مستمرة للاضطهاد ، فقد مضى عليهم ثلاثون عاماً وهم يقاسون الأهوال ، وترك ذلك في نفوسهم أثراً سيئاً ؛ فهم لا يتحلون باللطف الزائد والدماثة التي يتحلَّى بها العرب في سائر الأقطار ، وتنقصهم خبرة الاخرين ومعارفهم ، أما التقاليد العربية القديمة وأعني بها الكرم والشجاعة ، فلا ينازعهم فيها منازع[(٣٥٦)].

وأما الأستاذ (ف. بنيكوف) فقد ألقى محاضرة أذيعت في محطة لندن اللاسلكية في ٣١ مايو سنة (١٩٤٧م) ، بعنوان (عرب ليبية الكرام) جاء فيها:

«اشتركت في القتال أثناء الحرب الماضية بين بلدان مختلفة مدة خمس سنوات متوالية ، وما زلت أستعيد ذكراها جميعاً بالغبطة والسرور ، لا لشيء سوى لأني رجل حرب وقتال ونزال ، ولكن المدة التي أحمل لها أطيب الذكريات هي تلك التي قضيتها في برقة بين الاحتلال البريطاني الثاني للجبل الأخضر وتحرير البلاد نهائيّاً بعد معركة العلمين ، ومن أسباب ذلك أنني وإن كنت إنكليزيّاً ورُبّيتُ في إنكلترة على الطريقة الإنكليزية إلا أني أجد الحياة مع العرب في الجبل الأخضر أخف ظلاً وأسعد حالاً من الحياة في إحدى المدن الغربية الكبيرة ، وهناك سبب اخر: هو أني وثقت عرا الصداقة مع بعض رجال القبائل العربية هناك ، وهم رجال يمتازون بذكاء ووقار وشجاعة عظيمة وخلال سامية وأخلاق فاضلة ، ولا تقل منزلتهم في نفسي عن منزلة أي شخص اخر من بني وطني وجلدتي.

ولعلي أحمل للجبل الأخضر هذه الذكريات الطيبة لسبب ثالث وهو أن العرب هناك علموني طرقاً جديدة في فنون الحرب والقتال ، علمتُها بدوري فيما بعد لزملائي الجنود ، ومارسناها على نطاق واسع في إيطالية وغيرها بنجاح وتوفيق.

زرت الجبل الأخضر لأول مرة عندما احتللنا مدينة درنة في سنة (١٩٤١ م) ، وهناك وثقت عرا الصداقة والمودة مع كثيرين من العرب ، أخصُّ بالذكر منهم الشيخ عبد القادر بوبريدان ، والشيخ علي بو حامد ، وكلاهما من قبيلة العبيدات ، وبعد بضعة شهور منيت الجيوش البريطانية بنكسات متوالية ،

واحتل العدو برقة مرة أخرى حتى بلدة غزالة غربي طبرق ، وكانت هيئة القيادة البريطانية العليا في القاهرة في حاجة ماسة إلى معلومات عن حركات العدو ، فأرسلتُ بناء على طلبي لجمع تلك المعلومات بمساعدة العرب في منطقة تمتد من بني غازي إلى غزالة ، ومن المهام الأخرى التي كلفت بها أن أنسف مستودعات العدو وطائراته.

أنزلتني إحدى الدوريات مع جماعتي في إحدى الأمسيات بالقرب من (بلدة الزلخ) ، ومن هناك امتطيت صهوة الخيول والجمال إلى المكان الذي نقصده ، وكان بين أفراد جماعتي عربيان: أحدهما الملازم سعد علي رحومة ؛ وهو من الجيش السنوسي التابع للشيخ السيد إدريس السنوسي ، والاخر جندي عادي ، وزرت في المرحلة الأولى معظم قبائل العبيدات الغربية وبعض قبائل البراعصة والدرسة ، وقوبلنا في كل مكان بالترحيب الودي وكرم الضيافة ، رغم أن البلاد بأسرها كانت في قبضة العدو ، ورغم ما يتعرض له العرب من أخطار محققة ، إذا علم أنهم كانوا يأوون ضابطاً بريطانيّاً ، وامل أن يكون كل من السيد عبد القادر بوبريدان والسيد علي بو حامد ما زالا على قيد الحياة إلى الان ، وأن يذكرا مجلساً عقدناه في ذلك الوقت مع مشايخ قبيلة العبيدات الاخرين في مكان لا يبعد كثيراً على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية ، بل ويمكنني أن أقول الان: إن الحرب في الصحراء ربما اتخذت شكلاً اخر بدون تلك المعلومات ، ويرجع معظم الفضل في ذلك إلى إخلاص العرب الذين يرقبون بعين لا يغمض لها جفن طريق مرتوبة ، وأولئك الذين أخذوا يتنقلون من بني غازي إلى المرج إلى القبة إلى درنة إلى المخيلي العزيات للحصول على المعلومات عن حركات العدو وخططه الحربية.

وكان جمع المعلومات جزءاً يسيراً من واجباتنا ، فمن عملياتنا الهجومية الموفقة العديدة غزوة قمنا بها في شهر يوليو سنة (١٩٤٢م) بمساعدة العرب الذين وضعوا خطتها بدقة ومهارة ؛ لنسف مستودع كبير للبترول خارج بلدة العقبة مباشرة ، وكانت تدور في تلك الوقت معركة هامة في عين غزالة ، وكان لخسارة العدو تلك الكمية الهائلة من البترول في هذا الوقت الحرج أكبر الأثر في عرقلة عملياته الحربية.

وأصبنا بعد ذلك بنكبات متوالية ، وفقدنا (طبرق) ولو لم تكن للعرب قلوب قدت من الصلب جرأة وشجاعة لاعتقدوا أننا فقدنا كل شيء ولحاولوا الفرار بأنفسهم ، ولكنَّ أصدقاءنا العرب وقفوا إلى جانبنا قلباً وقالباً ، ولم يخن من سكان الجبل الأخضر بأسره سوى شخص واحد يجدر بي أن لا أذكر اسمه لينطوي في زوايا العار والنسيان ، وقد ذهب إلى الجنرال بياتي القائد الإيطالي وأطلعه على أمرنا وأمر محطتنا اللاسلكية ، ولكن خيانته لم تُجْدِهِ فتيلاً ؛ لأن القبائل ناصرتنا ، وطافت

بدوريات الجنرال الإيطالي في كل مكان إلا المكان الذي كنا فيه ، فجعلت منهم أضحوكة الصحراء بأسرها.

ولقد غرَّرْنا بالعدو مرات عديدة لا يتسع بي المقام لذكرها الان ، ولكن أريد أن أتحدث عن مغامرة لنا قُدِّر لها النجاح والتوفيق بمساعدة إخواننا العرب ، وقد ذهبت في إحدى ليالي الصيف إلى درنة عقب سقوط طبرق ، وهناك رسمنا أنا والشيخ علي البرعصي خطة لتهريب عدد كبير من الأسرى البريطانيين الموجودين في قبضة الطليان ، وكان بعضهم في المستشفى وبعضهم الاخر في المعسكر خارج المدينة التي كانت تعج بالجنود الألمان والطليان ، وأنها كانت تضم بعض العناصر المعادية لبريطانية في ذلك الوقت ، وكنت أثناء تلك الغارة أرتدي ملابس عسكرية كضابط محارب ، فلم يكن عقابي إذا وقعت في يد العدو يتجاوز الاعتقال حتى نهاية الحرب ، ولكن إذا قُدِّر سوء الطالع لأحد زملائي العرب أن يقع في قبضة العدو لكان جزاؤه الموت على حبل المشنقة.

إن أنسَ لن أنسى مأدبة العشاء التي أقامها لي السيد علي قبل رحيلي ؛ حيث كنا على أحسن ما يكون من البهجة والسرور ، فيمكنني إذاً أن أخفي ما أشعر به من سعادة لذكريات الجبل الأخضر ، وأنا أعلم أن الأخطار والمشاق والأهوال لم توهن من عزائم رجاله قيد شعرة ، بل أطلقت ألسنتهم بالفرح والفكاهات.

ولم أكن الشخص الوحيد الذي نَعِم في ظل العناية العربية الكريمة بالراحة والأمن والطمأنينة ، فإن مئات من الطيارين والأسرى الفارين وغيرهم ممن ضلوا عن وحداتهم كانوا موضع عناية العرب وحسن ضيافتهم ، إلى أن أعادوهم سالمين إلى صفوفهم ، وتتجلَّى قيمة هذه المعونة إذا عرفنا أن العرب أنفسهم في ذلك الوقت كانوا يعانون نقصاً فادحاً في جميع ضروريات الحياة ، فلم يكن لديهم ما يكفي من الملابس ، وكان الشاي والسكر أثمن من الذهب ، ومع ذلك كانوا لا يتوانون عن التضحية بالقليل الذي لديهم عن رضا وطيب خاطر.

ولعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن جميع جنود الجيش البريطاني الذين قاتلوا في الجبل الأخضر يدينون بالشكر للعرب ، فكثير منا مدينون لهم بحياتهم ، وسوف لا ننسى كيف مهَّد ولاء العرب وإخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الأخير الحاسم.

لقد مرَّ عرب برقة بوقت عصيب حقّاً ، فقد خاضوا غمار حروب مستمرة متواصلة مدة ثلاثين عاماً فقدوا فيها نصف عددهم ، ولكن روحهم المعنوية ما زالت قوية جبارة ، وما زالوا يعيشون كما عاش اباؤهم وأجدادهم من قبل رجالاً محاربين أحراراً.
لقد أتيحت لي فرصة المعيشة مع هؤلاء القوم القليلين في العدد الأقوياء بالروح ، وأستطيع أن أقول: إني لا أثق في شعب اخر مثل ثقتي بهم ، وأرجو أن تتاح لي فرصة زيارة أصدقائي في الجبل الأخضر ، مرة أخرى ، وامل أن أراهم جميعاً في أحسن صحة وأسعد حال ، وقد اتسعت مضارب خيامهم ، وزادت أنعامهم، وأصلحت ابارهم ، ونشر السلام جناحيه على ربوعهم اليانعة الخضراء»[(٣٥٧)].
هذه بعض الوثائق التاريخية المهمة من بعض ضباط الجيش البريطاني من الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور ، وهي تدلنا على الدور العظيم الذي قام به المجاهدون لتحرير بلادهم من إيطالية.
رابعاً: إعلان مونتجمري بعد الاحتلال الثالث وحكم الإدارة البريطاني:
وفي أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال (مونتجمري) في ١١ نوفمبر (١٩٤٢ م) في رسالة إلى الشعب ، بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية ، وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقية ، وأضاف قائلاً: ((لن تتدخل الحكومة العسكرية في المسائل المتعلقة بالشؤون السياسية الخاصة بالمستقبل ، ولكنها ستحكم بحزم وعدل ، وبالنظر إلى مصالح الشعب في البلد)).
وفي يناير (١٩٤٣ م) كانت ليبية كلها قد احتلت ، وأصبحت تحت الحكم العسكري لقوتين: البريطانية في منطقتي برقة وطرابلس ، والفرنسية في فزان حسب اتفاق عقد بين الجنرال (ألكسندر) الإنكليزي ، والجنرال (ليكلرك) الفرنسي[(٣٥٨)].

الطريق نحو الاستقلال:
كان طريق ليبية نحو الاستقلال فريداً من نوعه بالمقارنة مع جميع البلدان الأخرى التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي سنة (١٩٤٣ م) أصبحت القوات الإيطالية ، وكذلك سلطتها لا وجود لها في البلد ، وحلت محلها القوات والسلطات البريطانية والفرنسية ، وفي نهاية الحرب اشتركت كل من الولايات المتحدة وروسية مع بريطانية وفرنسة كقوى تريد (مصالح) لها في ليبية ، وتريد أن يكون لها دور في تقرير مصير مستقبلها ، وكنتيجة لذلك وجهت حركة الاستقلال ، لا كما حدث في المستعمرات

الأخرى ضد القوى الاستعمارية الحاكمة ، بل ضد المقترحات التي ظهرت في الحوار العالمي حول مستقبل ليبية ، والنقطة التي اتفق عليها في هذا الحوار ؛ وهي اعتبار الليبيين غير أكفاء لحكم أنفسهم ، وكان الرأي الغالب أن تقسم ليبية وتوضع تحت وصاية قوتين أو ثلاث لمدة أربع سنوات بعد الحرب.

وفي سنة (١٩٤٥ م) ، ظهر رأي قوي ضد استقلال ليبية ، وبموافقة الاتحاد السوفييتي أيضاً ، وكان الضمان الوحيد الذي أعطي لليبيين حول مستقبلهم هو بيان (إيدن) ، ولكن لم يطبق إلاَّ في منع رجوع الإيطاليين إلى برقة ، وكان شعبنا المنكوب في تلك الفترة خالياً من قيادة إسلامية رشيدة ، أو شخصيات إسلامية فعالة ، إذ جل القادة والدعاة استشهدوا وقتلوا وماتوا في الفترة العصيبة التي سبقت هذه الأحداث ، فلم تبق إلا بعض الشخصيات السياسية الوطنية الخيرة والجمعية المحلية ، وبعض القيادات الدينية الضعيفة ، وزعماء الحركة السنوسية الذين أصبحوا يعانون من ضغط الإنكليز ، وكان تعداد شعبنا قد بلغ أكثر من مليون بقليل ، وكانت تجربته السياسية بسيطة ، وكان مستوى التعليم بينهم منخفضاً ، وكانوا فقراء للغاية ، إذ كان يقدر متوسط الدخل الفردي ١٥ جنيهاً في العام.

وقد تلا الحرب انهيار اقتصادي وتضخم خطير ، وانتشرت البطالة ، وحطمت الحرب المدن والقرى والمنشات والطرق وخاصة في منطقة برقة ، وزرعت الأراضي بالألغام ، لذا كانت ليبية سنة (١٩٤٥ م) ـ وهي تحت احتلال جيوش ثلاثة ـ ضحية حرب ، وفي حاجة إلى مساعدات اقتصادية وطبية واجتماعية وفنية وغيرها.

وحكمت الإدارة الحربية البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة ، والإدارة الفرنسية في فزان حسب شروط اتفاقية (لاهاي) لسنة (١٩٠٧ م) الخاصة بالتصرف الحربي والعسكري.

واعتبرت ليبية مقاطعة عدو محتلة ، وكانت حكومتها ، حسب القانون الدولي ، تقوم على أساس العناية والصيانة ، وبقيت القوانين السارية المفعول زمن الاحتلال الإيطالي هي نفسها السارية المفعول بعد ذلك ، مع تجريدها من العناصر الفاشيستية ، ومن سوء حظ بلادنا العزيزة أن تبقى هذه الإدارات الأجنبية العسكرية طيلة تلك السنين العديدة ، وأصبحت السلطات البريطانية العسكرية ـ التشريفية والإدارية والسياسية ـ كلها تصدر عن القائد العام لقوات الشرق الأوسط ، وعين سنة (١٩٤٤ م) العميد (بلاكلي) حاكماً لطرابلس ، والعميد (ويوكان كمنج) في برقة[(٣٥٩)].

وسيطرت بريطانية على نواحي البلاد الإدارية ، واستعانت بعناصر ليبية ، وطورتها وأعدتها إعداداً يخدم مصالحها ، وبالنسبة لفزان فقد عُزِلت عن طرابلس وبرقة ، وأصبحت تابعة لفرنسة التي جعلت من فزان

قلعة لها في الدفاع عن مصالحها في إفريقية ، أما بريطانية فكانت تنظر إلى منطقتي طرابلس وفزان على أنهما ذواتا أهمية استراتيجية.

وأصبحت طبرق أشبه بوصلة في سلسلة القواعد البريطانية من جبل طارق إلى سنغافورة ، بينما صارت قاعدة العدم الجوية مركزاً مرحلياً على طريق جنوبي إفريقية والمحيط الهندي والشرق الأقصى ، وكانت بريطانية تفكر في أن تصبح منطقة برقة قاعدة بديلة في الشرق الأوسط إذا ما جلت عن قناة السويس ، عند انتهاء الاتفاقية الأنجلو ـ المصرية.

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت إلى ليبية قوة غريبة ثالثة بإقامة قاعدة (للوجود الأمريكي) ؛ وهي قاعدة أم عتيقية حالياً والملاحة سابقاً شرقي مدينة طرابلس ، وقد ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز):

أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية حتى فبراير (١٩٤٥ م) مبلغ مئة مليون دولار على تطوير قاعدة هويلس (سابقاً).

وأصبحت القاعدة الأمريكية الأولى في إفريقية التي لعبت في الخمسينيات دوراً

هامّاً في استراتيجية الحرب الباردة ، كواحدة من سلسلة القواعد الأمريكية من غربي أوروبة وشمال إفريقية وجنوب شرقي اسية التي تحيط بالكتلة الشيوعية[(٣٦٠)].

وهذه الفوضى التي حدثت لبلادنا من أسبابها سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية التي حافظت على سلامة ديار المسلمين من نفوذ النصارى والملاحدة لقرون عديدة ، وإن الأمة الإسلامية دون خلافة رشيدة على منهج النبوة لا تملك لنفسها ضرّاً ولا نفعاً ، وتكون ألعوبة في أيدي الدول الاستعمارية الكبرى بأنماط وأشكال استعمارية متجددة ، وتصبح لشعوبنا الإسلامية تبعية عمياء لغيرها في أمورها العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعليمية ، وما وصل إليه شعبنا من انحدار شديد في مجالاته المتعددة إلا لبعده عن عقيدته وإسلامه ودينه.

خامساً: اعتراض الليبيين لموقف الدول الكبرى من قضيتهم العادلة:

عارض المجاهدون الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم ، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى ، وخصوصاً الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين ، وبرّر بعض الزعماء أسباب تحالفهم مع بريطانية بأسلوب علمي أدبي رفيع ، وهذه وثيقة تاريخية تثبت ما ذهبت إليه ، وهي عبارة عن موضوع كتبه المجاهد عمر فائق شنيب في عام (١٩٤٥ م) بعنوان (ليبية مهد البطولة) قال بعد أن افتتح موضوعه بالبسملة:

إذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ما شفاكا

((كثر الأخذ والرد في قضية ليبية الباسلة ذات الشعب المحارب في صفوف الحلفاء من سنة (١٩٤٠ م) ، ليبية التي لم ترضخ للاستعمار الإيطالي فحاربت (٢١ سنة) بلا انقطاع ، ليبية التي اشترك جيشها وشعبها في طرد العدو منها ، ليبية المضحية بمليون نسمة من خيرة أبنائها في سبيل عروبتها واستقلالها وحريتها ، وليبية التي رفعت رأس العروبة عالياً من سنة (١٩١١ إلى ١٩٤٥ م) وكثر عدد الطامعين فيها والمتزلفين إليها . بعد أن كان بعضهم علة شقاء عليها . وتعددت الدوافع فتباينت المنافع ، وتضاربت الاراء فكثرت التكهنات ، وجلها . إن لم أقل كلها . لا يخلو من
غايات ومناورات ومساومات بعيدة عن محجة الصواب ؛ كل ذلك على حساب ليبية الدامية.

وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

حتى أبهم الأمر لا على المنصفين الذين يهتمون بلب الحقائق ليأخذوا منها درساً وعبرة ، أو يجابهوا الموقف على ضوئها؛ بل على الليبيين أنفسهم الذين أصبحوا في حيرة من أمرهم ، وبمعزل عما يراد بهم ، وهم الذين اشتهروا بالأفعال في ميادين النضال ، لا بزخرفة الأقوال ، ولله درّ من قال:

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

لذلك رأيت لزاماً علي أن أصرخ بالحقيقة الناصعة ولو كانت مؤلمة جارحة من على منبر الصحافة العربية الحرة ؛ التي أخذت في هذه الأيام تشد أزر ليبية والليبيين ، لأضع أمام الرأي العام العربي ولو صورة مصغرة عن حقيقة ما قدمه الشعب الليبي من تضحيات قاسية في سبيل حريته واستقلاله ومناصرته للحلفاء في هذا الصراع العالمي ؛ الذي قيل عنه: إنه دفاع عن المبادأى الإنسانية الحرة للتخلص من الوحشية الغادرة ، والاستعمار البغيض ؛ ليكون على بصيرة من قضية ليبية العتيدة التي استهتر بها القريب وطمع فيها البعيد ، والتي لا تنفصل عن قضية العروبة المقدسة بأي حال من الأحوال.

١ . أقول لإخواني الليبيين عامة . على اختلاف نزعاتهم وأهدافهم في الطرق الموصلة لوحدتهم واستقلالهم .: احذروا ولا تنخدعوا ، ووحدوا صفوفكم تحت راية أميركم ، وإن ما ترونه الان في جو السياسة هو الدعاية ، وإن ما تتصورونه منها هو الظن ، وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً ، فاعتمدوا على أنفسكم ، وأعدوا العدة لمستقبلكم ، واشكروا كل من يناصركم لمبدأ العروبة الصادق الذي يحمي الجار ولا يرضى العار.

٢ ـ وتيقنوا إن كان هناك ثمة عتاب أو لوم أو ما يسمى بمسؤولية عما يقع في ليبية في الحال ، أو ما يقع لها في الاستقبال ؛ فكل ذلك يقع بالدرجة الأولى على عاتق الدولة البريطانية ، بل وعلى بعض رجالها الذين ائتمناهم على وطننا وأرواحنا ، وسلمنا إليهم مقدراتنا ، وذلك أمام التاريخ والإنسانية والوجدان ، وبالدرجة الثانية

على أنفسكم أنتم فيما إذا تخاذلتم وتفرقتم وغرتكم الأقوال المعسولة فسبحتم في بحر الأماني المجهولة.

إن الاستقلال يؤخذ ولا يُعطى ، فشجرة الحرية رويتموها بدمائكم ، وستثمر بمجهوداتكم وتضامنكم ، فالدولة البريطانية هي الدولة الوحيدة التي اشتهرت ببعد النظر وتقدير العواقب ، ولكنها مع ذلك في هذه القضية الهامة إن لم أقل أضرت بمصالحها الخاصة وبمصالح الليبيين عامة ، أقول بصراحة: إنها نسيت أو تناست لسوء حالها أو لسوء حظنا موقفها في سنة (١٩٤٠ م) عندما كانت واقفة في الميدان تجاه القوة الغازية الفاشستية وحدها بلا حليف ولا معين ، مصيرها معلق في كفة القدر ، والعدو في إبان منعته وسطوته يتقدم في الأراضي المصرية بعد أن احتل موقع (سيدي براني) ، وقد طعنت يومذاك فرنسة التي يقول عنها زعيمها المحنك الجنرال ديجول اليوم: ((يجب أن تعاد مستعمرات إيطالية إليها))! طعنت من الخلف ، فركعت على ركبتيها مسلمة للعدو ، ولكن صدق من قال:

من يهن يسهل الهوان عليه		ما لجرح بميت إيلام

ففي تلك الساعة العصيبة القاسية ـ على بريطانية العظمى ـ كما قال عنها وزير خارجيتها المستر إيدن في تصريحه لمجلس النواب البريطاني يوم ٧ يناير (١٩٤٢ م) ما ندرجه بالحرف الواحد: ((إني أصرح بأن السيد إدريس السنوسي اتصل بالهيئات المسؤولة بمصر خلال شهر من انهيار فرنسة في وقت لم يكن الموقف العسكري في إفريقية ملائماً لنا على الإطلاق ، فتألف جيش سنوسي يضم الذين تخلصوا من نير الظلم الإيطالي بين حين واخر في خلال العشرين سنة الماضية ، وقام هذا الجيش بمساعدات قيِّمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة في الصحراء الغربية في شتاء (١٩٤٠ م و١٩٤١ م) ، وهو الان يقوم أيضاً بنصيب قيم في الحملة العسكرية الحالية ، فأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن التقدير العام الذي تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذي قام به وما زال يقوم به السيد إدريس السنوسي وأتباعه في المجهود الحربي البريطاني ، وإننا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية في مهمة سحق العدو المشترك ، وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى

انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة تحت النير الإيطالي مرة أخرى بأي حال من الأحوال)).

قلنا: في تلك الساعة العصبية التي كانت فيها أعظم الدول ومنها فرنسة - لا الشعوب الصغيرة - ترتعد فرقاً وتنهار سراعاً تحت ضربات النازية الفاشيستية الخاطفة ، نعم في تلك الساعة الرهيبة التي اقتنعت فيها الدول والشعوب بأن زوال بريطانية من الوجود شيء مقدور ، بل وأصبحت تحدد لانهيارها الأيام ، لا الشهور تقدم أمير ليبية الشجاع غير هياب ولا وجل ، وعقد مجلساً حربيّاً ضم ممثلي البلاد من قادة الحركة الوطنية قديماً وحديثاً - وهم بقايا السيوف الأماجد - ولم ينفض اجتماعهم التاريخي الذي حضره الجنرال ولسن يوم (٩ أغسطس ١٩٤٠ م) ، وخطب فيهم قائلاً: ((إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو لتحرير وطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم)) ، ثم أعلن الحرب على إيطالية ، وانضم إلى الحليفة البريطانية في إبان محنتها ، وقدم لفخامة الجنرال ولسن قرار الجمعية الوطنية الليبية الذي رفعه بدوره إلى لندن ، وبعد أن استعرض ما اتفق عليه زعماء المهاجرين بقيادة زعيمهم الأكبر إدريس السنوسي ، قال:
على هذا الأساس الواضح بني جهاد ليبية لحريتها واستقلالها ، وعلى هذا الأساس سلمت ليبية بأرواح أبنائها وثروتها ومدنها لبريطانية العظمى ، ولم يمض على هذا القرار برهة وجيزة حتى تكون الجيش الليبي وجنوده تحت علمه الوطني الذي استعرضه الجنرال ولسن في احتفال عسكري رسمي ، حيّا فيه العلمين: الإنكليزي والليبي فأعجب به ، وقد اشترك هذا الجيش فعليّاً في كل المعارك الدامية في سيدي براني ، وفي حصار طبرق ، وفي طرد العدو من الوطن ، وفي كل موقعة رأت القيادة العامة البريطانية وجوده فيها ضرورياً خلف خطوط الأعداء وخارجها ، وفي الجبهة نفسها ، وعلى قناة السويس ، وفي فلسطين - وغيرها - بكل شجاعة وبسالة وحزم.
وهل اكتفى أمير البلاد المطاع بذلك؟ كلا ، بل أرسل الرسل إلى المدن والقرى ومواطن البادية ، ونشر في طول البلاد وعرضها أوامر كانت موفقة ، ووقع النشرات التي كانت تلقى على الشعب من الطيارات ، واستصرخ الشعب لمناصرة بريطانية من محطات الإذاعة ، وزوَّد ضباط الاستعلامات البريطانية الذين يعملون خلف خطوط الأعداء سرّاً بالرجال الأمناء والتوصيات للزعماء وأهل الوطن لإخفائهم وإرشادهم ومدهم بالمساعدات والمؤن.

فهب الشعب الليبي على بكرة أبيه رجالاً ونساءً وشباناً ؛ كل يعمل على قدر استطاعته خلف خطوط الأعداء في إخفاء ضباط الاستعلامات وتموينها ، وإنقاذ الجرحى وتمريضهم وإخفائهم ، وتهريب الأسرى من الضباط والجنود البريطانيين والطيارين الذين وقعوا في قبضة الأعداء ، وإبلاغهم مأمنهم ، وإظهار عورات الأعداء بوساطة الأدلاء على محال قواتهم واستحكاماتهم وطيرانهم ووقودهم ، وتدمير أدوات حربهم ومؤنهم ، حتى اضطر العدو أن يجعل في ليبية قوة عظيمة خاصة لمراقبة السكان والتنكيل بهم حيث ثبت لديه أن ضباط الاستعلامات البريطانيين كانوا يحضرون اجتماعات الأعداء سرّاً دون أن يعرفوا بينهم ، وذلك بفضل تدابير زعماء الوطن.

وقد استسلم ما ينيف عن (١٧٠٠٠) جندي ليبي . كان قد جندهم العدو قسراً . وذلك عندما شاهدوا أعلام وطنهم المقدسة تخفق على الدبابات ومزينة بها المصفحات وفي طلائع الجيوش؛ ثم اشترك معظم هؤلاء مع إخوانهم في الدفاع عن أوطانهم ، وقد استشهد الكثير من جنود وضباط الجيش ، كما أسر البعض منهم أثناء هذه الحرب برّاً وبحراً ، ولم يزل بعضهم مفقوداً والبعض لا يعلم عنه شيء منذ وقع في معتقلات الأعداء.

واستهدفت المدن للخراب الأبدي والدمار الذي لا يعوض ؛ كطبرق التي أصبحت أثراً بعد عين ، وبنغازي عاصمة برقة التي دمر ثلاثة أرباعها ، وقسماً من درنة وسرت وطرابلس وغيرها ، وتعرض الكثير من المدنيين العزل للقتل والشنق والنهب ، حتى إن الفاشيست شنقوا في يوم واحد في مدينة واحدة وهي المرج (٣٠٠) رجل ، وغير هذا كثير ، حتى إنه في ذلك اليوم صادر الفاشيست جميع ما في الأسواق عنوة واقتداراً وهدماً ما يقدر بنصف ثروة التجار.

وتبددت ثروة البلاد ، وتشتت الأهلون سنين في البراري والقفار بعد أن دمرت مدنهم وهدمت أملاكهم ، وقتلت نساؤهم وأطفالهم ، وضاعت ثرواتهم ، ولا مجال الان لإيضاح موقف الليبيين في انتصار العلمين ، ذلك الانتصار الذي غير وجهة الحرب ، وما قدموه من مجهودات كادت أن تقضي على البقية الباقية من الليبيين ؛ حيث نسفوا مخازن البنزين ، ودمروا معدات الحرب التي أعدها الألمان والطليان كاحتياطي لهم في برقة يعتمدون عليها في تقدمهم على مصر ، وهو ما يقدر بمئات الملايين ، وسيخصص لذلك فصل مدعم بالأرقام والبراهين في الكتاب الأبيض الذي ينشر عن العالم قريباً عن موقف ليبية المشرف في هذه الحرب ، وعن معاملة أصدقائها الإنكليز لها ، كما سيبين فيه عملهم ضد الطيارين الألمان الذين أنزلوا بعد الفتح بالبارشوات ، أفبعد هذا كله ، وبعد فتح ليبية

باشتراك أهلها وتضحياتهم هذه يجوز أن تكون ليبية الباسلة موضع مساومة؟ أو يجوز أن تطبق فيها أحكام عسكرية جائرة وغير ملائمة لطبيعة أهلها؟ أو يطبق على شعبها المحارب في صفوف الحلفاء ما يسمونه بالقانون الدولي؟ ذلك القانون الذي لم يطبق منه حرف واحد في الحبشة؟ لا ، ولا حتى في بلاد العدو المحتلة التي سلمت إدارتها لأهلها تحت إشراف الحلفاء ، مع أن وضع الحبشة لا يختلف عن وضع ليبية دوليّاً من حيث دخولها تحت الحكم الإيطالي واعتراف الدول بضمها إليه ، وخروجها منه باشتراكها في هذه الحرب؟ أو يبدل في ليبية استعمار باستعمار؟ أو تفكر إيطالية الغادرة ناكثة العهود التي جربت حظها في ليبية وخبرت ذلك الشعب العربي الأبي في حروب متواصلة معه ٢١ سنة أن تعود إليه؟

اللهم إن هذا بعيد عن العدل ، بعيد عن الإنصاف ، وحتى عن أحكام القانون الدولي الذي قبر من يوم احتلال الحبشة ، فشيعت جنازته عصبة الأمم التي التحقت به سنة (١٩٣٥ م) ، وعن كافة الوعود والعهود وعن الغايات السامية التي قيل: إن الدول الحليفة حاربت من أجلها ، وعن الشرف البريطاني الذي لا يقر مثل هذا العمل فيما أظن بوجه من الوجوه.

فلو كانت الدولة البريطانية أقامت للحق والعدل والعهود أقل وزناً ، أو قدرت هذه الجهود والتضحيات حق قدرها ، أو أعادت النظر في موقفها سنة (١٩٤٠ م) . لأننا عند اشتراكنا معها لم تكن هناك روسية ولا أمريكة ولا فرنسة . لما كانت في هذا المأزق الحرج الدولي من جهة ، ولكانت ليبية اليوم تتمتع بحكومة وطنية تحت إدارة أميرها مندمجة في الجامعة العربية ، ولما كان اختلاف وضعها عن وضع الحبشة من يوم طرد العدو منهما.

ولكن الدولة البريطانية بجحود بعض رجالها لهذه التضحيات ، وبميلهم للأعداء . لأنهم إفرنج . ، وتخلِّيهم عن الأصدقاء . لأنهم عرب . أضروا بهذه القضية التي لها مساس بالسلم العالمي ، وأساؤوا لأهل ليبية ، وهم الذين أخلصوا لهم في إبان

محنتهم ، بل وعاملوهم معاملة لا تمت للإنصاف والمروءة بصلة في كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والكرامة والعزة القومية ، وفي نفس الوقت واجهوا وسيواجهون مشكلات عديدة كانوا في غنى عنها؛ لأن امتلاك القلوب أهم بكثير من استعبادها ، والسيطرة على الشعوب دون إرادتها معناه الحقيقي تكوين عداوتها.

٣ . بتر ليبية بل والشمال الإفريقي من جسم الجامعة العربية يوم انعقادها في القاهرة كان أكبر محك دقيق للجامعة (فيما إذا كانت هي الجامعة) ، ولغاياتها وأهدافها المقدسة عند الدول التي تهتم بمعرفة قوة الاتحاد العربي وضعفه ، بودنا يومئذ أن ألقينا أنفسنا في أحضانها بصفتنا أمة عربية مجاهدة ، أن تقف موقف المدافع عن الجميع والمطالب بحقوق الجميع وتضمنا إليها شاءت . السياسة الغامضة . الفرقة الجامعة . أم أبت فتكون بذلك أحيت عضواً منها تشد أزره في الملمات ، لأن ليبية هي القنطرة الوحيدة التي تعبر منها العروبة إلى الشمال الإفريقي ، أما اليوم فلا أدري على الوجه الأصح هل يسمع صوتها بشأن ليبية أم يصبح صرخة في واد بعد أن تقاربت السياسات الاستعمارية التي كانت متباعدة يوم انعقادها؟! وأخشى ما أخشاه أن العرب رغم يقظتهم ووحدتهم المبتورة سيواجهون تضحيات جديدة ومصاعب شديدة ، وسيلعب بهم دور اخر يكونون فيه هم كبش الفداء . لا سمح الله . لأن الغرب لا يرتد والشرق لا يتعظ.

٤ . مع استنكارنا الشديد واحتجاجنا القطعي الذي ليس عليه مزيد للضربة التي كانت ذكرتها جريدة (التايمس) وبعض الصحف الاستعمارية الأخرى ، والتقولات التي تقع أحياناً من بعض المغرضين بأن الليبيين يكرهون المصريين ؛ نقول بكل صراحة ما دمنا نقر الحقائق: إنها وقعت بعض غلطات مؤلمة من بعض رجال الإدارة في الحدود الغربية المصرية ، ولم تزل تقع أحياناً منهم ومن غيرهم ، وربما كانت تلك الغلطات مدبرة بعلة خفيت عنهم لا يعلمها إلا الله والراسخون في تفرقة الشعوب ؛ وهي: أنه بعد أن كان المصريون هم الذين اووا وأيدوا إخوانهم الليبيين من سنة (١٩١١ م) إلى يومنا هذا ، ولهم عليهم الأيادي البيضاء في جهادهم وهجرتهم ، فعندما تقرر رحيل المهاجرين إلى وطنهم بعد فتحه كان الواجب يتحتم أن يودعوا بما هو لائق في كرم وسخاء وتسامح وصلة رحم وحق جوار ، بل ومساعدات قيمة أدبية ومادية لمن هم منهم وإليهم ؛ شأن المصريين الذين جبلوا
على هذه المزايا العالية في كل أدوار حياتهم.

ولكن انعكست الاية فتصدى للمهاجرين بعض الموظفين الذين لا يقدرون العواقب ، فجردوهم من أمتعتهم وأقواتهم ، وفتشوا نساءهم . بصورة مخجلة . وصادروا حليهن وما معهم من نقود جنوها في هجرتهم ، أو جلبوها معهم عند التجائهم ، واضطروهم بهذا العمل لتهريب ما يسدون به الرمق أو ما يسترون به العورة؛ لأن الحالة وقتئذ في ليبية بلغت إلى درجة إلى أن دفن أهالي ليبية أمواتهم دون أكفان ، وأصبحت نساؤهم لا يجدون ما يسترن به العورات بسبب منع التجارة عنهم والتضييق عليهم ، وما

زالت أموالهم وأشياؤهم محجوزة عند السلطات المصرية بحجة التهريب ومخالفة القوانين ، نعم وإن كان للموظفين بعض العذر وعلى الليبيين بعض الوزر للأسباب الانفة الذكر ، إلا أن هذا العمل الذي وقع بين شعب واحد ووطن واحد . كما يعتقد الليبيون وأبناء مصر . جرَّأ الغير على الاستخفاف بالعلائق الحسنة بين الشعبين ، وأن ما وقع من الليبيين من تضحيات وما عانوه من مشقات وأزمات هي بين سمع إخوانهم المصريين وبصرهم في وطنهم دفاعاً عن بلادهم التي هي الحصن الحصين لمصر العزيزة ؛ حيث كانت أرواحهم فداء لها ، لو تدبروا الأمر بعين المصلحة والأخوة ربما كانت تلك الغلطات مدبرة من الغير لتتخذ منها جريدة مثل (التايمس) والجرائد الاستعمارية مادة للحط من قيمة الروابط الودية بين الشعبين المتجاورين ؛ لغاية بعيدة المرمى ستظهر نتائجها الأيام المقبلة.

وإني أعتقد عقيدة ثابتة أن الليبيين عامة والسنوسيين خاصة لم ينسوا ولن ينسوا فضل مصر ولا عطف مصر وزعماء مصر ، مهما حدث أو يحدث؛ لأن الشعب المصري الكريم بريء من تلك الغلطات المدبرة ، ومصر هي الملجأ الوحيد ليس لليبيين ؛ فحسب بل للعرب والعروبة ، لاسيما وتربط مصر وليبية روابط لا انفصام لها من جهة الدين والجوار واللغة والنسب ، ولا نريد أن نوضح أكثر من ذلك ؛ فعظماء مصر وأكابرها يعلمون أكثر من هذه الحقائق ، ويعلمون ما يكنه الليبيون من إخلاص ومحبة للتاج المصري وصاحبه المفدى ، وسيأتي يوم يتضح فيه كل شيء بالوثائق؛ لأننا متنَّا هذه الروابط وأدلينا بما فيه المصلحة للطرفين في بدء الحركة سنة (١٩٤٠ م) ، وفي أثناء الحرب (١٩٤٢ م) قبل غيرنا ممن تبنى هذه المشاريع اليوم ،

ومع ذلك يشكر كل من يسعى لتوحيد الشعوب العربية ، ويعمل على إسعادها ، ولكل مجتهد نصيب.

كان بودنا أن لا تهمل الصحافة العربية الحرة ما قدمه الليبيون في هذه الحرب من تضحيات قاسية من سنة (١٩٤٠ م) ، حتى لا تفقد مادة قيمة تساعدها في الدفاع اليوم عن الحق المهضوم ، وتستعين بها على ما تسجله للتاريخ والأجيال المقبلة ، ولكن السياسات التي كمت أفواه الصحف وكسرت أقلام الصحافيين حتى حظرت عليهم ذكر كلمة ليبية ؛ كان جائزة عليها وعلينا وعلى التاريخ والإنسانية ، وها إننا نستبشر اليوم بتعويض ما فقدته الصحافة ، فلها خالص الشكر وعاطر الثناء.

وأخيراً . بصفتي . أحد قادة الحركة الوطنية ، وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانية يوم ٩ أغسطس (١٩٤٠ م) . أصرح بأن الوضع الحالي في ليبية شاذ لا يتناسب في شيء مع العدل والإنصاف ، ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان ، بل إن ما يعانيه الشعب الليبي اليوم لا يختلف عن

الاستعمار البغيض ، وإن الشعب الليبي يتطلَّب إقامة حكومة وطنية شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع ما يمكن ، ليحق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط بها.

أقول هذا لدول الحلفاء عامة ، ولدولة بريطانية العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس ، وتتبدل وجهات النظر من الإخلاص والمحبة والتعاون النزيه إلى المقت البغيض والمشاكسة ، ويطغى اليأس فتنعكس الاية ولا ينفع الندم ، وإن ليبية رغم قلة عَدَدها ، وفقدان عُدَدها ومعرفتها بأنها لا تقوى على مقاومة الدول المعظمة ، مع أنها جربت في حرب إيطالية ؛ تفضل أن تضرب يومياً بألف ، بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطالي ، أو أن تمس كرامتها أو ينقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة ، أو يقرر مصيرها الغير دون إرادتها ، وهي علَّمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة (١٩١١ م) إلى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل ، وقد قلنا في بعض مذكراتنا لرؤساء الوفود في المؤتمر الذي كان منعقداً في سان فرانسيسكو ـ بعد أن شرحنا لهم الحالة يومئذ بوجه التفصيل ـ هذه العبارات: ((هذا إذا كان هناك ما يسمى عدلاً أو ما يسمى حقّاً ، أما إذا كانت الوعود والعهود المقطوعة للشعوب الضعيفة هي بمثابة الطابور الخامس عند الحلفاء فلا حق لهذه

الشعوب في المطالبة بالحق ، وليس لها إلا أن تموت)).

وسنعود للموضوع مرة أخرى ، ومن لم يعرف ليبية على حقيقتها فعليه بالاختبار ؛ فلا زال أشبال عمر المختار يعملون على ذلك الغرار.

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا))

هذا بعض ما كتبه ونشره السيد عمر فائق شنيب ، وهو ـ كما قدم نفسه ـ أحد قادة الحركة الوطنية ، فبالإضافة إلى ذلك نقول: إنه كان من خيرة أولئك القادة ، وقد لازم الحركة الوطنية الأخيرة منذ ٩ أغسطس (١٩٤٠ م) إلى أن توفاه الله سنة (١٩٥٣ م) ، فقد عين أميناً عامًّاً لمكتب سمو الأمير ، وكان ضمن أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي ، وذهب إلى هيئة الأمم المتحدة عضواً ورئيساً للوفد الوطني مرتين ، ثم وقع الاختيار عليه ليكون عضواً بالجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، وانتخب نائباً لرئيسها ، كما انتخب رئيساً للجنة الدستورية ، وعين وزيراً للدفاع بالحكومة الليبية المؤقتة التي عهد إليها أن تتسلم السلطات من الإدارتين (البريطانية والفرنسية) ، وأخيراً عين رئيساً للديوان الملكي ، وكان قد وضع بحثاً مفصلاً عن القضية الليبية كان صريحاً في التفاصيل التي تناولها في ذلك البحث ، وقد أجاب

فيه عن الكثير من الأمور الغامضة ، وقد لفت فيه نظر جهات معينة ومنهم الكثير من حِسان الظن ، وقد تأثر بتصرفاتها وأراد طبعه سنة (١٩٤٩ م) في مصر ؛ إلا أن الرقابة المفروضة يومذاك قد حذفت الكثير منه ، ووافقت على طبع ما وافقت عليه ، فرفض شنيب الطبع إلا إذا كان كاملاً ، ولا يزال ذلك البحث مفقوداً ؛ نأمل أن تتكاثف الجهود ليرى النور وتستفيد منه الأجيال الصاعدة[(٣٦١)].

سادساً: الجمعيات التي أسست خارج ليبية:

وأسست جمعية في مصر بزعامة أحمد السويحلي ، وقامت بنشاط كبير ، وفتح عام (١٩٤٣ م) نادي طرابلس الغرب الثقافي ، وشكلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف أرجاء العالم الإسلامي لجنة للدفاع عن حقوق بلدها بزعامة بشير السعداوي ، واتخذت ميثاقاً وطنياً بها قدمته إلى المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في

القدس عام (١٩٣١ م) ، وطالبت اللجنة المسلمين في أقطار الأرض لتقديم المساعدة لإخوانهم المنكوبين في ليبية.

وتحرك الأمير إدريس سياسيّاً مع بداية الحرب العالمية الثانية ، ومن الشخصيات التي كان لها أثر سياسي في مصر في تلك الفترة بالنسبة للجالية الليبية: أحمد السويحلي ، وأحمد المريض ، وعون سوف ، وتوفيق الغرياني ، ومحمد العيساوي ، وعبد السلام الكزة ، وعبد الحميد العبار.

وشكل الأمير إدريس السنوسي جيشاً ، وفوض أمره إلى صفي الدين السنوسي الذي جند (١٤٠٠٠) من المهاجرين الليبيين ، (١٢٠) ضابطاً ، وشكلت الجمعية الوطنية الليبية التي قررت إعلان بيعة السنوسي ، وتفويضه دون قيد أو شرط وخوض الحرب إلى جانب بريطانية ، ورفض بعض زعماء الليبيين ذلك ، وفي معركة العلمين حققت بريطانية نصراً حاسماً على ألمانية بقيادة روميل ، وشارك السنوسيون مع الإنكليز رافعين العلم السنوسي ، وكانت المعارك السياسية مستمرة ومستعرة بين الليبيين ، ولكن الكفة رجحت لصالح السنوسيين.

وظهرت بعض الزعامات الوطنية المتناثرة في بلادنا ، وعادت إلى الظهور الأحزاب التي أسست أثناء المفاوضات الليبية الإيطالية في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وأسست أحزاب جديدة على أيدي القادمين من المهجر ، وكانت الأحزاب بليبية امتداداً لتأثير الحركات الحزبية في مصر وسورية ولبنان وغيرها بوساطة العائدين من المهجر ، وكانت سرعة نموها كبيرة ، لدرجة أن الليبيين وخاصة في منطقة طرابلس أصبحوا بعد ست سنوات يقومون بالمظاهرات ؛ مما يدل على نمو الوعي السياسي.

وظهر في عام (١٩٤٢ م) (نادي عمر المختار الرياضي) الذي كان له نشاط سياسي ، يهدف إلى توحيد برقة وطرابلس ، يقوده الشباب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ بلادنا.

وفي مطلع عام (١٩٤٤ م) أصبح النادي يعلن بصراحة انتقاده للإدارة البريطانية ، ويظهر اتجاهاً وحدوياً مع الاتجاه الطرابلسي من أجل اتحاد وطني.

ولم يكن الاتجاه الإسلامي في هذه المرحلة المظلمة ممثلاً إلا في شخصية الأمير السنوسي بكونه الوريث الشرعي للحركة السنوسية ، وبعض الأفراد القلائل والشيوخ التقليديين.

وفي سنة (١٩٤٧ م) أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية تحت زعامة إدريس ، وأوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل ، وتحت الإشراف البريطاني ، أما في طرابلس فكان الوضع يختلف ، وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الإيطالي للمنطقة ، وخاصة وجود الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.

واقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة ، وأصبح (نادي عمر المختار) يشدد انتقاده ضد البريطانيين وضد سياسة إدريس المتحالف مع بريطانية[(٣٦٢)].

سابعاً: حل الأحزاب وإنشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الأحزاب في طرابلس:

وقام إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ، ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر (١٩٤٧م) ، وألَّف الأمير إدريس المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً ، إلا أن المؤتمر كان يتكون من الجيل القديم من قادة القبائل الموالين له ، وكان المؤتمر برئاسة أخيه محمد رضا السنوسي ، وفي طرابلس كانت الأحزاب السياسية في اضطراب وبلبلة ، ووجد في المنطقة أكثر من عشرة أحزاب وجماعات ونوادٍ ذات أهداف مختلفة ؛ تسعى كلها للاستقلال وتوحيد مناطق طرابلس وبرقة وفزان ، ولكن الاختلاف كان على من يقود هذا الاتحاد ، وهل هو ملكي أو جمهوري ، وقد تكونت من الحزب الوطني الكتلة الوطنية بقيادة أحمد الفقي حسن لمناهضة السنوسية والدعوة لإقامة جمهورية ، وكان يوجد حزب الاستقلال ولجنة التحرير الليبية المتعاونة مع الجامعة العربية ، ويرأسها بشير السعداوي.

وبقي في ليبية (٤٨٠٠٠) إيطالي ، ظهر بينهم حزب فاشيستي بدعم من روما ، وحزب معاكس له إيطالي.

وأرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبية ، فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام ، وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الإجماعية للاستقلال التام ، وأضافت أن اللجنة الليبية لم تكن في وضع اقتصادي يمكنها من الاعتماد على نفسها ، وأيضاً غير مؤهلة للاستقلال... وقالت اللجنة في تقريرها بأن حوالي ٩٤% من السكان أميون ، ولا يوجد بها ما يزيد عن ١٥ ليبيّاً متخرجاً دون أن يكون فيهم طبيب واحد ، وأن متوسط الدخل الفردي ١٥ جنيهاً في السنة ، وأن نسبة الوفيات بين الأطفال ٤٠% ، ورأت بريطانية أن تكون برقة تحت الرعاية البريطانية.. وأن تكون منطقة طرابلس تحت الوصاية الإيطالية ، وفزان تحت الوصاية الفرنسية.

أما الولايات المتحدة فقد اتخذت موقفاً مغايراً ، إذ اقترحت أن توضع ليبية كلها تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات ، على أن تحتفظ أمريكة بقاعدة هويلس (الملاحة) الجوية والتسهيلات الحربية الأخرى ، وكانت بريطانية مستعدة للموافقة على اقتراح الولايات المتحدة ، إلا أن فرنسة عارضت ذلك.

أما الاتحاد السوفييتي ، فقد حبذ في البداية الخطة الأمريكية ، بوصاية الأمم المتحدة ، لكنه عارض فيما بعد الوصاية على منطقة طرابلس لمدة عشر سنوات ، بحجة أنه لو حدث ذلك ، فإن (النظام السوفييتي) لن يصل إلى منطقة طرابلس ، ولم تقبل بريطانية أو فرنسة هذا العرض بارتياح.

وهكذا يا أخي القارأى كانت بلادك منذ خمسين عاماً لا تملك لنفسها خيراً ولا نفعاً ولا حلاًّ ولا عقداً. ومع نمو الوعي الوطني والحس السياسي قامت مظاهرات جماعية لم تدع شكّاً في الشعور العام المعادي للخطة. وسارت الجماهير الكبيرة المنظمة عبر شوارع طرابلس ، محتجة ضد الوصاية الإيطالية على طرابلس ، وقدّر عدد الذين اشتركوا في المظاهرة بستين ألفاً ، بما في ذلك مظاهرات جاءت من مدن أخرى ، وكانت منظمة تنظيماً محليّاً ، وصاحب المظاهرات دعاية واسعة جلبت رأي عالمي وعربي للقضية الليبية.

وفي خلال هذه المظاهرات اتَّحد الحزب الوطني والجبهة الوطنية المتعددة

ذوغيرهما في حزب المؤتمر الطرابلسي تحت قيادة بشير السعداوي ، واستمر حزب المؤتمر في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات حتى رفضت نهائياً خطة (بيفن ـ سفورزا) من قبل الأمم المتحدة. وكان هذا سبباً في بروز الحزب على أنه القوة السياسية الرائدة في منطقة طرابلس ، وفي الجمعية العمومية في ١٨ مايو (١٩٤٩ م) كانت كل الدلائل تشير إلى أن قرار الخطة سوف يحصل على أغلبية الثلثين في منح

استقلال ليبية ، ولكن مندوب هايتي (إميل لوت) عارض الوصاية الإيطالية على منطقة طرابلس ، وكانت النتيجة أن فشلت الخطة عند الاقتراع عليها ، وذلك بسبب نقص صوت واحد كان مطلوباً لتأمين الأغلبية التي أعطت أصواتها لقرار الخطة (٣٣ مقابل ١٧ وغياب ٨) ، وكان الذي أقنع (إميل لوت) بالوقوف مع الشعب الليبي الدكتورعلي العنيزي . رحمه الله تعالى.

واستطاعت الوفود العربية في الأمم المتحدة أن تقنع بسهولة الوفد السوفييتي وبعض الوفود الأخرى المعارضة لمصلحة استقلال ليبية ، وبفشل التصويت على وضع الوصاية الإيطالية لم يعد هناك سبب يدعو كتلة أمريكة اللاتينية لدعم بقية القرار ، واقترعت ضده بالفعل مما سبب له هزيمته بأغلبية ٣٧ صوتاً ضد ١٤ وغياب ٧ أصوات ، وقد دعم استقلال ليبية دول إسلامية وعربية مثل: باكستان وسورية ولبنان ، وكذلك الهند لمصالحها.

وقد تغير موقف الروس بشكل ملفت للنظر ، فبعد أن كانوا في وقت ما يريدون الوصاية السوفييتية على منطقة طرابلس ، ثم إرجاع ليبية لإيطالية ؛ أصبحوا سنة (١٩٤٩ م) ينادون باستقلالها خلال ثلاثة أشهر ، وجلاء جميع القوات الأجنبية عنها.

وأصبحت بريطانية ترى لمصلحتها استقلال ليبية كلها ، وخاصة إذا أمكن الحفاظ على القواعد البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة.

ورفضت خطة بيفن . سفورزا ، وأعلن إدريس استقلال برقة بتأييد بريطانية ، ونصب نفسه أميراً عليها، وأصبحت الحكومة المحلية مسؤولة عن الشؤون الداخلية. أما الشؤون القضائية والمالية فبقيت تحت مسؤولية المستشارين البريطانيين، وكذلك ظلت الأمور الخارجية والدفاعية والأملاك الإيطالية تحت السيطرة البريطانية.

أصبح استقلال ليبية شيئاً لا بد منه بالنسبة للأمم المتحدة ، وأعيدت قضية ليبية إلى اللجنة السياسية في صيف عام (١٩٤٩ م) ، وسمح لإيطالية بالاشتراك بالنقاش ، وكذلك لممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي ، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي ، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس ، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسية الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة ، واتفق على القرار بأغلبية ساحقة في الجمعية السياسية في ١٢ نوفمبر ، ثم قدم بعد أسبوع إلى الجمعية العامة[(٣٦٣)].

* * *

المبحث الثالث

قرار الأمم المتحدة بشأن ليبية

وفي ٢١ نوفمبر (١٩٤٩ م) تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة ، وتبنته الجمعية بأغلبية ٤٨ صوتاً ضد صوت واحد (الحبشة) ، وغياب تسعة فيها فرنسة وخمس دول شيوعية.

ويتضمن القرار ما يلي:

١ ـ أن تصبح ليبية المكونة من مناطق برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة.

٢ ـ أن يصبح هذا الاستقلال ساري المفعول في أسرع وقت ممكن ، وألا يتأخر بأي حال من الأحوال عن أول يناير (١٩٥٢ م).

٣ ـ أن يقرر دستور ليبية ، يضم شكل الحكومة من قبل ممثلين عن سكان مناطق برقة وطرابلس وفزان ، يجتمعون ويتشاورون معاً في جمعية وطنية.

٤ ـ ومن أجل مساعدة شعب ليبية على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة يرسل مندوب من الأمم المتحدة إلى ليبية ، تعينه الجمعية العامة ، ومعه مجلس لمساعدته ونصيحته.

٥ ـ أن يقدم مندوب الأمم المتحدة ، بالمشاروة مع المجلس ، تقريراً سنوياً مع التقارير التي يعتبرها ضرورية ، ويضاف إلى هذه التقارير مذكرة أو وثائق يرغب مندوب الأمم المتحدة أو أي عضو في مجلس في أن يضعها أمام انتباه الأمم المتحدة.

٦ ـ أن يتكون المجلس من عشرة أعضاء ، وبالتحديد:

أ ـ ممثل ترشحه حكومة كل من البلدان التالية: مصر وفرنسة وإيطالية وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

ب ـ ممثل عن شعب كل من المناطق الثلاث في ليبية ، وممثل عن الأقليات.

٧ ـ أن يعين مندوب الأمم المتحدة الممثلين المذكورين في الفقرة ٦ ـ ب بعد التشاور مع القوى الإدارية ، ومع ممثلي الحكومات المذكورين في الفقرة ٦ ـ أ ، ومع الشخصيات القيادية وممثلي الأحزاب السياسية والمنظمات في المناطق المعينة.

٨ ـ وإنجازاً لمهامه ، يشاور مندوب الأمم المتحدة ويسترشد بمشورة أعضاء مجلسه ، ويجب أن يكون معلوماً أن بإمكانه أن يقابل أشخاصاً مختلفين لسماع النصيحة بخصوص المناطق المختلفة أوالمواضع المختلفة.

٩ ـ يمكن لمندوب الأمم المتحدة أن يقدم المقترحات إلى الجمعية العامة ، وإلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، وإلى السكرتير العام فيما يخص الإجراءات التي يمكن أن تتبناها الأمم المتحدة خلال الفترة الانتقالية بخصوص المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في ليبية.

١٠ ـ أن تقوم القوى الإدارية بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة:

أ ـ باتخاذ جميع الخطوات اللازمة حالاً لنقل السلطة إلى حكومة دستورية مستقلة.

ب ـ إدارة المناطق بهدف مساعدة أقسام الوحدة الليبية ، والاستقلال والتعاون في تكوين الإدارات الحكومية وتنسيق نشاطاتها من أجل هذه الغاية.

ج ـ تقديم تقرير سنوي للجمعية العامة حول الخطوات المتخذة لتطبيق هذه التوصيات.

١١ ـ أن تدخل ليبية الأمم المتحدة حسب المادة (٤) من الميثاق ، بعد أن تصبح دولة مستقلة.

وبعد أسبوعين عينت الجمعية العامة مساعد السكرتير العام (أدريان بليت) مندوباً للأمم المتحدة في ليبية.

إن الخطوات المذكورة نحو الاستقلال ـ على حسب تقديري وفهمي للحقيقة ـ لا نعتبره استقلالاً بمفهومه الذي وضع له هذا المصطلح. إنَّ الأمة التي تحكِّم شرعَ

ربها من ذاتيتها وشخصيتها وعقلها وقلبها وعقيدتها ؛ هي تلك الأمة الحرة المستقلة التي رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبيّاً ورسولاً ؛ بل انتقلت بلادنا من الاستعمار الإيطالي النصراني الحاقد إلى استعمار من نوع اخر في أموره الدستورية والسياسية والاقتصادية والتعليمية ، فأين إذاً الاستقلال؟

ولذلك فإن شعبنا يئن من وطأة الظالمين الذين حكموه بقوانين أرضية طينية ، وغيبوا شرع الله عنه ظلماً وبهتاناً وزوراً ، وعلى الأحرار من أبناء شعبنا أن يعملوا ليلاً ونهاراً ، سراً وإعلاناً من أجل الاستقلال الحقيقي وكسر القيود المكبل بها شعبنا ، ولا يتحقق ذلك إلا عندما يحكم شرع الله ودستور الإسلام

الخالد على شعبنا المسلم الذي عانى ولا يزال يعاني من تكبيل حريته واستقلاله واتخاذ قراره ، وما ذلك على الله بعزيز.

وكان موعد استقلال ليبية سيحل بعد ٧٠٠ يوم من وصول مبعوث الأمم المتحدة لبدء مهمته ، وعندما وصل المبعوث (أدريان بلت) إلى ليبية في رحلة استطلاعية لمدة أسبوعين في ١٨ يناير (١٩٥٠ م) ، لخص مهمته على أنها لمساعدة شعب ليبية على وضع دستوره وإقامة حكومة مستقلة[(٣٦٤)].

وكان أول واجب عليه هو أن يكمل عضوية المجلس المنصوص عليه في قرار الجمعية المكلف باستشارته ، وقد عين ممثلو مصر وفرنسة وإيطالية وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة من قبل حكوماتهم المعنية ، وطلب (بلت) مرشحاً متفقاً عليه من كل المناطق الليبية الثلاث ، وممثلاً للجاليات الإيطالية واليهودية واليونانية بمنطقة طرابلس ، وقدمت فزان مرشحاً واحداً ، إلا أن برقة قدمت ثمانية ، وطرابلس سبعة ، والأقليات أربعة ، وبعد التشاور مع القوى الحاكمة الأجانب ، عين (بلت) أسد الجربي ممثلاً لبرقة ، ومصطفى مزران عن منطقة طرابلس ، وأحمد الحاج السنوسي عن فزان ، وجياكو مو مارشينو الإيطالي للأقليات ، وأنشأى مجلس ليبية (المشهور بمجلس العشرة) في ١٥ أبريل (١٩٥٠ م) ، وكان يضم ثلاثة ليبيين وممثلين عن دولتين إسلاميتين مستقلتين (مصر وباكستان) ، وإيطاليين (واحد يمثل إيطالية والاخر يمثل الأقليات الأجنبية بليبية) ، وثلاثة يمثلون ثلاثة قوى غربية هي: بريطانية وفرنسة والولايات المتحدة ، ولذلك

يعتبر تكوين عضويته ـ أي: المجلس ـ تحيزاً للغرب بمعدل سبعة مقابل ثلاثة ، على اعتبار أن ممثلي برقة وفزان كانا خاضعين لتأثير بريطانية وفرنسة ، وأن الثلاثة هم ممثلو مصر وباكستان وطرابلس أيضاً تابعون للقوى الأجنبية المسيطرة.

وكانت معارضة قوية جدّاً محتجة على دخول الإيطاليين والأقليات الأخرى في تقرير مصير الشعب المسلم في ليبية ، ولوجود تخوف من تدخل الإدارة البريطانية في الانتخابات ، وبذلك ألغيت خطط (بلت).

إلا أنه لم ييأس ، واستطاع استدراج بعض الشخصيات الدينية والوطنية ، وشكل جمعية وطنية من طرابلس وفزان ، وألغت كثيراً من الاقتراحات ، وأخمدت الأصوات المعارضة[(٣٦٥)] ، وبعد أن حازت الجمعية الوطنية السلطات كي تقرر الشكل التنظيمي والدستوري لمستقبل الدولة ، وتختار من أعضائها لجنة لوضع الدستور ؛ عقدت الجمعية أول اجتماع لها في طرابلس في ٢٥ يناير نوفمبر سنة

(١٩٥٠ م) ، وانتخب مفتي طرابلس رئيساً لها ، واتفقت خلال أسبوع على أن تكون ليبية دولة ديمقراطية فدرالية ذات سيادة ، وأن تكون الدولة ملكية دستورية ، ودعم ممثلو برقة وفزان الاتحاد بقوة ، وقَبِل الطرابلسيون ذلك.

وظهر بشير السعداوي كشخصية وطنية فذة ، وكان من أكبر المتحمسين للوحدة ، وكان له شعبية ومساندة معظم الوطنيين في تطلعاته نحو وحدة البلاد ، ووقف ضد الجمعية الوطنية وقاد حملات ضدها وتساءل بشير السعداوي رحمه الله عن أهلية الجمعية الوطنية في نداء وجَّهه إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية ، واستمر بشير السعداوي يهاجم عدم أهلية الجمعية الوطنية طيلة النصف الأول من عام (١٩٥١ م) ، وكسب تأييد عبد الرحمن عزام ، وقام عزام أيضاً بالهجوم على الجمعية الوطنية ، وأن قراراتها غير قانونية ومخالفة لرغبات الشعب الليبي ، وقررت اللجنة الدستورية للجامعة العربية بأنه لا حاجة للاتحاد في بلد يوحده الجنس واللغة والعادات والدين ، وأكثر من ذلك فإن الجمعية لم ينتخبها الشعب ليس لها سلطة البت في أمور تؤثر على مستقبل البلاد ، وقام (بلت) بإرسال مفتي طرابلس ؛ وهو

عضو من الجمعية الوطنية إلى مصر ليخطب ود الجامعة العربية ، وتلاشت عداوة الجامعة العربية بالتدريج.

وفي الرابع من ديسمبر (١٩٥٠ م) ؛ أقرت الجمعية الوطنية العلم الليبي ، وانتخبت لجنة الدستور على أساس ستة أعضاء من كل منطقة لتحضير وتقديم مسودة دستور ، وقامت اللجنة بدورها بتشكيل مجموعة عاملة من ستة أعضاء لكتابة المسودة وتقديمها فصلاً بعد اخر للجنة ، وكان (بلت) وخبراء اخرون من الأمم المتحدة مستعدين لتقديم المشورة عند أول اجتماع للمجموعة العاملة في ١١ ديسمبر.

ودرست دساتير أحد عشر اتحاداً ؛ منها: الهند ، وسويسرة ، وفنزويلا ، وقورنت ببعضها بعض ، وأخذت دساتير مصر والعراق والأردن ولبنان وسورية ، وكذلك حقوق الإنسان كنماذج لفعل الحريات الأساسية ، وغيبت عن المسلمين في ليبية قواعد النظام الأساسي في الإسلام ، ومن هذه القواعد التي غيبت عن المسلمين مفهوم الحاكمية ؛ فمدلول لا إله إلا الله يعني: أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا نافع ولا ضار إلا الله ، ويعني أيضاً: لا مشرع ولا محلل ولا محرم إلا الله ، وغاب عن المسلمين في ليبية أن التحاكم إلى الدساتير الوضعية ووضع القوانين البشرية يتنافى مع بدهيات التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية ، إن الله الذي جعل الإسلام ديناً هو الذي جعله عقيدة ونظاماً ، وإن الله ليأبى

على الناس أن يبتغوا لأنفسهم ديناً غير هذا الدين: [ال عمران: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ *} [آل عِمرَان: ٨٥]

إن الذين أرادوا الفصل بين العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامي إنما هم أعداء الإسلام ، ونحن نقول: إن الإسلام عقيدة وشريعة ، فإن العقيدة والشريعة أمران متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الاخر ، وإن الفصل بينهما ضلال وكفر وردّة ؛ فإن الإيمان بالعقيدة وترك الشريعة كفر ، وإن الأخذ بالشريعة وترك العقيدة كفر.

وهذه الفعلة الشنيعة في الجري خلف الدساتير الأرضية وقوانين الدول الغربية العلمانية وغيرها؛ يدل دلالة قاطعة على خطورة الأمر الذي وصلت إليه بلادنا من الضعف العقدي والشرعي.

قال تعالى:

[النساء: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النِّسَاء: ٦٠]

وقال تعالى: [الشورى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *} [الشّورى: ٢١]

وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرع الله ويأذن به كائناً من كان ، والله وحده هو الذي يشرع لعباده بما أنه ـ سبحانه ـ هو مبدع هذا الكون ومدبره بالنواميس ، ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع الله المحيط بتلك النواميس ، وكل ما عدا الله قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال ، فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور.

ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة ، فإن الكثيرين يجادلون فيها ، أو لا يقتنعون بها ، وهم يجرؤون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله ، زاعمين أنهم يختارون الخير لشعوبهم ، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم ، كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله ، أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، وليس أخيب من ذلك وأجرأ على الله[(٣٦٦)].

والذي دفعني إلى الوقوف عند هذه النقطة المظلمة من تاريخ بلادنا وهي اختيار دستورها من دساتير أرضية وتركهم لتشريع رب البرية ؛ هو: كون شعبنا مسلماً مؤمناً ، وإنما فرض عليه ذلك من أعداء دينه ، وإلا فموقف المسلم من ذلك بيّن وواضح ، وإليك موقف المسلم كما بينه القران الكريم ، قال تعالى:

[الأعراف: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ *} [الأعرَاف: ٣]

فالمسلم يهرع إلى شرع ربه ودستوره برضا وطواعية ورغبة وتسليم.

وقال تعالى: [النور: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *} [النُّور: ٥١]

فشريعتنا الإسلامية ربانية شاملة شمول العلم الإلهي ، محيطة بشاكلهم إحاطة العليم الخبير ، لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أوجدت لها حلاً ، وهي يسيرة سهلة

تحقق اليسر والسهولة وترفع الحرج عن الناس ؛ لأنها لا تكلفهم إلا وسعهم[(٣٦٧)].

وتدخل الأم المتحدة في مصير الشعوب باسم مصلحة الشعوب وإسعادها والأخذ بيدها نحو الحرية والاستقلال والنور والديمقراطية ، يعلم الله إنهم لكاذبون: [المائدة: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *} [المائدة: ٥٠]

والتاريخ البشري يشهد أن أسعد الفترات التي كانت تعيشها البشرية على الإطلاق ، تلك الفترة التي تحكم فيها بشريعة الله سبحانه وتعالى؛ حيث كانت تنعم بالأمن والإيمان والسلامة والسلام ، وكان العدل والرخاء والاستقرار يسود المجتمعات التي حكمت بشرع الله[(٣٦٨)].

والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الاخر.

لقد كان الضغط على البلاد عظيماً ، ولذلك لم يستطع الأمير إدريس وكذلك القوى الوطنية المسلمة من جعل دستور البلاد ربانيّاً نابعاً من الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالح ، وبحيث يكون الإسلام هو المصدر الرئيسي والوحيد الذي يستمد الشعب منه قوانينه ودستوره ؛ كيف لا والله تعالى يقول:

[النحل: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النّحل: ٨٩] ، ومعلوم أن الإسلام دين ودولة ، وصالح لكل زمان ومكان.

والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ، ويسرد الفروع والأصول ، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ؛ فإن النتيجة الطبيعية أن يكون صوت هذا المصلح صرخة في وادٍ ونفخة في رماد ، قد يكون مفهوماً أن يفتح المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله ،

وتنفيذاً لأحكامه ، وإيصالاً لاياته وأحاديث نبيه (ص) ، أما والحال كما نرى ؛ التشريع الإسلامي في وادٍ والتنفيذ في وادٍ اخر ، فإن قعود المصلحين

الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من الذين لا يدينون الإسلام الحنيف[(٣٦٩)].

ومضت المجموعة العاملة والمختصة من الجمعية الوطنية لمناقشة الجنسية الليبية واللغة وسلطات الملك ، والمسؤوليات الوزارية، والبرلمان وتشكيل مجلس الشيوخ وقانون الانتخابات ، وقد أجريت تعديلات عند تقديم الفصول إلى اللجنة ، وقدمت مسودة إلى الجمعية الوطنية في سبتمبر (١٩٥١ م) ، واستمرت المناقشات ثلاثة أسابيع ، وكان هناك عدة خلافات ؛ فكان البرقاويون يصرون على أن تكون بنغازي هي العاصمة ، وأصر الطرابلسيون بتأييد الفزانيين على أن تكون طرابلس هي العاصمة ، واستقر الرأي على أن تكون طرابلس وبنغازي عاصمتين مشتركتين منعاً للنزاع ، وأقرّ الدستور كله من ٢١٣ مادة بإشراف (بلت) مبعوث الأمم المتحدة.

وأشاد (بلت) بإنجاز الليبيين للدستور في مدى عشرة أشهر ، وتزايدت قوة الشعور بالوعي الوطني الليبي واتحاد جميع الممثلين في قراراتهم لإنشاء ليبية المتحدة التي سماها الدستور (المملكة الليبية) ، وسميت المناطق الولايات بدلاً من دول ، وكانت السلطة التشريعية مخولة للملك ومجلس الشيوخ والبرلمان على أن يكون أعضاء مجلس الشيوخ ٢٤ عضواً ؛ ثمانية من كل ولاية ؛ نصفهم معين من قبل الملك والنصف الاخر منتخب ، أما النواب فينتخبون من الذكور البالغين بمعدل واحد عن كل عشرين ألف من السكان ، ويختار أعضاء الوزارة المركزية من البرلمان الاتحادي ، ويعين الملك رئيس الوزراء ووالي كل ولاية.

وبدأ تخطيط نقل السلطات من الإدارات البريطانية والفرنسية للاتحاد الليبي في مطلع سنة (١٩٥١ م) وقسمت لجنة (بلت) نقل السلطات على أربع مراحل ؛ من سبتمبر إلى نهاية السنة ، وفي فبراير سنة (١٩٥١ م) أصدرت الجمعية الوطنية قراراً بتشكيل حكومات محلية لاستلام السلطة الإدارية ، وفي ٣ مارس أصدرت الإدارة البريطانية بموافقة إدريس بياناً بتأليف حكومة محلية في طرابلس ، ولم يكن حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي راضياً عن سير الأمور بتحكم بريطانية في إجراءات نقل الوضع إلى السلطات المحلية[(٣٧٠)].

وكان (بلت) قد دعا الأمم المتحدة منذ أول تقرير سنوي له إلى مساعدة ليبية ماليّاً بسبب فقرها وحاجتها ، قال: ((ما لم توجد الوسائل لتحسين الزراعة وخلق رأسمال استثماري جديد ، فهناك خطر كبير في انهيار الاقتصاد الليبي وتحوله إلى اقتصاد رعوي ، مع ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية ربما تعرض وجود الدولة الجديدة للخطر)).

وقدمت الأمم المتحدة مساعدات للدولة الجديدة ، وقامت منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة بمساعدة محدودة ، واستطاعت المنظمة الدولية تقرير كيفية حصول ليبية على الوسائل الإدارية والاجتماعية والاقتصادية لصيانة استقلالها المزيَّف ، وتعهَّدت بريطانية بتقديم ما يسد العجز في الميزانية للسنة المالية (١٩٥٣/٥٢ م) لولايتي طرابلس وبرقة ، وكذلك فرنسة لفزان. وكان التعليم من أهم حاجات البلاد، وحاول (بلت) أن يقدم ما في وسعه من أجل النهوض المطلوب للدولة الجديدة.

وأعلن استقلال بلادنا في ٢٤ ديسمبر سنة (١٩٥١ م) قبل أسبوع من الموعد النهائي الذي حددته الأمم المتحدة ، وأصبح الدستور معدّاً للتنفيذ ، وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة.

وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر ، وفتحي الكيخيا نائباً له ووزيراً للعدل والمعارف ، وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي ، وعين الملكُ إدريسُ حكامَ الولايات الثلاث ، وتقدم بطلب انضمام ليبية للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.

وأصبح المستر (بلت) صديقاً حميماً لليبيين الذين اقتنعوا بالاستقلال ، وسمي باسم أدريان بلت شارعان مطلان على البحر في كل من طرابلس وبنغازي ، وكان حصول ليبية على استقلالها تحت إشراف الأمم المتحدة دعاية ممتازة للمنظمة

الدولية ، وغاب في وقع الحياة في ليبية دستورها الرباني المستمد من عقيدة الشعب ودينه[(٣٧١)].

أولاً: أعضاء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية:

١ ـ الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم. ٢ ـ أبو الربيع الباروني.

٣ ـ السيد سالم القاضي. ٤ ـ السيد إبراهيم بن شعبان.

٥ ـ السيد سالم المريض. ٦ ـ السيد أحمد عون سوف.

٧ ـ السيد علي رجب. ٨ ـ السيد علي المخطوف.

٩ ـ السيد طاهر الحريري. ١٠ ـ الحاج علي بدوي.

١١ . السيد أبو القاسم بوقيعة. ١٢ . السيد أحمد الطبولي.

١٣ . السيد محمد بن عثمان الصيد. ١٤ . السيد المهدي (قاضي غدامس).

١٥ . السيد خليل القلال. ١٦ . السيد عمر فائق شنيب.

١٧ . السيد أحمد عقيلة الكزة. ١٨ . الحاج عبد الكافي السمين.

١٩ . السيد الطايع البيجو. ٢٠ . السيد محمود بوهدمة.

٢١ . الحاج رشيد الكخيا[(٣٧٢)].

ثانياً: الجمعية الوطنية التأسيسية (لجنة الستين ، كل من السادة):

١ . عمر فائق شنيب. ٢ . محمد السيفاط بوفروة.

٣ . عبد الحميد دلاف. ٤ . رافع بوغيطاس.

٥ . أحميدة المحجوب. ٦ . سالم الأطرش.

٧ . خليل القلال. ٨ . الطايع البيجو.

٩ . أحمد عقيلة الكزة. ١٠ . محمود بوهدمة.

١١ . عبد الكافي السمين. ١٢ . سليمان الجربي.

١٣ . محمد بورحيم. ١٤ . عبد الجواد الفريطيس.

١٥ . المبروك الجيباني. ١٦ . الكيلاني لطيوش.

١٧ . طاهر العسبلي. ١٨ . عبد الله عبد الجليل سويكر.

١٩ . حسين جربوع. ٢٠ . أبو بكر بوذان.

٢١ . أحمد عون سوف. ٢٢ . عبد العزيز الزقلعي.

٢٣ . منير برشان. ٢٤ . علي تامر.

٢٥ . أحمد السري. ٢٦ . مختار المنتصر.

٢٧ . سالم المريض. ٢٨ . محمد المنصوري.

٢٩ . محمد الهنقاوي. ٣٠ . محمد أبو الأسعاد العالم.

٣١ . علي الكالوش. ٣٢ . عبد المجيد كعبار.

٣٣ . عبد الله بن معتوق. ٣٤ . محمد الهمالي.

٣٥ . إبراهيم بن شعبان. ٣٦ . يحيى مسعود بن عيسى.

٣٧ . أبو بكر بونعامة. ٣٨ . محمود المنتصر.

٣٩ . الطاهر القرمانلي. ٤٠ . علي بن سليم.

٤١ . السنوسي حمادي. ٤٢ . علي بدوي.

٤٣ . الفيتوري بن محمد. ٤٤ . الشريف علي بن محمد.

٤٥ . طاهر القذافي بريدح. ٤٦ . منصور بن محمد.

٤٧ . المبروك بن علي. ٤٨ . طاهر بن محمد.

٤٩ . محمد بن عثمان الصيد[(٣٧٣)]. ٥٠ . محمد الأمير.

٥١ . علي عبد الله القطروني. ٥٢ . أبو القاسم بوقيلة.

٥٣ . أحمد الطبولي. ٥٤ . علي السعداوي.

٥٥ . أبو بكر بن أحمد. ٥٦ . السيد سعد.

٥٧ . الأزهر بن علي. ٥٨ . عبد الهادي بن رمضان.

٥٩ . علي المقطوف. ٦٠ . السيد العكرمي[(٣٧٤)].

ثالثاً: مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير محمد إدريس السنوسي ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة عام (١٩٥٠ م):

بسم الله الرحمن الرحيم:

[الفتح: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *} [الفَتْح: ١٠]

نحن ممثلي شعب ليبية من برقة وطرابلس وفزان ، المجتمعين في طرابلس الغرب من جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله ، والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني ، والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ، نظام الحكم فيها ملكي دستوري ؛ نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ما قد منّ علينا من نعمة في تحرير بلادنا واستقلالها ، وإننا اعترافاً بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس السنوسي أمير برقة المعظم ، وجهاده الطويل المثمر لخير ليبية وشعبها ، وتحقيقاً لرغبة الشعب العامة ، وإقراراً للبيعات الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموه ، وحرصاً على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك نجد فيه المثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي.

فإننا ننادي بسمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسي أمير برقة العظيم ونبايعه ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة ، نرجو من جلالته أن يتفضل ويقبل ذلك.

وإننا قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم ، وتلقي قبول جلالته لهذه البيعة.

طرابلس الغرب

في يوم السبت ٢٢/ صفر الخير/١٣٧٠ هـ

الموافق ٢/ديسمبر/١٩٥٠ م[(٣٧٥)]

رابعاً: خطاب الملك إدريس بإعلان استقلال ليبية يوم ٢٤ ديسمبر (١٩٥١ م):

بسم الله الرحمن الرحيم:

إلى شعبنا الكريم: يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة لجهادها ، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في ٢١ نوفمبر (١٩٤٩ م) ، قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة وإنا لنبتهل إلى المولى بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه، ونوجه إلى الأمة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحادث التاريخي السعيد ، ونعلن رسمياً أن ليبية منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، ونتخذ لنفسنا من الان فصاعداً لقب صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر أيضاً بأعظم الاغتباط لبداية العمل منذ الان بدستور البلاد كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية في ٦ محرم سنة (١٣٧١) هجرية ، الموافق ٧ من أكتوبر (١٩٥١ م) ، وإنه لمن أعز أمانينا كما تعرفون أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة ، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقاً لهذا الدستور ، ونحن نعاهد الله في الفترة الخطيرة التي تجتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا حتى تحتل بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة.

وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما اكتسباه بثمن غالٍ ، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة.

وإننا في هذه الساعة المباركة نذكر أبطالنا ، ونستمطر شابيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ، ونحيي العلم المقدس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد ، راجين أن يكون العهد خيراً وسلاماً للبلاد ، ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد ، إنه خير معين[(٣٧٦)].

وإن من أهم المراجع التي تكلمت عن المملكة الليبية ومعركة الدستور والاستقلال هي:

١ . ليبية في العصور الحديثة د. نيقولا زيادة.

٢ . ليبية الحديثة د. مجيد خدوري ، ترجمة نيقولا زيادة.

٣ . السنوسية دين ودولة د. محمد فؤاد شكري.

٤ . صفحات من المذكرات السرية عبد الرحمن عزام.

٥ . إدريس السنوسي للأشهب.

خامساً: قصيدة بمناسبة الاستقلال للشاعر الكبير أحمد رفيق المهدوي:

عيد عليه مهابة وجلال عيد وحسبك أنه استقلال

يوم عليه من السعادة بهجة وعليه من نور السرور جمال

يوم سعيد فيه نالت أمة ملكاً تمجد ذكره الأجيال

واستقبل التاريخ مظهر دولة فأهل من برج السعود هلال

وبدا يسير إلى التكامل بدرها فتحققت بظهوره الامال

وتحررت أعناقنا فتنفست أرواحنا وتبسم الإقبال

وتحطمت تلك القيود وكسرت تلك الكبول وفكت الأغلال

وإلى حياة حرة في عيدنا هذا تكلل بالنجاح نضال

أعظِمْ بعيد في السماء تهللت فرحاً به شهداؤنا الأبطال

وزها بتاج النصر شعب قاده ملك أغر كأنه الرئبال

يا أيها الشعب الكريم إلى العلا سر لا يعوقك في المسير كلال

سر كالزمان مع الزمان ملائماً إن الزمان مسيره استعجال

قد أصبح الطيار لا يرضى به عصر لعلم الضوء فيه مجال

أضحى جناح العلم قاب القوس من قمر السماء ودونه أميال

فابنوا على العلم البناء وأسسوا بالعدل ملكاً لا يليه زوال

قوموا بأمر الملك شورى بينكم إن التحكم والخلاف وبال

ومصائب الأوطان من أحزابها إن قام بين المفسدين جدال

وتخيَّروا النواب عنكم واحذروا من أن تقوم بأمركم جُهّال

الملك محتاج إلى تدبيره بعقول من عركتهم الأحوال
بالمخلصين وهم قليل فانظروا فيهم ولا تغرركمُ الأشكال
وإلى الشباب الحي خير تحية فهم الرجاء.. وفيهمُ الامال
وعلى كواهلهم وفي أعناقهم عهدٌ على أن يحفظوا ما نالوا
ما بالقليل ولا الصغير فإنه فضل عظيم إنه استقلال
نصر عزيز جل مانحه له من روحنا التكبير والإجلال
عاش المليك وشعبه وبلاده في عز دستور زهاه كمال[(٣٧٧)]

* * *

المبحث الرابع

الملك إدريس رحمه الله وشيء من سيرته

أولاً: اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق:

كان الملك محمد إدريس رحمه الله تعالى يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق ، ولنستمع إليه وهو يقول:

((إن سنن الإسلام السياسية تعتمد على دعائم متينة محكمة ، فلو حفظت هذه السنن ، وسيست بها الحكومة الإسلامية لما أصاب دولة الإسلام ما أصابها ، لا ريب أن ضعف المسلمين يرجع إلى إهمال هذا النظام وتركه ، وإذا ما أراد المسلمون أن ينالوا مجدهم فليرجعوا إلى قواعد حكومتهم الأولى ، ولا يظنوا أن ذلك رجوعاً إلى الوراء؛ بل على العكس فهو التقدم والتكامل))[(٣٧٨)].

وقال أيضاً: ((إن بعث الروح الإسلامية أمر يحدث قوة لا يستهان بها ، ولا سبيل إلى بعث هذه الروح إلا إذا فرقنا بين المدنيتين الحقيقية والصناعية ، وأخذنا الأولى باليمين والأخرى بالشمال ، وفتحنا باب الاجتهاد ، ورجعنا إلى قواعد السياسة الإسلامية))[(٣٧٩)].

وقال أيضاً: ((فمن تخلّق منا بغير الأخلاق الإسلامية نجده فاسد التربية منحطاً في مستواه الأخلاقي ، معطل الاستعداد الفكري الحر ، مشوش العقل والاعتقاد ، مقلداً تقليداً أعمى))[(٣٨٠)].

وقال أيضاً: ((إذا ما أراد المسلمون أن يصلحوا ما فسد من أحوالهم ، فليرجعوا إلى روح الإسلام ، لأنه أكثر موافقة لرقي الأمم وسعادة الحياة ومدنيتها ، ولن تتبدد هذه الغياهب المظلمة إلا بنور العلم؛ فالإسلام هو الدين الإنساني الطبيعي المسالم لكل من أحب السلام))[(٣٨١)].

لقد كان الملك إدريس رحمه الله تعالى نصيراً للدين والعلم والأخلاق ، ولذلك قام بتوجيه شعبه منذ تحرير بلادنا من الاستعمار الإيطالي إلى التعليم والإكثار من المدارس ، والاهتمام بالأطفال ، ولما تولّى أمر المملكة الليبية وجه المسؤولين إلى وجوب العناية بالتعليم وتعميمه ، واهتم بوزارة المعارف ، وتبرّع بقصر المنار لوزارة المعارف ليكون نواة للجامعة الليبية.

وفي عام (١٩٥٤ م) من شهر نوفمبر أصدر الملك إدريس توجيهاته إلى حكام الولايات الثلاث برقة ، وطرابلس ، وفزان ؛ لاتخاذ السبل الكفيلة بضرورة تدريس العلوم الدينية على الطلبة في جميع المدارس كمادة أولية مفروضة ، وفرض الصلاة في أوقاتها (الخمس) على طلاب المدارس من بنين وبنات في كافة أنحاء المملكة ؛ لإعداد هذا الجيل إعداداً إسلاميّاً رشيداً.

واهتم بتطوير معهد السيد محمد بن علي السنوسي حتى أصبح جامعة متميزة من حيث التعليم ، والنظام والاستعداد ، وكان يحث شعبه على الصلوات الخمس ويحذرهم من المعاصي ، والذنوب ، وقام بتوجيه رئيس الوزراء ورئيس الديوان والولاة الليبيين ، وحمّلهم مسؤولية تهاون موظفي الدولة في أداء الصلوات الخمس ، ومسؤولية شرب الخمر ، وحملهم المسؤولية العظمى أمام الله ثم أمام الملك ، وكانت حيثيات هذا التوجيه مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة ، وكان الإنذار الذي يحمله هذا التوجيه شديداً[(٣٨٢)] ، وكان يرى أن أركان النصر للشعوب في ثلاث ركائز: بالتمسك بالدين الكامل ، والخلق الفاضل ، والاتحاد الشامل؛ ولذلك قال: ((أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل ، والخلق الفاضل ، والاتحاد

الشامل؛ فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأركان))[(٣٨٣)].

وقال: ((الاتحاد العربي ضروري ، والعصبية العربية مشروعة ومعقولة شريطة أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية ، وأن لا تعتدي على حقوق الاخرين))[(٣٨٤)].

وقال: ((يجب على العرب والمسلمين أن يحرروا الفكر من قيود التقليد ، وأن يعتبروا الدين صديقاً للعلم))[(٣٨٥)].

وقال أيضاً: ((لقد نبغ في العرب رجال لو أنهم تماسكوا وتضافروا لأوجدوا في البلاد العربية حركة فكرية))[(٣٨٦)] ، وقال: ((إن كل شيء يمكن نيله إذا ما انتصرت حرية الفكر ؛ فبدونها لا يحصل أي تقدم ولا أي رقي ولا أي صلاح ، لا يمكننا الوقوف إلى جانب القوى التقدمية إلا إذا عممنا التربية والتعليم كما ينبغي ، وبذلك ننشيء نَشْئاً جديداً يكون أهلاً للنظر وللفكر والعمل))[(٣٨٧)].

إن الاهتمام بالدين والعلم والأخلاق عند الملك إدريس رحمه الله نابع من عقيدة الإسلام ، ومن فهمه لكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ويرى أن الحضارة الصحيحة هي التي تقوم على الدين والعلم والأخلاق ، وبهذه المقومات قامت الحركة السنوسية؛ فعندما سأله كاتب دانماركي أجرى معه مقابلة صحفية أثناء وجوده بالمنفى عن موقفه تجاه الاحتلال الإيطالي لليبية انذاك ، فجاء رده مؤكداً لنظرته للحياة الروحية باعتبارها أهم من الوجود المادي ، إذ قال في معرض حديثه: إن الحضارة التي يريد الإيطاليون إدخالها إلى بلادنا تجعل منا عبيداً للظروف، ولذا وجب علينا أن نحاربهم، فهي تبالغ في إضفاء الأهمية على قشرة الحياة الخارجية ، كالتقدم الفني والالي مثلاً ، وتعتبر مظاهر الأبهة والسلطان معياراً للحكم على قيمة الفرد أو الأمة ، في حين تستهين بالنمو الداخلي للإنسان ، وأستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً وهو: أنه حيث تسود الدعوة السنوسية يستتب السلام والرضا من كل جانب[(٣٨٨)].

ثانياً: حبه للشعب وحب الشعب له:

عندما عينت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية حكومة مؤقتة في شهر أبريل عام (١٩٥١ م) برئاسة محمود المنتصر ؛ رأت الحكومة أهمية زيارة الملك إدريس لمنطقة طرابلس تلبية لرغبة الشعب الطرابلسي لهذه الزيارة؛ ولبى الملك تلك الرغبة وابتهجت المدن الليبية في الغرب بهذه الزيارة ، واستقبلته الوفود من الرجال والنساء والشيوخ والشباب ، وعندما وصل موكبه إلى طرابلس ، واخترق شارع عمر المختار كان بعض العملاء المندسين يتربصون بالملك الدوائر ، وقذف موكبه ببعض القنابل ولكن الله سلّم ، وظهرت من الملك شجاعة نادرة ، وثبات عجيب ؛ فلم يهتز من بدنه شعرة واحدة ، وما كاد يذاع نبأ هذه المحاولة الفاشلة في ليبية حتى اجتمعت جموع الشعب في أسرع من لمح البصر من شدة حبها لزعيمها وقائدها ، وشرعت تهنأى بعضها بعضاً بسلامة قائدها ، وبهذه المناسبة قال أحمد رفيق المهدوي:

وقاك الله من شر الأعادي ودام علاك يا أمل البلاد

وعشت لأمة جعلتك رمزاً لوحدتها وروحاً للجهاد

حياتك بيننا لله نور أيطفأى نوره أهل الفساد؟

أتم الله نعمته علينا بحفظك واهتدائك للسداد

فدُمْ ملكاً على عرش متين محاطاً بالمحبة والوداد[(٣٨٩)]

وقد أجاب الملك إدريس عن هذه الحادثة فقال: إن هذه الحادثة لم تكن أبداً من ليبي ، ولن يقدم عليها أحد من أبناء ليبية ، وإنني أحمد الله جلت قدرته الذي وقى هذه البلاد شر المصائب... إلى أن قال: والضرر الذي يلحق بقضية البلاد أخطر من الضرر الذي يلحق بشخصنا أو بأي شخص اخر ، وقال: إننا لسنا من أي حزب ، ولن نتحزب لحزب دون اخر ، وإنما نحن للجميع ، ونسعى لخير الكل ولصالحهم ، هذا هو مبدؤنا الذي فطرنا عليه ، وعملنا من أجله زهاء ثلاثين سنة ، ونحن لا نعتبر أنفسنا إلا فرداً من أفراد هذا الشعب ، لا يهمه غير مصلحة الشعب ومستقبل البلاد[(٣٩٠)].

وقام بزيارة ترهونة والزاوية وغريان ، ويفرن ومصراتة وزليطن والخمس ، وكان يستقبل من الشعب بالحب والود والوفاء ، وقام الشعراء بنظم القصائد تعبيراً عن فرحتهم بهذه المناسبة ، فقد قال عبد الغني البشتي:

اليوم يوم المجد والعلياء اليوم يوم العزة القعساء

اليوم يوم القطر من سلومة للبحر للسودان للخضراء

اليوم يومك ليبية بل إنه يوم العروبة ساطع الأضواء

يوم قد انبعث له من يثرب بالروضة الفيحاء باللألاء

يوم قد امتدت له من (مكة) أنوار طه من بني الزهراء

يوم المليك ومرحباً بك يومه يوم أغر بليبية الفيحاء

إدريس يا نسل النبي محمد اِهنأ بملكك في سنا وعلاء

ملك قد اختار الإله مليكه من أشرف الاباء والأبناء

تاج على هام القلوب منصب ولواؤه في الشرق خير لواء

إني أرى الأملاك في عليائهم يتباشرون بسيد البطحاء

يتباشرون بملكه في رفرف عال من الأضواء واللألاء

لم لا؟ وأنت سليل أحمد من له ما يبتغيه المجد من علياء

الله أكبر عشت يا فخر العلا للعرب ، بل للشرق خير وفاء

تحمي حمى الإسلام ترفع صرحه وتعيد فيه بسيرة الخلفاء

مولاي شعبك روعت ألبابه يد أرعن يبغيك بالضراء

نفديك بالأرواح إن شئت الغداة ونجود بالأموال والأبناء

مولاي: أبقاك الإله لليبية دهراً سعيداً في أعز علاء[(٣٩١)]

لقد كانت أعمال الملك من أسباب محبة الليبيين له ، فقد أصدر أوامره بأن لا يعفى من الضريبة الجمركية كل من يرد إلى الديوان الملكي ، وبأن لا يلقب بصاحب الجلالة تقدساً بذات الله جل جلاله ، وقال: إن الجلالة لله وحده ، وما أنا إلا عبد من عباد الله[(٣٩٢)].

ويعتبر هذا الحدث سابقة تاريخية من أروع ما شهد في دنيا الملوك ، ولقد تأثر ريفلي رئيس جريدة (بريد طرابلس) التي كانت تصدر باللغة الإيطالية لهذا الحدث ، وكتب مقالاً جاء فيه: ((إن الرغبة التي أبداها الملك إدريس ليست في حاجة إلى تعليق؛ لأنه عندما تبَّوأ العرش كان تواضعه معروفاً ، وسهره المتواصل وعطفه ورعايته لشعبه ؛ فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الديمقراطية التي تجلت في أسمى معانيها ، ولقد أتاح الحظ لليبية ـ وهي لا تزال في بداية حياتها ـ أن تكون على رأسها شخصية صالحة مختارة تخاف الله العلي الأجل ، وعندما قبل مهمته الصعبة الخطيرة بأن يقود شعبه إلى ما كتبه له القدر من مصير ، فإن ذلك كان استجابة لأمر ربه الذي يمده بنوره فيما يتخذ من قرارات وفي أعماله ، وقد تبين له أن لقب (الجلالة) لقب ضخم لا يتفق مع أساسه الديني الذي يرى أن المولى وحده صاحب الجلالة العظمى ، وهو وحده العلي الأعلى... ولم يكن هذا التصرف بغريب على الملك محمد إدريس المهدي السنوسي الذي ينحدر من سلالة شريفة أراد الله تعالى أن يمكن في قلبها الإيمان والثقة به ، وفي عالمنا هذا الذي يسير سيراً حثيثاً نحو المادية ؛ فإن تصرفاً مثل هذا يتعدَّى أي احتمال ، ويدل دلالة قاطعة على أن أي مسبب حتى وإن كان ذلك المسبب سامياً يمكنه أن يكون وسيلة لإظهار تواضع منبثق عن عقيدة راسخة في عظمة الله))[(٣٩٣)].

وقد حدثني السيد أحمد العرفي عندما كنا معاً في السجن السياسي بطرابلس عن حادثة تدل على تعظيم الملك إدريس للمولى عز وجل ، وهي أنه كان هناك مسجد جديد في مدينة البيضاء ، وجاء الملك لافتتاحه ، ومع مجيئه ودخوله المسجد شرع الناس في الهتاف بحياة الملك إدريس ، فغضب وأمر الناس بالصمت ، وقال لهم: هذا المكان لا ينبغي أن يذكر فيه غير اسم الله ، واستشهد بقول الله تعالى: [الجن: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *} [الجنّ: ١٨] ، ولذلك أحبه شعبه وأحب شعبه

المسلم ، كانت الإرادات السامية تصدر عن الملك لتجسد هذه المعاني الرفيعة من التواضع والبساطة والبعد عن المظاهر وتحاشي الشبهات ، فقد أصدر إرادة سامية بأن لا يطلق اسمه على الشوارع والمؤسسات بقصد التمجيد والتخليد ، محتسباً عند

الله ما عمله لصالح أمته وشعبه ، وأصدر إرادة سامية بأن لا تنشر صور ذاته على العملة ، أو على طوابع البريد ابتعاداً عن المظاهر الدنيوية الزائلة ، وأصدر إرادة سامية بأن لا يتخذ من ذكرى ميلاده عيداً رسميّاً ، وأن لا تقام الاحتفالات بهذه المناسبة ، وذلك لأنه ليست مما جرى به العمل في السلف الصالح رضوان الله عليهم[(٣٩٤)].

وأصدر أمراً بتعديل قانون البيت المالك ، وألغى بموجب ذاك الأمر حصانات وامتيازات الأسرة ، كما ألغى ألقاب الإمارة والنبل من أعضاء البيت السنوسي ، وأمر أيضاً بأن لا يقبل أي هدية يرى الشعب فرادى أو جماعات أن يقدمها له في أي مناسبة تتعلق بذاته أو غيرها من المناسبات ، وبهذه المناسبة صدر بلاغ من الديوان الملكي يتعلق بأحد المواضيع التي نحن بصددها: ((بالنظر لما أشيع من أن هناك هيئات حكومية وشعبية ستقوم بتقديم هدايا ثمينة إلى حضرة مولانا الملك المعظم ، وذلك بمناسبة قرانه السعيد ؛ فقد أمر حفظه الله بأنه لن يقبل هذه الهدايا بدون استثناء ، ويطلب من الذين يرغبون في تقديمها إلى مقامه السامي أن يوزعوا المبالغ التي جمعت أو خصصت لهذا الغرض على الفقراء والمعوزين ، والله يجزي أجر من أحسن عملاً))[(٣٩٥)].

كان الملك إدريس رحمه الله يقوم صباح كل يوم مبكراً لأداء صلاة الفجر في وقتها ، ويشرع في قراءة القران الكريم ، وأوراده اليومية ، ويتناول إفطاره حوالي الساعة التاسعة ، ثم يخرج إلى مكتبه حوالي الساعة العاشرة ، فيستقبل موظفي الديوان والخاصة الملكية لتصريف الأعمال اليومية ، ويستقبل زواره من الضيوف ورجال الحكومة وأصحاب الحاجات من الحادية عشر إلى الواحدة ، ثم يتناول طعام الغداء بعد تأدية صلاة الظهر مباشرة ، وكانت الجولة البرية من أحب الرياضات عنده ، وكان يستقبل بعض زواره قبل صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء ، ويتناول الشاي عادة مع موظفي القصر وضيوفه ، وينام عادة حوالي الحادية عشرة مساءً.

وكان يحب المطالعة في مكتبته الخاصة ، ويعكف عليها طويلاً ، وأحب

ما عنده: قراءة القران ، ودراسة كتب الحديث ، ومطالعة كتب التاريخ العام ، وكان يحرص في غالب الأحيان على استماع نشرات الأخبار من المذياع.

وكان لا يهتم بالمظاهر في تحركاته ، وقد ذكر السيد عمر فائق شنيب قصة طريفة عندما كان رئيس الديوان الملكي: كان مولانا الملك يريد أن يتوجه من بنغازي إلى البيضاء ، وحضرت سيارات الحرس ، ولما شاهدنا قبل التحرك قال لي: لا داعي لأن تكن معنا هذه السيارات ، ونكتفي بسيارة واحدة تحمل بعض الضروريات ، وكان قد فاتني أن أصدر هذا الأمر إلى قائد الحرس ، وبينما نحن في الطريق لفت نظري الملك إلى أمره السابق ، وقال: لماذا يكون معنا هذا الحرس ، فقلت له: يا مولاي إن هذا لم يكن حرساً لكم ، ولكنه محروس بكم[(٣٩٦)].

كان الملك رحمه الله في يوم ربيع (١٩٥٣ م) راجعاً من جولته التقليدية ، ورأى سيارة واقفة بسبب خلل فيها ، وكان صاحبها الأستاذ محمد بن عامر ، فأمر الملك سائق سيارته أن يقف حتى تلحق به سيارة الحرس ، وأمر هذه السيارة بأن تعود إلى الأستاذ ابن عامر لتحمله حيث شاء[(٣٩٧)].

وخرج الملك إدريس ذات مرة في جولته المسائية المعتادة ، ولم يصحب معه حرساً ، ودخل إلى بعض المزارع في منطقة البيضاء ، وعندما دخل إلى أحد البساتين وجد صاحب البستان منهمكاً في سقايته ، فحياه بتحية الإسلام ، وكان البستاني لا يعرف الملك شخصيّاً ولم يخطر بباله أن الملك يصل إلى ذلك الموقع بمفرده كأي شخص ترمي به الطريق ، وبدأ الملك يسأل البستاني عن أنواع الشجر والمحصول وما إلى ذلك ، وكان صاحبنا يجيب عن كل سؤال في حين أنه منهمك في عمله ، وعندما فرغ الملك من الأسئلة وأراد الانصراف ، سأله البستاني قائلاً: ((من حضرتك من غيار صغار)) وهذا هو سؤال كل شخص في برقة لمن لا يعرفه ، فأجابه الملك بقوله: ((أنا إدريس)) ولشدة دهشة الرجل عندما سمع الإجابة قفز مسرعاً وعانق الملك قائلاً: مرحباً ، مرحباً ، أنت سيدي إدريس ولد سيدي المهدي ، مرحباً مرحباً ، وأخذ يردد الترحاب والتساؤل في استغراب[(٣٩٨)].

إن هذه الصفات الرائعة تدلنا على جوانب مضيئة في شخصية الملك إدريس الإسلامية وحبه لمعالي الأمور واهتمامه بالتواضع والبساطة ، كما تدلنا على أنه تحصل على قسط من التربية الإيمانية من حركة أجداده الميامين الطيبين الطاهرين.

ثالثاً: نصحه لزعماء العرب ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان كثير الاتصال بجميع إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً أو ناصحاً أميناً ، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة لدى كل من الملك عبد العزيز ال سعود والإمام يحيى حميد الدين أثناء الظروف العصيبة التي مرت بالسعودية واليمن ، وكان بينهما سوء التفاهم ما كاد أن يكون ثغرة

يتسرب منها التدخل الأجنبي ، كتب للملك عبد العزيز ، والإمام يحيى ناصحاً أميناً ، وأظهر كل من الزعيمين تقديره لشعور إدريس السنوسي ، وقد تبودل بينه وبينهما عدد من الرسائل في هذا الصدد ، وهذه صورة من رسالة أرسلها إلى الملك عبد العزيز رحمه الله:

قال بعد البسملة: ((إلى عين الملوك الكرماء ، وحامي حوزة الحنيفية السمحاء ، صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ال سعود أدام الله بدور سعوده ، ولا زال يعمر الأنام بعدله العمري وجوده ، وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لقد بلغنا عن حكمة جلالتكم البالغة ما شرح صدر كل ودود ، وكمد كل معاند حسود ، وجعل كل موحد يرقص لصنعكم طرباً ، مفتخراً بجلالكم بين الملوك عجماً وعرباً ، فقد جاء حكم جلالتكم العادل في تلك القضية التي كانت بين حكومة جلالتكم وبين حكومة جلالة ملك اليمن كالصاعقة على رؤوس الذي يصطادون في الماء العكر ، وهم من بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، فسقط بحمد الله في أيديهم ورد كيدهم في نحرهم ، بعدما كانوا يعتقدون أن الدولتين واقعتان لا محالة في حرب ، وكانت في نظرهم على قاب قوسين أو أقرب ، ولكن الله سلم وكفى الله المؤمنين القتال ، بما أوتيتموه من حكمة وروية فضربتم للناس خير مثال ، وحمدنا الله كثيراً على أن الدسائس لا تجد منفذاً لجانبكم الحصين ، وذلك ليقظتكم وسهركم

على مصالح الإسلام والمسلمين ، فقد تداركتم الأمر بحكمتكم قبل الفوات ، وحزتم بذلك من العالم العربي والإسلامي أصدق الدعوات ، وإني أتقدم إليكم أيها الأخ الكريم بخالص شكري القلبي على عدم تفضيلكم المصلحة الخاصة دون المصلحة العامة ، مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء لجلالتكم ، أبقاكم الله للإسلام ذخراً وعضداً ، وللدين الحنيف ركناً وسنداً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)).

الإمضاء (محمد إدريس السنوسي)[(٣٩٩)].

بذل الملك إدريس رحمه الله ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه ، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وإن كانت هناك أمور لم يتدخل فيها لكونها خارجة عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

وإليك أخي القارأى هذه الرسالة التي وجهها إلى الحكومة الاتحادية في ١٣ يوليو (١٩٦٠ م) التي عممت على جميع الإدارات الحكومية ، ثم نشرتها الصحف ووسائل الإعلام ؛ بسبب حصول ابن عمه عبد الله عابد السنوسي امتياز تنفيذ طريق فزان بكيفية مريبة ، فأطلق الملك صرخته المدوية: (لقد بلغ السيل الزبى).

وكانت الرسالة موجهة إلى رئيس الحكومة الاتحادية والوزراء والوكلاء ، وكل مسؤول بها ، وإلى والي طرابلس ، ووالي برقة ، ووالي فزان ، ونظارهن ومديريهن ومتصرفيهن ، وكل مسؤول فيهن: ((إنه بلغ السيل الزبى ، وما يصم الآذان من سوء سيرة المسؤولين في الدولة من أخذ الرشوة سرّاً وعلانية ، والمحسوبية القاضيتين على كيان الدولة وحسن سمعتها في الداخل والخارج ، مع تبذير أموالها سراً وعلانية ، وقد قال الله تبارك وتعالى: [البقرة: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ *} [البَقَرَة: ١٨٨]

ولقد قال رسول الله (ص) في حديثه الشريف: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)).

وقد قال رسول الله (ص) في حديثه: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)).

وإنني بنعمة الله وقدرته سوف أغيره بيدي إن شاء الله ، ولن تأخذني في الله ولا في طهارة سمعة بلادي لومة لائم والسلام)).

وبالرغم من أن التحقيقات التي أجريت قد أثبتت براءة ذمة حكومة كعبار من التهم التي علقت بها ، إلا أن الملك رأى أن نزاهة الحكم لا تتحمل وجود مثل تلك الشبهات ، فطلب من الحكومة تقديم استقالتها ، فتقدمت بها ، وقبلها الملك في ١٦ أكتوبر (١٩٦٠ م)[(٤٠٠)].

رابعاً: أدب العبارة في خطاب الملك إدريس وسمو معانيها وتواضعها الجم والدعوة إلى الخير والتقوى:

تميزت خطابات ملك ليبية السابق برصانة الأسلوب ، ومتانة التعبير ، وقوة الحجة ، وحرص الراعي على الرعية ، ونصحه لشعبه ، وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق ، وهذا خطاب ألقاه بمناسبة توحيد الحكم في المملكة ، وألغى الحكم الاتحادي في عام (١٩٦٣ م) يوم ٢٦ أبريل ؛ يؤكد ما ذهبت إليه:

مواطنيَّ الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها أمتنا المجيدة ، وفي هذه المرحلة التي يجتازها ركبنا الصاعد يسرني غاية السرور أن أعلن للشعب الليبي الكريم انتهاء العمل بشكل الحكم الاتحادي ، والبدء رسميّاً في نظام الوحدة الشاملة الكاملة تطبيقاً للتعديل الدستوري الذي وافقت عليه المجالس النيابية والتشريعية بالإجماع ، وإنني لأحمد الله تعالى كثير الحمد ، وأتوجه إليه بالشكر العظيم والثناء الجميل ؛ على ما منّ به

سبحانه وتعالى من نعمة حتى مشاهدة ولادة هذا الأمل الوطني الكبير ، ووفقنا جميعاً بتأييده وعونه إلى تحقيق هذه الأمنية الغالية.

إن الوحدة التي تبدأ اليوم عهدها الميمون هدف جديد من أهدافنا الوطنية التي جاهدنا من أجلها ، وضحى شعبنا في سبيلها ، فهي ثمرة طيبة للجهاد ووفاء لأجر الصابرين ، وهي بعد ذلك ، خير وبركة ورمز لاجتماع الكلمة وتالف القلوب ،

ووعاء للمحبة والتاخي والوئام ، ومبدأ يتبوأ مكان السمو في عالم الأخلاق والفضيلة ، وحبل الله المتين الذي أمرنا سبحانه وتعالى بالاعتصام بعروته الوثقى ، قال تعالى وهو أصدق القائلين: [ال عمران: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} [آل عِمرَان: ١٠٣] ، وهو الدين القويم ؛ دين سيدنا محمد (ص) ، وقال تعالى: [الأنفال: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفَال: ٤٦] ، وقال رسول الله (ص): «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فالحمد لله الذي جمع على المحبة قلوبنا ووحد على الوفاق بلادنا وجعلنا من أمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وإني لأنتهز فرصة إعلان الوحدة المباركة السعيدة فأوصيكم جميعاً بتقوى الله تعالى ومراعاة وجهه في السر والعلن ، وأحثكم على مضاعفة الجهد وبذل المزيد من العمل حتى نوفِّر لبلادنا الازدهار والرخاء والرفاهية ، ونعيش جميعاً في ظل الوحدة أمة قوية في خلقها ، عزيزة في شخصيتها ، متينة في بنائها ، نظيفة في سمعتها ، إن الوحدة تلقي على كواهلنا مسؤوليات جساماً ، وتضع نصب أعيننا واجبات كثيرة ، فعلينا أن نقوم بها ونحافظ عليها ، كما نحافظ على استقلالنا ونحوطها بالرعاية والحدب ، ونغذيها بمشاعر المحبة والوطنية ، حتى نستمر في طريق النمو والاكتمال ، فالوحدة ليست غاية في ذاتها ، وإنما هي وسيلة إلى عمل الخير وطريق إلى افاق الإصلاح والفلاح ، وواجبنا أن نأخذ منها القاعدة الصالحة للانطلاق إلى الأهداف العليا ، ومصباح النور الذي ينير مواقع خطواتنا في طريق العمل الدؤوب والسعي المجدي والتعاون المثمر المفيد ، إن كل مواطن مسؤول عن حماية الوحدة ، وتفرض هذه المسؤولية أن شعار الوحدة تحت لوائه الخفاق كل السواعد العاملة والهمم المتوثبة ، والكفاءات الخلاقة ، ويشمل كل بقعة تستظل بسماء هذا الوطن العزيز ، ويستمتع كل مواطن بخيراتها العميمة ، ويعيش في كنفها عيشة الطمأنينة والسعادة والاستقرار ، أبلغ شكر لنعمة ضيافتها ، وأسمى مراتب الحق أن يحب

المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه ، وألهمنا الرشد والصواب ، وجعل وحدتنا فاتحة عهد سعيد يفيض خيره ويزيد نفعه وتعم بركاته ، ونبدأ مرحلة تنشط فيها العزائم ، وتقوى الإرادات ، فإنه تعالى أقرب مسؤول يجيب دعوة الداعي

إذا دعاه ، ومنه الهداية والتوفيق ، وإليه الملجأ والمصير[(٤٠١)].

إن هذا الخطاب مليء بأدب العبارة ، وسمو المعاني ، والتواضع الجم والدعوة إلى الخير والبر والتقوى.

خامساً: اهتمام الملك إدريس بالثورة الجزائرية:

كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر ، وواصل الملك إدريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت (في ١٩٥٤/١١/١ م) ، وقد أثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة ، وأعماله الجسيمة في هذا الباب ، فقد ذكر السيد مصطفى أحمد بن حليم في كتابه (صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي) في الباب التاسع ، تحت عنوان: ثورة الجزائر ودور ليبية الخطير في مساندتها مايقيم الحجة والبرهان على صدق الملك إدريس لدعمه للثورة الجزائرية ، فقد ذكر السيد مصطفى بن حليم عندما كان بالقاهرة أن الرئيس جمال عبد الناصر اتصل به ودعاه لاجتماع منفرد معه ، وفاجأه قائلاً: إنه يود أن يتحدث معه عن الثورة الجزائرية التي اندلعت ، وشرح جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية ، وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله إلى الحدود الليبية ، وهو يأمل أن يشرف رئيس الحكومة (السيد مصطفى بن حليم) بنفسه بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبية إلى الحدود الجزائرية ، حيث يستلمه منه ممثلو الثورة الجزائرية ، ثم قال جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم: أو لعلك ستخشى الفرنسيين وتخاف بطشهم؟.

فرد عليه مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبية سابقاً ، وقال له: ((يا ريّس لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء إلى ليبية من الجزائر هارباً من الطغيان الفرنسي ، وأمضى حياته في نشر الدعوة الإسلامية ، وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي ، ووالد الملك إدريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر ، حتى لقي وجه ربه ، والسيد أحمد الشريف والملك إدريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان...))[(٤٠٢)].

ورد جمال عبد الناصر على هذه الإجابة المقنعة بقوله: ((ألا تستوعب الدعابة؟! إنني أعرف كل هذا ، وأعرف أن الليبيين أبطال جهاد ، ولكنني أرغب أن أرى رد فعلك... وتبين لي أنك مغربي حاد المزاج لا تتقبل الدعابة بروح مرحة))(١).

كانت القوات البريطانية المتواجدة في ليبية والمنتشرة على طول البلاد من طبرق إلى غرب طرابلس ، والجواسيس الإنكليز يسيطرون على مراكز حساسة ، وموظفون من الإنكليز أيضاً في شرطة ولاية طرابلس ، وفرنسة لا تزال تحتل جنوب ليبية (فزان) ، ولسفاراتها في طرابلس وبنغازي جهاز مخابرات من الطراز الأول ؛ وله أعوان وعيون منتشرة في طول البلاد وعرضها ، وقد بيَّن السيد ابن حليم تلك الملابسات لجمال عبد الناصر الذي أجاب: ((إنني على علم تام بأن ما أطلبه منك عمل ينطوي على خطورة كبيرة ، ومغامرة خطيرة...))[(٤٠٣)] ، ثم أضاف: ((لولا أنني مطمئن لوطنية الملك إدريس ووطنيتك وحرصكما الشديد على تحرير الشمال الإفريقي من نير الاستعمار الفرنسي البغيض لما طلبت منكم ما طلبت ، وعلى أية حال فأنا رهن إشارتكم لأي عون أو نصح أو مساعدة في سبيل هدفنا النبيل لتخليص الجزائر من ربقة الاستعمار)) بعد ذلك قام جمال عبد الناصر بتعريف مصطفى بن حليم بالسيد أحمد بن بلاّ[(٤٠٤)].

كان قائد قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين لا يثق في جمال عبد الناصر ، ويراه حريصاً على تفجير القلاقل وزعزعة النظام داخل ليبية ، ولربما اتخذ من ستار مرور السلاح إلى الجزائر وسيلة لتوزيع السلاح داخل ليبية ضد المملكة ، وعُرِض الأمرُ على الملك رحمه الله فقال: ((من ناحية لا يمكننا أن نرفض مساعدة ثوار الجزائر في جهادهم ، هذا واجب ديني محتم علينا تلبيته ، ولا يمكننا أن نتردد في القيام به...

ومن ناحية أخرى فإنني لا أريد أن أعرّض استقلال هذا الوطن الذي ضحينا في

سبيله بكل عزيز وغال ، واستشهد في سبيله مئات الالاف من الليبيين ، ولا أود أن أقامر بهذا الاستقلال خصوصاً مع فرنسة التي خرجت عن طورها وترتكب كل يوم الكثير من الجرائم والحماقات في قمع كل حركة استقلالية في الشمال الإفريقي...

ومع توتر علاقتنا مع فرنسة بعد طلبنا إجلاء قواتها عن فزان ؛ فإنها ستلتمس أي عذر لترتكب معنا حماقة كبرى...))(١).

لقد وافق الملك إدريس على تمرير السلاح من مصر عبر الأراضي الليبية ، وقام بتوجيه رئيس الوزراء والمسؤولين عن هذه الأمور باتخاذ الأسباب اللازمة للجمع بين الأمرين؛ مساعدة المجاهدين في الجزائر ، وعدم تعريض استقلال البلاد لأي هزة من أي نوع كانت؛ وقام مدير عام قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين باتخاذ إجراءات الرقابة التي ستصاحب قوافل السلاح عبر برقة ، واتخذ رئيس الوزراء مجموعة خيرة من ضباط مدينة طرابلس يشرف عليهم المجاهد العقيد عبد الحميد بيّ درنة للإشراف على هذه المهمة الخطيرة ، وباشر الليبيون مع إخوانهم الجزائريين تنفيذ ما اتفقوا عليه ، وتسرب السلاح من ليبية إلى الجزائر تدريجيّاً ، واستمر هذا الحال في سرّية وكفاءة تامتين لمدة سنة تقريباً ، وكان الملك رحمه الله يبارك تلك الأعمال الجبارة[(٤٠٥)].

ويحدثنا السيد مصطفى بن حليم عن قصة طريفة حدثت له مع السفير الفرنسي في ليبية ؛ حيث قال: «أذكر هنا قصة طريفة حدثت في منتصف سنة (١٩٥٥ م) ، فقد كنا في أوائل الصيف ، وأذكر كان يوم خميس وكنت على موعد مع الأخ أحمد بن بلاّ (من زعماء ثورة الجزائر) وبعض مساعديه ، دعوتهم للغداء ثم التباحث بعد ذلك في أمور السلاح والعتاد والثورة... وأثناء النهار اتصلت به وزارة الخارجية الليبية تقول: إن السفير الفرنسي يلح في طلب مقابلتي حاملاً رسالة من إدجار فور رئيس الحكومة الفرنسية ، وبدون تفكير قلت: ليحضر السفير الساعة الخامسة إلى المنزل (منزل رئيس الحكومة) ناسياً موعدي السابق مع ابن بلاّ وجماعته ، ورجعت إلى مسكني عند الثالثة ، وتناولت الغداء مع الأخ أحمد وجماعته ، والعقيد بيّ درنة ومساعديه ، ثم بدأنا مناقشة طويلة لاختيار أحسن المواقع التي تخزن فيها شحنات

السلاح القادمة ، وأثناء انهماكنا في هذه المناقشة الدقيقة دخل كبير المباشرين ، (وبرغم أوامري بعدم دخول أحد علينا في ذلك الاجتماع) ، واستأذن وأسرّ في أذني أن السفير الفرنسي وصل وأدخله في الصالون المجاور!! وارتبكت ، ثم قلت للأخ أحمد بن بلاّ: أستأذنكم لبضع دقائق ، فقد حان موعد كنت نسيته مع السفير الفرنسي! وأضفت: لعله لم يسمع مناقشتنا...! وذهبت لاستقبال (مسيو دي مارساي) الذي كان يحمل لي رسالة عاجلة من رئيس وزراء فرنسة يرجو المساعدة في القبض عن طريق العدالة الفرنسية على المدعو (ابن بلاّ) ، وتمكنت بصعوبة كبيرة من السيطرة على عضلات وجهي وكتم ضحكة ساخرة... وقلت للسفير: أرجو أن تحضروا لنا صوراً للمجرم (ابن بلاّ) صوراً مواجهة ، وصوراً جانبية ، ووصفاً دقيقاً للرجل ، وتقدموا هذه المعلومات للسيد يجادير جايلز بك في طرابلس ، وللفريق

بوقويطن في برقة ، وسأصدر تعليماتي لهما بمساعدتكم بكافة الوسائل ، وودعت السفير ، ثم استأنفت الاجتماع ، فسألني الأخ أحمد عن سبب زيارة السفير ، قلت: أراد المساعدة في القبض عليك! قال: وماذا قلت له؟ قلت: وعدته بالمساعدة بعدما يقدم لي تفاصيل كافية تمكن رجال الشرطة من القبض عليك ، وضحكنا كثيراً...))[(٤٠٦)].

لقد تدهورت العلاقات بين ليبية وفرنسة بعدما تأكد للحكومة الفرنسية أن ليبية تقف وراء حركة الجهاد في الجزائر مؤيدة لها قولاً وفعلاً ، وتسربت الأخبار عن الدور السري الخطير الذي كانت تقوم به ليبية بزعامة ملكها في مساندة الشعب الجزائري ومده بالسلاح والعتاد بالإضافة إلى التأييد السياسي

والمعنوي إثر اعتراض الطيران الفرنسي للطائرة التي كانت تحمل أحمد بن بلاّ ورفاقه وهم في طريقهم من الرباط إلى تونس ، وأرغمت الطائرة على الهبوط في مطار الجزائر ، وتم اعتقالهم هناك[(٤٠٧)].

لقد استشاط غضباً نواب اليمين في البرلمان الفرنسي ، ووصلت حملتهم على دور ليبية في نصرة حركة الجهاد في الجزائر حد الهستريا ، الأمر الذي جعل الحكومة

الفرنسية تحاول التملص من تعهداتها بالجلاء عن الجنوب الليبي في فترة أقصاها نوفمبر سنة (١٩٥٦ م) ، وقامت فرنسة بإرسال السفير (بالائي) إلى الحكومة الليبية وأبلغها بأن الحكومة الفرنسية لا تستطيع أن تنفذ جلاء قواتها عن فزان بعدما تبين لها مواقف الحكومة الليبية المعادية لفرنسة ، وكان رد رئيس الوزراء الليبي بأن حكومته سوف ترفع القضية إلى مجلس الأمن ، وطلبت من الرئيس أيزنهاور الأمريكي لكي يتدخل وينصح حلفاءه الفرنسيين باحترام ميثاقهم مع ليبية[(٤٠٨)].

لقد وقف الملك وحكومته وشعبه مع القضية الجزائرية ، وكانت الحكومة الليبية شديدة الحرص على الادعاء بأنها تقف موقفاً محايداً تماماً ، فبينما تعطف على امال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ، إلا أنها لا تساعد على أعمال العنف! ولذلك فهي تدعو فرنسة وثوار الجزائر إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات للوصول إلى حل سلمي! كان كل هذا ستاراً دبلوماسيّاً؛ لأن مساعدات ليبية للجزائر زادت نوعاً ومقداراً ، بل سمح للمؤسسات الشعبية في أنحاء ليبية بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائري وجمع التبرعات ، وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية ، وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية ، وكانت الحكومة الليبية برئاسة ابن حليم تدَّعي أن لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية ، وأن خير سبيل أمام فرنسة هو الاستجابة لنصائحها باتباع الطرق السلمية مع الثورة الجزائرية ، وإيقاف أعمال القمع والقتل والتشريد التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر[(٤٠٩)].

كان رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم متعاطفاً مع القضية الجزائرية ، ووجد دعماً معنوياً من الملك نفسه ، فمضى في طريقه بثقة واطمئنان ، حتى إنه لما زار عدنان مندريس رئيس وزارة تركية ليبية في عام (١٩٥٧ م) في شهر فبراير اختلى ابن حليم بعدنان مندريس ، وبدأ بحديثه عن دور الأتراك العظيم في نشر الإسلام وزعامتهم للأمة الإسلامية عبر قرون عديدة من التاريخ الإسلامي المجيد ، وشدد على روابط الدين التي تربط الأتراك ببقية الأمة الإسلامية ، وعلى أن لتركية دورها الإسلامي العظيم بالرغم من دعاوى العلمانية ، ثم عرّج بحديثه عن شمال إفريقية

وشرح لمندريس مدى الظلم والقتل والتشريد الذي يعاني منه شعب الجزائر المجاهد ، ومحاولات فرنسة قمع ثورته الإسلامية وتنصيره وفرنسته ، ثم دخل في صلب الموضوع ، وقال لعدنان بك: ((إنني امل أملاً قوياً أن تمد تركية الشقيقة المسلمة الكبرى يد المساعدة لشعب الجزائر المجاهد في محنته الراهنة)).

قال عدنان مندريس: إنه كمسلم يعطف بكل جوارحه على الشعوب الإسلامية جميعاً ، وبنوع خاص على شعوب الشمال الإفريقي ، وهو على إدراك تام بما يعانيه الشعب الجزائري في حربه الاستقلالية ، ثم قال: ولقد بذلت تركية الكثير من المساعي السرية الحميدة لدى حكومة باريس موصية وناصحة بأن مشكلة الجزائر لا تحل بالقوة والقمع ، بل بحلول سياسية وتفاوض مع ممثلي سكان الجزائر ، وأضاف إنه على استعداد لمضاعفة هذه المساعي بل وتوسيعها بحيث تشمل ضغطاً ودياً لدى دول حلف الأطلنطي الأخرى ؛ مثل: الولايات المتحدة وبريطانية وإيطالية ، وقام السيد مصطفى بن حليم يشكر عدنان مندريس على مساعيه الدبلوماسية الطيبة ، وحثه على المواصلة ، وقال له: ((إن مساعدة شعب الجزائر تتطلب أكثر من المساعي الحميدة ؛ فهي تتطلب عوناً مادياً ، مالاً وسلاحاً)) ونظر عدنان مندريس إلى مصطفى بن حليم وظهر على وجهه الاضطراب واختفت الابتسامة التي كانت تلازمه كثيراً ، ثم قال للسيد مصطفى بن حليم: يا أخي العزيز! أنت تعرف أن تركية عضو هام في حلف الأطلسي ؛ فكيف ترى أن تقدم لثوار الجزائر سلاحاً من سلاح الحلف (الأطلسي) لكي يحاربوا به عضواً هامّاً اخر من ذات الحلف - أعني: فرنسة؟ فقال مصطفى بن حليم: أنا أعرف أن تركية من أقوى الدول الإسلامية ، وهي التي كانت تتولى القيادة والريادة للأمة الإسلامية لقرون عديدة ، فكيف ترى أنت يا أخي العزيز ألا تمد تركية العون المادي للجزائريين المسلمين الذين تقتلهم قوات فرنسة وتشردهم أو تعذبهم أنكل التعذيب؟ وما لهم من ذنب إلا أنهم يسعون لنيل حريتهم واستقلالهم!

كرر مندريس مخاوفه الشديدة من عواقب اكتشاف أي شبهة بأن تركية تمد الثورة الجزائرية بأي عون مادي... وكرر عدة مرات بأن هذا سيسبب طرد تركية من حلف الأطلسي ، وهو الركيزة الرئيسة التي يرتكز عليها دفاع تركية في مواجهة الخطر الروسي العظيم ، وكان ابن حليم يشعر بأن مخاوف عدنان مندريس حقيقية ، فهدأ

من روعه وقال له: إن الثورة الجزائرية في أشد الحاجة إلى أنواع كثيرة من الأسلحة الحديثة ، وهذه الأسلحة متوفرة لديكم ، فإذا أعطيتكم كشفاً مفصلاً بهذه الأسلحة وأهديتموه أنتم إلى شقيقتكم ليبية ؛ فليس في هذا ما يثير أي شك أو ريب لدى فرنسة ، وقال مصطفى لعدنان: إن الليبيين سوف يقومون بتسريب السلاح إلى الإخوان الجزائريين تدريجيّاً ، ووعده بأن لا يعلم هذا السر إلا القيادة الجزائرية العليا ، بل عدد قليل من أفراد تلك القيادة العليا ، وواصل ابن حليم حديثه مع ضيفه رئيس وزراء تركية عدنان مندريس ، واستعرض له ماضي تركية الإسلامي وتاريخها في الذود عن الإسلام ، وإعلاء كلمته ، ومزج السياسة بالعاطفة الدينية ، إلى أن قال عدنان مندريس: سنقدم لكم هدية السلاح ، وأرجو الله أن يوفقكم في إيصالها لأولئك الذين يحتاجونها في الدفاع عن دينهم ، أما نحن في تركية فإننا نقدم الهدية لجيش ليبية الشقيقة فقط ، وشدد على المحافظة على السرية المطلقة ، وبعد أسابيع قليلة وصلت هدية السلاح التركي ، واستلمها الجيش الليبي في احتفال عسكري ، ثم بدأ تسريبها تدريجيّاً إلى مجاهدي الجزائر[(٤١٠)].

كان الملك إدريس رحمه الله بعيد النظر ، فبعد أن استقال السيد مصطفى بن حليم من الحكومة في اخر مايو عام (١٩٥٧ م) ؛ عيَّنه مستشاراً خاصاً له بمرتب رئيس وزراء ، وأصر على بقاء ابن حليم في خدمة الدولة ، وشرح الملك لرئيس وزرائه السابق أنه سيحتاج إليه قريباً ، ثم عرض عليه أن يرسله سفيراً لليبية في باريس ، لأن علاقته ممتازة مع رجال الثورة الجزائرية ، ولأن الحكومة الفرنسية قد وصلت لقناعة بأن قضية الجزائر لا تُحل عسكريّاً وإنما بالمفاوضة مع سكان الجزائر ، وعندما رد ابن حليم على الملك بقوله: إن الحكومة الفرنسية أصبحت على علم تامٍّ بالدور الذي قام به في مساعدة الثورة الجزائرية وتهريب السلاح والعتاد لها ، وإن الثقة منعدمة بينهم وبينه ، رد الملك بأن هذا هو خير مؤهل يجعل الحكومة الفرنسية تستعمل مساعيك كقناة للوساطة مع الثورة الجزائرية لتأكدها من أن زعماء الجزائر سيتقبلون نصحك قبولاً حسناً ، ويثقون بما تنقل لهم من اقتراحات ، وأضاف الملك: ((عليك أن تكمل رسالتك نحو الثورة الجزائرية))[(٤١١)] ، لقد كانت مهمة سفير

ليبية في فرنسة البحث مع الحكومة الفرنسية عن سبل سلمية لإعطاء شعب الجزائر حق تقرير مصيره ، وتشجيع الحكومة الفرنسية على انتهاج سياسة التفاهم والتفاوض مع جبهة تحرير الجزائر ، والإقلاع عن سياسة القمع والعنف والتشريد ضد الشعب الجزائري[(٤١٢)].

وبدأ السفير مصطفى بن حليم بتنفيذ دوره الذي رسمه له الملك ، وقام الملك إدريس بطلب رسمي من الجنرال ديجول الذي أصبح رئيساً للجمهورية بأن يطلق سراح أحمد بن بلاّ ورفاقه من السجن ، أو على الأقل أن يخفف وطأة السجن إلى إقامة جبرية أو شيء من هذا القبيل ، وأجاب الجنرال ديجول على طلب الملك إدريس بوساطة سفير ليبية بفرنسة مصطفى بن حليم الذي حمله ديجول رسالة إلى الملك إدريس ؛ بأن مسعاه لن يذهب سدى ، وبعد أيام نُقل أحمد بن بلاّ ورفاقه إلى فيلا في ضاحية (شانتييه) بجوار باريس[(٤١٣)].

وفي يناير عام (١٩٦١ م) ، زار ليبية الكونت دوباري ، موفداً من طرف الجنرال ديجول رئيس الجمهورية انذاك ، واستقبله محمد عثمان الصيد بصفته رئيساً للحكومة في طرابلس ، وكان الكونت دوباري يحمل رسالة خطية من ديغول للملك إدريس السنوسي ، وأبلغ المبعوث الفرنسي السيد محمد الصيد رئيس الوزراء أن الجنرال ديجول يريد إبلا غ الملك إدريس عبر هذه الرسالة: أن فرنسة ستعمل قريباً على إيجاد حل لقضية الجزائر يضمن مصلحة الجزائريين ، ويلبي المطامح العربية ، لكنه يرجو من القادة العرب ؛ خاصة أولئك الذين تعرف عليهم إبان الحرب العالمية الثانية ، ومنهم الملك إدريس تفهم ظروف فرنسة الداخلية ، ومساعدته حتى يمكن إخراج هذا الحل إلى حيز الوجود ، وبالفعل لم تمضِ أربعة أشهر حتى بدأت مفاوضات الاستقلال بين فرنسة والجزائر في ٢٠ مايو (١٩٦١ م) في إيفيان.

عقب إطلاق سراح أحمد بن بلاّ ورفاقه الأربعة ، وكان يطلق عليهم (الزعماء الخمسة) من السجون الفرنسية ، قام هؤلاء الزعماء بزيارة إلى ليبية ، واحتفى بهم الليبيون حكومة وشعباً احتفاءً كبيراً ، واستقبلهم الملك إدريس السنوسي ، وحثهم

على التضامن ونكران الذات، وذكَّرهم بالحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول (ص): «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ، وطلب منهم الاهتداء بهذا الحديث ، ودعاهم إلى نبذ جميع أشكال الخلاف والشقاق والأنانية التي تضر إن وجدت بالجزائر واستقلالها.

كانت الحكومات الليبية المتعاقبة بعد حكومة ابن حليم تدعم ثورة الجزائر ، وكان من وراء ذلك التأييد غير المنقطع الملك إدريس بتوجيهاته المستمرة ، وكان يكن في أعماقه عطفاً خاصّاً على ثورة الجزائر الإسلامية.

إن المملكة الليبية بحكومتها وشعبها ساعدت ثوار الجزائر في معركتهم المقدسة ضد فرنسة ، وقاموا بمد الثورة بالسلاح والذخائر والمساعدات ، وقد حدثني السيد محمد القاضي عبد الكبير الذي كان معي في المعتقل السياسي بطرابلس عام (١٩٨٣ م) ، وكان حاكماً لمنطقة فزان زمن المملكة ؛ فقد أخبرني عن إشراف الحكومة على مخازن الأسلحة ، وتوصيلها للمجاهدين في الجزائر ، وقد توفي رحمه الله بعد خروجه من السجن ، وقد قضى في سجون ليبية من عام (١٩٦٩ م إلى سنة ١٩٨٨ م) ، وكان رجلاً عجيباً في دينه وصفاء فطرته ، حفظ القران الكريم بعد الخامسة والأربعين من عمره ، وكان يتحدث الإنكليزية والفرنسية والإيطالية ، وكان شعلة من النشاط والاجتهاد والتعليم ، وقد جاوز الستين من عمره ، وكان يحافظ على صيام السنن ، والنوافل ، والقيام ، والرياضة البدنية ، وكان يقول لي: إن أمله في الله أن يغفر له ذنوبه ، وأن يكون سجنه تكفيراً للذنوب والخطايا ، وأن السجن وقفة مع الذات وفرصة لمحاسبة النفس لا تعوض أبداً ، وإن الذي أكرمني الله به في السجن لولا أن الله منّ علي به ما تحصلت عليه أبداً ، وما وصلت إليه ، لقد كان فريداً في سنه ، وفريداً في نشاطه ، فرحمة الله عليه.

إن جميع الساسة والقادة العسكريين زمن المملكة الليبية ، والذين كانت لهم علاقة مباشرة بمد الثورة في الجزائر ؛ يشهدون أن الملك رحمه الله كان مسانداً لحركة الثورة ، وحريصاً على نجاحها ، ولم يقصر معها لا ماديّاً ولا معنويّاً.

* * *

المبحث الخامس

نظرة في كتاب الملك إدريس رحمه الله في اتحاد العرب ، وائتلاف الموحدين ، وبعض المقابلات الصحفية

هذا الكتاب ذكره المؤرخ الليبي محمد الطيب الأشهب رحمه الله تعالى ، ونقل لنا منه نقولاً ، ولا ندري أين الكتاب الان ، كان هذا الكتاب قد وضعه إدريس السنوسي بقلمه كرسالة شاملة في عام (١٩٢٩ م) ، شكلت بحثاً سياسيّاً علميّاً عامّاً ، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته ، فجاء بحثاً متميزاً مدعوماً بالحجج العقلية ، والبراهين المنطقية ، والأدلة التاريخية ، وتحدَّث فيه عن العوائق والمشاكل التي تواجه تقدم العالمين (الإسلامي والعربي) ، والأسباب التي أخَّرت المسلمين والعرب ، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية ، وتحدث عن الخلافة الإسلامية ومالها وما عليها ، وعن سبب انهيارها ، وتكلم عن المشاكل الدولية وعن الاستعمار وأهدافه ، وعن المدنية الإسلامية والحضارة العربية ، وعن دولة الإسلام وما تلاها من دول وحكومات عربية ، وتحدث عن الأخطاء التي ارتكبت في مختلف عصور التاريخ الإسلامي والعربي ، ثم انتقل من هذه المواضيع العامة إلى موضوع الوحدة العربية وما يقاسونه[(٤١٤)].

أولاً: حديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب:

قال رحمه الله: كل إنسان يعرف أن جزيرة العرب كانت قبل البعثة النبوية مضطربة بفعل الجهالة والفوضى والشقاق ، إلى أن قال: وكان لابد من إصلاح أساس النظام ، وعلى هذه الحاجة ظهر الإسلام.

وقال في موضع اخر من بحثه: صار العرب بعد زوال الحكومات العربية تابعين لكل متبوع ، ولم يعنوا برفعة أمتهم ، ولم ينتبهوا من رقدتهم ، وبالأخص منهم من كانت دياره محتلة بالحكومات غير العربية ؛ لقد فسدت أخلاقهم وسجاياهم تحت سيطرة الدول المختلفة ، وظلوا ناسين عظمتهم ومدنيتهم ، وقد تعودوا طأطأة الرؤوس للذل ، ومن الطبيعي أن لا تحتفظ أمة ببأسها وسجاياها ، وخصالها في سلطان حكومة مستبدة ، وهكذا شرع العرب يتغيرون ويفسدون ، على أن العرب لن ينسوا جنسيتهم وقتاً ما ، وليس فيهم من خرج عن عروبته.

إن عروبة العرب الماضية لتؤثر تأثيرها النفسي الان ، وإن التاريخ يعيد نفسه ، وإن العربية مثل الإسلام صبغة لا تزول ، واستطرد إدريس السنوسي في بحثه إلى أن قال: فإذا نال العرب استقلالهم أو استقلت كل مقاطعة عربية إدارياً ، واتحدت مع بقية أخواتها ؛ فإنهن يقمن إمبراطورية عظيمة وحكومة متحدة على نسق واحد.

واستطرد في حديثه عن العرب ، إلى أن قال: إنهم محتاجون إلى تربية أخلاقية ، وتنمية عقولهم المنهوكة منذ مدة من الزمن ، حتى يستردوا شملهم العربي ، وأخلاقهم العالية ، وفي الحقيقة: إن جملة البلاد العربية أصبحت في سبات عما يراد بها من الممالك الأخرى ، ولن تستيقظ إلا على أصوات مدافع المستعمرين ، ورب أمة لا تعرف نفسها حتى تصاب بمظالم الأجانب[(٤١٥)].

ثانياً: الأخوة الإسلامية والعروبة:

قال: حقّاً إن الإسلام يمنع تغلب الجنسية ، ولكن لا يأبى تكامل الأمم إذا لم يضر بسائر البلاد الإسلامية ، ولم يضيع الأخوة الدينية ، والذي يمكنه الرقي في هذا العصر هو الذي يفهم الإحساس القومي ، ولا يمكن الرقي بغير هذا ، لأن الارتقاء رهين باتحاد الجماعات وتعاونها ، والكمال لا يكون إلا بالأمة كلها ، وما كان لرقي الأفراد إلى الان فائدة كبيرة في الأمة ، ولهذه الأمنية يربي السياسيون الأمم ، والاتحاد القومي موجود بنفسه ، ويكفي فيه أن يكون الإنسان عربيّاً ، فإن الفرد من هذه الأمة العربية يدرك بفطرته وبفكره الأول: أنه ابن هذه الأمة التي زلزلت الأرض حيناً من الزمن ، وحق له أن يفهم ذلك ، وهذا العصر هو عصر القوميات ، فلا

تستطيع الأمة العربية أن تقف بعيداً عن هذا التيار ، والعرب هم أساس الإسلام ومنشؤه ، فإذا ما تماسكوا وتكاتفوا وشدوا أزرهم ينهض الإسلام بلا ريب ، ولا خوف على المسلمين من تفرق الكلمة إذا ما عرب الجزيرة نهضوا ، ومن أجل هذا نرى أن العصبية العربية معقولة ومشروعة ، بل وضرورية ، على شرط أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية ، وأن لا تتعدى على الاخرين ، وبهذه الوسيلة تقوى الأمة العربية ويقوى الإسلام معها[(٤١٦)].

ثالثاً: الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية:

قال الملك إدريس رحمه الله: لا ريب أن الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية ، ومنه منشأ الرجال الذين نشروا في العالم أسمى مبادأى الحرية ، وعلموا الناس أجمل معاني العدل ، والتسامح ، والعلم ، والقابض الان على أزمة أموره هو جلالة الملك عبد العزيز ال سعود ، وفي بلاد اليمن جلالة الإمام يحيى بن حميد الدين ، وهذان الملكان المستقلان المسيطران على صميم أحفاد عدنان وقحطان لا ريب في أنهما يشعران بثقل المسؤولية أمام الله وأمام أهل الجزيرة وعموم المسلمين ، وهما الان أمام صحيفة يسطر لهما التاريخ فيها من جديد كما سطر لغيرهما في الماضي ، ولا يعزب عن ذكائهما كيف يجب أن تدار دفة الأمور لإعادة مجد العرب والإسلام ، وتعريف الأمم ما تجهله من مدنيتهم وادابهم وحضارتهم ، وليس

هناك ما يقرب بين الشعوب ويعرف بعضها بالبعض الاخر غير الأعمال المجيدة النافعة والاخذة بأسباب الإصلاح من كل وجوهه المعلومة في هذا العصر ، عصر المعارف والفنون ، فعليهما أن يعرفا كيف يقودان صميم الأمة العربية من أحفاد عدنان وقحطان في القرن العشرين ، إنهما يريدان أن يقفا بالأمة العربية في مستوى واحد مع الأمم التي سبقتهم الان بمراحل ، فعليهما إذاً أن يستعدا للكفاح في معترك هذه الحياة ، وعليهما أن يخلقا في أرض الجزيرة حيث لا امتيازات ولا عوائق مدنية جديدة وشعباً قادراً على السير وحده ، ولم يكن هذا بالشيء العسير؛ لأن الفرصة سانحة للعمل[(٤١٧)].

رابعاً: العمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي:

وقال أيضاً: والعمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي ، أما الديني فهو تحرير الفكر من قيد التقليد ، واعتبار الدين صديقاً للعلم وحاكماً عليه ، وفهم الدين على طريقة السلف الصالح ، ووضع ترتيبات ونظام للحج يكفل راحة الحجاج ورفاهيتهم وأمنهم ، وأما المادي فهو: الاتحاد ، وتحسين المواصلات في البلاد العربية ، ومد السكك الحديدية ، وخطوط التلغراف ، والتليفون وتعميمها ، وتعبيد الطرقات لسير السيارات ، فبذلك ترتبط الممالك ارتباطاً منظماً ، ثم وضع برامج واسعة وثابتة لنشر المعارف في عموم أنحاء المملكة بتعميم المدارس الدينية والثقافية ، وتأسيس جماعة عربية بمكة لتعمل على ترقية الأمة العربية فنيّاً وأدبيّاً ، ولتنظيم الوحدة ومتجه السير وحرية الرأي ، ثم المداومة على عقد المؤتمر الإسلامي في كل سنة أوان الحج ، وتنظيم طرق الدعاية إليه ونشرها في عموم الأقطار الإسلامية والعربية[(٤١٨)].

خامساً: الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان:

وقال: إن الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان لا تزول بزوال الأفراد والأسر ، وهو صاحب النظريات السامية التي تؤثر في حياة الأجيال مع المحافظة على دوام السلام بقدر المستطاع ، ومراعاة الظروف الواقعية حتى لا يعتري بنيانه الخلل وهو لا يزال وليداً[(٤١٩)].

سادساً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص:

وقال أيضاً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، فإن الواجب المقدس يدعوكم أن توحدوا صفوفكم ، وأن تجاهدوا جميعاً في سبيل الذود عن حياض بلادكم ودينكم ، وليس الجهاد هو القتال فحسب ، بل إن أول الجهاد هو أن تعرفوا معنى الأخوة العربية وتوحيد السبيل ، ثم

تدافعوا بكل ما استطعتم كلما أمكنكم الدفاع ، وأوله باليد ، وليس معنى ذلك هو إشهار السلاح فقط ، ولكنه التعلم ، تعلم كل ما يمكن أن تتفوقوا به من الصنائع ، وباللسان ؛ أي:
ببذل كل ما أوتيتم من النصيحة والإرشاد ، وبالقلم ، أي: بتأسيس الصحف وارتباطها ببعضها لتوحيد الفكرة وتوجيه الرأي العام ، وبعمل الملاجأى ، والمستشفيات للفقراء واليتامى والمرضى ، حتى لا يضطروا إلى الالتجاء للمؤسسات الأجنبية التي قد تدس لهم السم من عقائد دخيلة ، ومذاهب فاسدة مفسدة ، ثم إنشاء المدارس الوطنية وتشجيع التجارة الوطنية ، والاكتفاء بمصنوعات البلاد.
وبعد أن تحدث في هذا الموضوع بإسهاب قال: والشعب العربي هو الان على أبواب نهضة عظيمة ستتجاوز بعون الله ما كان عليه قبل قرون ، وإن التاريخ سيعيد نفسه ، والأحفاد . كما قيل . هم سر الجدود.
إن الشعب العربي له مواهبه العظيمة في الحزب والسياسة ، وفي العلم والإقدام ، هذا ما لا ينكره أحد ، والبلاد العربية في نظر عموم المسلمين متقدمة ، ولها المكان المرموق لوجود البيت الحرام ، وكذلك قبر النبي (ص) وبيت المقدس[(٤٢٠)].
وقال في مكان اخر من البحث: إن الإسلام معناه الاتحاد ، والإسلام واحد لا يقبل التجزئة ، ولكن مع الأسف الشديد فقد أدى الجدل الكلامي إلى الاختلاف ، فتفرق المسلمون إلى معتزلة وأهل سنة ، وتفرقت المعتزلة شعباً ، وتفرق أهل السنة في الاجتهاد إلى مذاهب ، وهذا الاختلاف تجاذبته الأغراض السياسية ، ولا سبيل لحسم هذا الخلاف إلا بالعودة إلى الإسلام الذي بينه صاحب الرسالة على بساطة أسلوبه وسمو معانيه وجوهره[(٤٢١)].
فلنفكر قليلاً في إنصاف وتعقُّل ، ولننظر إلى الحقيقة ، ولنرجع إلى أوامر النبي (ص) وكنه الإسلام ، ونستعرض هذه المصائب التي انتابتنا منذ عصور طويلة ، فإنه لا يوجد شيء مهلك كمنازعتنا معشر المسلمين... إلى أن قال: إن هذه الفوضى أفسدت الجماعة الإسلامية جيلاً بعد جيل ، وأفسدت الثبات والصبر والسعي المضطرد والاجتهاد والتفكير ، ثم قال: إن المسلمين لعدم تمسكهم بروح الإسلام أصبحوا في ضعف وانحطاط ، وقد ذهب استعدادهم الفكري لانكبابهم على المنقولات ، فالتقليد في الفكر لم يكن فضيلة ، فكيف نقف هكذا صغاراً أمام
الماضي؟ وكيف ننتظر من أسلافنا كل شيء كمن ينتظر الميراث ليعيش به؟[(٤٢٢)].

هذه بعض النقولات من كتابه (اتحاد العرب وائتلاف الموحدين) يعطي الباحث خطوطاً عريضة في نظرة الملك إدريس رحمه الله لبعض القضايا التي تتعلق بنهوض الأمة وسعيها نحو التمكين.

وزيادة في إيضاح المنهج السياسي الذي كان يتبناه الملك إدريس ننقل هذه المقابلة الصحفية التي أجريت عام (١٩٤٢ م) بين الملك ومندوب جريدة (البصيرة) التي كانت تصدر في الإسكندرية ؛ حيث أجاب على عدة أسئلة تتعلق بالوحدة العربية ، ونهوض الأمة ، فقال: من المشاهد الان أن العالم يسعى إلى التكتل داخل مجموعات قوية كبيرة ، والعرب في بلادهم المختلفة لا حياة لهم . أقصد . حياة العز والقوة . إلا إذا اتحدوا داخل نطاق من التعاون التام ، التعاون الذي يجمع بين الثقافة والصناعة والاقتصاد ، وبذلك تستطيع المجموعة العربية الكبيرة المؤلفة من ثمانين مليوناً أن تحتفظ لنفسها بين الأمم العالمية بمكانة مرموقة محترمة ، والوحدة العربية عندي أقرب إلى التحقيق في وقتنا الحاضر من اتحاد شرقي إسلامي ، فإنه من المشاهد في بقاع الأرض المختلفة أن وحدة الدم واللسان والثقافة هي أكبر العوامل في تقارب الشعوب ، واتحاد المصالح ، وهذه الأمور جميعها متوفرة في الأمم العربية أكثر من توافرها في العالم الإسلامي ، زد على هذا أن الأمم العربية متجاورة الحدود ، ومتقاربة التخوم ؛ مما يجعل الاتحاد بينها أقوى أثراً وأسرع تنفيذاً ، وأجاب عن سؤال اخر لنفس المندوب بقوله:

إن الواجب المقدس الذي يحتمه الدين وتفرضه الوطنية على كل عربي ؛ هو أن يجاهد الطغيان بكافة الوسائل التي يملكها ، حتى يزول هذا الرعب الزاحف ، وتشرق شمس الحرية والكرامة الإنسانية على الأمم العربية والعالم أجمع من جديد[(٤٢٣)].

وعن سؤال اخر أجاب: إن الأهداف التي نرمي إليها والتي طالما سفكنا دماءنا في سبيل تحقيقها هي الحرية الكاملة ، والاستقلال الشامل ، ولا ننسى نحن الطرابلسيين

واجباتنا حيال النهضة العربية الكبرى باعتبارنا وحدة من الوحدات التي تتكون منها المجموعة العربية.

سنعمل كما عملنا في السابق متعاونين مع الأحرار العالميين على أن يسود الشرق العربي روح النهوض في المرافق العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ؛ حتى يؤدي رسالته الإنسانية ويستعيد مجده الغابر[(٤٢٤)].

وعندما التقت به مجلة (صوت الشرق) في فبراير عام (١٩٥٧ م) وجّهت له بعض الأسئلة ، فأجاب: إن ليبية تمد يدها لكل بلد عربي شقيق بإخلاص ، واضعة كل مالها وأناسها في سبيل نصرة حرية هذا البلد ، وتأييده في الذود عن حياضه وعزته وكرامته ، ولن ننسى أبداً نصرة وتأييد البلاد العربية الشقيقة

، والبلاد الحرة الصديقة لنا في جهادنا وكفاحنا في سبيل تحقيق استقلال ليبية ، وتحريرها من الاستعمار... إلى أن قال: أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل ، والخلق الفاضل ، والاتحاد الشامل ، فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأمور الثلاثة(١).

إن دراسة كتابه المذكور ، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة ، وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة ، ولا توجد لديه رؤية سياسية واضحة ، ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب!!

إن حياة هذا الرجل لغنية بالعبر والدروس والمواعظ ، التي تحتاجها الأجيال الصاعدة التي تستلهم من الماضي ما يفيدها في حاضرها ومستقبلها وفق رؤية وتصور نابع من كتاب الله وسنة رسوله (ص).

سابعاً: مكانة الصحافة في زمن الملك إدريس ، وحرية الكلمة في مجلس النواب:

إن كثيراً من الحكام والملوك والقادة لا يتحملون النقد ، ولا كلمة الحق الموجهة إلى حكوماتهم أو ذواتهم ، ويقتدون بفرعون مصر الذي قال الله فيه: [غافر: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غَافر: ٢٩] ، ويستعملون كافة الأساليب الوحشية لتكميم الأفواه ، ومصادرة الحريات ، ويبررون مواقفهم أمام شعوبهم عند قمع الأخيار والمصلحين ، كما قال تعالى:

[غافر: {أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ} [غَافر: ٢٦]

وهكذا كل الطغاة يقولونها عندما يواجهون المصلحين ، وكلما تواجه الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والصلاح والطغيان ، على توالي الزمان واختلاف المكان.

وهكذا الطغاة في كل زمان ومكان يقدمون أنفسهم على أنهم الحريصون على الفضائل ، الغيورون على الأخلاق ، الراغبون في التعمير والتقدم ، والأمن والازدهار ، بينما يقدمون أهل الخير والصلاح على أنهم مفسدون مخربون ، ضالون مضلون ، أعداء الله والأمة والوطن ، وحلفاء الشيطان ورؤوس الفتنة ، ودعاة الضلال ، ولهذا يجب القضاء عليهم قبل تحقيق أهدافهم الخبيثة[(٤٢٥)].

إن الملك إدريس رحمه الله سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم ، وشجع الصحافة والنواب على قول كلمة الحق ، وحتى الذين يتجاوزون حدود القانون من المعارضة يعترفون بالمعاملة الحسنة التي يلاقونها من الشرطة ، فقد ذكر الأستاذ محمد بشير المغيربي في كتابه: (وثائق جمعية عمر المختار) ما يدل على ما ذهبت إليه ؛ فقد قال: ((لابد أن أقول بعد كل ذلك: إننا طيلة تلك المرحلة ونحن نعارض ونواجه بحدة وبشدة ، وتتخذ ضدنا إجراءات بالسجن والاعتقال والنفي ، وتحديد الإقامة

؛ إننا لم نتعرض لإهانة أو إذلال معنوي أو جسدي ، بل إن كل ما طبق علينا من تلك الإجراءات كان في جو من الاحترام ، وبما لا يجرح كرامتنا أو يحط من إنسانيتنا...))[(٤٢٦)].

إن من يدرس دور الصحافة في فترة الملك يلاحظ أنها كانت حرة ، ولكل شخص الحق في حرية التعبير عن رأيه ، وفي إذاعة الاراء والأنباء بمختلف الوسائل ، وذلك في حقوق الحق الدستوري المنظم لقانون المطبوعات الذي ظهر عام (١٩٥٩ م).

كان قانون المطبوعات يشترط موافقة مجلس الوزراء على وقف إصدار الصحيفة مما أعطاها منعة وحصانة ضد أي قرار تعسفي في حالة تفرد جهة معينة بذلك ، وأعطت الحكومة الليبية زمن الملك السابق رحمه الله حرية للصحف في مباشرة

نشاطها دون تدخل أو تعويق إداري ، ورغم أنه بدرت من الحكومة بعض الممارسات التعسفية في حق بعض الصحف إلا أن طبيعة النظام الحاكم كانت دائماً تعطي مجالاً وبراحاً للأخذ والعطاء ، كما أن دستورية المؤسسات تضمن للصحف والمجلات حقوقها ، وعندما قامت الحكومة في عام (١٩٥٢ م) بإغلاق صحيفة (التاج) عارضت الصحيفة ذلك القرار ، ورفعت دعوى ضد الحكومة ، وألقى الشاعر أحمد رفيق المهدوي قصيدة في تجمع لرفض القرار جاء فيها:

«التاج» يشكو لرب التاج ما لاقى   من الوزارة تعطيلاً وإغلاقا
وزارة جاوزت ما لا يطاق فأكثرت   على الشعب أعناقاً وإرهاقا

وقد نشرت القصيدة في اليوم التالي في جميع الصحف ، ولم يتعرض الشاعر لأي أذى ، ويوم تعرضت صحيفتي (البلاغ) و(الميدان) للإغلاق ، ودخلت هذه الصحف في معارك قضائية عنيفة ضد وزارة الإعلام ؛ كانت هذه الصحف تدافع عن وجهة نظرها علانية أمام الجميع وفي المحاكم ، وكان هناك نوعان من الصحافة: حكومية وأهلية:

أ ـ فالصحافة الحكومية من أشهرها (ليبية الحديثة ، برقة الجديدة ، فزان ، وطرابلس الغرب) ومع كونها حكومية إلا أنها لم تخلُ في مرات عديدة من نقد واضح للسلطات الحاكمة ، رغم كونها من أدواتها الإعلامية ، ونذكر هنا بالقصيدة الشعبية التي نشرتها صحيفة حكومية:

(وين ثروة البترول يا سمسارة   اللى ع الجرائد نسمع بأخباره)

وقد تضمنت القصيدة رسالة جريئة وعنيفة في مهاجمة الحكومة[(٤٢٧)].

ب . أما الصحافة الأهلية ؛ وهي قائمة على الشكل التجاري ، فكانت تتلقى دعماً غير مباشر من الحكومة على هيئة (إعلانات . اشتراكات) ، وبقدر ما كان ذلك يشكل دعماً ماليّاً عُد بمثابة ضغط غير مباشر ، وربما قيدها أحياناً عن التمتع بحرية كاملة ، وقد ساهمت في إنضاج الرأي العام المحلي وتوعيته سياسيّاً ، وقد عرفت صحف (كالبلاغ) و(الرقيب) بمقالاتها المنتقدة للحكومة ، كما اشتهرت صحيفة (الحقيقة) بأسلوبها الساخر في تناول الحكومة والتعريف بمساوئها ، ولم تتوانَ الصحف بما فيها الحكومية عن نقدها وفضحها لبعض مشاريع الدولة ، حتى تلك التي كان وراءها مقربون كعبد الله عابد السنوسي (مشروع طريق فزان) ، حيث نشرت القصة لأول مرة في صحيفة (المساء) في (١٩٦٠/٨/٢٠ م) تقدمت المعارضة على أثرها بطلب إسقاط حكومة عبد المجيد كعبار عن طريق البرلمان ، وهو ما حدث في (١٩٦٠/١٠/١٦ م).

وأهم الصحف والجرائد التي ظهرت في زمن المملكة الليبية وقبلها بقليل هي:

١ . صحيفة (الوطن) ، أنشأها مصطفى بن عامر (١٩٤٣ م).

٢ . صحيفة (التاج) ، لصاحبها عمر الأشهب ، ظهرت عام (١٩٥١ م).

٣ . مجلة (ليبية) ، أنشأها مصطفى بن عامر (١٩٥١ م).

٤ . صحيفة (شعلة الحرية) ، أنشأها أحمد زارم (١٩٥١ م).

٥ . صحيفة (الصريح) ، أسسها إبراهيم أحمد البكباك (١٩٥١ م).

٦ . صحيفة (الليبي) ، أنشأها علي محمد الديب ، سنة (١٩٥١ م).

٧ . صحيفة (المنار) ، مؤسسها عمر الأشهب (١٩٥٢ م).

٨ . صحيفة (الدفاع) ، أسسها صالح بويصير (١٩٥٢ م).

٩ . صحيفة (اللواء) ، أسسها علي رجب (١٩٥٢ م).

١٠ . صحيفة (البشائر) ، مؤسسها علي زاقوب (١٩٥٣ م).

١١ . صحيفة (الزمان) ، أسسها عمر الأشهب (١٩٥٤ م).

١٢ . مجلة (طرابلس الغرب) ، أصدرها مكتب المطبوعات والصحافة والنشر الحكومي سنة (١٩٥٤ م).

١٣ . مجلة (طرابلس الغرب) أصدرها مكتب المطبوعات والصحافة والنشر الحكومي سنة (١٩٥٤ م).

١٤ . مجلة (صوت المربي) ، صدرت عن اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين ، ظهرت عام (١٩٥٥ م).

١٥ . مجلة (النور) ، صاحب الامتياز عقيلة بالعون ، العدد الأول (١٩٥٧/٥/١ م).

١٦ . مجلة (الأفكار) ، ورئيس تحريرها راسم قدري (١٩٥٥ م)[(٤٢٨)].

١٧ . صحيفة (الرائد) ، أنشأها بشير يوسف الطوبي سنة (١٩٥٦ م).

١٨ . مجلة (الضياء) ، صاحب الامتياز عمر الأشهب ، أول عدد (١٩٥٧/٣/١ م).

١٩ . صحيفة (العمل) ، أحمد حسين أبو هدمة (١٩٥٨ م).

٢٠ . صحيفة (الطليعة) ، سالم علي شيته (١٩٥٨ م).

٢١ . صحيفة (الرقيب) ، رئيس تحريرها رجب المغربي (١٩٦١ م).

٢٢ . مجلة (الهدى الإسلامي) ، الشيخ محمد أمين هلال ، رجب (١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م).

٢٣ . صحيفة (البلاغ) ، لصاحبها علي وريث (١٩٦٣ م).

٢٤ . صحيفة (الأمة) ، رئيس تحريرها عبد الله عبد المجيد (١٩٦٣ م).

٢٥ . صحيفة (الميدان) ، فاضل المسعودي (١٩٦٤ م).

٢٦ . صحيفة (الحرية) ، رئيس تحريرها محمد عمر الطاشاني (١٩٦٤ م).

٢٧ . صحيفة (الحقيقة) ، صاحبها محمد بشير الهوني (١٩٦٦ م).

٢٨ . صحيفة (الديلي نيوز) ، رئيس تحريرها عبد الرحمن خليفة الشاطر.

٢٩ . صحيفة (الريبوتاج) ، رئيس تحريرها عبد القادر طه الطويل (١٩٦٧ م).

٣٠ . صحيفة (الشعلة) ، رئيس تحريرها حسين الكيلاني الضريريط (١٩٦٧ م).

٣١ . صحيفة (الفجر) ، محمد فريد سيالة.

٣٢ . صحيفة (ليبية الحديثة) رئيس تحريرها صالحين عبد الجليل عمر.

٣٣ . مجلة الإذاعة ، الكشاف ، صحف برقة ، طرابلس ، الرأي العام ، ليبية تايمز[(٤٢٩)].

وهذا العرض لأسماء الصحف والجرائد يدل على نهضة فكرية وسياسية جيدة للغاية ، كما يدل على مرونة الملك وحكومته وبعدهم عن مصادرة الأصوات المعارضة لسياسة الدولة.

الأستاذ مصطفى بن عامر وكلمة حول الميزانية العامة في مجلس النواب:

كانت العناصر الحية ، والحريصة على مصلحة شعبنا تستطيع أن تتكلم بكل وضوح وصراحة في مجلس الأمة ، ويحفظ لنا التاريخ مرافعة مهمة في مجلس الأمة الليبي عام (١٩٥٥ م) ، وقد تكلم الكثير ممن نقدوا سياسة الحكومة من أمثال الشيخ عبد العزيز الزقلعي وغيره ، إلا أن مرافعة الأستاذ مصطفى بن

عامر كانت أقوى بياناً وأوضح حجة ، وأدق عبارة ، وأسهل أسلوباً ، ومرافعته التاريخية يلاحظ الباحث وجود حرية في القول والنقد والتعبير ؛ تمتَّع بها نواب الشعب ، وتلك الحرية حسنة من حسنات ذلك النظام الذي كان يقوده الملك إدريس رحمه الله.

وقد جاء في كلمة مصطفى بن عامر في مرافعته: ((لقد سبق لي وأنا لست عضواً في المجلس حين وضعت المعاهدة البريطانية والاتفاقية الأمريكية أمامكم لتقولوا كلمتكم فيها ، أن أبلغتكم ارائي عن هذين القيدين الحديديين اللذين صيغا للبلاد ، وأعدا لمنع تقدمها من طريق العزة والكرامة والحرية ، رغم ما قدمته بريطانية وأمريكة إلى خزينة الحكومة من فتات الإعانات ، وفضلات المساعدات التي ظهرت أرقاماً ضخمة في الميزانية الحالية والميزانيات السابقة ، ولكن أي أثر أحدثته تلك الأرقام الضخمة في النهضة الاقتصادية ، وفي العدالة الاجتماعية ؛ اللهم إلا إذا أحدثنا تعريفاً لحقيقة النهضة ، وحقيقة العدالة وفسرناهما تفسيراً يتماشى مع الأوضاع السائدة التي تقوم على ترف الأقلية ، وبؤس الأغلبية ، واعتبار الفساد ضرورة لابد منها ، والإصلاح حلماً من أحلام الطيش والغرور ، لقد مددنا أيدينا للإنكليز والأمريكان وأخذنا منهم الشلنات والدولارات ، وأعطيناهم أعز ما نملك وأكرم ما نحرص عليه فماذا عملنا بما أخذنا؟ لا شيء .. أين موقفنا هذا من ذلك الموقف الذي كنا نقفه في وجه الإدارة البريطانية السابقة ، عندما كانت تدعي وجود عجز في الميزانية وما كان يبلغ نصف مليون جنيه ، وكنا نعتبر هذا العجز مفتعلاً نتيجة الإسراف المقصود لإقامة حجة علينا؟ ومع ذلك فقد عاشت ليبية تحت حكم الإدارة البريطانية تسعة أعوام ، تخللتها سنون عجاف كان الجفاف فيها أشد من الجفاف الان ، لكننا لم نشاهد بؤساً كما نشاهد اليوم ، ولم يمت أحد من الجوع

مثلما حدث في هذا الوقت كما أعلن ذلك أحد النواب المحترمين في قاعة هذا المجلس ، بالرغم من وجود القمح الأمريكي الذي ظن أنه لن يترك بيتاً جائعاً.

والان نريد أن نعرف ما معنى أن نصبح دولة مستقلة ذات سيادة؟ معنى ذلك أن تضخم أرقام الميزانية حتى يقال: إنها ميزانية دولة لا ميزانية مستعمرة ، ونبني المنازل لسكنى الوزراء ، ونقيم العمارات ونؤثثها ، وننشأى المكاتب الفاخرة ، ونستورد السيارات والسخانات والات التدفئة والمكانس الكهربائية ومكيفات الهواء ، وتنقل من عاصمة إلى عاصمة ، ونبعث بالسفراء والوزراء إلى أمريكة والشرق.

أمعنى ذلك أن نصبح جميعاً وزراء ونظاراً ، وأعضاء مجالس نيابية وتشريعية ، ورؤساء دوائر ، ومتصرفين ومدراء ومستشارين وسكرتيرين ، وكتاباً وطباعين ومباشرين ، ونتقاضى الرواتب والمكافات والعلاوات ،

ونتطاحن على التعيينات والترقيات والدرجات؟ أمعنى ذلك أن نشمخ بأنوفنا حينما نقلد منصباً حكوميّاً ، ونمشي في الأرض مرحاً ، ونأبى أن نخاطب إلا بالعرائض ومن وراء حجاب ، ونمسي ونصبح وإذا هنا خلق لا عهد له بهذه الدنيا ومن فيها؟ لعل هذا هو المعنى الذي أدركه المسؤولون من إعلان الاستقلال وقيام دولة وممارسة السيادة ، لعل هذا هو المعنى الذي أدركوه وطبقوه وتفهموا فقراته ؛ على مَنْ تصرف الأموال؟ وعلى من تنفق؟

لا بل انظروا حواليكم أيها السادة ، كم كلفكم هذا الأثاث الفخم الذي يحيط بكم؟ ألم تكن هناك مقاعد صالحة ولائقة قبل هذه ، وإن كانت غير جميلة ولا أنيقة ، ولكنها كانت كافية بل فوق الكافية؟ لِمَ أنفقتم الاف الجنيهات في هذه المظاهر والمناظر وميزانيتكم تئن من العجز ، والأجنبي يحتل بلادكم ، وشعبكم يرزح تحت أثقال عيشة بائسة؟ أريد أن أعرف أهذا هو معنى الاستقلال أم هو الإسراف والتبذير والأبهة والترف؟ وأين الاقتصاد والإنتاج والعمل والاجتهاد؟ أريد الجلوس على الكراسي العادية والمناضد الخشبية قليلة التكاليف ، فماذا يلحقنا من ضرر لو أننا فعلنا ذلك ، اللهم إلا الأجر عند الله ، والذكر الحسن عند الشعب ، ومن وراء ذلك خير الوطن ونفع البلاد ، بل إني أستطيع أن أتطرق في التوفير وعدم التبذير إلى أبعد من ذلك.

وأتصور عندما أعلن استقلال ليبية ، وقيل: إن في ميزانيتها عجزاً يحتاج تغطية من المساعدات الأجنبية ، واجتمع أول مجلس نيابي يمثل البلاد ؛ أتصور أن هذا المجلس رفض أن يكلف ميزانية الدولة الناشئة أي شيء لحساب أثاث قاعة ، وفضَّل أعضاؤُه المحترمون البساطة على كل ما عداها ، وأن يأتي الزوار من هنا وهناك لينظروا إلى ممثلي الشعب وهم يضربون أروع الأمثلة في التقشف والعزوف عن المظاهر على حساب الأمة الفقيرة ، وهم يباشرون أعمالهم لمصلحة أمتهم على هذه الصورة الرائعة الخالية من الزخرف والبهرجة ، كأنهم في بيت من بيوت الله يعبدون الله بالعمل لصالح المجموع ؛ فنحن مسلمون وشعار الإسلام: في كل عمل عبادة.

أيكون ذلك لو كان دليلاً على تأخر وانحطاط؟ لم لا يكون دليلاً على وعي كامل وشعور رفيع بالمسؤولية ، وتفهم عالٍ لحقيقة الاستقلال ، وبداية سليمة قوية في تشييد الكيان السليم القويم؟ ولعل عشاق المظاهر يرون في ذلك عاراً ومهزلة لا يليق أن توصم بهما دولتنا الفتية ، وليس من الكرامة والشرف أن يجتمع مجلس الأمة على تلك الصورة ، وإلى أولئك أذكر أن العار الذي يطمس الشرف هو أن يسمح لأقدام المحتلين أن تدوس أرضنا وهي عرضنا مقابل حفنة من المال ننفقها على مظاهر كاذبة

ومناظر زائلة ، والمهزلة التي تطيح بالكرامة هي أن نتجاهل قدر أنفسنا وحقيقة وضعنا وظروفنا وإمكاناتنا.

إني أشعر وأنا أتصفح الميزانية بأسى عميق وأسف شديد ، إذ إن ذاكرتي تعود بي إلى الماضي القريب المليء بالامال ، وأستعرض الذكريات وأقارن بينها وبين الحاضر المشحون بالالام ، وأتطلع إلى المستقبل فلا أملك إلا التوجه إلى الله أن يلطف بنا ويهيأى لنا من أمرنا رشداً.

أذكر أيها السادة ذلك اليوم الأغر الذي صدر فيه قرار هيئة الأمم المتحدة التاريخي باستقلال ليبية (مساء ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ م) ، وأذكر أن جريدة كتبت في اليوم التالي تعليقاً على هذا القرار: ((منذ البارحة سيكون علينا أن نعمل وننتج أكثر مما قاتلنا وكافحنا ، وسيكون علينا أن نكد ونجد حتى يفوق ما نصبه من عرق ما ذرفناه من دموع وأهرقناه من دماء ؛ أمامنا تركة عهدين يتطلبان التصفية النهائية حتى لا نكون بعد ذلك مطالبين بميراث عهد الإيطاليين الذين خرجوا من ديارنا بعد

صراع عنيف وضحايا جمة ، وخلَّفوا ممتلكات مدمرة وعامرة ولكنها كلها ملك شرعي في أرض الوطن لأهل الوطن...

وعهد البريطانيين الذين قسموا البلاد الواحدة ، واقتسموها سلباً حلالاً ، وضيعوا عليها الفرص ، وشوهوا معالمها ، ووضعوا في طريق نهضتها كل معرقل وعائق ، أمامنا هذه التركة أو هذه المشكلة التي يجب أن يوضع لها حد ، ثم أمامنا ما أمام كل شعب مثلنا من الحاجة إلى إحصاء كل ما له وما عليه ، وتفهم كل دقيقة من لوازمه وضرورياته ، وتنسيق جميع متطلباته في جدول تراعى فيه الأهمية والأسبقية ، ثم المباشرة في العمل بما يستحق من العناية والإتقان في صغير الأمور وكبيرها)).

هذا الكلام قالته الجريدة منذ خمسة أعوام وكأنها تلخص برنامجاً يجب أن تسير عليه الدولة الجديدة إذا أرادت أن تكون دولة ، قالت هذا وقلوب الجميع مفعمة بالامال ، والان أعود لتلاوة ما قلت ونفسي مليئة بالالام ، كيف لا أيها السادة؟ ونحن بدل أن نكد ونجد تخاذلنا وتكاسلنا ، وبدل أن نقتصد ونجتهد أسرفنا وبذَّرْنا ، أن نصفي التركة المتروكة لنا جميعاً ، ونحن من أنفسنا تركة في الحاجة إلى تصفية. وبدل أن نحل المشكلة التي تواجهنا زدنا عليها مشاكل لا يمكن حلها ، وبدل أن ننتج أصبحنا نستجدي الإغاثة ونجلس في طلب الصدقة ، بدلاً من أن نحصي ونتفهم ضرورياتنا ولوازمنا صرنا نفرط في الكماليات حتى جعلناها ضرورة لازمة.

والاستقلال معناه أن نعيش في بلادنا ونملك أمر نفوسنا ، ولا نكن عالة على غيرنا في أي أمر من الأمور... من أجل هذا الاستقلال بذلنا الأرواح ، وأهرقنا الدماء ، وذرفنا الدموع ، ولكي نحافظ على هذا الاستقلال بهذا المعنى ؛ كان يجب أن نعصر أجسامنا عرقاً نتيجة الكد والجهد حتى نوفر المبالغ التي تسدد عجزنا ، ولكننا عكسنا الأمر وقلبنا الوضع ، فلا بد من التضحية ، ولابد من نكران الذات وضرب الأمثال للأجيال القادمة في الإخلاص والتفاني إلى أبعد الحدود[(٤٣٠)].

لقد كانت مرافعة الأستاذ مصطفى بن عامر في مجلس الأمة في سنة (١٩٥٥ م) مفخرة تاريخية للأجيال ؛ حيث إن من أجدادنا من هو بهذه الشجاعة والإخلاص والحرص على تحرير البلاد من الغاصبين ، والدعوة إلى الأخذ بالأسباب التي تؤدي

إلى هذا السبيل ، وإن شعبنا في هذه الفترة الحرجة من تاريخه الجهادي لهو أحوج إلى أمثال الأستاذ مصطفى بن عامر ، لخوض معارك التحرير الفعلية في كافة مجالاتها التشريعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية... إلى اخره.

فنحو أسلمة بلادنا الحبيبة ، وإرجاع عز الأمة التليد ، نحن ساعون وعلى ربنا متوكلون.

ثامناً: استقالة الملك عام (١٩٦٥ م) الأولى ، واستقالته الثانية قبل الانقلاب العسكري بأشهر عام ١٩٦٩ م:

مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الملك ، وأن يقدم استقالته ويترك إلى الشعب أو ممثله إسناد الأمر إلى من هو أحق منه أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب ، ولذلك لم يتردد الملك إدريس في عام (١٩٦٥ م) في عهد حكومة السيد محمود المنتصر الثانية أن يقدم استقالته بسبب التقدم في العمر ، وخشيته نتيجة لذلك من التقصير في القيام بما عليه من الواجب والمسؤوليات إلى البرلمان الليبي ، تاركاً له أن يتخذ ما يراه مناسباً من نظام للحكم لصالح البلاد ، ومن رئيس للدولة فيها؛ ولكنه عندما تقاطرت إلى مدينة طبرق . حيث كان يقيم الملك . الجماهير الغفيرة من مختلف أطراف البلاد ، وفي مقدمتهم الكثيرون من كبار قادة البلاد بما في ذلك قادة المعارضة فيها ، وأحاط الالاف منهم بالقصر عدة أيام يطالبون بإلحاح الملك المحبوب بالعدول عن استقالته ، وبقائه ملكاً لبلاده إلى ما شاء الله ، فإنه لم يكن بوسع الملك سوى الرجوع عن هذه الاستقالة ، موضحاً أن استقالته هذه كان قد تحدث بشأنها من قبل مع بعض رؤساء الحكومات الليبية ، الذين كان من بينهم السيد مصطفى بن حليم ، والسيد محمد بن عثمان الصيد ، وهي كانت فقط بسبب تقدمه في السن ،

وخشيته من يؤدي ذلك إلى التقصير في حسن القيام بما عليه من المسؤوليات ، ولم تكن هذه الاستقالة بسبب خلاف مع الحكومة الليبية أو البرلمان الليبي ، حيث كان كل منهما كما ذكر الملك قائماً بواجبه ، وباذلاً جهده في خدمة البلاد ، ولكنه أمام معارضتهم لهذه الاستقالة فلا يسعه إلا العدول عنها ، على أن يكون لهم الحق في رفع يده عن الحكم إذا
ما شعروا مستقبلاً بعجزه عن حمل ما عليه من الواجبات ، وتكليف من هو أقدر منه على حملها[(٤٣١)].

وقد كانت استقالة الملك إدريس الثانية والأخيرة هي تلك المؤرخة في (١٩٦٩/٨/٤ م) ، والتي وجهها أثناء رحلة استشفائية إلى تركية ثم اليونان إلى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ ، ورئيس وأعضاء مجلس النواب ، ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ عبد الحميد العبار ، ورئيس مجلس النواب مفتاح عريقيب ، عندما جاءا إلى تركية في ذلك الوقت للاجتماع بالملك بناءً على طلبه ، وفي هذه الاستقالة أكد الملك إدريس أنه وقد تقدم به العمر حتى وهن العظم منه ، وبلغ من العمر عتيّاً ، ولهذا فهو قد قرر التخلي عن العرش إلى الأمير ولي العهد الحسن الرضا السنوسي ، مشترطاً موافقة البرلمان على ذلك ، ومن ثم عليه حلف اليمين واعتلاء العرش ، ومطالباً في هذه الاستقالة الشعب الليبي بتقوى الله ومخافته ، وحمد الله تعالى وشكره على ما أكرم بلاده من النعم ، وأفاض عليها من الخير ، وأن عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك خوفاً من أن يرفع الله تعالى عنها نعمه وخيره ويوليها الأشرار من عباده.

وكان نص هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، واله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

يا إخواني الأعزاء رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء مجلس النواب ، يعني مجلس الأمة الليبية ، ورئيس الحكومة الليبية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقدم لكم هذا الخطاب قائلاً: منذ أن قلدتني هذه الأمة الكريمة الليبية ثقتها الغالية بتبوئي هذا المقام الذي شغلته بعد إعلان استقلال بلادنا العزيزة ليبية.

قمت بما قدر الله لي مما أراه واجباً عليّ نحو بلادي وأهلها ، وقد لا يخلو عمل كل إنسان من التقصير ، وعندما شعرت بالضعف قدمت استقالتي قبل الان ببضع

سنوات ، فرددتموها ، فطوعاً لإرادتكم سحبتها ، وإني الان نسبة لتقدم سني وضعف جسدي أراني مضطراً أن أقول ثانية: إني عاجز عن حمل هذه الأمانة الثقيلة ، ولا يخفى أنني بليت في سبيلها خمساً وخمسين سنة قبل الاستقلال وبعده ، قد أوهنت جلدي مداولة الشؤون ، وكما قال الشاعر:

(سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم)

وقد مارست هذه القضية وعمري (٢٧) سنة ، والان أنا في الثانية والثمانين ، ولله الحمد أتركها في حالة هي أحسن مما باشرت في بلائي بها ، فأسلمها الان لولي العهد السيد (الحسن رضا المهدي السنوسي الأول) على أن يقوم بعبئها الثقيل أمام الله وأمام أهل هذه البلاد الكريمة على نهج الشريعة الإسلامية والدستور الليبي ، بالعدل والإنصاف ، فاعتمدوه مثلي ما دام على طاعة الله ورسوله والاستقامة.

وبعد اعتماده من مجلس الأمة يحلف اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة قبل أن يباشر سلطاته الدستورية ، وإني إن شاء الله عقدت العزم الأكيد على اجتناب السياسة بتاتاً والله على ما أقول وكيل.

والذي أختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن ، وإنكم جميعاً في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى.

فاحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى: [النحل: ١١٢] فالله الله مما يغضب {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *} [النّحل: ١١٢] ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ولا تفرقوا ، قال (ص): «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[(٤٣٢)].

محمد إدريس المهدي السنوسي

في ٢١ جمادى الأول ١٣٨٩ هـ

الموافق ٤ أغسطس ١٩٦٩ م.

تاسعاً: نزاهة ملك ليبية وعفته ، وأقوال المؤرخين فيه ، ووفاته:

حينما وقع الانقلاب في سبتمبر (١٩٦٩ م) كان الملك في رحلة إلى تركية واليونان ، ولم يكن معه مال خاص ينفق منه ، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ما تبقى في عهدته من مخصصات ؛ رفض الملك ذلك بعزة نفس وقال له: ((يا بني أنا بالأمس كنت ملك ليبية ، ولكني لم أعد كذلك اليوم ، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي ، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب)).

تقول الملكة فاطمة في رسالة لها بتاريخ ١٣ سبتمبر (١٩٦٩ م) تصف فيها حالها ومال زوجها الملك بعد وقوع الانقلاب: ((إننا نحمد الله على أن تيجان الملكية لم تبهرنا قط ، ولا نشعر بالأسف لفقدها ، فنحن كنا دائماً نعيش حياة متواضعة ، ولم يغب عن أذهاننا مثل هذا اليوم ، كما نحمد الله كثيراً على أننا لا نملك مليماً واحداً في أي مصرف حتى يشغل بالنا المال ، ولم نغير أبداً معاملتنا لأصدقائنا وهي لن تتغير مع الأيام))[(٤٣٣)].

لقد تحدث الكثيرون عن سيرة ملك ليبية السابق ، ويجدر بنا أن نشير إلى بعض الذين عاصروه واتصلوا به شخصيّاً ، واطلعوا عن قرب على الكثير من أخلاقه الرفيعة ؛ ففي مقال نشر في صحيفة (الشرق الأوسط) في عددها بتاريخ ٢٣ يونيو (١٩٨٣ م) ؛ نعى السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبية السابق الملك محمد إدريس السنوسي ، وتحدث عن جهاد ليبية تحت قيادته ، وكان ضمن ما قاله عن شخصيته:

((لقد عرفت الملك إدريس رحمه الله معرفة حميمة على مدى نصف قرن تقريباً ، عرفته منذ كنت صبيّاً ، وعملت معه وزيراً ثم رئيساً لحكومته ثم مستشاراً له ، كما عرفته وأنا مواطن عادي ، وكما عرفته وهو لاجأى في مصر ، وكنت دائم التردد عليه في ملجئه في القاهرة ، وفي طول نصف القرن عرفت فيه المجاهد المسلم الزاهد المتواضع ، لم يُعِرْ مباهج الدنيا أي اهتمام ، وكان الملك المؤمن الورع ، والأب العطوف ، والقائد الحكيم المتواضع ، كما كان يحن دائماً للهجرة إلى مكة والمدينة المنورة ليجاور في الأراضي المقدسة ، مرة واحدة رأيته يتلوى ألماً ويبكي دماً ويهدر هديراً ، وهو الهادي الصبور ؛ كان ذلك يوم سقوط القدس الشريف في أيدي الصهاينة ، كان يخشى الله في السر والعلانية ، كان كريماً ندي اليد ، خجولاً طالما صرف مخصصاته الرسمية في أوجه الخير سرّاً ، وفي سنة (١٩٥٥ م) عندما أنشئت الجامعة الليبية تبرع بقصر المنار في بنغازي ليكون لها المقر ، وكذلك فعل سنة (١٩٥٦ م) ،

تنازل عن قصر الغدير كمقر للكلية العسكرية ، كان دائماً يتردد على الأراضي المقدسة للحج والعمرة))[(٤٣٤)].

ويقول الدكتور مجيد خدوري عن دوره في إنشاء الدولة الليبية وتحقيق الوحدة الوطنية:

((إن الدور الذي قام به الملك إدريس في إنشاء الدولة الليبية بالغ الأهمية ؛ إذ إنه لم يكتف بأن أقدم على العمل بجرأة لتخليص برقة من إيطالية في الحرب العالمية الثانية فحسب ، بل استعمل نفوذه الشخصي وحنكته السياسية لإقناع أصحاب النفوذ من الزعماء الطرابلسيين بوجوب الالتفاف حول النظام الاتحادي الذي لولاه ما كانت لتتم وحدة ليبية قط ، ولما كان حفيداً وخليفة للسيد محمد السنوسي ، فضلاً عن ذلك فقد كسب أيضاً ثقة زعماء القبائل البرقاوية ، وأحاط نفسه بنفر من الرجال المقتدرين الذين تفانوا في تأييده ، كان بعض هؤلاء الزعماء قد تبعوه إلى المنفى ، والاخرين الذين ظلوا في البلاد لمقاومة الإيطاليين قاموا بذلك بتوجيهه ، فلما عاد إلى برقة بعد الحرب لم يكن ثمة مجال للتساؤل عمن يمكن أن تؤول إليه الرئاسة في برقة ، ولم يكن الزعماء الطرابلسيين يجهلون أثر الملك إدريس في توحيد البلاد ، إذ إنهم أدركوا أنه الشخص الوحيد الذي يكنُّ له الجميع الاحترام ، لكنهم اختلفوا على شكل الحكومة المنوي إنشاؤها ، وعلى الحدود الدستورية لاختصاصاته... قبل عرش ليبية بدافع من شعوره بالواجب الوطني ليزود البلاد المقسمة بالزعامة اللازمة لها))[(٤٣٥)].

وأما المؤرخ دي كاندول صاحب كتاب (الملك إدريس عاهل ليبية) فقد قال: ((على الرغم من محاولات تشويه صورة الملك في أذهان الناس ، وتهويل بعض نقاط الضعف التي لا ينفرد بها عن بقية البشر ، إلا أن الحقبة الطويلة التي قضاها في خدمة بلاده وأمته قد ترسخت في أعماق التاريخ بما يكفي للصمود أمام كل المساعي الخبيثة.

إن الملك إدريس رمز لعهد مضى ولن يعود ، ولكنه عهد زاهر يجدر بالليبيين جميعاً والعرب عموماً أن يعتزوا به))[(٤٣٦)].

وقال أيضاً: ((كانت الدعاية التي رافقت الانقلاب كاذبة مفترية في مزاعمها ضد الملك الذي حاولت أن تصوره مثل فاروق فاسقاً متهتكاً فاسد الذمة ، وهو أبعد ما يكون عن تلك الصفات ، فسُمْعَتُه الشخصية كانت فوق مستوى الشبهات ؛ سواء في بلاده أو في العالم العربي عامة كرجل شديد الورع والتقوى ، كرّس حياته لحرية شعبه ، وكان في سلوكه الخاص مثلاً للاعتدال والاستقامة الكاملة ، وإن

الحملة الدعائية التي تواصلت ضده على ذلك النحو كانت من نوع الإسفاف الرخيص الذي لا يقوم على أساس))[(٤٣٧)].

وفاته:

استقر الملك إدريس رحمه الله تعالى في مصر ؛ حيث بقي مدى حياته الأخيرة بها ، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيهما إلى مكة للحج ، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ (٢٥ مايو ١٩٨٣ م) وهو في سن الرابعة والتسعين[(٤٣٨)].

وقد دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة ، وكان قد طلب من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بموسم الحج سنة (١٩٧٧ م) أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع ، فكفل الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله ، ثم إن الملك فهد بن عبد العزيز أجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد بن عبد العزيز ، ونقل جثمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة(٣).

فنسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان ، ونقول ما قاله المولى عز وجل: [الحشر: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠]

لقد تركت ما يتعلق بالمملكة الليبية متعمداً في ذلك ، إلى وقت اخر إن كان للعمر بقية ، وأذن الله في مواصلة هذه المرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الإسلامي إلى هذا الكتاب؛ لأنني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الأحداث ؛ لأن قضايا ذلك العصر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها واثارها الممتدة إلى عصرنا الحاضر ، وخصوصاً وأنني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثاً دقيقاً ، وطلبت من رجال عاشوا في تلك المرحلة ليساهموا معي في تتبع الأسباب التي أدت إلى سقوط الملكية الليبية ، ولكن التفاعل كان ضعيفاً ، واعتذر البعض لأسباب أمنية ، وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة عن المرحلة ، وينتظرون الوقت المناسب لنشرها؛ لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها؛ لأنها سوف تساهم في إيجاد معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق للوصول إلى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية ، ولا يفوتني في هذه الخاتمة أن أشيد بالمجهودات القيمة التي قام بها كل من الوزيرين السابقين: مصطفى بن حليم ومحمد عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الأجيال منها.

إن الجهود التي قام بها الوزيران السابقان تستحق الثناء والتقدير؛ لأنها أصبحت مرجعاً مهمّاً لتلك المرحلة ، وأخذت قيمتها التاريخية والعلمية ، وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن أصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعتها ،كما أنهم حطموا جدار الصمت ، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته أصبح ملكاً للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الاراء حول تلك المذكرات.

إن فترة المملكة الليبية من عام (١٩٥١ م إلى ١٩٦٩ م) غنية بالأحداث على المستوى المحلي والإقليمي والدولي ، وهي تحتاج إلى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والإنصاف ، ويعتمد على الله ثم على الوثائق والحجج والبراهين.

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة ، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها ، حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم اخر.

إن دراسة التاريخ بوجه عام ، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي في دراسته تحقيق الرغبات ، والحاجات الدونية ، بل من أجل الوصول إلى القمة العلية ؛ ألا وهي إحياء الأمة بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب ، واجتناب سنن السقوط والهبوط ، ولهذا قال تعالى: [غافر: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ} [غَافر: ٢١]

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء ١ ربيع الأول (١٤٢٠ هـ) ، الموافق ١٥ يونيو (١٩٩٩ م) ، والفضل لله من قبل ومن بعد ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً ، وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: [فاطر: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *} [فَاطِر: ٢]

وبهذه الأبيات:

إليك وجهت يا مولاي امالي فاسمع دعائي وارحم ضعف أحوالي

أرجوك يا مولاي لا نفسي ولا ولدي ولا صديقي ولا أهلي ولا مالي

لما عرفتك لم أنظر إلى أحد فلا الرعية أرجوها ولا الوالي

فلا تكلني إلى من ليس يكلؤني وكن كفيلي فأنت الكافل الكالي[(٤٣٩)]
واسقني كأس حب من ودادك يا مولاي فهو شراب سلسل حالي
فلا وحقك ما للقلب من شغف إلا بحبك فاشرح لي به بالي

وفيه سلوان قلبي عن علائقه وسلسبيلي وسلوائي وسلسالي
ومنه أحيا ومن فقدي له مرض ومرهمي أبداً منه وإبلالي[(٤٤٠)]
أنا الفقير إلى مولاي يرحمني إذ تقضي بهول الموت إمهالي
أنا الفقير إلى مولاي يرحمني في بطن لحد وحيش مظلم خالي
هناك لحمي لدود القبر فاكهة والعظم مني رميم في الثرى بالي
أنا الفقير إلى مولاي يرحمني يوم القيامة من عنف وأهوال
أنا الفقير إلى مولاي يحشرني في زمرة المصطفى المختار والال
صلى الإله على أرواحهم أبداً ضعفاً على قدر زخار وهطال[(٤٤١)]

* * *

الخُلاصة

* ولد محمد إدريس السنوسي يوم الجمعة في العشرين من شهر رجب (١٣٠٧ هـ) الموافق ١٢ مارس (١٨٩٠ م) بزاوية الجغبوب.

*كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية ، وخصوصاً أهالي الجغبوب ، فعطل معهد الجغبوب ، والكتاتيب القرانية ، ودور الأعمال ، ونحرت الجزر ، ومدت الموائد ، وقدمت الصدقات شكراً لله تعالى.

* نشأ محمد إدريس في رعاية أبويه ، وبعد وفاة أمه احتضنته جدته لوالدته ، واهتم والده بتربيته تربية صالحة ، وبدأ تحفيظه القران الكريم بنفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره.

* تتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء ؛ اشتهر من بينهم: العلامة العربي الفاسي ، وأحمد أبو يوسف ، والعربي الغماري ، وحسين السنوسي ، وأحمد الريفي ، وأحمد الشريف السنوسي.

* أتقن القراءات ، وعلوم الحديث ، كما أتقن البخاري ، ومسلم ، ومسند أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وموطأ مالك ، ومسند أبي حنيفة ، ومسند الإمام أحمد ، وكتاب الأم للشافعي ، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة ، وعلوم التاريخ ، وتقويم البلدان ، وحصل على إجازات عدة.

* لما تقدمت به السن أصبح له مجلس عامر بالعلماء والأدباء ، وكان يحب العلماء ويجلهم ويكبر ما في نفوسهم من العلم ، وينزلهم منه منزلة خاصة ،

ويحيطهم بعطفه ، وكانت أحب العلوم إليه: الحديث الشريف ، وعلم التاريخ والأدب والسياسة.

*كان لا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص ، ثم يأتي بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ، تارة من كتاب الله ، وطوراً من الحديث الشريف ، وحيناً من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين.

*كان قوي الذاكرة ، سريع الخاطر ، متين الحجة ، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين ، وكان جميل المعشر ، رحيماً بأتباعه وخدمه ، فيعود مريضهم بنفس متواضعة ، ويصفح عن المذنبين منهم ما لم يكن الذنب مغضباً لله ولرسوله ، وكان يميل إلى اقتناء جياد الخيل ، وله شغف بجميع أنواع الأسلحة وبجمع الكتب.

*كان حريصاً على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الإسلام ، فبعد أن بدأ الطليان هجومهم الغادر على الأراضي الليبية ، ورأي بعض الإخوان أن يسندوا الزعامة إلى إدريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف ؛ رفض إدريس ذلك العرض ، وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف.

* سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام (١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م) ، وكانت تلك الرحلة مليئة بالدروس والعبر ، وأصبح لها أثر عميق في تفكيره ؛ حيث احتك بالحكومة المصرية ، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين ، وقادة الإنكليز في مصر ، وتكونت له قناعات مهمة فيما يتعلق

بمجريات السياسية الدولية ، وبطبيعة الصراع بين الأتراك والإنكليز ، واتخذ لنفسه منهجاً سار عليه لخدمة شعبه ووطنه وبلاده.

* رأى أنه ليس لمصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الإنكليز ، وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الأتراك ضدالإنكليز ، وأعلن رأيه ذلك بصراحة.

* بعد انتهاء المعارك بين أحمد الشريف وبريطانية ظهر محمد إدريس على مسرح العمل السياسي الليبي ، وكان بروزه مصلحة للبلاد ، لما تمتع به من صفات أهَّلتْهُ لزعامة برقة؛ والت الأمور إلى أن بايعته القبائل في شرق ليبية بالإمارة.

* دخل الأمير محمد السنوسي في مفاوضات مع الإنكليز لكي يتوصل معهم إلى

اتفاق مؤقت يهدف به فتح الطرق مع مصر ، حتى يتغلب على شبح المجاعة الذي هدَّد البلاد.

* اشترط الإنكليز للدخول في المفاوضات ضرورة دخول حليفتها في الحرب العالمية الأولى (إيطالية) لتلك المفاوضات ، واضطر الأمير إدريس للموافقة على ذلك الشرط.

* لم يكن موقف الأمير إدريس قويّاً في المفاوضات بسبب هزيمة جيش السيد أحمد الشريف في مصر ، بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة ، وحرص الإنكليز على كسبه لصفّهم.

*كانت ثورة الأتراك ضد السنوسية من العوامل التي ساعدت في دفع محمد إدريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية ، وقد بدأت تلك الثورة في أواخر عام (١٩١٦ م) ، وانتشرت في جهات عديدة ، حتى توجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر عام (١٩١٧ م) ، وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ إلى الكفرة ، وترك واحة واو ، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك.

* استمر الأتراك في مضايقة محمد إدريس ، وتضييق الحصار عليه ، وعملوا على الإحاطة به ، وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة إلى الكفرة لضرب النفوذ السنوسي هناك ، إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي ؛ الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة ، وأودعهم السجن.

*كان الأمير محمد إدريس على قناعة راسخة أن النصر في الحرب العالمية الأولى سيكون للحلفاء ، ولذلك حرص على التقارب من بريطانية ، صاحبة التفوق في منطقة الشرق ، ومن أجل تقليل الخسائر والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركية على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة ، واتخذ قراراً

بالانسحاب من الحرب ضد إيطالية وبريطانية ، ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك.

*كان أبناء البيت الإدريسي في مصر هم حلقة الاتصال بين الأمير إدريس والحكومة البريطانية ، وتم الاتفاق على سفر وفد بريطاني وإيطالي إلى أجدابية لعقد صلح بين الأطراف الثلاثة.

* وصل في أواخر عام (١٩١٦ م) إلى زويتينة وفد من الإنكليز والإيطاليين ، ومعهم من المصريين أحمد محمد حسنين أفندي ، ومحمد الشريف الإدريسي ، وابنه محمد المرغني ، وكانوا جميعاً ضمن الوفد الإنكليزي ، إضافة إلى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشؤون الشمال الإفريقي ، والضابط اللفتنت هسلم ، وكان الوفد الإيطالي يتكون من الكولونيل بيلا ، والكوماندتور بياجنتيني ، ومترجمهم.

* بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس ، وسبتمبر سنة (١٩١٦ م) ، وكان الوفاق والتفاهم ظاهراً بين الجانبين الإنكليزي والسنوسي ، أما العلاقات الإيطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً.

*كانت مهمة الوفد الإنكليزي يسيرة ، فلم تكن هناك أي صعوبة في الوصول إلى اتفاق مع السنوسيين ، ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم توقيع أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي إدريس من الاتفاق مع الإيطاليين ، ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق.

* في أوائل عام (١٩١٧ م) تمت اتصالات جديدة بين الإنكليز والإيطاليين والسنوسيين ، وقد لعب محمد الشريف الإدريسي وابنه المرغني دوراً هامّاً في إنجاح هذه الاتصالات ، وموافقة جميع الأطراف على تجديد المفاوضات.

* طالت مدة المفاوضات ، فاستغرقت الفترة ما بين شهر يناير إلى منتصف أبريل تقريباً ، والجلسات معقودة ، والحوار مستمر ، وكان لضغوط الإنكليز أثر على الطرفين الإيطالي والسنوسي حتى تم التوصل إلى اتفاق ارتضاه الجميع.

*كانت معاهدة عكرمة في طبرق خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة ، كما أنه أتيحت فرصة لمحمد إدريس لتنظيم القبائل تنظيماً من شأنه أن يجمع الكلمة ، ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب ، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد إدريس ، حتى بدأ الأهالي من ذلك الحين يلقبون محمد إدريس بالمنقذ.

* تركزت جهود الأمير إدريس بعد تلك المعاهدة على أمرين: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد ، وتتولى زعامة القبائل في برقة ، وتطالب
بكل حقوقهم ، ومقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد.
* اتخذ محمد إدريس إجدابية مركزاً لقيادته ، وذلك لعدة أسباب ؛ نجملها فيما يلي: لما تميزت به من موقع استراتيجي هام ، ووقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في الكفرة وقاعدته النوفلية والجبل الأخضر ، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا وأوجلة جخرة ، والكفرة ، وهذا يعطيها بعداً استراتيجيّاً هامّاً ، ومن أهم المناطق في تجارة القوافل ، كانت موطناً لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية ، ولغير ذلك من الأسباب.
* قام محمد إدريس بوضع نواةٍ لجيش نظامي ، واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل ، وتمكَّن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل.
* قام محمد إدريس بتشكيل مجلسين: أحدهما يضم كبار العلماء والإخوان ، ويقال عنه: المجلس الخاص ، وله السلطات التشريعية والتنفيذية ، وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ، ويقال له: مجلس الأعيان.
*كان الأمير محمد إدريس يدير دفة العلاقات مع إيطالية بمنتهى الحذر واللياقة ، والكياسة ، والدبلوماسية ، والسياسة ، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الإيطالي الكونت جاكومودي مارتينو ، وعين عمر باشا منصور الكيخيا ممثلاً له في بنغازي ، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة ، حيث كان نائباً في مجلس المبعوثان العثماني في إستانبول.
*كان الإيطاليون يرغبون في نقض الاتفاقات السابقة؛ لأنهم كانوا يطالبون بالسيادة التامة على ليبية ، وأنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتاً ، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان ، أملاً في أن ينتهي الأمر بهم إلى القبول بالسيادة الإيطالية.
* بعد انهزام تركية في الحرب العالمية الأولى اضطر الأتراك للاستسلام ، وعقدوا مع الحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في ٣١ أكتوبر عام (١٩١٨ م) تعهدت فيها تركية بسحب قواتها من طرابلس الغرب وأن تقطع علاقتها بها.
*كان سقوط تركية سبباً رئيسيّاً في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت

على بساط البحث ، واشترك فيها رمضان بك ، وعزام بك ، والباروني باشا ، والأمير عثمان ، ومختار بك كعبار.

* في يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة (١٣٣٧ هـ) ، الموافق ١٦ نوفمبر سنة (١٩١٨ م) اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاتة ، وهو أكبر جامع فيها.

* تشكل مجلس إدارة الجمهورية من سليمان الباروني ، وأحمد بك المريض ، ورمضان السويحلي ، وعبد النبي بالخير ، وشكل مجلس شورى الجمهورية ، والمجلس الشرعي لها.

* قامت الحكومة بإرسال عدة بلاغات إلى كل من رئيس الحكومة الإيطالية ، ورئيس أمريكة ولسن ، ورئيس الوزراء الإنكليزي ، ورئيس الجمهورية الفرنسية ؛ إلا أن تلك الدول لم تعترف بها.

* في ٣٠ سبتمبر سنة (١٩١٩ م) أعلن الطرابلسيون رسميّاً عن تأسيس حزب الإصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد ، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي ، وأسندوا رياسته إلى أحمد بك المريض ، ورياسة شرفه إلى رمضان بك.

* انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة ، وبين البدو والحضر من جهة أخرى ، وبين سكان البلدان المتجاورة.

*كانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر ؛ فقدت بها طرابلس من أبنائها ما لا يعلم عدده إلا الله.

* استغلَّ الإيطاليون ذلك الصراع وتلك الفتن ، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين ، فاحتلوا فزان في (٣١) أكتوبر عام (١٩٢٢ م) ، وفي (١٧) نوفمبر (١٩٢٢ م) احتلوا غريان ، وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية.

* بعد التطورات الخطيرة ، والانشقاقات العظيمة التي وقعت بين الزعماء رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر غريان ليتدارسوا الأوضاع الراهنة ، ويتخذوا حيالها موقفاً مشتركاً.

*كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين ، استمر لمدة خمس سنوات.

*كان عقلاء طرابلس وبرقة لا يرضيهم تلك الحالة المزرية التي لا يرضى عنها عقل ولا شرع ولا عرف ، فبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد إدريس السنوسي ، وكانت مليئة بالمعاني

الرفيعة والعبارات السامية ، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد إدريس ، وترتب على ذلك اجتماع سرت العظيم بين الوفد الطرابلسي والبرقاوي.

*كانت الحكومة الإيطالية تتابع الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس ، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة ما لا تحمد عقباه ، فقرر وولبي احتلال مصراتة قبل أن يصل الليبيون إلى نتيجة في مؤتمر سرت.

* بعد فشل المفاوضات بين إيطالية والطرابلسيين في فندق الشريف في ١٠ أبريل سنة (١٩٢٢ م) ، رأى الطرابلسيون ضرورة إرسال وفد إلى الأمير محمد إدريس ليبايعوه بالإمارة تنفيذاً لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في فندق الشريف.

* بادر الأمير محمد إدريس بمصافحة تلك اليد الممدودة ، وقَبِل البيعةَ دون تردد ، وأجاب على كتاب البيعة في ٢٢ ربيع الأول (١٣٤١ هـ) ، الموافق ٢٢ نوفمبر (١٩٢٢ م).

* تغيرت العلاقات الإيطالية السنوسية ، وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم ، ومرض الأمير إدريس مرضاً شديداً ، ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج.

* قام الأمير إدريس قبل هجرته بتنظيم أمور الجهاد ، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب ، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب اخر.

* عهد الأمير بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين ، وعهد بالمسائل الدينية وما يتعلق بالأسرة السنوسية إلى أخيه محمد رضا.

* استطاع الإيطاليون بقواتهم الجرارة وطائراتهم القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً ، ثم هاجموا في اخر الأمر ورفلة ، وعندئذ انحلت المقاومة تماماً ، واضطر بشير السعداوي إلى مغادرة سرت في عام (١٩٢٤ م) بعد أن مكث بها سنة تقريباً.

*كان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة ، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد ، وكان يتحلى برجاحة العقل ، والرزانة والهدوء ، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد ، وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور.

* أصبحت برقة وحدها تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو ، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً.

* بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطالية من غير هوادة أو لين ، أو ضعف ، أو خوار.
* ولد الشيخ عمر المختار من أبوين صالحين عام (١٨٦٢ م) ، وقيل: (١٨٥٨ م) ، وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات ، وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر.
* بعد وفاة والده تولى تربيته الشيخ حسين الغرياني هو وشقيقه محمد ، فأدخلهما مدرسة القران الكريم بالزاوية ، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى.
* مكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة ؛ كالفقه ، والحديث ، والتفسير ، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم: السيد الزروالي المغربي ، والسيد الجواني ، والعلامة فالح الظاهري المدني ، وغيرهم كثير.
*كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ، وكان يقرأ القران يوميّاً ، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي: يا عمر وردك القران.
* إن من أسباب الثبات الذي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته: إدمانه على تلاوة القران الكريم ، والتعبد به ، وتنفيذ أحكامه ، لأن القران الكريم مصدر تثبيت وهداية ، وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ولما فيه من ذكر مال الصالحين ، ومصير الكافرين والجاحدين ، وأوليائه بأساليب متعددة.

* ظهرت صفة الشجاعة في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسة ، وفي ليبية ضد إيطالية ، وقد حفظ لنا التاريخ رسالة منه إلى الشيخ الشارف الغرياني بيَّن له فيها أنه لا يخاف طائرات العدو ولا مدافعه ولا دباباته ولا جنوده من الطليان ، ولا يخاف حتى من السم الذي وضعوه في الابار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض ، كما ظهرت فيه صفة الكرم ، وكان يردد على ضيوفه مقولته المشهورة: (إننا لا نبخل بالموجود ، ولا نأسف لمفقود).
* تفوَّق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة ؛ منها: متانة الخلق ، ورجاحة العقل ، وحب الدعوة ، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي ، فقدمه على غيره ، واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام (١٨٩٥ م).
* وفي عام (١٨٩٧ م) أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج ، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام ، فعلّم الناس أمور دينهم ، وساهم في

حل النزاعات بين القبائل ، وعمل على جمع كلمتهم ، وسعى في مصالحهم ، وسار في الناس سيرة حميدة ، فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأنٍ وصبر ورفق وعلم وزهد.

* عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطاليّة عام (١٩١١ م) كان عمر المختار وقتها بواحة جالو ، خفّ مسرعاً إلى زاوية القصور ، وأمر بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية القصور.

* أعجب ضباط الأتراك بالمختار وبشجاعته وبالاراء السديدة التي تصدر عنه ، فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية ، وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثاً للروح المعنوية في قوة خارقة.

* في شهر مارس عام (١٩٢٣ م) سافر إلى مصر لمقابلة الأمير محمد إدريس ، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها.

* حاولت إيطالية بوساطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار ، وعرضت عليه عروضاً مغرية لترك الجهاد ، واستمرت عروضهم حتى بعد رجوعه للبلاد ، وحاولوا استمالته بالمال الطائل ، والمناصب الرفيعة ، والجاه العريض في

ظل حياة رغيدة ناعمة ، ولكنهم لم يفلحوا.

* من أشهر المعارك التي خاضها المختار في تلك المرحلة معركة بئر الغبي ، ومعركة أم الشفاتير عقيرة الدم.

*كانت المعسكرات التي يقودها عمر المختار على أساس قبلي ، ويعتبر الدور وحدة عسكرية ، وإدارية ، واجتماعية ، يرأسها قائم مقام.

*كان مجيء بادوليو إلى ليبية بداية مرحلة جهادية حاسمة بالنسبة للمجاهدين ، وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام (١٩٢٩ م) ، وكان برنامجه يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام بحرب العصابات ، والمحافظة على هيبة الحكومة مع إنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر ، مما يسهل عليه التنقلات العسكرية ، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائيّاً ، ومن أجل ذلك سعت إيطالية إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال.

* دخل عمر المختار في المفاوضات مع قناعته بأنها لا تجدي نتيجة لضغوط بعض قادة الجهاد ، ولإقامة الحجة على الحكومة الإيطالية ، وقد ظهر في تلك المفاوضات حرص المختار على رفض الخضوع لأي إدارة أو سلطة غير سلطة الله ، وكان مصرّاً في شروطه على تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ، ورفض كل ما عداه من قوانين وضعية في مفاوضاته.

* أظهر بادوليو قبول الشروط ، ولكنه نكث بوعوده وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين ، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم ، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أن لا يمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي.

* أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان ، فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي ، وكان عمر المختار مقتنعاً بعدم جدوى الاجتماع ، ولكنه اضطر مكرهاً ، وعاد الحسن يحمل شروطاً إيطالية مجحفة ، فرفضها عمر المختار والمجاهدون.

*كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق ، عالماً بواقعه ، مدركاً لما يجري حوله متابعاً له ، وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه.

* خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبه قائلاً: فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن والدسائس بيننا ، لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ؛ ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة.

* نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين ، وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم.

* عين الجنرال غراسياني حاكماً لبرقة ونائباً للمرشال بادوليو الحاكم العام ، وكان غراسياني معظماً ومقدماً عند قومه ، وقام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية ، واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان في ٢٥ فبراير (١٩٣٠ م) ، وكان حقوداً على الإسلام والمسلمين ، ولم يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة.

* سافر إلى روما ورجع بتعليمات من موسوليني وحكومته ؛ هدفها القضاء المبرم على حركة الجهاد ، مهما كلف ذلك ، وبكل الطرق والوسائل للقضاء على القضية البرقاوية.

* لم يمضِ على وصول غراسياني سوى أيام قلائل حتى أنشأ ما عرف في تاريخ الاستعمار الإيطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة أبريل (١٩٣٠ م) ، ثم شرع في سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن

المجاهدين وجميع الإخوان السنوسيين وشيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القران بها مع ذويهم جميعاً ، ومشايخ وأعيان القبائل ، وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو المهاجرين ، جيء بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم السجون ، ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة ، أو الطفولة البريئة ، أو المرض المقعد ، أو الضرر الملازم.

* وأنشئت معتقلات جديدة في بنينة ، والرجمة ، والمقرون ، وسلوق ، والبريقة ، والعقيلة ، وسيقت القبائل إلى تلك المعتقلات الشنيعة.

* غيّر عمر المختار خطته ، وطور أساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة ، واعتمد على عنصر المباغتة ، وركن إلى مفاجأة القوات الإيطالية في أماكن متفرقة ، ونقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية.

* عزم غراسياني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار ما يزيد عن ٣٠٠ كم ؛ من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ، وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليون فرنك إيطالي.

* مع شدة قبضة الاستعمار الإيطالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجبهم المقدس ، واستطاعت المخابرات الإيطالية أن تقبض على عدد من الليبيين الذي زودوا حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات ، وتم إعدامهم.

* بعد أن استطاعت القوات الإيطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسعة ، وأخذ غراسياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر ، وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة ، من المرتزقة ومن المعدات الحربية لاحتلال الكفرة ، وقد كتب غراسياني عن اهتمامه باحتلال الكفرة ، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الإيطالية أكثر من خمسة وأربعين صفحة.

* قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في كتابة المقالات عن ما حدث في برقة وطرابلس، وقد اتصل به عمر المختار وأرسل إليه رسالة شكر عن دوره العظيم.

* قامت إيطالية بتصعيد حملات الانتقام من الليبيين والمجاهدين خصوصاً ، فقامت بسياسة التهجير ، وسياسة القتل والرمي في البحر ، وبهتك الأعراض وخصوصاً في الكفرة ، وقتلهم لأهل العلم ، وكبار

الشيوخ ، ورمي الأبرياء من الطائرات ، وانتزعت الأراضي من الأهالي ، ورحّل الأطفال إلى إيطالية ، ونشطت حركة التنصير بين الأهالي.

*كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو ، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة ، والخزائن المرصوفة بالأموال ، والسجون والمعتقلات والمشانق ، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم ، حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام ، لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع ، وكان في طريقه إلى الاستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر.

* ظل عمر المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله ، وفي صباح ١١ سبتمبر (١٩٣١ م) وقع من على جواده في إحدى المعارك ، فأصيب في إحدى يديه بجروح ، ثم وقع في الأسر ثم أرسل إلى سجن بنغازي.

* وفي الساعة الخامسة مساءً في ١٥ سبتمبر (١٩٣١ م) جرت محاكمة الشيخ عمر المختار ، وكانت محكمة صورية شكلاً وموضوعاً ، وقد استغرقت المحاكمة من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمسة عشر دقيقة ، فحسب وحكم عليه بالأعدام.

* في يوم (١٦) سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة (١٩٣١ م) ، وعند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقاً في شيخ الجهاد ، وأسد الجبل الأخضر ، بعد جهاد طويل ومرير.

* قام المسلمون بتأبين الشيخ عمر المختار ، وقيلت القصائد في رثائه ، ومن أشهر ما قيل قصيدة أحمد شوقي ، وقصيدة نعمان عبد الوهاب ، والأستاذ أبي الخير الطرابلسي ، والأستاذ حسن الغناي.

* بعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة ، وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد يوسف بورحيل قائداً للجهاد الإسلامي ، ووكيلاً عامّاً للجهاد.

* حشدت إيطالية قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير ضد المجاهدين ، فقتل حمد بوخير الله أحد الزعماء ، وقتل يوسف بورحيل ، وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيراً ، وأما عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له.

* وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين ، وتعثرت خطواتهم ، وأخمدت حركة الجهاد ، وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخاً بطوليّاً كفاحيّاً رائعاً من أجل العقيدة والدين والشرف والكرامة.

* سعى الفاشيست إلى إعادة الإمبراطورية الرومانية الغابرة ، فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطأى البحر الأبيض المتوسط ، ثم إبادة أهل هذه
البلاد وإفنائهم وتحويلهم إلى رقعة لاتينية.
* هاجر الليبيون إلى تونس ، والجزائر ، وتشاد ، وسورية ، والأردن ، ولبنان ، ومصر ، والحجاز ، وتركية ، وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان ، وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض ، وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع إلى ديارهم ، وتفجرت ملكاتهم الشعرية ، وتركوا لنا بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.
* ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ، ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطالية ذرعاً ، وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي ، وفي بلاد الشام بشير السعداوي الذي أسس الجمعية الطرابلسية البرقاوية.
* مع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ، ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين وخصوصاً أقواهم الأمير إدريس السنوسي.
* إن الحرب العالمية الثانية اية من ايات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ، ومن السنن الواضحة في حياة الأمم: أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ، ويصيبها البطر والكبرياء ، يهيأى الله لها أسباب الانهيار والزوال.
*كان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة ، بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة شرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف ، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها.
* عقد الزعماء الليبيون اجتماعاً تاريخيّاً في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية في ٦ رمضان (١٣٥٨ هـ) ، ٢٠ أكتوبر (١٩٣٩ م) اجتمع فيه حوالي أربعون شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين في مصر ، وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الإنكليز بشأن تكوين جيش سنوسي ؛ مهمته الاشتراك مع الحلفاء عندما تدخل إيطالية الحرب

إلى جانب ألمانية ، ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم ٩ رمضان (١٣٥٨ هـ) ، ٢٣ أكتوبر (١٩٣٩ م).

* بادرت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بعقد اجتماع في دمشق في يوم ٢٩ شوال (١٣٥٨ هـ) ، واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر ، ووافقت عليه.

* شرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز ، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها ، واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي.

* دعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين في مصر ، واجتمع بهم في يوم الخميس ٨ أغسطس سنة (١٩٤٠ م) من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة.

* اتخذت الجمعية الوطنية الليبية عدة قرارات ؛ من أهمها: وضع الثقة في بريطانية العظمى ، إعلان الإمارة السنوسية ، تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة ، خوض غمار الحرب ضد إيطالية ، تعيين حكومة سنوسية مؤقتة.

* قدم الليبيون كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور ، وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء ، وكذلك الأهالي المدنيون فقد قدموا للجيش البريطاني مساعدات جريئة.

*كان غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية، وضربت المدن والموانأى والقرى والمطارات والطرق ، والتركيبات التي أقامها الطليان.

* في يناير (١٩٤٣ م) كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس جيش مونتجمري الثامن ، وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي ، وقام حاكم طرابلس الإيطالي بتسليم المدينة للحلفاء.

* في أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال مونتجمري بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية ، وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقية.

* عارض الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم ، ووجهوا نقدهم وسهامهم
إلى الدول الكبرى، وخصوصاً الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين.

* في عام (١٩٤٧ م) أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية تحت زعامة إدريس ، وأوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل ، وتحت الإشراف البريطاني ، أما طرابلس فكان الوضع يختلف وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الإيطالي للمنطقة ، وخاصة في وجوه الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.

* اقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة ، وأصبح نادي عمر المختار يشدد انتقاده ضد بريطانية وضد سياسة إدريس المتحالف معهم.

* قام الأمير إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ، ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر (١٩٤٧ م) ، وألف المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً.

* أرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبية ، فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام ، وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الجماعية للاستقلال التام.

* أصبح استقلال ليبية شيئاً لابد منه بالنسبة للأمم المتحدة ، وأعيدت قضية ليبية إلى اللجنة السياسية في صيف (١٩٤٩ م) ، وسمح لإيطالية بالاشتراك بالنقاش وكذلك الممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي ، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي ، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس ، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسة الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة.

* في ٢١ نوفمبر (١٩٤٩ م) تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة ، وتبنته الجمعية بأغلبية ٤٨ صوتاً ضد صوت واحد هو الحبشة ، وغياب تسعة ؛ منها فرنسة وخمس دول شيوعية.

* أعلن استقلال ليبية في ٢٤ ديسمبر عام (١٩٥١ م) ، وأصبح الدستور معدّاً للتنفيذ ، وتولت الحكومة المؤقتة البلاد ، وأصبح لها صلاحيات كاملة ، كان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر ، وفتحي الكخيا نائباً له ، ووزيراً للعدل

والمعارف ، وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي ، وعين الملك إدريس حكام الولايات الثلاث ، وتقدم بطلب انضمام ليبية للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.

* كان الملك رحمه الله يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق ، ولذلك اهتم بهذه الركائز اهتماماً عظيماً ، ولذلك أحبه شعبه.

* كان الملك كثير الاتصال بجميع ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً أو ناصحاً أميناً ، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة بين الحكام لإصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر ، والدعوة للاتحاد.

* بذل الملك رحمه الله ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه ، فيغضب لله ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكانت هناك أمور قد خرجت عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

* تميزت خطاباته برصانة الأسلوب ، ومتانة التعبير ، وقوة الحجة ، وحرص الراعي على الرعية ، ونصحه لشعبه ، وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق.

*كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر ، وواصل الملك إدريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت في (١٩٥٤/١١/١ م) ، وقد أثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة ، وأعماله الجسيمة في هذا الباب.

* ترك الملك رحمه الله تعالى كتاباً يبحث في قضايا الأمم والشعوب والدول ، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته ، وتحدث فيه عن الأسباب التي أخرت المسلمين والعرب ، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية ، وتحدث عن الخلافة الإسلامية وما لها وما عليها ، وعن سبب انهيارها ، وتكلم عن الاستعمار وأهدافه ويعتبر هذا الكتاب مهمّاً لمعرفة عقلية الملك رحمه الله تعالى في التفكير.

* إن دراسة كتاب الملك المذكور ، وتصريحاته الصحفية ؛ تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة ، وأقرب إلى أهل التصوف

من كونه رجل دولة ، ولا توجد له رؤية سياسية واضحة ، ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب.

*كان الملك يؤمن بأهمية النقد الإيجابي في نهضة الشعوب وبناء الأمم ، ولذلك سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم ، وشجع الصحافة والنواب على قول كلمة الحق.

* مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الحكم ، وأن يقدم استقالته ، ويترك إلى الشعب أو ممثليه الأمر إلى من أحق منه ، أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب، فقدَّم استقالته عام (١٩٦٥ م) في عهد حكومة محمود المنتصر الثانية ، ولكن الضغوط الشعبية اضطرته للرجوع عن هذه الاستقالة.

*كان استقالته الثانية هي المؤرخة في (١٩٦٩/٨/٤ م) ، والتي وجهها إلى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ ، ورئيس وأعضاء مجلس النواب ، ورئيس الوزراء عندما كان في رحلته الاستشفائية في تركية.

* حينما وقع الانقلاب في سبتمبر (١٩٦٩ م) كان الملك في رحلة إلى تركية واليونان ، ولم يكن معه مال خاص ينفق منه ، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ما تبقى في عهدته من مخصصات ؛ رفض ذلك بعزة نفس وقال له: ((يا بني! أنا بالأمس كنت ملك ليبية ، ولكني لم أعد كذلك اليوم ، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي ، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب)).

* استقر الملك إدريس رحمه الله في مصر مدة حياته الأخيرة ، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيهما إلى مكة للحج ، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ ٢٥ مايو (١٩٨٣ م) وهو في سن الرابعة والتسعين.

* دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة ، وكان قد طلب من الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بمواسم الحج سنة (١٩٧٧ م) أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع ، فكفل الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله ، ثم إن الملك فهد بن عبد العزيز أجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد ، ونقل جثمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة.

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أهم مراجع ومصادر البحث للجزء الأول

(أ)

١ ـ إمام التوحيد ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الدعوة والدولة ، تأليف: أحمد القطان، محمد الزين ، مكتبة السندس ، الكويت ، الطبعة الثانية ، (١٩٨٨ م).

٢ ـ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، (١٩٨٤ م).

٣ . إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقران ، للإمام محمد بن علي السنوسي ، طبع مع المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، على نفقة محمد عبده بن غلبون وشقيقه هشام وعلي ، في جامعة مانشستر ، بريطانية ، عام (١٩٩٠ م).
(ب)
٤ . برقة العربية أمس واليوم ، محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب ، مطبعة الهواري ، شارع محمد علي بمصر.
٥ . البحر الرائق في الزهد والرقائق ، أحمد فريد ، دار البخاري ، القصيم بالسعودية ، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).
٦ . البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت.
(ت)
٧ . تاريخ ليبية المعاصر ، محمود عامر ، منشورات جامعة دمشق ، طبعة عام (١٤١١ هـ) ، (١٩٩١ م).

٨ . تفسير القران العظيم ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، تحقيق عبد العزيز غنيم ، وحمد أحمد عاشور ، ومحمد إبراهيم البناء ، مطبعة الشعب القاهرة بمصر.
٩ . تفسير السعدي ، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المؤسسة السعدية بالرياض (١٩٧٧ م).
١٠ . تفسير الإمام البغوي ، المسمى معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م).
١١ . التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القران الكريم ، محمد السيد محمد يوسف ، دار السلام بمصر ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م).
١٢ . توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م).
(ج)
١٣ . جند الله تخطيطاً ، سعيد حوى ، دار السلام بمصر.

١٤ . الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع ، للخطيب البغدادي ، مكتبة المعارف ، الرياض (١٤٠٣/١٩٨٣ م).
١٥ . الجامع لأحكام القران ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.
١٦ . المجتمع الليبي ، د. عبد الجليل الطاهر ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة عام (١٩٦٩ م).
١٧ . المجتمع والدولة والاستعمار في ليبية ، د. علي عبد اللطيف حميدة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٥ م).
١٨ . الجغرافيا السياسية لإفريقية ، د. فيليب رفلة ، القاهرة ، عام (١٩٦٥ م).
(ح)
١٩ . حاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي ، ترجمة: عجاج نويهض ، تعليق: شكيب أرسلان ، دار الفكر.

٢٠ . حاضر العالم الإسلامي ، وقضاياه المعاصرة ، محمد جميل المصري ، منشورات جامعة المدينة المنورة.
٢١ . الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد بن علي القحطاني ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م).
٢٢ . الحكمة والموعظة الحسنة ، د. أحمد سليمان المورعي ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م).
٢٣ . الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، أحمد الدجاني ، الطبعة الأولى (١٩٦٧ م) ، دار لبنان.
٢٤ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
(د)
٢٥ . دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ، د. محمد طه الحاجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، طبعة أولى ، عام (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م).
٢٦ . دائرة المعارف ، بطرس البستاني، مطبعة الهلال بمصر ، طبعة عام (١٨٩٨ م).

٢٧ . دراسات في التاريخ اللوبي ، مصطفى بعيو ، القاهرة ، (١٩٤٥ م)

٢٨ . الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، للإمام محمد بن علي السنوسي ، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، طبعة في منشستر ببريطانية عام (١٩٩٠ م) على نفقة محمد عبده بن غليون ، وشقيقيه هشام وعلي.

٢٩ . دولة الموحدين ، من سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي ، لعلي محمد محمد الصلابي ، دار التابعين ، مصر ، القاهرة ، طبعة أولى (٢٠٠١ م).

٣٠ . الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط ، لعلي محمد محمد الصلابي ، منشورات دار التابعين.

٣١ . ديوان الإمام الشافعي ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة (١٤٠٦ هـ) ، مكتبة المعارف.

(ر)

٣٢ . رحلة الحشائشي إلى ليبية ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، محمد عثمان الحشائشي التونسي ، تحقيق علي مصطفى المصراتي ، دار لبنان ، الطبعة الأولى (١٩٦٥ م).

(س)

٣٣ . سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه ، عبد الكريم الخطيب ، دار الأصالة ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م).

٣٤ . سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، (الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) ، بيروت ، دمشق.

٣٥ . سنن أبي داود سليمان بن الأشعث ، تحقيق: عزت عبيد الدعاس ، حمص ، الناشر: محمد السيد.

٣٦ . سياحتي في صحراء إفريقية الكبرى ، لصادق المؤيد ، مطبعة سي ، إستانبول ، عام (١٣١٤) هـ.

٣٧ . السنوسية دين ودولة ، د. محمد فؤاد شكري ، دار الفكر ، طبعة (١٩٤٨ م).

٣٨ . السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين ، للإمام محمد بن علي السنوسي ، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، طبعة مانشستر ، عام (١٩٩٠ م).

٣٩ . السيد محمد رشيد رضا ، محمد أحمد درنيفة ، مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان طرابلس ، لبنان ، طبعة أولى (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م).

٤٠ . الإسلام في القرن العشرين ، حاضره ومستقبله ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية (١٩٦٩ م).

٤١ . السنوسي الكبير ، محمد الطيب بن إدريس الأشهب ، مطبعة محمد عاطف ، ميدان الخازندار بمصر.

(ش)

٤٢ . شرح الحماسة للمزروقي ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة (١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م).

٤٣ . شرح النووي على مسلم ، للنووي ، ط ١ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة.

٤٤ . شرح مقدمة أبي زيد القيرواني ، الأمين الحاج محمد أحمد ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة الأولى ، (١٤١٢ هـ/١٩٩١ م).

(ص)

٤٥ . صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الطباعة العامرة بإستانبول (١٣١٥ هـ) ، المكتب الإسلامي ، إستانبول ، تركية.

٤٦ . صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الحديث ، القاهرة الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ/١٩٩١ م).

(ع)

٤٧ . عجائب الاثار في التراجم والأخبار ، لعبد الرحمن الجبرتي ، دار فاس.

(ف)

٤٨ . فقه التمكين في القران الكريم ، لعلي بن محمد الصلابي ، دار التابعين ، (٢٠٠١ م).

٤٩ . في تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين ، د. رأفت الشيخ ، دار الثقافة ، طبعة (١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م).

٥٠ . الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية ، عبد القادر بن علي ، مطبعة دار الجزائر العربية ، دمشق ، عام (١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م).

(ق)

٥١ . قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى (١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م).
(ك)
٥٢ . كتب في الساحة الإسلامية ، عائض القرني ، دار العميمي ، ط (١٤١٢ هـ).
(م)
٥٣ . موسوعة التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر.

٥٤ . موسوعة التاريخ الإسلامي ، د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة العاشرة (١٩٩٥ م).
٥٥ . مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ، دار الفكر ، لبنان.
٥٦ . مقدمة الإمام مالك ، للإمام محمد بن علي السنوسي ، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، طبعت في منشستر عام (١٩٩٠ م) على نفقة ابن غلبون.
٥٧ . المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق للإمام محمد بن علي السنوسي ، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، طبعت في منشستر عام (١٩٩٠ م) على نفقة ال ابن غلبون.
٥٨ . مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم ، بيروت ، ط (١٣٩٠هـ/١٩٧١ م).
٥٩ . المستخلص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى ، دار السلام ، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م).
٦٠ . الإمام البخاري، تقي الدين الندوي المظاهري ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م)، دار القلم ، بيروت ، دمشق.
٦١ . مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م).
٦٢ . الموطأ: الإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة.
٦٣ . المسائل العشر ، للإمام محمد بن علي السنوسي ، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي ، طبعت بمنشستر ببريطانية ، عام (١٩٩٠ م) على نفقة ال ابن غلبون.
٦٤ . الملك إدريس عاهل ليبية ، تأليف دي كاندول ، ترجمة ليبي ، الناشر محمد عبده بن غلبون.

٦٥ ـ المهدي السنوسي ، محمد الطيب الأشهب ، مطبعة بلينوماجي ، طرابلس.
٦٦ ـ ليبية من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، د. نقولا زيادة ، منشورات قسم الدراسات التاريخية والجغرافية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، جامعة الدول العربية ، طبعة (١٩٥٨ م).
(ن)
٦٧ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين واثارهما في حياة الأمة ، تأليف علي بن نجيب الزهراني ، دار طيبة مكة ، دار ال عمار الشارقة ، الطبعة الثانية (١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م).
٦٨ ـ النجوم الزاهرة ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (١٣٩١ هـ/١٩٧١ م).
(و)
٦٩ ـ واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م) ، مؤسسة المدينة المنورة.
٧٠ ـ وجوب التعاون بين المسلمين ، عبد الرحمن السعدي ، المعارف ، الرياض ، طبعة (١٤٠٢ هـ).

* * *

أهم مراجع ومصادر البحث للجزء الثاني

(أ)

١ ـ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤ م.

٢ ـ الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ، لمحمد صديق حسن القنوجي البخاري ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ.

٣ ـ أشراط الساعة ، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

٤ ـ أعلام ليبية ، الطاهر أحمد ، ط ٢ ، طرابلس ، مؤسسة الفرجاني ، ١٩٧١ م.

٥ ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، عبد الله التل ، المكتب الإسلامي.

(ب)

٦ ـ برقة العربية الأمس واليوم ، محمد الطيب ، أحمد إدريس الأشهب ، مطبعة الهواري ، شارع محمد علي بمصر.

(ت)

٧ ـ التواضع في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح ، للإمام محمد علي الشوكاني.

٨ ـ تفسير المنار ، للعلامة محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

٩ ـ تهذيب شرح الطحاوية ، د. محمد صلاح الصاوي ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.

١٠ ـ تاريخ الإسلام ، أنور الجندي.

١١ ـ التعليم في ليبية خلال القرن التاسع عشر ، عمر بن إسماعيل.

١٢ ـ تاريخ ليبية المعاصر ، محمود عامر ، منشورات جامعة دمشق ، طبعة عام ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

١٣ ـ تاريخ ليبية ، جون رايت ، كتاب مصور ، دار الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م.

١٤ . تاريخ حرب طرابلس ، محمد إبراهيم لطفي ، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق ، بنها ، ١٩٤٦ م.
١٥ . توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.
١٦ . الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها ، د. جمعة الخولي ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة.
(ث)
١٧ . الثورة السنوسية أو كاوصن ، نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الإنسانية ، نيامي ، ١٩٧٣ م ، ترجمة عبد الرحمن عبد اللطيف ، مخطوط صاحب الكتاب ساليفو أندري.
(ج)
١٨ . جهاد الليبيين ضد فرنسة في الصحراء الكبرى ، محمد القشاط ، طبعة عام ١٩٨٨ م.
١٩ . جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، محمد بن عثمان الحشائشي التونسي ، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٥ م.
٢٠ . جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، الطاهر أحمد الزاوي ، ط ٣ ، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ م.
٢١ . جريدة المقطم ، عدد ٦٩٤١ ، ٩ صفر ، عام ١٣٣٠ هـ.
٢٢ . جريدة الأهرام ، عدد ١٠٦١٣ ، في ٢١ صفر ، عام ١٣٣١ هـ.
٢٣ . جريدة المقتبس ، عدد ١٠١٤ ، ٥ ذو القعدة ١٣٣٠ هـ.

(ح)
٢٤ . الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، أحمد الدجاني ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧ م ، دار لبنان.
٢٥ . حركة الجامعة الإسلامية ، أحمد الشوابكة ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م/١٤٠٤ هـ.
٢٦ . حاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي ، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض ، وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان ، دار الفكر.
٢٧ . الحوليات الليبية ، شارل فيرو ، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ، ووضع مقدمتها النقدية ، محمد عبد الكريم الوافي ، دار الفرجاني ، طرابلس ـ ليبية.

٢٨ ـ الحركة الوطنية شرق ليبية ، مصطفى هويدي ، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طبعة ١٩٨٨ م.

٢٩ ـ حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني ، د. عايض بن حزام الورقي ، نشرته جامعة أم القرى ، طبعة عام ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م.

٣٠ ـ الحملة الإيطالية على ليبية «دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية» ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٢ م.

٣١ ـ حوليات كلية الاداب ، الحولية الأولى ، جامعة الكويت ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢ م.

٣٢ ـ حياة سليمان الباروني ، لأبي القاسم الباروني.

(د)

٣٣ ـ الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط ، لعلي محمد الصلابي ، منشورات دار البيارق.

٣٤ ـ الدولة العبيدية في ليبية ، لعلي محمد الصلابي ، دار البيارق ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م.

٣٥ ـ دائرة معارف القرن العشرين.

٣٦ ـ دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ، د. محمد طه الحاجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط أولى ، عام ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.

(ر)

٧٣ ـ رحلة إلى صحراء إفريقية الكبرى ، صادق المؤيد العظم ، إستانبول ، عالم مطبعة سي ، ١٣١٤ هـ.

٣٨ ـ رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان ، محمد مسعود فشيكه ، دار الفرجاني ، طرابلس ـ ليبية ، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.

٣٩ ـ رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار ، لمحمد العيساوي ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، ١٩٣٦ م.

(س)

٤٠ ـ السنوسي الكبير ، محمد الطيب بن إدريس الأشهب ، مطبعة محمد عاطف ، ميدان الخازندار ، بمصر.

٤١ ـ السنوسية دين ودولة ، د. محمد فؤاد شكري ، دار الفكر ، طبعة ١٩٤٨ م.
٤٢ ـ السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ، تقديم وترجمة د. محمد حرب ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢ هـ/١٩٩١ م.
٤٣ ـ السودان بين يدي غوردن وكتشنر ، إبراهيم فوزي ، الجزء الأول ، ١٣١٩ هـ.
٤٤ ـ سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي.
٤٥ ـ سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، حمص ، الناشر: محمد السيد.
(ش)
٤٦ ـ الشهيد ، العدد الخامس ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
(ص)
٤٧ ـ صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الطباعة العامرة بإستانبول ١٣١٥ هـ ، المكتب الإسلامي ، إستانبول ، تركية.
٤٨ ـ صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ/١٩٩١ م.

٤٩ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ هـ.
٥٠ ـ صفحات خالدة من الجهاد ، زعيمة الباروني ، بيروت ، ١٩٦٨ م.
٥١ ـ صلات بين ليبية وتركية «التاريخية والاجتماعية» طرابلس الغرب ـ ليبية ١٩٦٨ م.
٥٢ ـ صحافة ليبية في نصف قرن ، علي مصطفى المصراتي ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٦٠ م.
٥٣ ـ صفحات مجهولة من تاريخ ليبية ، محمد عيسى ، جامعة الكويت الحولية الأولى عام ١٩٨٠ م.
(ط)
٥٤ ـ الطريق إلى لوزان ، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبية ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ، محمد عبد الكريم الوافي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبية.
٥٥ ـ الطريق إلى الإسلام ، محمد أسد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١ م.

(ع)
٥٦ . عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر ، عبد المحسن العباد ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ.
٥٧ . العلاقات الليبية التشادية ، سعيد عبد الرحمن ، مركز دراسات الجهاد الليبي.
٥٨ . العدوان والحرب بين إيطالية وتركية ، مكتبة الفرجاني ، عام ١٩٦٥ م ، محمد مصطفى بازامة.
(غ)
٥٩ . الغزو الإيطالي لليبية ، عبد المنصف حافظ البوري ، الدار العربية للكتاب ، طبعة ١٩٨٣ م.
(ف)
٦٠ . الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ، عبد القادر بن عبد الملك بن علي ، مطبعة دار الجزائر العربية ، دمشق ، عام ١٩٥٦ م.

٦١ . قضية ليبية ، محمود الشنيطي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ م.
٦٢ . قادة فتح بلاد المغرب ، محمود شيت خطاب، الطبعة السابعة، عام ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م، دار الفكر.
(ك)
٦٣ .كفاح الشعب الليبي في سبيل حريته ، عبد الرحمن عزام ، ترجمة عماد غانم (مخطوطة محفوظة بمركز الجهاد).
(ل)
٦٤ . ليبية في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ . ١٩١١ م) ، ترجمة يوسف العسلي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٦ م.
٦٥ . ليبية قبل الاحتلال الإيطالي ، أحمد الدجاني.
(م)
٦٦ . منهج التربية النبوية للطفل ، محمد نور عبد الحفيظ سويد ، مؤسسة الريان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م ، الناشر مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت.
٦٧ . المهدي السنوسي ، محمد الطيب الأشهب ، مطبعة بلينوماجي ، طرابلس.

٦٨ . المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، طبع مكتب المطبوعات الإسلامية ، جمعية التعليم الشرعي ، حلب ، ١٣٩٠ هـ.

٦٩ . مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون.

٧٠ . مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

٧١ . مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، يناير ١٩٧٩ م.

٧٢ . المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العباسية ، محمود ثابت الشاذلي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

٧٣ . مجلة المنار ، محمد رشيد رضا ، المجلد الثاني عشر.

٧٤ . المغرب الكبير ، د. جلال يحيى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، طبعة عام ١٩٨١ م.

٧٥ . مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبية ، أورخان قول أوغلو ، ترجمة وجدي كدك ، مراجعة د. عماد حاتم ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، سلسلة المذكرات التاريخية ، طبعة عام ١٩٧٩ م.

٧٦ . ميلاد دولة ليبية ، محمد فؤاد شكري ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، عام ١٩٥٧ م.

(ن)

٧٧ . (النهاية ، الفتن والملاحم) ، للحافظ إسماعيل بن كثير ، د. طه زيني ، دار النصر للطباعة ، الناشر: دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة الأولى.

٧٨ . نظم المتناثر في الحديث المتواتر ، للشيخ جعفر الحسني الإدريسي الكتاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ.

٧٩ . نشأة الحركة العربية الحديثة ، محمد عزة.

* * *

أهم مراجع ومصادر البحث للجزء الثالث

(أ)

١ ـ إدريس السنوسي ، لمحمد الطيب الأشهب ، دار العهد الجديد للطباعة ، لصاحبها كامل مصباح ، الطبعة الثانية ، مكتبة القاهرة ، بميدان الأزهر.

٢ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، طبعة ١٤٠٧ هـ.

٣ ـ إيطالية والسنوسية ، يوسيرا فبريتز ، ترجمة محمد السيد أبو مدين ، نسخة مخطوطة بشعبة الوثائق ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

(ب)

٤ ـ برقة العربية أمس واليوم ، محمد الطيب أحمد إدريس الأشهب ، مطبعة الهواري ، شارع محمد علي بمصر.

٥ ـ برقة الدولة العربية الثامنة ، نقولا زيادة ، بيروت ، طبعة عام ١٩٥٠ م.

٦ ـ برقة الهادئة ، الجنرال رود لفو غراسياني ، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر ، دار مكتبة الأندلس ، الطبعة الثالثة ، يناير ١٩٨٠ م.

(ت)

٧ ـ تاريخ ليبية المعاصر ، محمد عامر ، منشورات جامعة دمشق ، طبعة عام (١٤١١ هـ/١٩٩١ م).

٨ ـ تاريخ ليبية ، جون رايت ، كتاب مصور ، دار الفرجاني ، طرابلس ، طبعة عام ١٩٧٢ م.

٩ ـ تاريخ حرب طرابلس ، إبراهيم لطفي ، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بنها ١٩٤٦ م.

١٠ ـ تفسير القران الكريم، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ، وحمد أحمد عاشور ، ومحمد إبراهيم البناء ، مطبعة الشعب ، القاهرة.

(ث)
١١ . الثبات ، د. محمد بن حسن بن عقيل ، دار الأندلس الخضراء بجدة ، الطبعة الثانية (١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م).
(ج)
٢١ . جهاد الإبطال في طرابلس الغرب ، الطاهر أحمد الزاوي ، ط ٣ ، بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ م.
١٣ . جذور النضال العربي في ليبية ، محمد عبد الرازق مناع ، ط ٢ ، بنغازي ، عام ١٩٧٢ م.
١٤ . الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، محمد خير هيكل ، دار البيارق ، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م).
(ح)
١٥ . الحركة الوطنية شرق ليبية ، مصطفى هويدي ، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طبعة ١٩٨٨ م.
١٦ . حاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي ، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض ، وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان ، دار الفكر.
١٧ . حياة عمر المختار ، محمود شلبي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٩٨٢ م/١٤٠٢ هـ).
(د)
١٨ . الدولة العربية المتحدة ، أمين السعيد ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، عام ١٩٣٨ م.
(ذ)
١٩ . ذكريات عزام، الحلقة ٨، مجلة المصورة ، القاهرة عام (١٣٧٠ هـ/١٩٥٠ م).
(ر)
٢٠ . رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان ، محمد مسعود فشيكة ، دار الفرجاني ، طرابلس . ليبية ، الطبعة الأولى (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م).
(س)
٢١ . السنوسية دين ودولة ، د. محمد فؤاد شكري ، دار الفكر ، طبعة ١٩٤٨ م.

٢٢ ـ السنوسيون في برقة ، ريتشارد إيفانز ، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة ، طرابلس ، مكتبة الفرجاني.
٢٣ ـ سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، حمص ، الناشر محمد السيد.
٢٤ ـ سنن الترمذي ، لأبي عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة.
٢٥ ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م).
٢٦ ـ سنن النسائي ، أحمد بن شعيب ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
(ش)
٢٧ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي ، تحقيق د. أحمد بن سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة ، الرياض السعودية.
(ص)
٢٨ ـ صفحات من تاريخ ليبية الإسلامي ، علي محمد الصلاّبي ، دار البيارق ، عمان ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م).
٢٩ ـ صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الطباعة العامرة بإستانبول ، ١٣١٥ هـ ، المكتب الإسلامي ، إستانبول ـ تركية.

٣٠ ـ صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ/١٩٩١ م).
٣١ ـ صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، مصطفى بن حليم ، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر ، مطابع الأهرام التجارية ، قليوب ، مصر.
(ط)
٣٢ ـ الطريق إلى الإسلام ، محمد أسد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٨١ م.
(ع)
٣٣ ـ عبد النبي بالخير ، داهية السياسة وفارس الجهاد ، محمد المرزوقي ، الدار العربية للكتاب ، عام (١٣٩٨ هـ/١٩٨٧ م).

٣٤ . الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ.
٣٥ . عمر المختار نشأته وجهاده من ١٨٦٢ م إلى ١٩٣١ م ، دراسات في حركة الجهاد الليبي ، أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي بمناسبة الذكرى الخمسين لاستشهاد عمر المختار ، إشراف الدكتور عقيل محمد البربار ، كلية الاداب والتربية . جامعة قاريونس.
٣٦ . عمر المختار ، لمحمد الطيب الأشهب ، سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبية.
٣٧ . الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، دار العودة ، بيروت ، طبعة ١٩٨٦ م.
(ف)
٣٨ . فقه التمكين في القران الكريم ، علي محمد الصلاّبي ، رسالة دكتوراه ، دار التابعين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م.
٣٩ . في ظلال القران ، سيد قطب ، دار الشرق.
(ق)
٤٠ . قضية ليبية ، محمد الشنيطي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ م.

٤١ . قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله ، جلال العالم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، طبعة (١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م).
٤٢ . قواعد التعامل مع العلماء ، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار الوراق ، السعودية ، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م).
(ك)
٤٣ .كفاح الليبيين في بلاد الشام ، تيسير بن موسى.
٤٤ . ليبية اليوم ، محمد الطيب الأشهب ، بغداد ، مطبعة أسعد ، عام ١٩٥٥ م.
٤٥ . ليبية في العصور الحديثة ، نقولا زيادة ، القاهرة ، دار الرائد للطباعة ، ١٩٦٦ م.
٤٦ . ليبية من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، د. نقولا زيادة ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، طبعة عام ١٩٥٨ م.
٤٧ . ليبية الحديثة، مجيدي خدوري، ترجمة د. نقولا زيادة ، دار الثقافة ، بيروت.
(م)
٤٨ . المغرب الكبير ، جلال يحيى ، الإسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ م.

٤٩ ـ الملك إدريس، عاهل ليبية ، حياته وعصره ، تأليف: ثي ، اف ، دي كاندول ، قام بطباعتها وأشرف على ترجمتها محمد عبده بن غليون ، عام ١٩٨٩ م.

٥٠ ـ المغني ، لابن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (موفق الدين ، أبو محمد) على مختصر الخِرَقِي ، ومعه الشرح الكبير على متن المقنع عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م).

٥١ ـ المذهب ، في فقه مذاهب الإمام الشافعي ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي الشيرازي. معه بأسفل الصفحة: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب ، محمد بن أحمد بن بطال الركبي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٥٢ ـ ميلاد دولة ليبية ، محمد فؤاد شكري ، مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ، عام ١٩٥٧ م.

٥٣ ـ مجلة الإنقاذ ، تصدر عن الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبية ، العدد ٢٩.

٥٤ ـ معجم معارك الجهاد في ليبية (١٩١١ ـ ١٩٣١ م) ، ط ٣ ، خليفة محمد التليبي ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م.

٥٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، السعودية.

٥٦ ـ مذكرات مجاهد ، محمود الجهني.

٥٧ ـ مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، السنة السادسة ، عام ١٩٨٤ م.

٥٨ ـ مجلة البيان ، العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني ، ١٩٨٨ م.

٥٩ ـ مجلة المنار ، ج ٩ ، م ٣.

٦٠ ـ منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل العلياني السلمي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م).

٦١ ـ محطات من تاريخ ليبية المعاصر ، مذكرات محمد عثمان الصيد ، إخراج طوب للاستثمار والخدمات ، الرباط بالمغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م.

(ن)

٦٢ ـ نونية القحطاني ، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي ، الطبعة الثالثة (١٤١٠ هـ/١٩٨٩ م) ، مكتبة السوادي للتوزيع. ٦٣ ـ النظام السياسي في الإسلام ، د. محمد أبو فارس ، دار الفرقان ، عمان ـ الأردن ، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م).

(و)

٦٤ . وثائق جمعية عمر المختار ، محمد بشير المغيربي ، مؤسسة دار الهلال ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٩٣ م.

* * *

المحتوى

* * *

فهرس الجزء الثاني

سيرة الزعيمين

محمد المهدي السنوسي ، وأحمد الشريف

* * *

فهرس الجزء الثالث

سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي وعمر المختار

* * *

الحوشي

[١]. انظر: المغرب الكبير ، جلال يحيى (٣٥/٤).

[٢]. انظر: الحركة الوطنية في شرق ليبية ، مصطفى هويدي ، ص (١٠١).

[٣]. انظر: برقة العربية أمس واليوم ، للأشهب ، ص (٣٥٠).

[٤]. انظر: برقة العربية أمس واليوم ، ص (٣٥٠ إلى ٣٥١).

[٥]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٥١).

[٦]. انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٠٢).

[٧]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٨٣ ، ١٨٤).

[٨]. انظر: برقة العربية ، ص (٣٥٤).

[٩]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٨٤).

[١٠]. زعيم سنوسي معروف ، ولد سنة ١٨٧٠م ، وهو من قبائل الزوية.

[١١]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، حياته وعصره ، ص (١٩ إلى ٢٢).

[١٢]. مكتبة دراسة الجهاد الصوتية ، شريط رقم (٣٤/١٤) ، محمد أحمد أبو بكر ، الدرس من كتاب الحركة الوطنية شرق ليبية.

[١٣]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٨٦).

[١٤]. انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٠٧).

[١٥]. انظر: برقة العربية ، ص (٣٦٠).

[١٦]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٨٧).

.[١٧]	انظر: تاريخ حرب طرابلس ، إبراهيم لطفي ، ص (٥٧).

.[١٨]	ذكريات عزام ، الحلقة ٨ ، مجلة المصور ، (١٣٣٢هـ/ ١٩٥٠م) ، القاهرة ، ص (١٩).

.[١٩]	انظر: ليبية اليوم ، محمد الأشهب ، ص (٧).

.[٢٠]	انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية.

.[٢١]	انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١١٦).

.[٢٢]	انظر: جهاد الأبطال ، ص (١٣٣).

.[٢٣]	انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١١٧).

.[٢٤]	انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١١٨).

.[٢٥]	انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١١٨).

.[٢٦]	المصدر السابق نفسه ، ص (١٢٠).

.[٢٧]	انظر: السنوسية دين ودول ، ص (٢٢٣).

.[٢٨]	انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٩١).

.[٢٩]	انظر: المغني لابن قدامة (٢٥٩/١٠).

.[٣٠]	أي: غالباً.

.[٣١]	المهذب ، للشيرازي (٢٥٩/٢ ـ ٢٦٠). هذا والجمهور على عدم تقييد المعاهدة بعشر سنوات ، بل يرجع تقييدها إلى المصلحة ؛ سواء زادت على عشر سنين أو نقصت عنها. .[٣٢] انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، محمد خير هيكل (١٤٨١/٣ ، ١٤٨٣).

.[٣٣]	انظر: الدولة العربية المتحدة ، أمين السعيد ، ص (٣١ ـ ٣٢).

.[٣٤]	انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٢٦).

.[٣٥]	المصدر السابق نفسه ، ص (١٣٠).

.[٣٦] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٣٢).

.[٣٧] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨] السنوسيون في برقة ، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة ، ص (٢٣٢).

.[٣٩] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٣٦).

.[٤٠] انظر: إيطالية والسنوسية ، ترجمة محمد السيد أبو مدين ، ص (٩٠) وما بعدها.

.[٤١] انظر: الدولة العربية المتحدة ، ص (٣٨).

.[٤٢] انظر: السنوسية في برقة ، إيفاتر برتشارد ، ص (٢٣٢).

.[٤٣] أحد القادة العسكريين الإيطاليين الكبار.

.[٤٤] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٩٦).

.[٤٥] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٣٨).

.[٤٦] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (١٩٦).

.[٤٧] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٤٣).

.[٤٨] المصدر السابق نفسه.

.[٤٩] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٤٥).

.[٥٠] المصدر السابق نفسه ، ص (١٤٥).

.[٥١] انظر: ليبية في العصور الحديثة ، نقولا زيادة ، ص (٩٠).

.[٥٢] انظر: برقة الدولة العربية الثامنة ، نقولا زيادة ، ص (٩٢).

.[٥٣] انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٤٦).

.[٥٤] انظر: قضية ليبية ، محمود الشنيطي ، ص (٨٣).

.[٥٥] المصدر السابق نفسه.

[٥٦]. انظر: قضية ليبية ، ص (٨١).

[٥٧]. انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١٤٩).

[٥٨]. انظر: ميلاد دولة ليبية الحديثة ، ص (١٨٦).

[٥٩]. منهم دكتور محمد فؤاد شكري.

[٦٠]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٠٥).

[٦١]. انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١١١).

[٦٢]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦١ ، ٢٦٢).

[٦٣]. انظر: الحركة الوطنية شرق ليبية ، ص (١١٢).

[٦٤]. انظر: برقة العربية ، ص (٣٦٢).

[٦٥]. انظر: برقة العربية ، ص (٣٦٣ ، ٣٦٤).

[٦٦]. انظر: برقة العربية ، ص (٣٦٥).

[٦٧]. المصدر السابق نفسه.

[٦٨]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٠٧).

[٦٩]. انظر: ليبية من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، نقولا زيادة ، ص (٩١).

[٧٠]. المصدر السابق نفسه ، ص (٩٢).

[٧١]. انظر: ليبية من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ، ص (٩٢ ، ٩٣).

[٧٢]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٠٨).

[٧٣]. انظر: ليبية من الاستعمار الإيطالي ، نقولا زيادة ، ص (٩٣).

.[٧٤] المصدر السابق نفسه ، ص (٩٤).

.[٧٥] انظر: مجلة الإنقاذ عدد (٢٩) ، بقلم سالم نوح ، ص (٤٤ ، ٤٥).

.[٧٦] انظر: جهاد الأبطال للزاوي ، ص (٢٠٣).

.[٧٧] انظر: مجلة الإنقاذ ، عدد (٢٩) ، بقلم سالم نوح ، ص (٤٤ ، ٤٥).

.[٧٨] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٠٥).

.[٧٩] المصدر السابق نفسه.

.[٨٠] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٠٦).

.[٨١] انظر: عبد النبي بالخير ، داهية السياسة وفارس الجهاد ، محمد المرزوقي ، ص (١٠٢).

.[٨٢] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢١٨ ، ٢١٩).

.[٨٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٣١٩ ، ٣٢٠).

.[٨٤] انظر: صفحات من تاريخ ليبية الإسلامي ، علي محمد الصلابي ، ص (٨٣).

.[٨٥] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٤).

.[٨٦] انظر: رمضان السويحلي ، محمد فشيكة ، ص (١٩٥ ، ١٩٦).

{وَأَمْرُهُمْ} [الشّورى: ٣٨]

.[٨٧] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٥ ، ٢٢٦).

.[٨٨] انظر: رمضان السويحلي ، فشيكة ، ص (١٩٩).

.[٨٩] انظر: النظام السياسي في الإسلام ، لأبي فارس ، ص (٩٠).

.[٩٠] انظر: فقه التمكين في القران الكريم ، للصلابي ، ص (٤٤٧).

[٩١]. انظر: صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، (١٦٢/٨).

[٩٢]. قادة الغرب يقولون ، جلال العالم ، ص (٦٣).

[٩٣]. انظر: فقه التمكين في القران الكريم ، ص (٢٣٢).

[٩٤]. انظر: قواعد في التعامل مع العلماء ، ص (٣٣).

[٩٥]. انظر: إعلام الموقعين (١٠/١).

[٩٦]. انظر: فقه التمكين في القران الكريم ، ص (٢٤٠).

[٩٧]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٦).

[٩٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٧).

[٩٩]. انظر: رمضان السويحلي ، محمد مسعود ، ص (١٩٩ ، ٢٠٠).

[١٠٠]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٨).

[١٠١]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٨).

[١٠٢]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٢٨ ، ٢٢٩).

[١٠٣]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٣٠).

[١٠٤]. انظر: نحو فزان ، ص (٢٦).

[١٠٥]. انظر: رمضان السويحلي ، ص (٢٠٩).

[١٠٦]. المصدر السابق نفسه (٢١٠).

[١٠٧]. انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٦٤).

.[١٠٨] انظر: رمضان السويحلي ، ص (٢١٩).

.[١٠٩] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨).

.[١١٠] انظر: السنوسة دين ودولة ، ص (٢٥٢).

.[١١١] انظر: معجم المعارك ، ص (٥٨ ، ٥٩).

.[١١٢] انظر: عبد النبي بالخير ، داهية السياسة وفارس الجهاد ، ص (١١٢ ، ١١٣).

.[١١٣] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٨٥).

.[١١٤] انظر: عبد النبي بالخير ، ص (١٠٣).

.[١١٥] انظر: عبد النبي بالخير ، ص (١٢١).

.[١١٦] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٩٩ ، ٣٠٠).

.[١١٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٠١).

.[١١٨] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٠٣).

.[١١٩] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٠٤).

.[١٢٠] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٥٦).

.[١٢١] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٣٠٧).

.[١٢٢] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٣٠٨ إلى ٣١٦).

.[١٢٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٣١٦).

.[١٢٤] انظر: حاضر العالم الإسلامي.

.[١٢٥] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٣٢٣).

.[١٢٦] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٥٨).

.[١٢٧] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٥٨).

.[١٢٨] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٥٩).

.[١٢٩] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٥٩ ، ٢٦٠).

.[١٣٠] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٢).

.[١٣١] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٢).

.[١٣٢] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٣٣١).

.[١٣٣] انظر: تعليق محمد عبد بن غلبون على كتاب (الملك إدريس عاهل ليبية ، حياته وعصره) ، ص (٤٣).

.[١٣٤] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٢).

.[١٣٥] انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (٤٤).

.[١٣٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٤٧).

.[١٣٧] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٧).

.[١٣٨] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٨).

.[١٣٩] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٢٣٥ إلى ٢٦٢).

.[١٤٠] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٦٩).

.[١٤١] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٧٠).

.[١٤٢] انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (٤٥).

.[١٤٣] انظر: الأعلام للزركلي ، (١٢٩/٣).

.[١٤٤] انظر: عبد النبي بالخير ، داهية السياسة ، ص (٢٥١).

.[١٤٥] انظر: جهاد الأبطال ، ص (٣٣٣).

.[١٤٦] انظر: النسائي ، كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر (٣/٥٥) صححه الشيخ الألباني رحمه الله.

.[١٤٧] رواه الترمذي وصححه الألباني ، كما في صحيح سنن الترمذي (٣/١٨٣).

.[١٤٨] انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٩/١٠١ ، ١٠٢).

.[١٤٩] المصدر السابق نفسه (٩/١٠٢).

.[١٥٠] المصدر السابق نفسه.

.[١٥١] انظر: مجموع الفتاوى (١٩/١١٦).

.[١٥٢] انظر: السنن الإلهية ، د. عبد الكريم زيدان ، ص (١٣٩).

.[١٥٣] المصدر السابق نفسه.

.[١٥٤] انظر: السنن الإلهية ، ص (١٤٠ ، ١٤١).

.[١٥٥] انظر: عمر المختار نشأته وجهاده ، د. إدريس الحريري ، ص (٦٥).

.[١٥٦] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٢٦).

.[١٥٧] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٢٦).

.[١٥٨] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٢٧).

.[١٥٩] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٨).

.[١٦٠] انظر: عمر المختار ، ص (٢٨ ، ٢٩).

.[١٦١] انظر: مذكرات مجاهد ، محمود الجهني ، محمد مناع.

.[١٦٢] المصدر السابق نفسه.

[١٦٣]. انظر: برقة العربية ، ص (٤٣٩).

[١٦٤]. رواه البخاري.

[١٦٥]. انظر: نونية القحطاني ، ص (٤٢).

[١٦٦]. انظر: الثبات ، د. محمد بن حسن عقيل ، ص (٢).

[١٦٧]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٥٩).

[١٦٨]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٣٩ ، ٤٠).

[١٦٩]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٨٧).

[١٧٠]. انظر: عمر المختار ، ص (٣٢).

[١٧١]. انظر: مجلة المسلم.

[١٧٢]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٢٧).

[١٧٣]. انظر: عمر المختار ، ص (٣٧).

[١٧٤]. المصدر السابق نفسه ، ص (٤٠ ، ٤١).

[١٧٥]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٦).

[١٧٦]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٦).

[١٧٧]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٥٦).

[١٧٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (٥٨).

[١٧٩]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٧١).

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا *وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا *} [الإسراء: ١٨-١٩]

.[١٨٠] انظر: عمر المختار ، ص (٥٦).

.[١٨١] انظر: عمر المختار ، ص (٥٨).

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} [التّوبَة: ١٩]

.[١٨٢] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٧١).

.[١٨٣] انظر: عمر المختار نشأته وجهاده ، للحساوي ، ص (٣٦).

.[١٨٤] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٧).

.[١٨٥] المصدر السابق نفسه.

.[١٨٦] رواه مسلم.

.[١٨٧] انظر: صحيح سنن أبي داود ، للشيخ الألباني رحمه الله.

.[١٨٨] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٧٣).

.[١٨٩] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٧٣ ، ٢٧٤).

.[١٩٠] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٦٣).

.[١٩١] كان الصوف الخام الكثيف يستعمل ضد الرصاص.

.[١٩٢] هذا المثل باللهجة البدوية ومعناه: لم يكن اليوم من أيام الصيام ؛ حيث إن صوت البنادق أخذ يدوي. وكلمة المنشر هي اسم لنوع من البنادق. وكلمة زام: دواء من الأدوية.

.[١٩٣] انظر: عمر المختار ، ص (٦٤).

.[١٩٤] انظر: عمر المختار ، ص (٧٠).

.[١٩٥] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٧٣).

.[١٩٦] انظر: حياة عمر المختار ، لمحمود شلبي ، ص (١١٤ ، ١١٥).

.[١٩٧] المصدر السابق نفسه ، ص (١١٤).

.[١٩٨] انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، عقيل البربار ، ص (٨٢ ، ٨٣).

.[١٩٩] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٩١).

.[٢٠٠] المصدر السابق نفسه ، ص (٩٥).

.[٢٠١] المصدر السابق نفسه ، ص (٧٩).

.[٢٠٢] انظر: حياة عمر المختار ، لشلبي ، ص (١١٧ ، ١١٨).

.[٢٠٣] انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١٠٥).

.[٢٠٤] انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١٠٦).

.[٢٠٥] انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ندوة علمية ، ص (١٠٠).

.[٢٠٦] انظر: برقة العربية ، للأشهب ، ص (٤٢٥).

.[٢٠٧] انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١٠٢).

.[٢٠٨] انظر: معجم معارك الجهاد ، خليفة التليسي ، ص (٧٩).

.[٢٠٩] انظر: جذور النضال العربي ، محمد عبد الرزاق مناع ، ص (١٣٠).

.[٢١٠] المصدر السابق نفسه ، ص (١٣٧).

.[٢١١] انظر: مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، السنة السادسة ، علم ١٩٨٤ م ، ص (٩).

.[٢١٢] المصدر السابق نفسه ، ص (١٠).

.[٢١٣] المصدر السابق نفسه ، ص (١٠ ، ١١).

.[٢١٤] انظر: برقة العربية ، ص (٤٤٠).

.[٢١٥] انظر: مجلة البحوث ، السنة السادسة ، ١٩٨٤ م ، العدد الأول ، ص (١٦).

[٢١٦]. المصدر السابق نفسه.

[٢١٧]. انظر: تاريخ ليبية ، جون رايت ، ص (١٥٣).

[٢١٨]. انظر: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام ، ص (١٩٢ ـ ١٩٥) ، تيسير بن موسى.

[٢١٩]. انظر: مجلة البحوث ، السنة السادسة ، ١٩٨٤ م ، العدد الأول ، ص (١٧).

[٢٢٠]. انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١٤).

[٢٢١]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٨٤).

[٢٢٢]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (٨١).

[٢٢٣]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص(١٠٠ ، ١٠١).

[٢٢٤]. انظر: حياة عمر المختار ، ص (١١٩).

[٢٢٥]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٢١).

[٢٢٦]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٩٢ ، ٣٩٦).

[٢٢٧]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٩٨).

[٢٢٨]. انظر: شروط عمر المختار في قضية ليبية ، ص (١١١ ـ ١١٤).

[٢٢٩]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٩٨).

[٢٣٠]. انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (٦٢).

[٢٣١]. المصدر السابق نفسه.

[٢٣٢]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٢٩٩).

[٢٣٣]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١١١ ، ١١٢).

[٢٣٤]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٠٠).

[٢٣٥]. مجلة البيان ، العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني ، ١٩٨٨م ، ص (٨٧).

[٢٣٦]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٠٣).

[٢٣٧]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٤).

[٢٣٨]. انظر: برقة الهادئة ، للجنرال غراسياني ، ص (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤).

[٢٣٩]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٨٤ ، ٨٥).

[٢٤٠]. انظر: عمر المختار ، محمود شلبي ، ص (١٢٦).

[٢٤١]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، (ص ١٢٤).

[٢٤٢]. المصدر السابق نفسه.

[٢٤٣]. المصدر السابق نفسه.

[٢٤٤]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٢٥).

[٢٤٥]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٢٦).

[٢٤٦]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٢٦ ، ١٢٧).

[٢٤٧]. انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١١٣ ـ ١٤٩).

[٢٤٨]. المصدر السابق نفسه.

[٢٤٩]. انظر: عمر المختار ، شلبي ، ص (١٨٨).

[٢٥٠]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٤٦).

[٢٥١]. انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (١٤٥).

[٢٥٢]. المصدر السابق نفسه.

[٢٥٣]. انظر: عمر المختار ، لمحمود شلبي ، ص (١٢٧ ، ١٢٨).

[٢٥٤]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٢٧).

[٢٥٥]. المصدر السابق نفسه، ص (١٢٩).

[٢٥٦]. انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده ، ص (٧١).

[٢٥٧]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٢٩).

[٢٥٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٣٢ ، ٢٣٣).

[٢٥٩]. انظر: حياة عمر المختار ، ص (١٣٠ ـ ١٣٣).

[٢٦٠]. انظر: برقة الهادئة ، ص (١٥٣ ، ١٥٤).

[٢٦١]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٢٩ ، ١٣٠).

[٢٦٢]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢١١).

[٢٦٣]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٩٨).

[٢٦٤]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (٥٨ ، ٥٩).

[٢٦٥]. انظر: حاضر العالم الإسلامي (٦٩/٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢).

[٢٦٦]. انظر: حاضر العالم الإسلامي (٨٤/٢).

[٢٦٧]. المصدر السابق نفسه.

[٢٦٨]. انظر: مجلة المنار (ج ٩ ، م٣ ، ص ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦).

[٢٦٩]. انظر: عمر المختار ، ص (١٣٤).

.[٢٧٠] انظر: عمر المختار ، ص (١٣٥).

.[٢٧١] المصدر السابق نفسه ، ص (١٣٧).

.[٢٧٢] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٣٩).

.[٢٧٣] انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٤١).

.[٢٧٤] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٣١).

.[٢٧٥] المصدر السابق نفسه ، ص (٤٤٦).

.[٢٧٦] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٤٤٦).

.[٢٧٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٤٧).

.[٢٧٨] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٤٨).

.[٢٧٩] المصدر السابق نفسه، ص (٣٤٨ إلى ٣٦٠).

.[٢٨٠] هذا من المجاهدين الذين استلموا محمد أسد ورفيقه عند الحدود المصرية.

.[٢٨١] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٦٠ ، ٣٦١).

.[٢٨٢] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٦١).

.[٢٨٣] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٦٢).

.[٢٨٤] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٦٣).

.[٢٨٥] انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٦٥).

.[٢٨٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٦٦).

[٢٨٧]. انظر: الطريق إلى الإسلام ، ص (٣٧٠).

[٢٨٨]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣١٣).

[٢٨٩]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٤٥).

[٢٩٠]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٤٦).

[٢٩١]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٧٤).

[٢٩٢]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٦٦ ، ٢٦٧).

[٢٩٣]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٦٨).

[٢٩٤]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٧١).

[٢٩٥]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٧٤ ، ٢٧٥).

[٢٩٦]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٧٦).

[٢٩٧]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٧٦).

[٢٩٨]. انظر: أصول أهل السنة والجماعة ، اللالكائي ، (٢/ح ١٠٩٥).

[٢٩٩]. انظر: عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٦٦ ، ١٦٧).

[٣٠٠]. انظر: عمر المختار ، لمحمود شلبي بتصرف ، ص (١٤٢).

[٣٠١]. انظر: عمر المختار ، لشلبي ، ص (١٤٢).

[٣٠٢]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٧٩).

[٣٠٣]. انظر: عمر المختار ، ص (١٤٣).

[٣٠٤]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٨٠).

[٣٠٥]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢).

[٣٠٦]. انظر: تعليق المترجم ، إبراهيم بن عامر ، ص (٢٨٢).

[٣٠٧]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٨٥).

[٣٠٨]. انظر: حياة عمر المختار ، ص (١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥).

[٣٠٩]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٥٥).

[٣١٠]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٨٦ ، ٢٨٧).

[٣١١]. انظر: حياة عمر المختار ، ص (١٥٦ ، ١٥٧).

[٣١٢]. انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٨٨).

[٣١٣]. انظر: حياة عمر المختار ، للأشهب ، ص (١٥٩ ، ١٦٠).

[٣١٤]. انظر: إبراهيم سالم بن عامر ، مترجم (برقة الهادئة) ، ص (٢٨٩).

[٣١٥]. انظر: حياة عمر المختار ، ص (١٩٠).

[٣١٦]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٩٣ ، ١٩٤).

[٣١٧]. من مجلة البيان ، العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني ، ١٤٠٩ هـ ، ص (٨٢).

[٣١٨]. انظر: جون رايت ، تاريخ ليبية ، ص (١٥٨).

[٣١٩]. من مجلة البيان ، العدد الخامس عشر ، ص(٨٢ ، ٨٣).

[٣٢٠]. الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد شوقي ، (١٨/٢ ، ١٩).

[٣٢١]. انظر: عمر المختار للأشهب ، ص (١٨٧ ، ١٨٨).

.[٣٢٢] انظر: عمر المختار ، ص (١٩٠ ، ١٩١).

.[٣٢٣] انظر: مجلة الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ، ١٩٩١ م ، ص (٢٥).

.[٣٢٤] انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٩٤ ، ٢٩٥).

.[٣٢٥] المصدر السابق نفسه.

.[٣٢٦] انظر: برقة الهادئة ، ص (٢٩٦).

.[٣٢٧] انظر: برقة الهادئة ، ص (٣٠٤).

.[٣٢٨] انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣).

.[٣٢٩] انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠).

.[٣٣٠] انظر: حياة عمر المختار ، ص (١٧٢).

.[٣٣١] المصدر السابق نفسه ، ص (١٨٥).

.[٣٣٢] انظر: حياة عمر المختار ، بتصرف ، ص (١٨٥إلى ١٨٨).

.[٣٣٣] انظر: برقة العربية ، ص(٥٣١ ، ٥٣٢).

.[٣٣٤] المصدر السابق نفسه ، ص(٥٣٢ ، ٥٣٣).

.[٣٣٥] انظر: برقة العربية ، ص (٥٣١).

.[٣٣٦] المصدر السابق نفسه.

.[٣٣٧] المصدر السابق نفسه.

[٣٣٨]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٧٣).

[٣٣٩]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٧٤).

[٣٤٠]. انظر: حاضر العالم الإسلامي (٣/٣٨٥).

[٣٤١]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٧٥).

[٣٤٢]. انظر: تفسير ابن كثير (٥/٥٨).
[٣٤٣]. انظر: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، للوابل ، ص (٦٥).

[٣٤٤]. رواه مسلم (٤/١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧).

[٣٤٥]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٧٩).
[٣٤٦]. المصدر السابق نفسه.

[٣٤٧]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٨٠).

[٣٤٨]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٨١).

[٣٤٩]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٣٨٢).

[٣٥٠]. انظر: السنوسية دين ودولة ، ص (٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦).
[٣٥١]. انظر: إدريس السنوسي ، للأشهب ، ص (٧٦).

[٣٥٢]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (٦٦ ، ٦٧).
[٣٥٣]. المصدر السابق نفسه ، ص (٦٧).

[٣٥٤]. انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٧٢ ، ١٧٣).

[٣٥٥]. انظر: تاريخ ليبية ، جون رايت ، ص (١٧٥ ، ١٧٦).

[٣٥٦]. انظر: ميلاد دولة ليبية الحديثة ، د. محمد فؤاد شكري ، ص (١٠٧ ، ١٠٨).

[٣٥٧]. انظر: ميلاد دولة ليبية الحديثة ، ص (١١٠ ، ١١١ ، ١١٢).

[٣٥٨]. انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨).

[٣٥٩]. انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٧٨ ، ١٧٩).

[٣٦٠]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٨٠ ، ١٨١).

[٣٦١]. انظر: إدريس السنوسي ، للأشهب ، ص (١٠١ ، إلى ١١١).

[٣٦٢]. انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣).

[٣٦٣]. انظر: تاريخ ليبية ، ص (١٨٨ ـ ١٩٠).

[٣٦٤]. انظر: تاريخ ليبية ، ص(١٩٣).

[٣٦٥]. انظر: تاريخ لبيبة ، ص (١٩٨ ـ ١٩٩).

[٣٦٦]. انظر: سيد قطب ، في ظلال القران ، دار الشروق (٣٥١٢/٢).

[٣٦٧]. انظر: النظام السياسي في الإسلام ، أبو فارس ، ص (٣٠).

[٣٦٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣١).

[٣٦٩]. انظر: رسائل حسن البنا ، ص (٢٧٢).

.[٣٧٠] تاريخ ليبية ، ص (٢٠٢ ، ٢٠٣).

.[٣٧١] انظر: تاريخ ليبية بتصرف ، وزيادة وحذف ، ص (٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨).

.[٣٧٢] انظر: مجلة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبية ، جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١م ، السنة العاشرة ، العدد ٣٩.

.[٣٧٣] مجلة الإنقاذ الوطني، العدد (٣٩)، جمادى الاخرة ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١م، ص (٢٤، ٢٥).

.[٣٧٤] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٦).

.[٣٧٥] انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، حياته وعصره ، ص (١٥٥).

.[٣٧٦] انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١م.

.[٣٧٧] انظر: إدريس السنوسي ، للأشهب ، ص (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥).

.[٣٧٨] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٤١).

.[٣٧٩] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٠] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨١] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٢] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٤٣).

.[٣٨٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٤٦).

.[٣٨٤] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٥] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٦] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٧] المصدر السابق نفسه.

.[٣٨٨] انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، ٢٩ جمادى الاخرة ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١ م ، ص (٦٦).

.[٣٨٩] انظر: إدريس السنوسي ، ص (١٩١).

.[٣٩٠] المصدر السابق نفسه ، ص (١٩٢).

.[٣٩١] انظر: إدريس السنوسي ، ص (١٩٢ ، ١٩٣).

.[٣٩٢] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٣٢).

.[٣٩٣] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٣٢ ، ٢٣٣).

.[٣٩٤] انظر: مجلة الإنقاذ ، العدد (٢٩) ، ص (٧٦).

.[٣٩٥] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٣٤).

.[٣٩٦] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٣٧).

.[٣٩٧] المصدر السابق نفسه.

.[٣٩٨] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٣٨).

.[٣٩٩] انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٢٧).

.[٤٠٠] انظر: مجلة الإنقاذ ، العدد (٢٩) ، ص (٦٩ ، ٧٠).

.[٤٠١] انظر: مجلة الإنقاذ ، العدد (٢٩) ، ص (٦٣).

.[٤٠٢] انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، ص (٣٥١).

.[٤٠٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٥٢).

[٤٠٤]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٥٣).

[٤٠٥]. انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، ص (٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦).

[٤٠٦]. انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، ص (٣٥٧ ، ٣٥٨).

[٤٠٧]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٥٩).

[٤٠٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٦٠).

[٤٠٩]. انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، ص (٣٥٨ ، ٣٥٩).

[٤١٠]. انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبية السياسي ، ص (٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣).

[٤١١]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٦٤).

[٤١٢]. المصدر السابق نفسه ، ص (٣٦٦).

[٤١٣]. المصدر السابق نفسه ، ص(٣٧٤ ، ٣٧٥).

[٤١٤]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢١٨).

[٤١٥]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢١٨).

[٤١٦]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢١٨).

[٤١٧]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢١٩).

[٤١٨]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢١٩).

[٤١٩]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٢٠).

[٤٢٠]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٢١).

[٤٢١]. المصدر السابق نفسه.

[٤٢٢]. انظر: إدريس السنوسي ، ص (٢٢١).

[٤٢٣]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٥).

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي} [غافر: ٢٦]

[٤٢٤]. المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٦).

[٤٢٥]. انظر: قصص السابقين للخالدي (١٠٥/٥).

[٤٢٦]. انظر: وثائق جمعية عمر المختار ، ص (٨).

[٤٢٧]. انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، بقلم طاهر أحمد ، ص (٧٨ ، ٧٩).

[٤٢٨]. الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، جمادى الاخرة ، ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١ م ، ص (٨٠).

[٤٢٩]. الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، ص (٨٠ ، ٨١).

[٤٣٠]. انظر: وثائق جمعية عمر المختار ، لمحمد المغيربي ، ص (٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢).

[٤٣١]. انظر: السنوسيون ، مخطوطة لم تر النور بعد ، طلب مني مؤلفها عدم ذكر اسمه.

[٤٣٢]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (١٦٥ ، ١٦٦).

[٤٣٣]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (١٥٣ ، ١٥٤).

[٤٣٤]. انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، ص (٦٤ ، ٦٥).

[٤٣٥]. انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) ، ص (٦٥).

[٤٣٦]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، حياته وعصره ، ص (٤٥).

[٤٣٧]. انظر: الملك إدريس عاهل ليبية ، ص (١٤١).

[٤٣٨]. المصدر السابق نفسه ، ص (١٥١).

[٤٣٩]. كلأه: إذا حفظه {قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ} [الأنبيَاء: ٤٢]

[٤٤٠]. الإبلال: الشفاء من المرض.

[٤٤١]. الزخار: صفة للبحر ، وهطال: صفة للغيث.